

# التبيان

## في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

٣٨٥ - ٤٦٠ هـ.

تحقيق وتصحيح:

أحمد حبيب قصير العاملي

المجلد التاسع

دار إحياء التراث العربي

- ٣٩- سورة الزمر  
الآية: ١ - ٢٥  
الآية: ٣٦ - ٧٥  
٤٠- سورة المؤمن  
الآية: ١ - ٤٠  
الآية: ٤١ - ٨٥  
٤١- سورة حم السجدة  
الآية: ١ - ٢٥  
الآية: ٢٦ - ٥٤  
٤٢- سورة الشورى  
الآية: ١ - ٢٥  
الآية: ٢٦ - ٥٣  
٤٣- سورة الزخرف  
الآية: ١ - ٤٥  
الآية: ٤٦ - ٨٩  
٤٤- سورة الدخان  
٤٥- سورة الجاثية  
٤٦- سورة الاحقاف  
٤٧- سورة محمد صلى الله عليه واله  
٤٨- سورة الفتح  
٤٩- سورة الحجرات  
٥٠- سورة ق  
٥١- سورة الذاريات  
٥٢- سورة الطور  
٥٣- سورة النجم  
٥٤- سورة القمر  
٥٥- سورة الرحمن  
٥٦- سورة الواقعة  
٥٧- سورة الحديد

٥٨- سورة المجادلة

٥٩- سورة الحشر

٦٠- سورة الممتحنة

٦١- سورة الصف

(١)

التبيان

في تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

٣٨٥ - ٤٦٠ هـ.

تحقيق وتصحيح:

أحمد حبيب قصير العاملي

المجلد التاسع

دار إحياء التراث العربي

(٣)

٣٩ - سورة الزمر وتسمى أيضا (سورة الغرف) وهي مكية - في قول مجاهد وقتادة والحسن - ليس فيها ناسخ ولا منسوخ عدد آياتها خمس وسبعون آية - في الكوفي - وثلاث وسبعون - شامي - وسبعون حجازي وبصري.

بسم الله الرحمن الرحيم (تنزل الكتاب من الله العزيز الحكيم (١) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون \* إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (٣) لو أراد الله أن يتخذ ولدا لا لصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار (٤) خلق السموات والأرض بالحق يكورا الليل على النهار ويكور النهار

(٤)

على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥).  
خمس آيات كوفي وست في ما عداه، عد الكوفي (يختلفون) رأس آية، ولم يعده الباقر.

قوله (تنزل الكتاب) رفع بالابتداء، وخبره (من الله). ويجوز ان يكون رفعا على انه خبر  
الابتداء. والابتداء محذوف، وتقديره: هذا تنزل، والمراد بالكتاب القرآن - في قول قتادة -  
وسمي كتابا لانه مما يكتب.

و (العزیز) هو القادر الذي لا يقهر ولا يمنع، و (الحكيم) هو العليم بما تدعو اليه الحكمة وما  
تصرف عنه. وعلى هذا يكون من صفات ذاته تعالى. وقد يكون بمعنى أن افعاله كلها حكمة  
ليس فيها وجه من وجوه القبيح. فيكون من صفات الافعال، وعلى الاول يكون تعالى  
موصوفا في مالم يزل بأنه حكيم، وعلى الثاني لا يوصف إلا بعد الفعل. وقيل (العزیز) في  
انتقامه من اعدائه (الحكيم) في ما يفعله بهم من انواع العقاب. والذي اقتضى ذكر (العزیز  
الحكيم) في إنزال الكتاب انه تعالى يحفظ هذا الكتاب حتى يصل إليك على وجهه من غير  
تغيير ولا تبديل لموضع جهته ولا لشيء منه، وفي قوله (العزیز الحكيم) تحذير عن مخالفته.  
ثم اخبر تعالى عن نفسه انه أنزل الكتاب الذي هو القرآن (إليك) يا محمد (بالحق) أي بالدين  
الصحيح.

ثم امره فقال (فاعبدالله مخلصا له الدين) ومعناه توجه عبادتك اليه تعالى وحده مخلصا من  
شرك الاوثان والاصنام. وقوله (مخلصا له الدين) نصب

## (٥)

(مخلصا) على الحال. ونصب (الدين) بأنه مفعول ل (مخلصا). وقال الفراء:  
يجوز أن يرفع (الدين)، ولم يجزه الزجاج، قال: لانه يصير ما بعده تكريرا.  
ثم قال تعالى (ألا لله الدين الخالص) والاخلاص لله أن يقصد العبد بطاعته وعمله وجه الله، لا  
يقصد الرياء والسمعة، ولا وجهها من وجوه الدنيا، والخالص - في اللغة - مالا يشوبه شيء  
غيره، ومنه خلاصة السمن لانه تخلصه.

وقال الحسن: معناه الاسلام. وقال غيره: معناه ان له التوحيد في طاعة العباد التي يستحق بها  
الجزاء، فهذا الله وحده لا يجوز أن يكون لغيره، لاستحالة أن يملك هذا الامر سواه.  
وقوله (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) معناه الحكاية عما  
يقول الكافرون الذين يعبدون الاصنام فانهم يقولون:

ليس نعبد هذه الاصنام إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي قربي - في قول ابن زيد - وقال السدي:  
الزلفى المنزلة. و (الاولياء) جمع ولي، وهو من يقوم بأمر غيره في نصرته، وحذف (يقولون)  
لدلالة الكلام عليه، وهو أفصح، واوز.

ثم اخبر تعالى فقال (إن الله يحكم بينهم يوم القيامة في ما هم فيه يختلفون)

من إخلاص العبادة لله والاشراك به. ثم قال (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) معناه إن الله تعالى لا يهديه إلى طريق الجنة أو لا يحكم بهديته إلى الحق، (من هو كاذب) على الله في أنه أمره باتخاذ الاصنام، كافر بما أنعم الله عليه، جاحد لإخلاص العبادة، ولم يرد الهداية إلى الإيمان، لأنه قال (وإما ثمود فهديناهم) (١).

ثم قال تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) على ما يقول هؤلاء: من أن

---

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٧ (\*)

(٦)

الملائكة بنات الله، أو على ما يقوله النصارى: من ان عيسى ابن الله، أو ما يقوله اليهود: من أن عزيزا ابن الله، (لاصطفى) أي لا ختار مما يخلق ما يشاء. ثم نزه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) الذي لا نظير له، القهار لجميع خلقه. ومن هذه صفته كيف يجوز أن يتخذ الاولاد؟!.

ثم بين عن قدرته فقال (خلق السموات والارض بالحق) أي لغرض حكيم دون العبث وما لا فائدة فيه. (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه، ومنه كور العمامة. وقال قتادة: معناه يغشي. (وسخر الشمس والقمر) بأن أجراهما على وتيرة واحدة وتقدير واحد، وكل ذلك يجري (لأجل مسمى) يعني إلى مدة قدرها الله لهما ان يجريا اليها. وقيل: إلى قيام الساعة.

ثم قال (ألا هو العزيز الغفار) يعني الله الذي لا يقهر ولا يغالب، الغفار لمعاصي عباده إذا تابوا وأقلعوا عن ذنوبهم. وفائدة الآية أن من قدر على خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر. وإدخال الليل في النهار ينبغي ان ينزه عن اتخاذ الولد، وإضافة شريك اليه لان جميع ذلك لا يليق به، لأنه من صفات المحتاجين.

قوله تعالى:

(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون (٦) إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى

(٧)

لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور) (٧) آيتان بلا خلاف.

قرأ السوسي، وابن فرج، وهبة عن الاخفش والترمذي إلا ابن فرج، ومدين من طريق عبد الله بن سلام، والبرجمي وخلف - بضم الهاء ووصلها بواو في اللفظ. الباقون - بضم الهاء من غير اشباع - وهذا خطاب من الله تعالى لجميع خلقه من البشر، يقول لهم على وجه تعداد نعمه عليهم وامتنانه لديهم (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم لأن جميع البشر من نسل آدم.

وقوله (ثم جعل منها زوجها) قيل: أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم. وقال قوم: خلقها من فضل طينته. وفي قوله (ثم جعل منها زوجها) و (ثم) تقتضي التراخي والمهمل، وخلق الوالدين قبل الولد، وذلك يقتضي أن الله تعالى خلق الخلق من آدم ثم بعد ذلك خلق حواء، وذلك بخلاف المعلوم، لأن خلق حواء كان قبل خلق ولد آدم، فيه ثلاثة أقوال: احدها - ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر. ثم خلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاع آدم - على ما روي في الاخبار - وهذا ضعيف لما بيناه في غير موضع (١) في ما مضى.

والثاني - ان ذلك وإن كان مؤخرا في اللفظ فهو مقدم في المعنى، ويجري

---

(١) انظر بالمجلد الخامس ص ٣٤ - ٣٥ (\*)

## (٨)

مجري قول القائل: قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس، وإن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم.

والثالث - انه معطوف على معنى واحدة كأنه قال من نفس واحدة بمعنى اوجدها. وقيل: إنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله (زوجها) غير حواء، بل يريد المزدوج من نسل آدم من الذكور والاناث، فكأنه قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) وهي آدم (عليه السلام) ثم جعل المزدوج من نسل هذه النفس، وهذا لا محالة متأخر عن خلق النفس الواحدة التي هي آدم. وقيل ايضا: إن سبب دخول (ثم) أن الاعتداد بهذه النعمة، والذكر لها على الامتتان، انما كان بعد ذكر خلقنا من نفس واحدة، فكأنه قال: هو الذي ذكر لكم واعتد عليكم بأنه خلقكم من نفس واحدة، ثم عطف على هذا الاعتداد والامتتان ذكر نعمة اخرى، وهي ان زوج هذه النفس المخلوقة مخلوقة منها. فزمان الخلق المزوج وإن كان متقدما، فزمان ذكره والاعتداد به متزاوج، وزمان الذكر للنعم والاعتداد بها غير الترتيب في زمان اليجاد والتكوين، كما يقول احدنا لغيره: لي عليك من النعم كذا اليوم، ثم كذا أمس، وإن كان المعطوف متقدما على المعطوف عليه إذا كان زمان الامتتان بذلك على خلاف ترتيب زمان ايصال النعم. وقيل:

إن المراد ب (ثم) الواو، فإنه قد يستعمل الواو بمعنى (ثم) و (ثم) بمعنى الواو، لأن معنى الجمع الانضمام، وإن أراد بعضه على بعض. قال الله تعالى (فألينا مرجعهم ثم الله شهيد) (١) ومعناه والله شهيد.

وقوله (وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) قال الحسن: معناه وجعل لكم منها. وقال: أنزلها بعد ان خلقها في الجنة ويعني بها، الابل، والبقر،

---

(١) سورة ١٠ يونس آية ٤٦ (\*)

(٩)

والضان، والمعز من كل صنف اثنين. وهما زوجان. وهو قول قتادة ومجاهد والضحاك. وقوله (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) قال قتادة ومجاهد والضحاك والسدي: معناه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسي العظام لحما ثم ينشئ خلقا آخر. وقال ابن زيد: معناه الخلق في بطون الامهات بعد الخلق في ظهر آدم.

وقوله (في ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ومجاهد وقاتدة والضحاك والسدي وابن زيد: يعني ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. وقيل: صلب الرجل وظلمة الرحم. ثم خاطب خلقه فقال (ذلکم الله ربکم) يعني الذي خلق ما ذكره هو الذي أنشاكم وهداكم ويملك التصرف فيكم (له الملك) على جميع المخلوقات (لا إله إلا هو) مستحق للعبادة (فأني تصرفون) المعنى تؤفكون أي يكف تتقلبون عن ذلك إلى اتخاذ الآلهة سواه.

ثم قال تعالى مخاطبا لهم (إن تكفروا فإن الله غني عنكم) ومعناه إن تجحدوا نعم الله فلا تشكروه، فإن الله غني عن شكركم (ولا يرضى العبادة الكفر) وفي ذلك دلالة على ان الكفر ليس من فعل الله، ولا بارادته، لانه لو كان مريدا له لكان راضيا به، لان الرضا هو الارادة اذا وقعت على وجهه. ثم قال (وان تشكروا يرضه لكم) أي ان تشكروا نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويريده منكم ويشيكم عليه. واشباع الهاء أجود، لان الهاء أولها متحرك مثل (ج ٩ م ٢ من التبيان)

(١٠)

(شرا يره .. خيرا يره) (١)، والهاء اذا نفتح ما قبلها في نحو الفعل لم يجز الا الاشباع كقولهم كهلهو والهاء (في يرضه) كناية عن المصدر الذي دل عليه (وان تشكروا) كقولهم: من كذب كان شرا له أي كان الكذب شرا له. وشكر الله لعبده هو اثابته على الشكر والطاعات، والشكر من العبد الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. ومن أسكن الهاء قال ابوالحسن: هي لغة كقول الشاعر:



ونضوأي مشتاقان له أرقان فعلى هذه اللغة يحمل دون أن يجري الوصل مجرى الوقف.  
وقوله (ولا تزرر وازرة وزر أخرى) معناه لا يؤاخذ بالذنب الا من يفعله ويرتكبه، ولا يؤاخذ  
به غيره، وذلك نهاية العدل. وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة في ان الله تعالى يعذب  
اطفال الكفار بكفر آبائهم.  
وقوله (ثم اليه مرجعكم) ومعناه إن مصيركم يوم القيامة إلى حيث لا يملك الامر والنهي سواه  
(فبينئكم بما كنتم تعملون) أي يخبركم بما عملتموه ويواقفكم عليه ويجازيكم بحسب ذلك، انه  
عليم بذات الصدور لا يخفى عليه شئ لا سر ولا علانية.  
قوله تعالى:

(وإذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من  
قبل وجعل لله أندادا ليضل

---

(١) سورة ٩٩ الزلزال آية ٧ - ٨ (\*)

(١١)

عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار (٨)  
أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين  
يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الالباب (٩) قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين  
أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب  
(١٠) ثلاث آيات بلا خلاف.  
قرأ ابن كثير ونافع وحزمة (أمن هو قانت) بتخفيف الميم. الباقون بتشديدها، من خفف أراد  
النداء وتقديره يامن هو قانت. قال ابن خالويه:  
سمعت ابن الانباري يقول: ينادي العرب بسبعة الفاظ: زيد اقبل، وازيد اقبل، ويا زيد اقبل،  
وهازيد أقبل، وأيا زيد اقبل، وأي زيد اقبل، وهيا زيد اقبل. وانشد:  
هيا طيبة الوعشاء بين جلايد \* وبين النقاء أنت أم أم سالم  
ويجري ذلك مجرى قول القائل: فلان لا يصوم ولا يصلي، فيا من يصوم ويصلي ابشر. وقال  
ابوعلي: النداء - هنا - لا وجه له. والمعنى أمن هو قانت كمن هو بخلاف ذلك؟! لانه  
موضع معادلة، وإنما يقع في مثل هذا الموضع الجمل التي تكون اخبار وليس كذلك النداء.  
ويدل على الحذف قوله (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) لان التسوية لا تكون  
إلا بين شيئين وفي جملتين من الخبر. والمعنى أمن هو قانت كمن جعل الله أندادا ليضل عن  
سبيله، وقال أبو الحسن: القراءة بالتخفيف ضعيفة، لان الاستفهام إنما يبني على ما بعده، ولا

## (١٢)

يحمل على ما قبله، وهذا الكلام ليس قبله ما يبنى عليه إلا في المعنى ومن شدد احتمال أمرين: احدهما - ان يريد أهذا خير أم من هو قانت.

والثاني - ان يكون جعل (أم) بمنزلة (بل) والف الاستفهام، وعلى هذا يكون الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه، كما قال الشاعر:

فأقسم لو شئ أتنا رسوله \* سواك ولكن لم نجد لك مدفعا (١)

والمعنى له أتنا غيرك ما صدقناه، ولا أهتدينا فحذف. وقال تعالى (افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) و " افمن يتقى بوجهه سوء العذاب " كل ذلك محذوف الجواب. والقانت الداعي، والقانت الساكت، والقانت المصلي قائما وانشد:

قانتا لله يتلو كتبه \* وعلى عمد من الناس اعتزل

وقيل القانت الدائم على الطاعة لله (في قول ابن عباس والسدي -).

يقول الله عزوجل مخبرا عن حال الانسان وضعف يقينه وشدة تحوله من حال إلى حال إنه إذا مسه ضر من شدة فقر ومرض وقحط (دعا) عند ذلك (ربه منيبا اليه) أي راجعا اليه راغبا فيه (ثم إذا حوله نعمة منه) فانه إذا أعطاه نعمة عظيمة، فالتحويل العظيمة على جهة الهبة، وهي المنحة قال ابوالنجم:

اعطى فلم ينجل ولم يبخل \* كوم الذرى من خول المخول (٢)

" نسي ما كان يدعو اليه من قبل) يعني ترك دعاء الله، كما كان يدعو في حال ضره، قال الفراء: ويجوز أن تكون (ما) بمعنى (من) كما قال (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (٣).

---

(١) مر تخريجه في ٥ - ٥٢٩ و ٦ - ٢٥٣ و ٧ - ٣٤١ (٢) مر في ٤ - ٢٢٤ (٣) سورة ٤ النساء آية ٣ (\*)

## (١٣)

" وجعل الله اندادا " أي وسمى له تعالى أمثالا في توجيه عبادته اليها من الاصنام والاوثنان " ليضل عن سبيله " فمن ضم الياء أراد ليضل بذلك غيره عن سبيل الحق. ومن فتح الياء أراد ليضل هو عن ذلك، واللام العاقبة، لانهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم أن يضلوا عن سبيل الله، لكن عاقبتهم كان اليه.

فقال الله تعالى لنبيه (قل) له يا محمد على سبيل التهديد (تمتع بكفرك قليلا)

يعني مدة حياتك (إنك من اصحاب النار) في العاقبة، وهم الذين يلزمون عذاب جهنم. ثم قال (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) فآناء الليل ساعات الليل واحدها آن، وإني بالياء (ساجدا وقائما) أي في هاتين الحالتين (يحذر الاخرة)

أي يخاف عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) كمن خالف ذلك، فانهما لا يتساويان ابدا، ثم قال (قل) لهم على وجه الإنكار عليهم (هل يستوي الذين يعلمون) الحق ويعملون به (والذين لا يعلمون) ولا يعملون به، فانهما لا يتساويان أبدا (إنما يتذكر) في ذلك (اولوا الالباب) أي ذوو العقول وروى جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية انه قال: نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (قل) لهم يا محمد (يا عبادي الذين آمنوا) بالله وصدقوا بوحدانيته وأقروا برسله (اتقوا ربكم) أي عقاب ربكم باجتتاب معاصيه. ثم قال (للذين احسنوا) يعني فعلوا الافعال الحسنة وأحسنوا إلى غيرهم جزاء لهم على ذلك (في هذه الدنيا حسنة) يعني ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر، وقيل: صحة وسلامة وعافية، ذكره السدي (وارض الله واسعة) فتهاجروا فيها عن دار الشرك - في قول مجاهد - وقيل: أرض الله يعني أرض الجنة واسعة (إنما يوفى الصابرون أجرهم) وثوابهم على طاعتهم وصبرهم على شدائد الدنيا

#### (١٤)

(بغير حساب) أي لكثرتة لا يمكن عده وحسابه. وقيل: إن معناه إنهم يعطون من المنافع زيادة على ما يستحقونه على وجه التفضل، فكان ذلك بغير حساب أي بغير مجازاة بل تفضل من الله تعالى.

قوله تعالى:

(قل إنني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (١١) وأمرت لأن أكون أول المسلمين (١٢) قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٣) قل الله أعبد مخلصا له ديني (١٤) فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا ذلك هو الخسران المبين (١٥) لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون) (١٦) ست آيات بلا خلاف.

ست آيات في الكوفى وخمس بصري واربع في ما عداه عد الكوفيون والبصريون (له الدين) وعد الكوفيون (له ديني) ولم يعد الباقون شيئا من ذلك.

هذا امر من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) أن يقول لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم (إنني أمرت أن ا عبد الله مخلصا له الدين) أي اخلص طاعتي له وأوجه عبادتي نحوه، دون الاصنام والاوثنان. والآية وإن توجهت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فالمراد بها جميع المكلفين (وامرت) أيضا (لأن أكون أول المسلمين) أي المستسلمين

## (١٥)

لما أمر الله به ونهى عنه، وإنما أمر بأن يكون أول المسلمين وإن كان قبله مسلمون كثيرون لأن المراد به أول المسلمين من هذه الأمة، ففي ذلك أنه دعاهم إلى ما رضي به الله له ورضيه لنفسه، وأن يقول لهم أيضا (إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) يعني عذاب يوم القيامة. ثم قال (قل) لهم (الله اعبد)

أي اعبدا الله (مخلصا) بعبادتي (له) تعالى (ديني) وطاعتي (فاعبدوا)

أنتم معاشر الكفار (ما شئتم من دونه) من الاصنام والاوثنان على وجه التهديد بذلك ثم قال (قل) لهم (إن الخاسرين) في الحقيقة هم "الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة" بأن فعلوا المعاصي، فخسروا بذلك أهاليهم الذين كانوا معدين لهم من الحور العين لو اطاعوه - في قول الحسن - وخسروا أنفسهم أي أهلكوها بالعذاب المهين الظاهر، لمن أدركه، ولا يخفى على احد الحال فيه.

ثم قال تعالى "ألا ذلك هو الخسران المبين" يعنى الظاهر الذي لا يخفى، ثم بين ذلك الخسران بأن قال "لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل" فالظلة السترة القائمة، وجمعها ظلل، ولذلك قيل من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل إذ النار أدراك فهم بين أطباقها - نعوذ بالله منها - فما هو تحت هؤلاء ظلل لمن دونهم ويجوز أن يكون المراد من تحتهم مثل تلك الظلل لأن الظلة لا تسمى كذلك إلا إذا كانت عالية فوق من هي ظلة له ثم قال "ذلك يخوف الله به عباده" أي ما اخبركم به من الوعيد وما أعده للكفار يحذر الله به عباده من إرتكاب معاصيه، ثم ناداهم فقال "يا عباد فاتقون" أي اتقوا معاصي وافعلوا طاعاتي والتخويف الاعلام بموضع المخافة لتتقى ومثله التحذير والترهيب.

وقرأ رويس "ياعبادي" باثبات الياء - في الحاليين - الباقون بحذفها، لان الكسرة تدل على الياء.

## (١٦)

قوله تعالى:

(والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد (١٧) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب (١٨) أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار (١٩) لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) (٢٠).

اربع آيات بلا خلاف، في جملتها، وقد اختلفوا في تفصيلها فعد العراقيون والشامي واسماعيل " فبشر عبادي " ولم يعدها المكي، ولا المدني الاول، وعد المكي والمدني الاول " من تحتها الانهار " .

لما اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار وما أعده لهم من انواع العقاب، اخبر - ههنا - عن حال المؤمنين وما أعده لهم من الثواب فقال " والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها " يعني الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت والتقرب اليها بأنواع القرب. والطاغوت جماعة الشياطين في قول مجاهد والسدي وابن زيد. وإنما انث تأنيث الجماعة، ولفظه لفظ المذكر. وقيل إن كل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت " وأنابوا إلى الله " أي تابوا اليه، واقلعوا عما كانوا عليه " لهم البشرى فبشر عباد " جزاء على ذلك والبشرى والبشارة واحد وهو الاعلام بما يظهر السرور به في بشرة الوجه، وضده السوءى وهو الاعلام بما يظهر الغم به في

(١٧)

الوجه بما يسوء صاحبه.

ثم امر نبيه (صلى الله عليه وآله) فقال " فبشر عبادي " فمن اثبت الياء وفتحها، فلانه الاصل ومن حذف الياء اجتزأ بالكسرة الدالة عليها، ثم وصف عباده الذين أضافهم إلى نفسه على وجه الاختصاص فقال " الذين يستمعون القول " يعني يصغون إلى تلاوة القرآن والاقوال الدالة على توحيده " فيتبعون أحسنه " إنما قال " أحسنه " ولم يقل حسنه لانه اراد ما يستحق به المدح والثواب، وليس كل حسن يستحق به ذلك، لان المباح حسن ولا يستحق به مدح ولا ثواب. والاحسن الاولى بالفعل في العقل والشرع.

ثم اخبر تعالى فقال " أولئك " يعني هؤلاء الذين وصفهم من المؤمنين هم " الذين هداهم الله " يعني إلى الجنة وثوابها، وحكم بأنهم مهتدون إلى الحق " وأولئك هم أولوا الالباب " يعني اولوا العقول على الحقيقة، لانهم الذين انتفعوا بعقولهم من حيث اتبعوا ما يجب اتباعه، والكفار وإن كان لهم عقول فكأنهم لا عقول لهم من حيث أنهم لم ينتفعوا بما دعوا اليه.

ثم قال تعالى على وجه التنبيه " أفمن حق عليه كلمة العذاب " أي وجب عليه الوعيد بالعقاب جزاء على كفره كمن وجب له الوعد بالثواب جزاء على ايمانه وحذف لدلالة الكلام عليه تنبيها على أنهما لا يستويان.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) " أفأنت تتنقذ من في النار " وتقديره أفأنت تتقذه، لا يمكنك ذلك، لان العقاب وجب له بكفره، واخبر تعالى انه لا يغفر له وإنما اتى بالاستفهام مرتين تأكيداً، للتنبيه على المعنى، قال الزجاج: معناه معنى الشرط والجزاء، والف الاستفهام - ههنا -

معناها التوقيف، والثانية في قوله " أفأنت (ج ٩ م ٣ من التبيان)

## (١٨)

تتقد " جاءت مؤكدة لما طال الكلام، لانه لا يصلح أن يأتي بالف الاستفهام تارة في الاسم والآخرى في الخبر، والمعنى أفمن حق عليه كلمة العذاب أنت تتقده او في سياق الكلام حذف. وفيه دليل على المحذوف. والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب، فيتخلص منه او ينجو منه افانت تتقده أي لا تقدر عليه ان تتقده، وقال الفراء: هما استفهام واحد وتقديره: افانت تتقذ من حقت عليه كلمة العذاب من النار. ومثله " أيعدكم أنكم إذا متم... أنكم مخرجون " (١) وتقديره أيعدكم إنكم تخرجون إذا متم. ثم فسر وبين ما أعده للمؤمن كما فسر ما أعده للكافرين فقال " لكن الذين اتقوا ربهم " يعني اتقوا معاصيه " لهم غرف من فوقها غرف مبنية " في مقابلة ما قال للكافرين لهم من فوقهم ظلل من النار، ومن تحتهم ظلل لانها تتقلب عليهم. وقيل: المعنى لهم منازل رفيعة في الجنة وفوقها منازل ارفع منها، فللمؤمنين الغرف " تجري من تحتها الانهار " وتقديره تجري من تحت اشجارها الانهار، ثم بين تعالى أن الذي ذكره من ثواب المؤمن " وعد " من " الله " وعد به المؤمن " لا يخلف الله الميعاد " أي لا يخلف الله وعده ولا يكون بخلاف ما اخبر به، ونصب " وعد الله " على المصدر.

قوله تعالى:

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الاباب (٢١) أفمن

---

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٣٥ (\*)

## (١٩)

شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢) الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد (٢٣) أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (٢٤) كذب الذين من قبلهم فأتتهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع المكلفين على وجه التنبيه لهم على الأدلة الدالة على توحيده واختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره " ألم تر " يا محمد ومعناه ألم تعلم " أن الله انزل من السماء ماء " يعني مطرا " فسلكه ينابيع في الارض " يعني أدخله في عيون الارض ومنابعها. وقيل: السلوك دخول في الشيء، ولهذا حسن في صفة الماء

الجارى، فقيل فسلكه ينابيع في الارض، ويقولون: دخل في الاسلام، ولا يقال سلك في الاسلام، والينابيع جمع ينبوع، وهو خروج الماء من العيون. وقيل: الينبوع المكان الذي ينبع منه الماء تقول: نبع الماء من موضع كذا إذا فار منه، وعيون الماء مستودع الماء، ونبع الماء إذا انفجرت به العيون.

وقوله " ثم يخرج به " يعني بذلك الماء " زرعاً " وهو كل ما ثبت علي

## (٢٠)

غير ساق، والشجر ماله ساق واغصان. والنبات يعم الجميع، يقال: تثبت النخلة والشجرة والحبة تثبت نباتا. وقوله " مختلفا ألوانه " يعني صنوفه وقيل: مختلف الالوان من اخضر واصفر واحمر وأبيض: من البر والشعير والسسم والارز والذرة والدخن وغير ذلك.

وقوله " ثم يهيج فتراه مصفرا " معناه يجف ويضطرب، فالهيج شدة الاضطراب بالانقلاب عن حال الاستقامة والصلاح، هاج يهيج هيجا وهياجا وهاج البعير هيجا. وقيل: معنى " يهيج " أي يحمى ويجف، فكأنه عما يلحق الجميع يخرج إلى تلك الحال فيتغير عن لون الخضرة إلى لون الصفرة. وقوله " ثم يجعله حطاما " فالحطام فتات النبن والحشيش. ثم قال " إن في ذلك " يعني في ما ذكره من انزال الماء من السماء وإنبات الزرع به ونقله من حال إلى حال " لذكرى " أي ما يتذكر به ويفكر فيه لاولي الالباب يعني ذوي العقول السليمة.

ثم قال تعالى على وجه التنبيه للحق " أفمن شرح الله صدره للاسلام " أي من لطف الله له حتى آمن وعرف الله ووحدته وصدق نبيه " فهو على نور من ربه " يعني فهو على هداية من الله ودين صحيح، كمن كان بخلاف ذلك، وحذف لدلالة الكلام عليه. ثم قال " فويل للقاشية قلوبهم " يعني الويل والعقاب للذين قست قلوبهم (عن ذكر الله) حتى لم يعرفوه ولا وحدوه يقال قسى الشيء إذا صلب، كما قال " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك " (١) ويقال: غسا وغشا وقسا بمعنى واحد، ويقال ما اقسى قلبه إذا كان لا يلين لشيء. والمعنى كلماتي عليه ذكر الله قسى قلبه. وقوله " عن ذكر الله " معناه غلظ قلبه عن ذكر الله.

والقاسية قلوبهم هم الذين افوا الكفر وتعصبوا له فلذلك قست قلوبهم. ثم قال

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٧٤ (\*)

## (٢١)

تعالى " أولئك " يعني القاسية قلوبهم عن ذكر الله " في ضلال " أي عدول عن الحق " مبين " أي واضح ظاهر.

ثم قال " الله نزل أحسن الحديث " يعني القرآن " كتابا متشابها " نصب (كتابا) على البديل من قوله (احسن) ومعناه " متشابها " في الحكم التي فيه من الحجج والمواعظ والاحكام التي يعمل عليها في الدين وصلاح التدبير يشبه بعضه بعضا لا تتناقض فيه " مثاني " أي يثنى فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان، ويثنى أيضا في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه في القرآن " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم " أي تقشعر جلود المؤمنين الذين يخافون عذاب الله لما يسمعون فيه من الوعيد " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " وما ضمنه الله على ذلك من الثواب. ثم قال " ذلك " يعني ما وصف به المؤمن من اقشعرار قلوب المؤمنين تارة ولينها أخرجى " هدى الله يهدي به من يشاء " أي لطف الله الذي يلطف به لمن يشاء من عباده الذين يعلم انه لطف لهم. وقال الجبائي: انه خص به أمة محمد (صلى الله عليه وآله). ثم قال " ومن يضل الله فما له من هاد " ومعناه من أضله الله عن طريق الجنة لا يقدر احد على هدايته اليها. ويحتمل ان يكون المراد من حكم الله بأنه ضال لا يقدر احد ان يحكم بأنه هاد. ثم قال منبها لخلقها " أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة " وتقديره كمن يدخل الجنة؟! وجاء في التفسير أن الكافر يلقي في النار مغلولا، لا يمكنه ان يتقي النار إلا بوجهه.

ومعنى يتقي يتوفاها كما قال الشاعر:

إذا يتقون بي الاسنة لم اخم \* عنها ولكني تضايق مقدمي

أي يقدمونني إلى القتال فيتوقون بي حرها. وحذف كمن كان بخلاف ذلك لدلالة الكلام عليه، فان هذا لا يكون ابدأ. ثم حكى الله تعالى ما يقال

(٢٢)

للكافرين الظالمين نفوسهم بالكفر بالله يوم القيامة إذا دخلوا النار (ذوقوا ما كنتم) أي جزاء ما كنتم (تكسبون) من المعاصي. ثم اخبر تعالى عن الامم الماضية من أمثالهم من الكفار بأن قال (كذب الذين من قبلهم) بآيات الله وجحدوا توحيدهم وكذبوا رسله (فأتاهم العذاب) جزاء لهم على فعلهم وعقوبة عاجلة " من حيث لا يشعرون " أي حيث لا يعلمون به ولا يحتسبون.

قوله تعالى:

(فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٢٦) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون (٢٧) قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون (٢٨) ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٢٩) إنك ميت وإنهم ميتون (٣٠) ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون) (٣١) ست آيات بلا خلاف.



قال المبرد العرب تقول لكل شئ يصل اليك بجارحة من الجوارح: ذق أي يصل معرفته اليك، كما يصل اليك معرفة ماتذوقه بلسانك من حلو ومر ومنه قوله (فذاقوا وبال امرهم) (١) وقوله (ذق انك أنت العزيز الكريم) (٢)

والخزي هو المكروه والهوان، وخزي فلان إذا وقع في المكروه، فالخزي افراط

---

(١) سورة ٦٤ التعابن آية ٥ (٢) سورة ٤٤ الدخان ٤٩ (\*)

(٢٣)

الاستحيا، يقال ما استحيا وما تخزى، ورأيته خزيان نادما، قال الشاعر:  
ولا أنت ديانى فتخزونى قرأ ابن كثير، وابوعمر، ويعقوب (ورجلا سالما) على وزن (فاعل)  
معناه خالصا لا يشركه فيه غيره لان الله تعالى ضرب مثلا للمؤمن والكافر، فشبه الكافر  
بشركاء متنازعين مختلفين، والمؤمن من عبد إليها واحدا. الباكون " سلما لرجل " على المصدر  
من قولهم: سلم فلان الله سلما بمعنى خلص له خلوصا، كما يقولون:

ربح الرجل في تجارته ربحا وربحا: وسلم سلما وسلما وسلامة، وتقديره ذا سلم، فمعنى " اذا  
قهم الله " أي جعلهم يدركون الالم، كما يدرك الذائق الطعام، والخزي الذل الذي يستحيا من  
مثله بما فيه من الفضيحة، وخزيهم في الحياة الدنيا هو ما فعله بهم من العذاب العاجل من  
إهلاكهم واستئصالهم الذي يبقى ذكره على الابد. ثم قال تعالى " ولعذاب الآخرة اكبر " مما  
فعل بهم في دار الدنيا " لو كانوا يعلمون " صدق ما اخبرنا به.

ثم اقسام تعالى بأن قال " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون "   
فالتذكر طلب الذكر بالفكر، وهذا حث على طلب الذكر المؤدي إلى العلم، والمعنى لكي  
يتذكروا، ويتعظوا فيجتنبوا ما فعل من تقدم من الكفر والمعاصي، لئلا يحل بهم كما حل  
بأولئك. وقوله " قرآنا عربيا " أي انزلناه قرآنا عربيا غير ذي عوج أي غير ذي ميل عن الحق  
بل هو مستقيم موصل إلى الحق، ويقال في الكلام عوج - بكسر العين - إذا عدل به عن جهة  
الصواب.

والمثل علم شبه به حال الثاني بالاول. والمثال مقياس يحتذى عليه، وإنما قال:  
ضربنا مثلا واحدا، ولم يقل مثلين، لانهما جميعا ضربا مثلا واحدا، ومثله قوله

(٢٤)

تعالى " وجعلنا ابن مريم وأمه آية " (١) ولوثني لكان حسنا - في قول الفراء - وقوله " لعلمهم  
يتقون " معناه لكي يتقوا معاصي الله خوفا من عقابه.

ثم قال تعالى " ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون " فالتشاكس التمانع والتنازع، تشاكسوا في الامر تشاكسا، وفي الشركاء تشاكس في البيع، وتدبير المملوك ونحو ذلك " ورجلا سلما لرجل " فضرب المثل للموحد بعبادته الله تعالى وحده - عزوجل - والمشرك بعبادته غير الله - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد - (هل يستويان مثلا) في حسن الحال، لا يستويان لان الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين في امره.

ثم قال (الحمد لله) يعني المستحق للشكر والثناء على الحقيقية هو الله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة، جهلهم بالله ومواضع نعمه. ثم قال لنبيه (إنك يا محمد (ميت) أي عاقبتك الموت، وكذلك هؤلاء لان (كل نفس ذائقة الموت) (٢) (ثم إنكم) يبعثكم الله (يوم القيامة) ويحشركم يوم القيامة فتختصمون عندالله. ومعناه كل طائفة منكم ترد على صاحبها يوم القيامة وتخاصمها، فالاختصام رد كل واحد من الاثنين ما اتى به الآخر على وجه الانكار عليه. وقد يكون احدهما - محقا والآخر مبطلا كالموحد والملحد. وقد يكونان جميعا مبطلين كاختصام اليهودي والنصراني، وقد يكونان جميعا محقين إذا قطع كل واحد منهما على صواب اعتقاده دون غيره، ويكون اختصامهم في الآخرة بدم رؤساء الضلالة في ما دعواهم اليه ودفع اولئك عن أنفسهم، فيقول الاولون: لولا أنتم لكننا مؤمنين

---

(١) سورة ٢٣ المؤمنين آية ٥١ (٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٨٥ وسورة ٢١ الانبياء آية ٣٥ وسورة ٢٩ العنكبوت آية ٥٧ (\*)

## (٢٥)

ويقول الرؤساء ما كان لنا عليكم من سلطان إلا أن دعوناكم فاستجبتم لنا. واقبل بعضهم على بعض يتلاومون. وقال ابن زيد: الاختصام يكون بين المؤمنين والكافرين. وقال ابن عباس: يكون بين المهتدين والضالين: والصادقين والكاذبين وقال ابو العالية: يكون بين أهل القبلة. ورجل مشكس إذا كان سئ الخلق. وقال السدي: هذا مثل ضربه الله لاوثانهم. وقال قتادة: هذا للمشرك تنازعه الشياطين مغريين بعضهم ببعض (ورجلا سالما) وهو المؤمن أخلص الدعوة الله والعبادة، وقال ابو عبيدة: متشاكسون الرجل الشكس ورجلا سالما الرجل الصالح. وقال ابو عمرو: معناه خالسا لله. وقال ابو علي: رجلا فيه شركاء يعني في إيتباعه أو في شيعته. قوله تعالى:

(فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (٣٣) لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاؤ

المحسنين (٣٤) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون)  
(٣٥) أربع آيات بلا خلاف.

قوله (فمن أظلم) صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير والتوبيخ، والمعنى فمن أظلم ممن افتري على الله كذبا فادعى أن له ولدا وصاحبة، أو أنه حرم ما لم يحرمه، أو أحل ما لم يحله، وإنما كان من كذب على الله وكذب بالحق أظلم الخلق، لأنه ظلم نفسه بأفحش الظلم من جهة كفره بربه وحجوده لحق نعمه حين أشرك به (ج ٩ م ٤ من التبيان)

## (٢٦)

تعالى من لا نعمة له يستحق بها عبادته. وقال قتادة: (وكذب بالصدق إذ جاءه)  
يعني بالقرآن.

ثم قال تعالى مهددا لمن هذه صفته (أليس في جهنم مثوى للكافرين)  
والمثوى المقام يقال أثوى يثوي اثواء وثوى يثوي ثواء قال الشاعر:  
طال الثواء على ربع بيسؤدي \* أردى وكل جديد مرت مود  
وقوله (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال قتادة وابن زيد: المؤمنون جاؤا بالصدق الذي هو  
القرآن وصدقوا به، وهو حجتهم في الدنيا والآخرة.

وقيل الذي جاء بالصدق جبرائيل وصدق به محمد (صلى الله عليه وآله). وفي قراءة ابن مسعود  
(والذي جاؤا بالصدق) قال الزجاج: الذي - ههنا والذين بمعنى واحد يراد به الجمع. وقال:  
لأنه غير موقت. وقيل: الذي جاء بالصدق النبي (صلى الله عليه وآله) من قول لا إله إلا الله،  
وصدق به أيضا هو (صلى الله عليه وآله) والصحيح أن قوله (وصدق به) من صفة الذين جاؤا  
بالصدق، لأنه لو كان غيرهم لقال والذي جاء بالصدق والذي صدق به.

وقوله (اولئك هم المتقون) يعني من جاء بالصدق وصدق به هم المتقون معاصي الله خوف  
عقابه، وإنما جاء بلفظ الجمع (هم المتقون) مع أن لفظ (الذي)  
واحد، لأنه أراد به الجنس. ومعناه الجمع كقوله (والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات) (١) وقال الاشهب بن رميلة:

إن الذي حلت بفلج دماؤهم \* هم القوم كل القوم يالم خالد  
ثم بين ما اعد لهم من النعيم فقال (لهم ما يشاؤون عند ربهم) جزاء على تقواهم، وبين أن لهم  
(ذلك) وانه (جزاء المحسنين) الذين يفعلون الطاعات.

## (٢٧)

وقوله (ليكفر الله عنهم أسوء الذي عملوا) أي يسقط عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بتوبتهم ورجوعهم إلى الله (ويجزئهم اجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) يعني يثيبهم على طاعاتهم من الفرض والنفل، وهي أحسن افعالهم لان المباح وإن كان حسنا لا يستحق به ثواب ولا مدح لان الثواب والمدح إنما يستحق على الطاعات.  
قوله تعالى:

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٦) ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام (٣٧) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (٣٨) قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون (٣٩) من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (٤٠)  
خمس آيات كوفي وثلاث في ما عداه عد الكوفيون (من هاد) وعدوا (فسوف تعلمون) ولم يعده الباقون. قرأ حمزة والكسائي وخلف (بكاف عباده)  
على الجمع. الباقون بكاف عبده على التوحيد. من قرأ على التوحيد أراد النبي (صلى الله عليه وآله) لقوله (ويخوفونك) ومن جمع اراد النبي وسائر الانبياء، لان أمة

## (٢٨)

كل نبي خاطبوا نبيهم بمثل ذلك، كما قال تعالى مخبرا عن قوم هود (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) (١) وقرأ ابو عمرو والكسائي عن أبي بكر (كاشفات ضره.. ممسكات رحمته) منون فيهما. الباقون بالاضافة. فمن أضاف فللتخفيف.  
ومن نون، فلانه غير واقع، واسم الفاعل إنما يعمل إذا كان لما يستقبل قوله (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) (٢) على الحكاية.  
وقوله (ليس الله بكاف عبده) لفظه لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يقرر عباده، فيقول: ليس الله الذي يكفي عبده كيد اعدائه ويصرف عنه شرهم، فمن وحد - اراد محمد (صلى الله عليه وآله) وهو قول السدي وابن زيد. ومن جمع - اراد انبيائه ك (إبراهيم ولوط وشعيب).  
وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) بأن الكفار يخوفونه بالاوثن التي كانوا يعبدونها - في قول قتادة والسدي وابن زيد - لانهم قالوا له: أما تخاف ان تهلك آلهتنا. وقيل: إنه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) قالوا له ساداتها: إياك يا خالد إن بأسها شديد.

ثم قال (ومن يضل الله فما له من هاد) يحتمل معناه شيئين:  
احدهما - من أضله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه اليها.  
والثاني - ان من حكم الله بضلالته وسماه ضالا إذا ضل هو عن الحق فليس له من يحكم  
بهدايته وتسميته هاديا. ثم عكس ذلك فقال (ومن يهدي الله فما له من مضل) وهو يحتمل  
امرين:  
احدهما - من يهديه الله إلى طريق الجنة فلا احد يضلّه عنها.

---

(١) سورة ١١ هود آية ٥٤ (٢) سورة ١٨ الكهف آية ١٨ (\*)

(٢٩)

والثاني - من يحكم بهدايته ويسميه هاديا فلا احد يمكنه ان يحكم بضلالته على الحقيقة.  
ثم قرر خلقه فقال (ليس الله بعزيز) اي قادر قاهر لا يقدر أحد على مغالبتة (ذي إنتقام) من  
اعدائه والجاحدين لنعمته.  
ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (ولئن سألتهم) يا محمد يعني هؤلاء الكفار (من خلق السموات  
والارض) وانشأها و اخترعها وأوجدها بعد أن كانت معدومة (ليقولن الله)  
الفاعل لذلك، لانهم لو أحالوا على غيره لبان كذبهم وافتراؤهم، لانه لا يقدر على ذلك إلا  
القادر لنفسه الذي لا يعجزه شئ. ثم قال (قل) لهم (افرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني  
الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) فمن اضاف لم  
يعمل اسم الفاعل. ومن نون أعمله، وهما جميعا جيدان. والمعنى إن من يعجز عن النفع  
والضر وكشف الكرب عن يتقرب اليه ولا يتأنى منه ذلك كيف يحسن عبادته؟! وإنما تحسن  
العبادة لمن يقدر على جميع ذلك ولا يلحقه عجز ولا منع، وهو الله تعالى.  
والوجه في الزام من خلق السموات والارض إخلاص العبادة له أن من خلق السموات  
والارض هو القادر على النفع والضر بما لا يمكن أحد منعه ويمكنه منع كل أحد من خير او  
شر، والعبادة أعلى منزلة الشكر، لاجل النعم التي لا يقدر عليها غير الله، فمن اقر بخلق  
السموات والارض لزمه إخلاص العبادة لمن خلقهما ومن لم يقر دل عليه بما يلزمه الاقرار  
به.  
ثم قال (قل) لهم يا محمد (حسبي الله) أي يكفني الله (عليه يتوكل المتوكلون) فالتوكل رد  
التدبير إلى من يقدر على الاحسان فيه، فلما كان لا يقدر على الاحسان في جميع التدبير الذي  
يصلح الانسان إلا الله تعالى وجب على

(٣٠)

كل عاقل التوكل عليه بما هو حسبه منه.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (ياقوم إعملوا على مكانتكم) قال مجاهد:  
على ناحيتكم، وقيل على مكانكم من العمل. وقيل: على مكانتكم أي ديانتكم على وجه التهديد  
لهم. وقيل: على مكانتكم أي جهتكم التي اخترتموها وتمكنتم في العمل بها.  
ثم قال (إني عامل) بما أدعوكم اليه (فسوف تعلمون) عاقبة اعمالكم وآخر كفركم وتعرفون  
(من يأتيه عذاب يخزيه) في الدنيا ويهيئه في الآخرة (ويحل عليه) أي ينزل عليه (عذاب مقيم)  
أي دائم لا يزول، وذلك غاية الوعيد والتهديد.  
قوله تعالى:

(إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت  
عليهم بوكيل (٤١)

الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل  
الآخرة إلى أجل مسمى إن في ذلك الآيات لقوم يتفكرون (٤٢) أم اتخذوا من دون الله شفعاء  
قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون (٤٣) قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات  
والارض ثم إليه ترجعون (٤٤)  
وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة

(٣١)

وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (٤٥) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ حمزة والكسائي إلاً قتيبة وخلف (فيمسك التي قضى عليها) على ما لم يسم فاعله. الباقر  
(قضى) بفتح القاف، وهو الاجود لان اسم الله تعالى قد تقدم في قوله (الله يتوفى الانفس حين  
موتها) وقيل: إن الموت - ههنا - المراد به النوم. والتوفي - ههنا - توفي النفس لا الروح،  
لان ابن عباس قال في ابن آدم نفس وروح، فاذا نام قبضت نفسه وبقيت روحه. والروح  
والذي يكون بها الغطيط. والنفس هي التي يكون بها التميز، فاذا مات قبضت نفسه وروحه.  
فان قيل: كيف قال ههنا (الله يتوفى الانفس) وقال في موضع آخر (توفته رسلنا) (١) (وقل  
يتوفاكم ملك الموت) (٢). قيل: ان الذي يتولى قبض الارواح ملك الموت بأمر الله، ومعه  
رسل واعوان، فلذلك قال (توفته رسلنا).

وحجة من بنى الفعل للفاعل قوله (ويرسل الآخرة) ومن بنى للمفعول به، فلان المعنى يؤل  
اليه. وقال الفراء تقديره الله يتوفى الانفس حين موتها ويتوفى التي لم تمت في منامها عند

انقضاء اجلها. وقيل: توفها نومها لقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار)  
(٣).

يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه (إنا أنزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (للناس  
بالحق). ومعناه أنزلناه على انه حق، فهذه فائدة الباء. وفي ذلك حجة على

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٦١ (٢) سورة ٣٢ الم السجدة آية ١١ (٣) سورة ٦ الانعام آية ٦٠ (\*)

### (٣٢)

من زعم ان الله سبحانه يريد بانزاله إضلال الكافرين عن الايمان، لانه لو كان كذلك لم يكن  
منزلا على انه حق وجب النظر في موجهه ومقتضاه، فما رغب فيه  
وجب العمل به وما حذر منه وجب اجتنابه، وما صححه وجب تصحيحه وما أفسده وجب  
افساده، وما دعا اليه فهو الرشد، وما صرف عنه فهو الضلال.

ثم قال (فمن اهتدى) يعني بما فيه من الادلة (فلنفسه) لان منفعة عاقبته من الثواب تعود عليه  
(ومن ضل) عنه وحاد (فانما يضل عليها) يعني على نفسه، لان وخيم عاقبته من العقاب تعود  
عليه. ثم قال (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) أي بحفيظ ولا رقيب وإنما عليك البلاغ  
والوكيل القائم بالتدبير. وقيل (ما انت عليهم بوكيل) معناه وما انت عليهم برقيب في ايصال  
الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه، ولا تقدر على إكراههم على  
الاسلام، وإنما الله تعالى القادر عليه.

قوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) معناه انه يقبضها اليه إذا اراد إمانتها بأن يقبض روحها  
بأن يفعل فيها الموت " والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت " فلا يردها  
اليه " ويرسل الاخرى.. " التي يريد ابقائها إلى أن تستوفي اجلها الذي قدره لها. وقد ذكرنا ما  
روي عن ابن عباس من أن قبض الروح يكون منه ميتا. وقبض النفس يكون به فاقدًا للتمييز  
والعقل، وإن لم يفقد حياته.

والفرق بين قبض النوم والموت ان قبض النوم يضاد اليقظة، وقبض الموت يضاد الحياة  
وقبض النوم تكون الروح معه في البدن، وقبض الموت يخرج الروح منه عن البدن، وقال  
سعيد بن جبير والسدي: ان أرواح الاحياء إذا ناموا تجتمع مع أرواح الاموات، فاذا أرادت  
الرجوع إلى الاجساد أمسك الله ارواح

### (٣٣)

الاموات وأرسل ارواح الاحياء.

ثم قال (إن في ذلك) يعني في قبض الارواح تارة بالموت، وقبض الانفس بالنوم أخرى (آيات) أي دلالات واضحات على توحيد الله، فانه لا يقدر عليه سواه (لقوم يتفكرون) أي يستعملون عقولهم بالفكر في ذلك فيعرفون الله تعالى بذلك.

ثم اخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم، من الاصنام والاوثنان فقال (قل) لهم يا محمد (اولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) تنبيهاً لهم على انهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرون على شئ من الشفاعة ولا غيرهما ولا يعقلون شيئاً. والالف في (اولو) الف الاستفهام يراد به التنبيه. ثم قال (قل) لهم يا محمد (الله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض) أي الشفاعة لمن له التدبير والتصريف في السموات والارض ليس لاحد الاعتراض عليه في ذلك (ثم اليه ترجعون)

معاشر الخلق أي إلى حيث لا يملك احد التصرف والامر والنهي سواه، وهو يوم القيامة فيجازي كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب.

ثم اخبر عن حالهم وشدة عنادهم، فقال (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني نفرت نفوسهم عن التوحيد وانقبضت عنه يقال: فلان مشمئز عن كذا إذا انقبض عنه. وفي قوله: اشمأزت قلوبهم دليل على فساد قول من يقول المعارف ضرورة (وإذا ذكر الذين من دونه) قال السدي: يعني اوثنانهم (إذا هم يستبشرون) أي يفرحون ويسرون حتى يظهر السرور في وجوههم.

(ج ٩ م ٥ من التبيان)

(٣٤)

قوله تعالى:

(قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون (٤٦) ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون (٤٧)

وبدالهم سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٤٨)

فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم إذا حولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٩)

قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠)

خمس آيات.

هذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع المكلفين ان يدعوه بهذا الدعاء فيقولوا (اللهم فاطر السموات والارض) أي خالقهما ومنشئهما ومبتدئهما (عالم الغيب



والشهادة) أي عالم ما غاب علمه عن جميع الخلائق وعالم ما شهدوه وعملوه، لا يخفى عليك شئ من الاشياء (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة (في ما كانوا فيه يختلفون) في دار الدنيا من أمر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق. و (فاطر السموات) عند سيئويه لا يجوز أن يكون صفة (اللهم) قال لأنه غير الاسم في النداء، ولأنه لا يذكر بهذا الذكر إلا بعد ما عرف

### (٣٥)

كما لا يضم الاسم إلا بعد ما عرف، فكما لا توصف المضمرات، فكذلك هذا الاسم، وليس يجب مثل ذلك في قولنا: (الله) لأنه قد يذكره العارف لمن لا يعرفه فيعرفه إياه بصفته، فيقول: الله فاطر السموات والارض وخالق الخلق ورب العالمين ومالك يوم الدين. وقال ابو العباس: يجوز أن يكون صفة (اللهم) حملا له على (يا الله فاطر السموات والارض). ثم اخبر تعالى على وجه المبالغة في وقوع عقاب الكفار وعظمه بأنه لو كان لهم ملك جميع مافي الارض، ومثله معه، زيادة عليه وأراد الظالم لنفسه بارتكاب المعاصي أن يفترق نفسه من شدة ذلك العذاب يوم القيامة لما قبل منه، ولما فودي به، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه.

ثم قال (وبدالهم) يعني الكفار ما لم يكونوا يحتسبون ولا يظنونهم واصلا اليهم، والاحتساب الاعتداد بالشئ من جهة دخوله في ما يحسبه، فلما كان أهل النار لم يكونوا يدرون ما ينزل بهم من العذاب صح ان يقال (بدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ولا قدروا أنهم يصيرون اليه.

ثم قال (وبدالهم) أي ظهر لهم ايضا (سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات ما كسبوا من اعمالهم (وحاق بهم) أي نزل بهم " ما كانوا به يستهزؤن " في الدنيا من قول الله ووعدوه ووعدده. ثم اخبر تعالى عن شدة تقلب الانسان وتحوله من حال إلى حال بأنه إذا مسه ضر من مرض ومصيبة وبلاء " دعانا " وفزع الينا " ثم " بعد ذلك " إذا حولناه " أي أعطيناها " نعمة منا " والتحويل العطاء بلا مكافات ولا مجازات بل تفضلا محضا " قال إنما اوتيته على علم " قال الحسن معناه أني اوتيته بحيلتي وعملي وقال غيره: معناه على علم برضاه عني فلذلك اعطاني ما أولاني من النعمة. وقال

### (٣٦)

آخرون: معناه على علم بأن تسببت به للعافية وكشف البلية وانه لم ينلها من قبل ربه. ثم قال ليس الامر على ما يقوله " بل هي فتنة " أي بلية واختبار يبتليه الله به فيظهر كيف شكره في

مقابلتها، فيجازيه بحسبها، لانه وإن كان عالما بحاله لم يجز ان يجازيه على علمه، وإنما يجازيه على فعله " ولكن اكثرهم لا يعلمون " صحة ما قلناه من ان ذلك محنة واختبار لقلّة معرفتهم بالله وبصفاته. ثم قال " قد قالها الذين من قبلهم " يعني قد قال كلمة مثل ما قال هؤلاء " فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون " من الاموال ويجمعونه بل صارت وبالا عليهم. قوله تعالى:

(فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين (٥١) أولم يعلموا أن الله يبيسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٥٢) قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣) وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (٥٤) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (٥٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبرا عن حال هؤلاء الكفار في الآخرة وما يصيرون اليه

(٣٧)

فقال " فاصابهم سيئات ما كسبوا " قيل في معناه قولان:

احدهما - فاصابهم عقاب سيئات ما كسبوا وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه.

الثاني - انه اراد فاصابهم عقاب ما كسبوا من المعاصي وسماه سيئات لازدواج الكلام، كما قال " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (١).

ثم قال " والذين ظلموا من هؤلاء " يعني من كفار قوم النبي (صلى الله عليه وآله) " سيصيبهم " أيضا " سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين " أي ليس يفوتون الله، ثم قال على وجه التنبيه لهم على معرفته " اولم يعلموا ان الله يبيسط الرزق لمن يشاء " أي يوسعه على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من مصلحته " ويقدر " أي ويضيق على من يشاء منهم بمثل ذلك " إن في تلك لآيات " أي دلالات واضحات " لقوم يؤمنون " أي يصدقون بتوحيد الله ويقرون بأنبيائه. وأضاف الآيات إلى المؤمنين لانهم الذين انتفعوا بها، ثم قال " قل " لهم يا محمد " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " بارتكاب المعاصي " لا تقنطوا من رحمة الله " أي لا تيأسوا من رحمة الله يقال: قنط يقنط قنوطا إذا يئس " ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم " وفي ذلك دلالة واضحة على انه يجوز ان يغفر الله بلا توبة تفضلا منه وبشفاعة النبي (صلى الله عليه وآله) لانه لم يشترط التوبة بل أطلقها. وروي عن فاطمة (عليها السلام) أنها قالت: إن الله

يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي. وروي عن علي (عليه السلام) وابن عباس: أنهما قالوا: إن لارجى آية في كتاب الله قوله (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " (٢) فقال عبدالله بن عمرو بن العاص بل أرجى آية في كتاب الله قوله " قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم " وهو المروي عن علي ايضا.

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٤٠ (٢) سورة ١٣ الرعد آية ٧ (\*)

(٣٨)

وقوله " وانبيوا إلى ربكم " امر مستأنف من الله لخلقه بالرجوع إلى الله والتوبة من معاصيهم. والانابة هي الرجوع " وأسلموا له " معناه آمنوا به وسلموا لا وامره " من قبل أن يأتيتكم العذاب ثم لا تتصرون " عند نزول العذاب بكم " واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم " إنما قال " أحسن ما أنزل " لانه اراد بذلك الواجبات والنفل التي هي الطاعات دون المباحات والمقبحات التي لا يأمر بها. وقال السدي (أحسن) أي ما أمر الله تعالى به في الكتاب، وقال قوم (أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يريد به الناسخ دون المنسوخ، وهذا خطأ، لان المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النسخ وهو قبيح، ولا يكون الحسن أحسن من قبيح، وقال الحسن احسنه ان يأخذوا بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه " من قبل ان يأتيتكم العذاب بغتة " أي فجأة في وقت لا تتوقعونه " وأنتم لا تشعرون " أي لا تعرفون وقت نزوله بكم. قوله تعالى:

(أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) خمس آيات.

(٣٩)

قرأ ابو جعفر من طريق ابن العلاف " يا حسرتاي " بياء ساكنة بعد الالف. وفتح الباء النهرواني عن أبي جعفر. الباقر بلا ياء. لما امر الله تعالى باتباع طاعته والانتهاة عن معاصيه تحذيرا من نزول العذاب بهم بغتة وهم لا يعلمون، بين الغرض بذلك وهو لئلا تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، وحذف (لا) كما حذف من قوله (يبين الله لكم أن تضلوا) (١) وقال الزجاج: معناه كراهية أن

تقول نفس، ومثله قوله (والقى في الارض رواسي أن تميد بكم) (٢) في قول الفراء. وعلى قول الزجاج:

كراهية ان تميد بكم، والنفس نفس الانسان. والفرق بين النفس والروح أن النفس من النفاسة، والروح من الريح. وأنفس ما في الحيوان نفسه، وهي جسم رقيق روحاني من الريح، ونفس الشيء هو الشيء بعينه. والتفريط إهمال ما يجب ان يتقدم فيه حتى يفوت وقته، ومثله التقصير، وضده الاخذ بالحزم، يقال: فلان حازم وفلان مفرط.

وقوله (في جنب الله) معناه فرطت في طاعة الله او في أمر الله إلا أنه ذكر الجنب كما يقال: هذا صغير في جنب ذلك الماضي في أمره، وفي جهته، فاذا ذكر هذا دل على الاختصاص به من وجه قريب من معنى جنبه. وقال مجاهد والسدي: معنى (في جنب الله) أي في أمر الله. والالف في قوله (يا حسرتي)

منقلبة عن (ياء) الاضافة. ويفعل ذلك في الاستفهام والاستغاثة بمد الصوت. والتحسر الاغتمام على مافات وقته لا نحساره عنه بما لا يمكنه إستدراكه، ومثله التأسف.

---

(١) سورة ٤ النساء آية ١٧٥ (٢) سورة ١٦ النحل آية ١٥ وسورة ٣١ لقمان آية ١٠ (\*)

#### (٤٠)

وقوله (وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة والسدي: معناه المستهزئين بالنبي والكتاب الذي معه. وقيل: معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني إلى الايمان، ومعناه وما كنت إلا من جملة الساخرين إعترافا منهم على نفوسهم.

وقوله تعالى (او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين) معناه فعلنا ذلك لئلا يقول: لو أراد الله هدايتي لكنت من المتقين لمعاصيه خوفا من عقابه (او تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فاكون من المحسنين) ومعناه إنا فعلنا ذلك لئلا يتمنوا إذا نزل بهم البلاء والعذاب يوم القيامة لو أن لي رجعة إلى دار الدنيا لكنت ممن يفعل الطاعات.

ونصب (فاكون) على انه جواب (لو) ويجوز أن يكون نصبا باضمار (ان)

بمعنى لو أن لي كرة فان اكون.

وفي ذلك دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن الكافر لا يقدر على الايمان لانه لو كان إذا رد لا يقدر إلا على الكفر لم يكن لتمنيه معنى.

ثم قال تعالى منكرًا عليهم " بلى قد جاءتك آياتي " أي حججي ودلالاتي " فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين " الجاحدين لنعمي عليك. وإنما خاطب بالتذكير والنفس مؤنثة لأنه أراد يا إنسان.

ثم أخبر تعالى عن حال الكفار في الآخرة، فقال " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة " جزاء على كفرهم. ثم قال " ليس في جهنم مثوى " أي موضع إقامة " للمتكبرين " الذين تكبروا عن طاعة الله وعصوا أوامره.

## (٤١)

قوله تعالى:

(وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم

يحزنون (٦١) الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل (٦٢)

له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون (٦٣)

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (٦٤) ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (٦٥) بل الله فاعبدو كن من الشاكرين (٦٦) ست آيات بلا خلاف.

قرأ روح " وينجي الله " بالتخفيف. الباقر بالتشديد. وقرأ ابن كثير " تأمروني اعبد " مشددة النون مفتوح الياء. وقرأ نافع وابن عامر في رواية الداجوني خفيفة النون. وفتح الياء نافع، ولم يفتحها ابن عامر. وقرأ ابن عامر في غير رواية الداجوني " تأمروني " بنونين. الباقر مشددة النون ساكنة الياء.

وقرأ أهل الكوفة إلا حفصا " بمفازاتهم " جماعة. الباقر " بمفازتهم " على واحدة. فمن وحده قال: هو بمنزلة السعادة والنجاة، كما قال الله تعالى " بمفازة من العذاب " (١) وقال قوم المفازة الصحراء، فهي مهلكة وتسمى مفازة تفاؤلاً، كما قالوا - لمعوج الرجلين - احنف، وللحبشي ابوالبيضاء. وقال ابن الأعرابي:

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٨ (ج ٩ م ٦ من التبيان)

(\*)

## (٤٢)

ليست مقلوية بل المفازة المهلكة، يقولون: فوز الرجل إذا هلك ومات. ومن قرأ " تأمروني " فلانه الاصل. ومن شدد أدغم احدى النونين في الاخرى. ومن خفف حذف احدى النونين، كما قال الشاعر:

تراه كالتغام يعل مسكا \* بسوء الغانيا إذا قليني (١)

أراد قليني فحذف. لما اخبر الله تعالى عن حال الكفار وأن الله يحشرهم يوم القيامة مسودة وجوههم، وأن مقامهم في جهنم، اخبر انه ينجي الذين اتقوا معاصي الله خوفا من عقابه، ويخلصهم. وقوله " بمفازتهم " بمنجاتهم من النار بطاعتهم التي أطاعوا الله بها. واصل المفازة المنجاة، وبه سميت الفلاة مفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها، كما سموا اللديغ سليما. ومن وحد فلانه اسم جنس او مصدر يقع على القليل والكثير. ومن جمع أراد تخلصهم من مواضع كثيرة فيها هلاك الكفار وانواع عذابهم.

وقوله " لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون " معناه إن هؤلاء المؤمنين الذين يخلصهم الله من عقاب الآخرة وأهوالها لا يمسهم عذاب أصلا، ولا هم يغتمون على وجه. وقوله " لا يمسهم السوء " معناه نفيا عاما لسائر انواع العذاب، والعموم في قوله " ولا هم يحزنون " فيه تأكيد له، وقيل: لئلا يظن ظان انه لما لم يمسهم العذاب جاز أن يمسهم بعض الغم، ففي ذلك تفصيل واضح يزيل الشبهة.

ثم اخبر تعالى انه خلق كل شئ، ومعناه انه يقدر على كل شئ، " وهو على كل شئ وكيل " أي له التصرف في ما يريد حافظ له، وإن حملنا معنى الخلق على الاحداث، فالمراد به " خالق كل شئ " من مقدوراته من الاجسام والاعراض. وقوله " له مقاليد السموات والارض " والمقاليد المفاتيح واحده

---

(١) قد مر في ٦ - ٣٤١

(٤٣)

(مقاليد) كقولك: مندبل ومناديل، ويقال في واحده ايضا (إقليد) وجمعه (أقاليد) وهو من التقليد، والمعنى له مفاتيح خزائن السموات والارض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عن من يشاء. وقوله " والذين كفروا بآيات الله " يعني كفروا بآياته من مقاليد السموات والارض وغيرها وقوله " أولئك هم الخاسرون " يعني هؤلاء الذين كفروا بأدلة الله وحججه " هم الخاسرون " لانهم يخسرون الجنة ونعيمها ويحصلون في النار وسعيرها.

وقوله " قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون " أمر للنبي (صلى الله عليه وآله) ان يقول لهؤلاء الكفار تأمروني أيها الكفار ان اعبد الاصنام من دون الله ايها الجاهلون بالله وبآياته؟ !  
والعامل في قوله " أفغير " على احد وجهين:

احدهما - ان يكون " تأمروني " اعتراضا، فيكون التقدير: أفغير الله اعبد ايها الجاهلون في ما تأمروني.

الثاني - ان لا يكون اعتراضا ويكون تقديره: اتأمروني اعبد غير الله ايها الجاهلون في ما تأمروني فاذا جعلت " تأمروني " اعتراضا، فلا موضع لقوله " اعبد " من الاعراب، لانه على تقدير اعبد ايها الجاهلون، وإذا لم تجعله اعتراضا يكون موضعه نصبا على الحال، وتقديره اتأمروني عابدا غير الله، فمخرجه مخرج الحال ومعناه ان اعبد، كما قال طرفة:

ألا ايهذا الزاجري احضر الوغا \* وأن اشهد اللذات هل انت مخلد (١)

أي الزاجر أن احضر، وحذف (أن) ثم جعل الفعل على طريقة الحال.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) " ولقد أوحى اليك " يا محمد " وإلى الذين من قبلك " من الانبياء والرسل " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين "

---

(١) مر في ١ - ٣٢٧ و ٨ - ٢٤٣ (\*)

#### (٤٤)

لثواب الله. وقال قوم: فيه تقديم وتأخير وتقديره: ولقد أوحى اليك لئن اشركت ليحبط عملك، وإلى الذين من قبلك مثل ذلك. وقال آخرون: هذا مما اجتزئ بأحد الخبرين عن الآخر، كما يقول القائل: لقد قيل لزيد وعمرو ليذهبن، ومعناه لقد قيل لزيد: ليذهبن وعمرو ليذهبن فاستغني بقوله وعمرو عن ان يقال ليذهبن بما صار لزيد.

وليس في ذلك ما يدل على صحة الاحباط على ما يقوله اصحاب الوعيد، لان المعنى في ذلك لئن اشركت بعبادة الله غيره من الاصنام لوقعت عبادتك على وجه لا يستحق عليها الثواب، ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لا ستحق عليها الثواب، فلذلك وصفها بأنها محبطة، وبين ذلك بقوله " بل الله فاعبد " أي وجه عبادتك اليه تعالى وحده دون الاصنام ودون كل وثن " تكن من الشاكرين " الذين يشكرون الله على نعمه ويخلصون العبادة له. ونصب قوله " بل الله " بفعل فسرته قوله " فاعبد " وتقديره اعبد الله فاعبدو قال الزجاج: هو نصب بقوله (فاعبد) وتقديره قد بلغت فاعبد الله وقال الميرد: ومعنى (ليحبطن) ليفسدن يقولون: حبط بطنه إذا فسد من داء معروف.

قوله تعالى:

(وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٦٧) ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (٦٨) وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ

#### (٤٥)

بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٦٩) ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) (٧٠) أربع آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى مخبرا عن حال الكفار أنهم ما عظموه حق عظمتهم إذ دعوك إلى عبادة غيره. وقال الحسن: معناه إذ عبدوا الاوثان من دونه. والاول أقوى - وهو قول السدي - قال محمد بن كعب القرظي " ما قدروا الله حق قدره " معناه ما علموا كيف حق الله. قال المبرد إشتقاقه من قولك: فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته. والقدر اختصاص الشيء بعظم حجم او صغر أو مساواة. وقوله " والارض جميعا قبضته. قال الفراء: كان بجوز في (قبضته) النصب. وقال الزجاج لا يجوز ان يقال: زيد دارك أي في دارك على حذف (في) كقولهم شهر رمضان انسلاخ شعبان أي في انسلاخه. قال المبرد: الناصب ل (جميعا) محذوفة تقديره والارض إذا كانت جميعا قبضته، وخبر الابتداء (قبضته) كأنه قال: والارض قبضته إذا كانت جميعا. ومثله: هذا بسر الطيب منه تمرا أي إذا كان ومذهب سيبويه أي ثبتت جميعا في قبضته كقولك هنيئا مريئا أي ثبت ذلك، لانه دعاء في موضع المصدر، كما قلت سقيا ومثل الآية قول الشاعر: إذا المرؤ اعينه المروءة ناشئا \* فمطلبها كهلا عليه شديد أي إذا كان كهلا. وقال الزجاج: هو نصب على الحال. والمعنى " والارض " في حال اجتماعها (قبضته يوم القيامة. والسموات مطويات بيمينه) على الابتداء والخبر. ومعنى الآية أن الارض باجمعها في مقدوره كما يقبض عليه

#### (٤٦)

القابض، فيكون في قبضته وكذلك قوله (والسموات مطويات بيمينه) معناه أي في مقدوره طيها، وذكرت اليمين مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك. وقيل اليمين القوة قال الشاعر: إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين (١)



ثم نزه نفسه تعالى عن أن يكون له شريك في العبادة او معين في خلق شئ من الاشياء. وقال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ما يضيفه اليه الكفار من الاصنام والاوثان.

وقوله (ونفخ في الصور) قال قتادة هو جمع صورة، فكأنه ينفخ في صور الخلق وروى في الخبر ان الصور قرن ينفخ فيه الصور. ووجه الحكمة في ذلك انه علامة جعلها الله تعالى ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف. ثم تجديد الخلق، فشبه بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول، ولا يتصور ذلك للنفس بأحسن من هذه الطريقة.

وقوله (فصعق من في السموات ومن في الارض) قيل: معناه يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السموات والارض، ومنه الصواعق التي تأتي عند شدة الرعد، وصعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة الشديدة. وقوله (إلا من شاء الله) استثنى من جملة الذين يهلكون قوما من الملائكة، لان الملك الذي ينفخ فيه يبقى بعده، ويجوز أن يبقى غيره من الملائكة. وقال السدي: المستثنى جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت - وهو المروي في حديث مرفوع - وقال سعيد بن جبير: هم الشهداء. الذين قتلوا في سبيل الله. وقوله (ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) فهذه النفخة

(١) مر تخريجه في ٨ - ٥١٢ وهو في تفسير الشوكاتي ٤ - ٤٦٢ (\*)

(٤٧)

الثانية للحشر. وقال قتادة: وروى أيضا ان صاحب الصور إسرافيل (عليه السلام) وقيل: يفني الله تعالى بعد الصعق وموت الخلق الاجسام كلها ثم يعيدها ومعنى فاذا هم قيام ينظرون إخبار عن سرعة إيجادهم، لانه إذا نفخ النفخة الثانية اعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم احياء ينظرون ما يراد ويفعل بهم.

وقوله (واشرقت الارض بنور ربها) قيل: معناه أضاءت بعدل ربها والحكم بالحق فيها. وقال الحسن: معناه بعدل ربها (ووضع الكتاب) يعني الكتب التي أعمالهم فيها مكتوبة (وجيء بالنبیین والشهداء) لانهم يؤتى بهم. والشهداء هم الذين يشهدون على الامم للانبیاء بأنهم قد بلغوا، وانهم كذبتهم امهم، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبیر (وقضي بينهم بالحق) أي يفصل بينهم بالحق ولا ينقص احد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به مالا يستحقه من العقاب، وقوله (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) معناه انه يعطي كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الكمال دون النقصان والله تعالى أعلم من كل احد بما يفعلون من طاعة أو معصية لا يخفى عليه شئ منها.

قوله تعالى:

(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (٧١) قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٢) وسيق الذين

#### (٤٨)

اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (٧٣)

وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين (٧٤) وترى الملكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (٧٥) خمس آيات بلا خلاف قرأ أهل الكوفة إلا الكسائي عن أبي بكر (فتحت.. وفتحت) بالتخفيف فيهما. الباقر بالتشديد. من خفف قال: لأنها تفتح دفعة واحدة، ومن شدد قال:

لأنها تفتح مرة بعد اخرى. ولقوله (مفتحة لهم الابواب) (١).

لما اخبر الله تعالى عن حال الكافرين والمؤمنين وأنه يحشر الخلق في ارض الموقف، وأنه يعاقب كل احد على قدر استحقاقه، اخبر - ههنا - عن قسمة احوالهم فقال (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) فالسوق الحث على السير يقال:

ساقه يسوقه سوقا، فهو سائق وذلك مسوق، ومنه قولهم: الكلام يجري على سياقة واحدة، ومنه السوق لان المعاملة فيها تساق بالبيع والشراء، ومنه الساق لانه ينساق به البدن، و (الزمر) جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت المزمار، ومنه مزامير داود (عليه السلام) يعني اصوات له كانت مستحسنة، وقال الشاعر:

له زجل كأنه صوت حاد \* إذا طلب الموسيقى اوزمير (٢)

---

(١) سورة ٢٨ (صلى الله عليه وآله) آية ٥٠ (٢) قائله الشماخ اللسان (زجل)

وسيبويه ١ - ١١ (\*)

(٤٩)

قال ابو عبيدة: معناه جماعات في تفرقة بعضهم في أثر بعض (حتى إذا جاؤها) يعني جاؤا جهنم (فتحت أبوابها) أي ابواب جهنم (وقال لهم خزنتها) الموكلون بها على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعالهم (ألم يأتكم رسل منكم) يعني من امثالكم من البشر (يتلون) أي يقرؤن (عليكم آيات ربكم) أي حجج ربكم، وما يدلكم على معرفته ووجوب عبادته (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي ويخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه، فيقول الكفار لهم (بلى) قد جاءتنا رسل ربنا، وخوفونا لانه لا يمكنهم جدد ذلك لحصول معارفهم الضرورية (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) ومعناه أنه وجب العقاب على من كفر بالله، لانه تعالى اخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره، فقطع على عقابه، فلم يكن يقع خلاف ما علمه واخبر به، فصار كوننا في جهنم موافقا لما أخبر به تعالى وعلمه، فيقول لهم عند ذلك الملائكة الموكلون بجهنم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أي مؤبدين لا آخر لعقابكم ثم قال تعالى (فبئس مثوى أي بئس مقام (المتكبرين)

جهنم. ثم اخبر تعالى عن حال أهل الجنة بعد حال اهل جهنم فقال (وسيق الذين اتقوا ربهم " باجتتاب معاصيه وفعل طاعاته " إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها " وإنما جاء في الجنة، وفتحت ابوابها بالواو، وفي النار فتحت بغير واو، لانه قيل: أبواب النار سبعة، وابواب الجنة ثمانية، ففرق بينهما للايذان بهذا المعنى، قالوا: لان العرب تعد من واحد إلى سبعة وتسميه عشرا ويزيدون واوا تسمى واو العشر، كقوله " التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر " (ج ٩ م ٧ من التبيان)

(٥٠)

المنكر) (١) فأتى بالواو بعد السبعة، وقال (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا) (٢) فأتى بالواو في الثامنة. وقيل: ان المعنى واحد، وإنما حذف تارة وجئ بها اخرى تصرفا في الكلام. قال الفراء:

الواو لا تقحم إلا مع (لما) و (حتى) و (إذا) وانشد.

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي (٣)

أرار انتحي وقيل: دخلت الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وإذا كان بغير واو افادانها فتحت في ذلك الوقت وجواب (حتى إذا) في صفة اهل الجنة محذوف وتقديره حتى إذا جاؤها قالوا المنى او دخلوها او تمت سعادتهم او ما اشبه ذلك وحذف الجواب ابلغ لاحتماله جميع ذلك ومثله قول عبد مناف بن ربيع.

حتى إذا سلوهم في قتائده شلا \* كما تطرد الجمالة الشردا (٤)  
وهو آخر القصيدة، فحذف الجواب. وقوله (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) أي طابت  
أفعالكم من الطاعات وزكت (فادخلوها) أي الجنة جزاء على ذلك (خالدين) مؤبدين لا غاية له  
ولا انقطاع، وقيل: معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة.  
ثم حكى تعالى ما يقول أهل الجنة إذا دخلوها، فانهم يقولون اعترافا بنعم الله عليهم (الحمد لله  
الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض) يعنون ارض الجنة.  
وقيل: ورثوها عن أهل النار، وقيل: لما صارت الجنة عاقبة أمرهم كما يصير الميراث، عبر  
عن ذلك بأنه اورثهم وقوله (نتبؤ من الجنة حيث نشاء) معناه

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ١١٣ (٢) سورة ٦٦ التحريم آية ٥ (٣) مر تخريجه في ٦ / ١٠٩ (٤) مر في ١ / ١٢٨،  
١٤٩ و ٦ / ٣٢٢، ٤٥٩ و ٧ / ٣٦٣ (\*)

### (٥١)

نتخذ متبوعا أي مأوى حيث نشاء، وأصله الرجوع من قولهم: باء بكذا أي رجع به. ثم قال  
(فنعم اجر العاملين) يعني المقام في الجنة والتنعيم فيها.  
ثم قال تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أي محدقين به - في قول قتادة والسدي  
- (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو  
عليها. وقيل: تسبيحهم ذلك الوقت على سبيل التمتع والتلذذ ثوابا على أعمالهم لا على وجه  
التعبد، لانه ليس هناك دار تكليف. وقيل: الوجه في ذلك تشبيه حال الآخرة بحال الدنيا، فان  
السلطان الاعظم إذا أراد الجلوس للمظالم والقضاء بين الخلق قعد على سريره واقام حشمه  
وجنده قدامه وحوله تعظيما لامره فلذلك عظم الله أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام  
الملائكة حوله معظمين له تعالى مسبحين وإن لم يكن تعالى على العرش لان ذلك يستحيل  
عليه لكونه غير جسم، والجلوس على العرش من صفات الاجسام.  
ثم قال تعالى (وقضي بينهم بالحق) أي فصل بين الخلائق بالحق لا ظلم فيه على أحد، وقيل  
(الحمد لله رب العالمين) اخبار منه تعالى أن جميع المؤمنين يقولون عند ذلك معترفين بأن  
المستحق للحمد والشكر الذي لا يساويه حمد ولا شكر (الله) الذي خلق العالمين ودبرها. وقيل  
لان الله خلق الاشياء الحمد لله الذي خلق السموات والارض، فلما أفنى الخلق ثم بعثهم واستقر  
اهل الجنة في الجنة ختم بقوله (الحمد لله رب العالمين).

### (٥٢)

٤٠ - سورة المؤمن مكية - في قول مجاهد وقتادة - ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. وقال الحسن هي مكية إلا آية واحدة وهي قوله (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) يعني بذلك صلاة الفجر والمغرب وقد ثبت أن فرض الصلاة كان بالمدينة. وهي خمس وثمانون آية في الكوفي وأربع في المدنيين واثنان في البصري.

بسم الله الرحمن الرحيم (حم) (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لأله إلا هو إليه المصير (٣) ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد (٤) كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (٥).  
خمس آيات في الكوفي وأربع في ما عداه عد الكوفيون (حم) آية ولم يعدها الباقون.

### (٥٣)

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا وابن ذكوان (حاميم) بامالة الالف. الباقون بالفتح من غير امالة وهما لغتان فصيحتان. وقال قوم (حم) موضعه نصب، وتقديره ائل (حم) اقرأ (حم) وقال آخرون: موضعه جر بالقسم. ومن جزم قال: لأنها حروف التهجي وهي لا يدخلها الاعراب، وقد فتح الميم عيسى ابن عمر، وجعله اسم السورة، فنصبه ولم ينون، لأنه على وزن (هابيل) ويجوز ان يكون فتح لالتقاء الساكنين. والقراء على تسكين الميم وهو الاجود لما بيناه. وقد بينا اختلاف المفسرين وأهل العربية في مبادئ السور بحروف التهجي ومعناها، وأن اقوى ما قيل في ذلك انها اسماء للسور، وذكرناها في الاقوال، فلا نطول باعادته.

وقال قتادة والحسن: (حم) اسم السورة. وقال شريح بن أوفى العبسي:  
يذكرني (حم) والرمح شاهر \* فهلا تلا (حم) قبل لتقدم وقال الكميت:  
وجدنا لكم في آل حم آية \* تأولها مناتقي ومعرب

وقوله (تنزل الكتاب) أي هو تنزيل (من الله) أنزله على نبيه (العزيز) معناه القادر الذي لا يغالب ولا يقهر المنيع بقدرته على غيره ولا يقدر عليه غيره. وهذه الصفة لا تصح إلا لله تعالى واصل الصفة المنع من قولهم: عز كذا وكذا أي امتنع، وفلان عزيز أي منيع بسلطانه او عشيرته أو قومه " والعليم " الكثير العلوم والعالم الذي له معلوم.

وقوله (غافر الذنب) جر بأنه صفة بعد صفة، ومعناه من شأنه غفران الذنب في ما مضى وفي ما يستقبل، فذلك كان من صفة المعرفة (وقابل التواب)

### (٥٤)

قال الفراء: إنما جعلها نعتا للمعرفة وهي نكرة، لان المعنى ذي الغفران، وذي قبول التوبة كقوله " ذي الطول " وهو معرفة وإن جعلته بدلا كانت النكرة والمعرفة سواء، ومعنى " قابل التوب " إنه يقبل توبة من تاب اليه من المعاصي بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاصي ما تقدمها تفضلا منه، ولذلك كان صفة مدح، ولو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح و (التوب)

يحتمل وجهين:

احدهما - ان يكون جمع توبة كدوم ودومة و عوم و عومة.

والثاني - ان يكون مصدر (تاب يتوب توبا).

وقوله " شديد العقاب " معناه شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله " غافر الذنب " لانه أراد لئلا يعول المكلف على العفو بل يخاف عقابه أيضا لانه كما انه يغفر لكونه غافرا فقد يعاقب لكونه شديد العقاب. وفرق بين شدة العقاب وتضاعف الالام بان الخصلة الواحدة من الالم يكون اعظم من خصال كثيرة من ألم آخر كالالم في أجزاء كثيرة من قرص برغوث.

وقوله " ذي الطول " قال ابن عباس وقتادة: معناه ذي النعم. وقال ابن زيد: معناه ذي القدرة. وقال الحسن: ذي التفضل على المؤمنين. وقيل (الطول) الانعام الذي تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذي فيه افضال على صاحبه. ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا. ويقال:

لفلان على فلان طول أي فضل.

وقوله " لا إلا إلا هو " نفي منه تعالى أن يكون معبود على الحقيقة يستحق العبادة غيره تعالى. ثم قال " اليه المصير " ومعناه تؤل الامور إلى حيث لا يملك أحد الامر والنهي والضر والنفع غيره تعالى، وهو يوم القيامة، لان دار الدنيا

## (٥٥)

قد ملك الله كثيرا من خلقه الامر والنهي والضر والنفع. ثم قال " ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا " معناه لا يخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجددها إلا الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بآياته وأدلته. ثم قال لنبيه " فلا يغررك " يا محمد " تقلبهم في البلاد " أي تصرفهم لقولهم: لفلان مال يتقلب فيه أي يتصرف فيه. والمعنى لا يغررك سلامتهم وإمهالهم، فان عاقبتهم تصير إلي ولا يفوتونني. وفي ذلك غاية التهديد.

ثم بين ذلك بأن قال " كذبت قبلهم " أي قبل هؤلاء الكفار " قوم نوح " بان جحدوا نبوته " والاحزاب من بعدهم " أيضا كذبوا رسولهم " وهمت كل أمة برسولهم " وإنما قال برسولهم لانه

اراد الرجال. وفي قراءة عبدالله " برسولها ليأخذوه " قال قتادة هموا به ليقتلوه " وجادلوا بالباطل " أي وخصموا في دفع الحق بباطل من القول. وفي ذلك دليل على ان الجدل إذا كان بحق كان جائزا " ليد حضوا به الحق " أي ليبطلوا الحق الذي بينه الله واطهره ويزيلوه، يقال: أدحض الله حجته. وقال تعالى " حجتهم داحضة عند ربهم " (١) أي زائلة. ثم قال " فاخذتهم " أي فأهلكتهم ودمرت عليهم " فكيف كان عقاب " فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك؟! قوله تعالى:

(وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦

(٥٦)

كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم (٨)

وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم (٩) إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع وابن عامر " حقت كلمات " على الجمع. الباقر على التوحيد. من وجد فلان الكلمة تقع على القليل والكثير مفردة. ومن جمع فلان ذلك قد يجمع إذا اختلف اجناسها، كما قال " وصدقت بكلمات ربها " (١) يعني شرائعه لأن كتبه قد ذكرت. والمعنى وحقت كلمات ربك، كقولهم: الحق لازم.

ووجه التشبيه في قوله " وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا " أن الكفار يعاقبون في الآخرة بالنار، كما عوقبوا في الدنيا بعذاب الاستئصال إلا أنهم في الآخرة على ملازمة النار والحصول فيها، وقد حقت الكلمة عليهم في الامرين جميعا، فحقت الكلمة على هؤلاء كما حقت الكلمة على اولئك، وموضع " إنهم اصحاب النار " يحتمل أن يكون نصبا على تقدير بأنهم أو لانهم. ويحتمل أن يكون رفعا على البدل من (كلمة). وقال الحسن: حقت كلمة ربك على مشركي

---

(١) سورة ٦٦ التحريم آية ١٢ (\*)

العرب كما حقت على من قبلهم.

ثم اخبر تعالى عن حال الملائكة وعظم منزلتهم بخلاف ما عليه الكفار من البشر، فقال " الذين يحملون العرش " عبادة لله تعالى وامتثالاً لامره " ومن حوله " يعني الملائكة الذين حول العرش يطوفون به ويلجئون اليه " يسبحون بحمد ربهم " أي ينزهونه عما لا يليق به ويحمدونه على نعمه " ويؤمنون به " أي ويصدقون به ويعترفون بوحدانيته " ويستغفرون للذين آمنوا " أي يسألون الله المغفرة للذين آمنوا - من البشر - أي صدقوا بوحدانيته واعترفوا بالالهية.

ويقولون: ايضا مع ذلك " ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما " ونصبيهما على التمييز ومعناه وسعت رحمتك أي نعمتك ومعلومك كل شئ. فنقل الفعل إلى الموصوف على وجه المبالغة، كما قالوا: طببت به نفسا، وجعل العلم في موضع المعلوم، كما قال " ولا يحيطون بشئ من علمه " (١) أي بشئ من معلومه على التفصيل، وتقديره:

وسعت رحمتك وعلمك كل شئ، ويقولون أيضا ربنا " فاغفر للذين تابوا " من معاصيك ورجعوا إلى طاعتك " واتبعوا سبيلك " الذي دعوت خلقك اليه من التوحيد وإخلاص العبادة " وقهم عذاب الجحيم " أمنع منهم عذاب جهنم لا يصل اليهم، وحذف يقولون قبل قوله " ربنا " لانه مفهوم من الكلام.

واستغفارهم للذين تابوا يدل على ان اسقاط العقاب غير واجب لانه لو كان واجبا لما كان يحتاج إلى مسألتهم بل الله تعالى كان يفعله لا محالة.

ثم حكى تمام ما يدعوا به حملة العرش والملائكة للمؤمنين، فانهم يقولون ايضا " ربنا وأدخلهم " مع قبول توبتك منهم ووقاية النار (جناب عدن التي

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٦ (ج ٩ م ٨ من التبيان)

(\*)

وعدتهم) أي الجنة التي وعدت المؤمنين بها وهي جنة عدن أي إقامة وخلود ودوام (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) كل ذلك في موضع نصب. ويحتمل أن يكون عطفاً على الهاء والميم في (وأدخلهم) وتقديره وادخل من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم الجنة ايضا. ويحتمل ان يكون عطفاً على الهاء والميم في (وعدتهم) وتقديره أدخلهم جنات عدن التي وعدت المؤمنين ووعدت من صلح من آبائهم (إنك انت العزيز) في انتقامك من اعدائك



(الحكيم) في ما تفعل بهم وبأولئك، وفي جميع أفعالك. وقولهم (وقهم السيئات) معناه وقهم عذاب السيئات ويجوز أن يكون العذاب هو السيئات وسماه سيئات، كما قال (وجزاء سيئة سيئة) (١) للانساع وقوله (ومن تق السيئات) أي تصرف عنه شر عاقبة سيئاته من صغير اقترفه او كبير تاب منه فتفضلت عليه (يومئذ) يعني يوم القيامة (فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) أي صرف العذاب عنهم هو الفلاح العظيم، والفوز الظاهر.

ثم اخبر تعالى (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم انفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) قال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد:

مقتوا أنفسهم حين عاينوا العقاب، فقل لهم: مقت الله إياكم أكبر من ذلك. وقال الحسن: لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم انفسكم. وقال البلخي: لما تركوا الايمان وصاروا إلى الكفر فقد مقتوا انفسهم أعظم المقت، كما يقول احدنا لصاحبه: إذا كنت لا تبالي بنفسك فلما أبالي بك؟ ! وليس يريد انه لا يبالي بنفسه لكنه يفعل فعل من هو كذلك. وقال قوم: لمقت الله أكبر من مقت بعضكم لبعض. والمقت اشد العداوة والبغض

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٤٠ (\*)

(٥٩)

ثم بين أن مقت الله إياهم حين دعاهم إلى الايمان على لسان رسله فكفروا به وبرسلهم فمقتهم الله عند ذلك، وتقدير (ينادون لمقت الله) ينادون إن مقت الله إياكم، ونابت اللام مناب (إن) كما تقولون ناديت إن زيدا لقائم وناديت لزيد قائم. وقال البصريون هذه لام الابتداء، كما يقول القائل: لزيد أفضل من عمرو أي يقال لهم والنداء قول. قوله تعالى:

(قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحببتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) (١١) ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرک به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (١٢) هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب (١٣) فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (١٤) رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق (١٥) يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (١٦) أليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) (١٧).

سبع آيات عند الكل إلا ان الشامي قد خالفهم في التفصيل، وهي عندهم سبع عدوا (يوم التلاق) ولم يعده الشامي، وعد الشامي (يومهم بارزون) ولم

## (٦٠)

يعده الباقون.

حكى الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم انهم يقولون بعد حصولهم في النار والعذاب يا (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال السدي الامامة الاولى في الدنيا والثانية في البرزخ إذا أحيي للمسألة قبل البعث يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي والبلخي. وقال قتادة: الامامة الاولى حال كونهم نطفًا فاحياهم الله، ثم يميتهم، ثم يحييهم يوم القيامة. وفي الناس من استدل بهذه الآية على صحة الرجعة، بأن قال: الامامة الاولى في دار الدنيا والاحياء الاول حين إحيائهم للرجعة، والامامة الثانية بعدها. والاحياء الثاني يوم القيامة، فكأنهم اعتمدوا قول السدي، ان حال كونهم نطفًا لا يقال له إماتة، لان هذا القول يفيد اماتة عن حياة والاحياء يفيد عن إماتة منافية للحياة وإن سموا في حال كونهم نطفًا مواتًا. وهذا ليس بقوي لانه لو سلم ذلك لكان لا بد من أربع احيات وثلاث إماتات أول إحياء حين أحياءهم بعد كونهم نطفًا، لان ذلك يسمى احياء بلا شك. ثم اماتة بعد ذلك في حال الدنيا. ثم أحياء في القبر ثم إماتة بعده ثم إحياء في الرجعة ثم إماتة بعدها. ثم إحياء يوم القيامة لكن يمكن أن يقال: إن إخبار الله عن الاحياء مرتين والامامة مرتين لا يمنع من احياء آخر وإماتة أخرى، وليس في الآية انه احياءهم مرتين وأماتهم مرتين بلا زيادة، فالآية محتملة لما قالوه ومحتملة لما قاله السدي، وليس للقطع على احدهما سبيل. قال ابن عباس وعبدالله والضحاك:

هو كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) (١).  
وقوله (فاعترفنا بذنوبنا) إخبار منه تعالى أن الكفار يعترفون بذنوبهم

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٨ (\*)

## (٦١)

التي اقترفوها في الدنيا لا يمكنهم جردها، وإنما تمنوا الخروج مما هم فيه من العذاب، فقالوا (فهل إلى خروج من سبيل) والمعنى فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه في طاعتك وإتباع مرضاتك. ولو علم الله تعالى انهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف، لانه لا يمنع احسانا بفعل ما ليس باحسان. ولا يؤتى احد من عقابه إلا من قبل نفسه، وكذلك قال في موضع آخر (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (١) تنبيهها أنهم لو صدقوا في ذلك لاجابهم إلى ما تمنوه، وإنما يقولون هذا القول على سبيل التمني بكل ما يجدون اليه سبيلا في التلطف للخروج

عن تلك الحال، وإنه لا يمكن احدا أن يتجلد على عذاب الله، كما يمكن ان يتجلد على عذاب الدنيا. ووجه إتصال قوله (فاعترفنا بذنوبنا) بما قبله هو الاقرار بالذنب بعد الاقرار بصفة الرب، كأنه قيل: فاعترفنا بانك ربنا الذي أمتنا وأحييتنا وطال امهالك لنا فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج لنا من سبيل فنسلكه في طاعتك وإتباع مرضاتك. وفي الكلام حذف وتقديره: فاجيبوا ليس من سبيل لكم إلى الخروج (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) أي إذا دعي الله وحده دون آلهتكم جددتم ذلك (وإن يشرك به تؤمنوا) أي إن يشرك به معبودا آخر من الاصنام والاثان تصدقوا. ثم قال (فالحكم الله) في ذلك والفاصل بين الحق والباطل (العلي الكبير) فالعلي القادر على كل شئ يجب ان يكون قادرا عليه، ويصح ذلك منه وصفة القادرين تتفاضل، فالعلي القادر الذي ليس فوقه من هو أقدر منه ولا من هو مساو له في مقدوره، وجاز وصفه تعالى بالعلي، لان الصفة بذلك قد تقلب من علو المكان إلى علو الشأن يقال: استعلى عليه بالقوة، واستعلى عليه بالحجة وليس كذلك الرفعة فلذلك لا يسمى بأنه رفيع، والكبير العظيم في صفاته

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٨ (\*)

(٦٢)

التي لا يشاركه فيها غيره. وقال الجبائي: معناه السيد الجليل. ثم قال تعالى (هو الذي يرزقكم آياته) يعني حججه ودلائله (وينزل من السماء رزقا) من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق الخلق (وما يتذكر إلا من ينيب) أي ليس يتفكر في حقيقة ذلك إلا من يرجع اليه. وقال السدي: معناه إلا من يقبل إلى طاعة الله.

ثم امر الله تعالى المكلفين، فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي وجهوا عبادتكم اليه تعالى وحده (ولو كره) ذلك (الكافرون) فلا تبالوا بهم.

ثم رجع إلى وصف نفسه فقال (رفيع الدرجات) وقيل معناه رفيع طبقات الثواب التي يعطيها الانبياء والمؤمنين في الجنة (ورفيع) نكرة أجراها على الاستئناف أو على تفسير المسألة الاولى، وتقديره، وهو رفيع (ذو العرش) بانه مالكة وخالقه ومعناه عظيم الثواب لهم والمجازاة على طاعتهم (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) قيل: الروح القرآن وكل كتاب أنزله الله على نبي من انبيائه وقيل: معنى الروح - ههنا - الوحي، لانه يحيا به القلب بالخروج من الجهالة إلى المعرفة ومنه قوله (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا) (١) ذكره قتادة والضحاك وابن زيد. وقيل: الروح - ههنا - النبوة، وتقديره لينذر من يلقي عليه الروح يوم التلاق: من يختاره لنبوته ويصطفيه لرسالته. وقوله (لينذر يوم التلاق) أي ليخوف يوم

يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض - في قول قتادة والسدي وابن زيد - وقيل يوم يلقى فيه المرؤ عمله، وهو يوم القيامة حذر منه، وقيل يوم يلتقي فيه الاولون والآخرين. والضمير في قوله (لينذر كناية)

عن النبي (صلى الله عليه وآله). ويحتمل ان يكون فيه ضمير الله، والاول أجود، لانه قد قرئ

(١) سورة ٤٢ الشورة آية ٥٢ (\*)

(٦٣)

بالتاء، وهو حسن. ومن أثبت الياء فلانها الاصل، ومن حذف اجتزأ بالكسرة الدالة عليها. وقوله (يوم هم بارزون) أي يظهرون من قبورهم ويهرعون إلى ارض المحشر وهو يوم التلاق ويوم الجمع ويوم الحشر. ونصب (يوم) على الظرف. وقوله لا يخفى على الله منهم شئ) إنما خصهم بأنه لا يخفى عليه منهم شئ وإن كان لا يخفى عليه لا منهم ولا (من) غيرهم شئ لاحد أمرين:

احدهما - أن تكون (من) لتبيين الصفة لا للتخصيص والتبعيض.

والآخر - ان يكون بمعنى يجازيهم من لا يخفى عليه شئ منهم، فذكر بالتخصيص لتخصيص الجزاء بمن يستحقه دون مالا يستحقه ولا يصلح له من المعلوم. وقيل: لا يخفى على الله منهم شئ فلذلك صح أنه انذرهم جميعا. وقوله (لمن الملك اليوم) قيل في معناه قولان:

احدهما - انه تعالى يقرر عباده، فيقول لمن الملك؟ فيقر المؤمنين والكافرون بأنه لله الواحد القهار.

والثاني - انه القائل لذلك وهو المجيب لنفسه، ويكون في الاخبار بذلك مصلحة للعباد في دار التكليف. والاول أقوى لانه عقيب قوله (يوم هم بارزون)

وإنما قال (لمن الملك اليوم) مع أنه يملك الانبياء والمؤمنين في الآخرة الملك العظيم لاحد وجهين:

احدهما - لانه على تخصيص يوم القيامة قبل تمليك اهل الجنة ما يملكهم.

والثاني - لا يستحق إطلاق الصفة بالملك إلا الله تعالى، لانه يملك جميع الامور من غير تمليك مملك، فهو أحق باطلاق الصفة. وقوله (اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم) اخبار منه تعالى أن يوم القيامة تجزى كل نفس على قدر

(٦٤)

عملها لا يؤاخذ أحد بجرم غيره، لا يظلم ذلك اليوم أحد ولا يبخس حقه (إن الله سريع الحساب) لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره، فحساب جميعهم على حد واحد. قوله تعالى:

(وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (١٨) يعلم خائنة

الاعين وما تخفي الصدور (١٩) والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ إن الله هو السميع البصير) (٢٠)

ثلاث آيات في الكوفي وأربع في ما سواه عدوا (كاظمين) رأس آية ولم يعده الكوفيون. قرأ نافع وهشام عن ابن عامر (والذين تدعون) بالتاء. الباقون بالياء. من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، وتقديره: قل لهم يا محمد. ومن قرأ بالياء جعل الاخبار عن الغائب.

امر الله تعالى نبيه محمداً أن يخوف المكلفين عقاب يوم الآزفة، يخبرهم بما فيه من الثواب والعقاب. والازفة الدانية من قولهم: ازف الامر إذا دنا. وازف الوقت اذا دنا يأزف أزفا، ومنه (ازفة الآزفة) (١) أي دنت القيامة. والمعنى دنوا للمجازاة، وهو يوم القيامة. وقوله (اذ القلوب لدى الحناجر) أي في الوقت الذي تنتزع فيه القلوب من أمكنتها، وهي الصدور، فكظمت به الحناجر، فلم تستطيع ان تلفظها

---

(١) سورة ٥٣ النجم آية ٥٧ (\*)

(٦٥)

ولم تعد إلى أماكنها وقيل: الكاظم الساكت على امتلائه غيظا او غما. ونصب (كاظمين) على الحال - في قول الزجاج - وتقديره قلوب الظالمين لدى الحناجر (كاظمين) أي في حال كظمتهم، والحناجر جمع حجرة وهي الحلقوم. وقيل: انما خصت الحناجر بذلك لان الفزع ينتفخ منه سحره أي رنته فيرتفع القلب من مكانه لشدة انتفاخه حتى يبلغ الحجرة. والكاظم للشئ الممسك على ما فيه، ومنه قوله (والكاظمين الغيظ) (١) ومنه قولهم: كظم قربه اذا شد رأسها، لان ذلك الشد يمسكها على ما فيها، فهؤلاء قد اطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم لشدة الخوف. وقوله (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) نفي من الله أن يكون للظالمين شفيع يطاع، ويحتمل ان يكون المراد بالظالمين الكفار، فهؤلاء لا يلحقهم شفاعة شافع اصلا، وان حملنا على عموم كل ظالم من كافر وغيره جاز أن يكون انما اراد نفي شفيع يطاع، وليس في ذلك

نفي شفيع يجاب، ويكون المعنى ان الذين يشفعون يوم القيامة من الانبياء والملائكة والمؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة اليه والاستكانة اليه لا أنه يجب على الله ان يطيعهم فيه. وقد يطاع الشافع بأن يكون الشافع فوق المشفوع اليه. ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله) لبريرة (انما أنا شافع) لكونه فوقها في الرتبة ولم يمنع من إطلاق اسم الشفاعة على سؤاله، وليس لاحد أن يقول الكلام تام عند قوله (ولا شفيع) ويكون قوله (يطاع) ابتداء بكلام آخر لان هذا خلاف لجميع القراء لانهم لا يختلفون ان الوقف عند قوله (يطاع) وهو رأى آية وهو يسقط سؤال وأيضا فلو وقفت عند قوله (ولا شفيع) لما كان لقوله " يطاع "

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٣٤ (\*)

(ج ٩ م ٩ من التبيان)

(٦٦)

تعلق به ولا معنى، لان الفعل لايلي فعلا، فان قدر يطاع الذي يعلم كان ذلك شرطا ليس هو في الظاهر، فحمل الآية على ما لا يحتاج إلى زيادة أولى.

وقوله تعالى (يعلم خائنة الاعين) أي يعلم ما تختان به الاعين من النظر إلى غير ما يجوز النظر اليه على وجه السرقة " وما تخفي الصدور " أي تضره لا يخفى عليه شئ من جميعه. وقيل: النظرة الاولى مباحة والثانية محرمة.

فقوله " خائنة الاعين " في النظرة الثانية " وما تخفي الصدور " في النظرة الاولى فان كانت الاولى تعمدا كان فيها الاثم ايضا، وإن لم تكن تعمدا، فهي مغفورة ثم قال " والله يقضي بالحق " أي يفصل بين الخلائق بمر الحق فيوصل كل واحد إلى حقه " والذين يدعون من دونه " من الاصنام لا يقضون بشئ من الحق. ومن قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم. ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب للكفار.

ثم اخبر تعالى " ان الله هو السميع " أي من يجب ان يسمع المسموعات اذا وجدت المسموعات " البصير " أي يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت المبصرات، وحققتهما يرجع إلى كونه حيا لا آفة به. وقال قوم: معناه العالم بالمسموعات العالم بالمبصرات. قوله تعالى:

(أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانواهم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (٢١) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم

(٦٧)

الله إنه قوي شديد العقاب (٢٢) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٢٣) إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب (٢٤) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال (٢٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ ابن عباس " اشد منكم " بالكاف. الباقرن بالهاء. قال ابو علي: من قرأ بالهاء فلان ما قبله " او لم يسيروا " على ان لفظه لفظ الغيبة، فحمله على ذلك فقرأ " اشد منهم " ومن قرأ بالكاف انصرف من الغيبة إلى الخطاب، كقوله " إياك نعبد " بعد قوله " الحمد لله " وحسن - هنا - لانه خطاب لاهل مكة.

يقول الله تعالى منبها لهؤلاء الكفار على النظر في ما نزل بالماضين جزاء على كفرهم فيتعظوا بذلك وينتهوا عن مثل حالهم، فقال " او لم يسيروا في الارض " والسير والمسير واحد، وهو الجواز في المواضع، يقال: سار يسير سيرا وسائره مسائرة وسيرة تسييرا، ومنه قوله " السيارة " (١) والثياب المسيرة: التي فيها خطوط وقوله " فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم " أي يتكفروا في عواقب الكفار من قوم عاد وقوم لوط، فيرون بلادهم هالكة وآثارهم دارسة ومنازلهم خالية بما حل بهم من عذاب الله ونكاله جزاء على جحودهم نعم الله واتخاذهم معه إليها غيره، وكان الامم الماضية أشد قوة من هؤلاء. والقوة هي القدرة، ومنه قوله " القوي العزيز " (٢) وقد يعبر بالقوة عن الصلابة، فيقال:

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ١٠ (٢) سورة ١١ هود آية ٦٦ وسورة ٤٢ الشورى آية ١٩ (\*)

### (٦٨)

خشبة قويه وحبل قوي أي صلب، وأصله من قوى الحبل، وهو شدة الفتل ثم نقل إلى معنى القدرة، كما نقل (كبر) عن كبر الجثة إلى كبر الشأن، والاثر حدث يظهر به أمر، ومنه الآثار التي هي الاحاديث عمن تقدم بما تقدم بها من احوالهم وطرائقهم في أمر الدنيا والدين. وقوله " فاخذهم الله بذنوبهم " ومعناه فأهلكهم الله جزاء على معاصيهم " وما كان لهم من الله من واق " في دفع العذاب عنهم ومنعهم من نزوله بهم - وهو قول قتادة -.

ثم بين تعالى انه إنما فعل بهم ذلك لانهم " جاءتهم رسلهم بالبينات " يعني بالمعجزات الظاهرات والدلالات الواضحات فكذبوهم وجحدوا رسالتهم فاستحقوا العذاب " فاخذهم الله بذنوبهم " أي اهلكهم الله جزاء على معاصيهم " انه قوي شديد العقاب " أي قادر شديد عقابه. ثم ذكر قصة موسى (عليه السلام) فقال " ولقد ارسلنا موسى بآياتنا " أي بعثناه بحججنا وادلتنا " وسلطان مبين " أي حجة ظاهرة نحو قلب العصى حية وقلق البحر وغير ذلك " إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب " يعني موسى. ثم قال تعالى " فلما جاءهم " يعني موسى

(عليه السلام) " بالحق من عندنا قالوا " يعني فرعون وهامان وقارون " اقتلوا ابناء الذين آمنوا " بموسى ومن معه " واستحيوا نساءهم " أي استبقوهم، قال قتادة: كان هذا الامر بقتل الابناء والاستحياء للنساء امرا من فرعون بعد الامر الاول. وقيل استحياء نساءهم للمهنة. وقيل: معناه استحيوا نساءهم وقتلوا الابناء ليصدوهم بذلك عن اتباعه ويقطعوا عنه من يعلنونه، وإنما ذكر قصة موسى ليصبر محمد (صلى الله عليه وآله) على قومه كما صبر موسى قبله. ثم اخبر تعالى ان ما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه وان كيده، وكيد الكافرين لا يكون الا في ضلال عن الحق واسم (كان) الاولى قوله (\*).

(٦٩)

" عاقبة " وخبرها (كيف) وانما قدم لان الاستفهام له صدر الكلام، واسم (كان) الثانية الضمير الذي دل عليه الواو، وخبره (من قبلهم)، واسم (كان) الثالثة الضمير، و (هم) فصل عند البصريين، وعماد عند الكوفيين " واشد " خبر (كان) الثالثة. فان قيل: الفصل لا يكون الا بين معرفتين (واشد) نكرة كيف صار (هم) فصلا؟ قيل: ان (افعل) الذى معه (من) بمنزلة المضاف إلى المعرفة. قال الله تعالى " وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيرا " كان خيرا خير في الاصل فحذفت الهمزة تخفيفا. قوله تعالى:

(وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد (٢٦)

وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (٢٧) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٢٨) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (٢٩) وقال الذي آمن

(٧٠)

يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب (٣٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ عاصم وحزمة والكسائي ويعقوب " اوان " بالف قبل الواو. الباقون " وأن " بغير الف. وقرأ نافع ويعقوب وابوجعفر وابوعمر وحفص عن عاصم " يظهر " بضم الياء " الفساد " نصبا. الباقون " يظهر " بفتح الياء " الفساد " رفعا. من نصب (الفساد) أشركه مع التبديل،



وتقديره إني أخاف ان يبذل دينكم واخاف ان يظهر الفساد، ومن رفع لم يشركه، وقال تقديره إني اخاف ان يبذل دينكم، فاذا بدل ظهر في الارض الفساد. وكلتا القراءتين حسنة فأما (او) فقد تستعمل بمعنى الواو، كما قلناه في " وأرسلناه إلى مئة الف او يزيدون " (١) أي ويزيدون أو بل يزيدون. ولا تكون الواو بمعنى (او) في قول أبي عبيدة. وقال ابن خالويه إذا كانت (او) اباحة كانت الواو بمعناها، لان قولك: جالس الحسن او ابن سيرين بمنزلة الاباحة، وكذلك قوله " ولا تطع منهم أثما او كفورا " (٢) لان معناه ولا كفورا. وقال ابو علي: من قرأ (وأن) فالمعنى إني أخاف هذا الضرب منه كما تقول كل خبزا او تمرا أي هذا الضرب. ومن قرأ (وأن) المعنى إني اخاف هذين الامرين وعلى الاول يجوز ان يكون الامر ان يخافا، ويجوز أن يكون احدهما، وعلى الثاني هما معا يخافان، ومن ضم الياء في قوله " ويظهر " فلانه اشبه بما قبله، لان قبله ببذل فأسند الفعل إلى موسى وهم كانوا في ذكره، ومن فتح الياء اراد انه إذا بدل الدين ظهر الفساد بالتبديل او اراد يظهر الفساد بمكانه. وقال قوم: اراد ب (او) الشك لان فرعون قال إني

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ١٤٧ (٢) سورة ٧٦ الدهر (الانسان) آية ٢٤ (\*)

### (٧١)

أخاف ان يبذل موسى عليكم دينكم، فان لم يفعله فيوقع الفساد بينكم، ولم يكن قاطعا على احدهما به. وروي رواية شاذة عن أبي عمرو: انه قرأ " وقال رجل " باسكان الجيم. الباقيون بضمها وذلك لغة قال الشاعر:

رجلان من ضبة اخبرانا \* إنا راينا رجلا عريانا

اراد رجلين فأسكن وهو مثل قولهم: كرم فلان بمعنى كرم.

حكى الله تعالى عن فرعون انه قال لقومه " ذروني " ومعناه أتركوني اقتل موسى، وذلك يدل على ان في خاصة فرعون كان قوم يمنعونه من قتل موسى، ومن معه ويخوفونه ان يدعوه ربه فيهلك، فلذلك قال ذروني اقتله وليدع ربه، كما تقولون. وقال قوم: ذلك حين قالوا لو هو ساحر فان قتلته قويت الشبهة بمكانه بل " ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين " (١) " وليدع ربه " في دفع القتل عنه، فانه لا يخشى من دعائه شيء، وهذا عنف من فرعون وتمرد وجرأة على الله وإيهام لقومه بأن ما يدعوه به موسى لا حقيقة له.

ثم قال فرعون " إني اخاف ان يبذل " يعني موسى " دينكم " وهو ما تعتقدونه من إلهيتي " او ان يظهر في الارض الفساد " بأن يتبعه قوم نحتاج ان نقاتله فيخرب في ما بين ذلك البلاد، ويظهر الفساد. وقال قتادة: الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله. فمن قرأ " او ان " فانه

جعل المخوف احد الامرين وإن جعل (او) بمعنى الواو جعل الامرين مخوفين معا، ومن قرأ بالواو جعل المخوف الامرين معا: تبديل الدين وظهور الفساد. والتبديل رفع الشئ إلى غيره في ما يقع موقعه إلا انه بالعرف لا يستعمل إلا في رفع الجيد بالردى، والفساد انتقاض الامر بما ينافي العقل او الشرع او الطبع، ونقيضه الصلاح. والاظهار

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٣٦ (\*)

(٧٢)

جعل الشئ بحيث يقع عليه الادراك.

ثم حكى تعالى ما قال موسى عند ذلك فانه قال " إني عذبت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " والعياذ هو الاعتصام بالشئ من عارض الشر، عذت بالله من شر الشيطان واعتصمت منه بمعنى واحد. ومن أظهر ولم يدغم. قال: لان مخرج الذال غير مخرج التاء. ومن ادغم فلقرّب مخرجهما، والمعنى اني اعتصمت بربي وربكم الذي خلقتني وخلقكم من كل متكبر على الله متجبر عن الانقياد له لا يصدق بالثواب والعقاب فلا يخاف.

وقوله " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه " انقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات " يعني الحجج الواضحة " من ربكم " قال السدي كان القائل ابن عم فرعون، فعلى هذا يكون قوله " ادخلوا آل فرعون اشد العذاب " (١) مخصصا، وقال غيره كان المؤمن إسرائيليّا يكتم إيمانه عن آل فرعون، فعلى هذا يكون الوقف عند قوله (وقال رجل مؤمن) ويكون قوله (من آل فرعون) متعلقا بقوله (يكتم) أي يكتم إيمانه من آل فرعون.

والاول اظهر في اقوال المفسرين. وقال الحسن: كان المؤمن قبطيا. وقوله (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) معناه إن المؤمن قال لفرعون إن يك موسى كاذبا في ما يدعوكم اليه فوبال ذلك عليه وان يك صادقا في ما يدعيه يصيبكم بعض الذي يعدكم، قيل: انه كان يتوعدهم بأمر مختلف، قال ذلك مظاهرة في الحجاج والمعنى انه يلقي بعضه. والمراد يصيبكم بعضه في الدنيا. وقيل: هو من لطيف الكلام، كما قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته \* وقد يكون مع المستعجل الزلل (٢)

---

(١) آية ٤٦ من هذه السورة (٢) قائله عمر القطامي تفسير القرطبي ١٥ / ٣٠٧ (\*)

(٧٣)

ثم قال (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أي لا يحكم بهداية من كان مسرفا على نفسه ومتجاوز الحد في معصية الله كذابا على الله. ويحتمل ان يكون المراد ان الله لا يهدي إلى طريق الثواب والجنة من هو مسرف كذاب ويجوز ان يكون ذلك حكاية عما قال المؤمن من آل فرعون. ويجوز ان يكون ذلك ابتداء خبر من الله تعالى بذلك، ثم قال يعني مؤمن آل فرعون (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أي لكم الملك والسلطان على اهل الارض وذلك لا يمنع من بأس الله (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد) في ما ادعوكم من الهيئي وتكذيب موسى. ثم حكى ما قال المؤمن فقال (وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم) عذابا (مثل) عذاب " يوم الاحزاب " قال قوم: القائل لذلك موسى نفسه، لان مؤمن آل فرعون كان يكتنم ايمانه، وهذا ضعيف لان قوله هذا كقوله (اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله) (١) وكما اظهر هذا جاز ان يظهر ذلك. قوله تعالى:

(مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد (٣١) ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله

---

(١) آية ٢٨ من هذه السورة (ج ٩ م ١٠ من التبيان)

(\*)

(٧٤)

من عاصم ومن يضل الله فما له من هاد (٣٣) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ ابو عمرو، والاخفش والداجوني عن هشام وقتيبة (على كل قلب متكبر) منون. الباقر على الاضافة. من نون جعله نعتا للقلب، لان القلب اذا تكبر تكبر صاحبه، كما قال (فظلت اعناقهم لها خاضعين) (١) لان الاعناق إذا خضعت خضع اربابها، وتكبر القلب قسوته وإذا قسا القلب كان معه ترك الطاعة. ومن اضاف قال: لان في قراءة ابن مسعود على (قلب كل متكبر جبار) قال الفراء: وسمعت احدهم يقول: ان فلانا مرجل شعره يوم كل جمعة يقوم. والجبار: هو الذى يقتل على الغضب، ويقال: اجبره فهو جبار مثل ادرك فهو دراك. قال الفراء: ولا ثالث لهما، قال ابن خلوويه: وجدت لهما ثالثا اسأر فهو سئار.

لما حكى الله تعالى عن مؤمن آل فرعون انه حذر قومه بالعذاب مثل عذاب يوم الاحزاب، فسر ذلك فقال (مثل داب قوم نوح) يعني كعادته مع قوم نوح.

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٤ (\*)

(٧٥)

والدأب العادة يقال: دأب يدأب دأبا فهو دائب في عمله إذا استمر فيه. والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة. وانما فعل بهم ذلك حين كفروا به، فاغرقهم الله وكقوم هود وهم عاد. وكقوم صالح: وهم ثمود والذين من بعدهم من الانبياء واممهم الذين كذبوهم، فأهلكهم الله بأن استأصلهم جزاء على كفرهم.

ثم اخبر انه تعالى لا يريد ظلما للعباد، ولا يؤثره لهم. وذلك دال على فساد قول المجبرة الذين يقولون إن كل ظلم في العالم بارادة الله.

ثم حكى ايضا ما قال لهم المؤمن المقدم ذكره، فانه قال (ياقوم اني اخاف عليكم) عقاب " يوم التناد " وقيل: هو اليوم الذي ينادي بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور، لما يرى من سوء عقاب الكفر والمعصية. وقيل: انه اليوم الذي ينادي أصحاب الجنة اصحاب النار " أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا " (١) وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة " أن أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله " (٢) في قول الحسن وقتادة وابن زيد، وقيل: " يوم التناد " هو اليوم الذي يدعى فيه " كل أناس بامامهم " (٣) ومن أثبت الياء في (التنادي) فلانها الاصل، ومن حذفها فلا جزائه بالكسرة الدالة عليها، ولانها آخر الآية، فهي فصل شبهت بالقوافي. وقرئ " يوم التناد " بالتشديد من قولهم ند البعير إذا هرب (روي ذلك عن ابن عباس -).

وقوله " يوم تولون مدبرين " قال الحسن وقتادة: معناه منصرفين إلى النار وقال مجاهد: مارين غير معوجين ولا معجزين. وقيل: يولون مدبرين والمقامع تردهم إلى ما يكرهونه من العقاب.

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ٤٣ (٢) سورة ٧ الاعراف آية ٤٩ (٣) سورة ١٧ الاسرى آية ٧١ (\*)

(٧٦)

وقوله " مالكم من الله من عاصم " أي مانع من عذاب ينزل بكم، واصله المنع، وشبه بذلك من فعل به ذلك اللطف الذي يمتنع عنده، يقال عصمه فهو عاصم وذلك معصوم إذا فعل به ذلك

اللطيف. ومنه قوله (لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم) (١) أي لا مانع. ثم قال (ومن يضل الله فما له من هاد) أي من يحكم الله بضلاله فليس له من يحكم بهديته على الحقيقة. ويحتمل ان يكون المراد ومن يضل الله عن طريق الجنة فما له من يهديه اليها. ثم قال تعالى حاكيا ما قال لهم موسى فانه قال لهم: (ولقد جاءكم يوسف من قبل) قيل: هو يوسف ابن يعقوب كان قبل موسى جاءهم (بالبينات) يعني الحجج الواضحات (فما زلتم في شك) من موته حتى إذا هلك ومات (فلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) آخر. ثم قال (كذلك يضل الله) أي مثل ما حكم الله بضلال أولئك يحكم بضلال (كل مسرف) على نفسه بارتكاب معاصيه (مرتاب) أي شاك في أدلة الله، ثم بينهم فقال (الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم) أي يسعون بغير سلطان أي بغير حجة آتاهم الله، وموضع الذين نصب لانه بدل من (من) ويجوز ان يكون رفعا بتقدير (هم) ثم قال (كبر مقتا) أي كبر ذلك الجدل منهم مقتا (عندالله) أي عداوة من الله. ونصبه على التمييز (وعند الذين آمنوا) بالله مثل ذلك. ثم قال (كذلك) أي مثل ما طبع على قلوب أولئك بان ختم عليها علامة لكفرهم يفعل مثله (ويطبع على كل قلب متكبر جبار) من نون (قلب) جعل (متكبر جبار) من صفة القلب ومن اضافه جعل (القلب) للمتكبر الجبار. قال ابو علي: من اضاف لا يخلو ان يترك الكلام على ظاهره او يقدر فيه حذفاً، فان تركه على ظاهره كان تقديره:

(١) سورة ١١ هود آية ٤٣ (\*)

(٧٧)

يطبع الله على كل قلب متكبر أي على جملة القلب من المتكبر، وليس ذلك المراد وإنما المراد يطبع على قلب كل متكبر، والمعنى انه يطبع على القلوب إذا كانت قلبا قلبا من كل متكبر بمعنى انه يختم عليها. قوله تعالى:

(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدعن السبيل وماكيد فرعون إلا في تباب (٣٧) وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حفص وعاصم (فاطلع) نصبا على جواب (لعلي) الباقون رفعا عطفًا على قوله تعالى (لعلي ابلغ الاسباب... فأطلع) وقيل: إن هامان أول من طبخ الآجر لبناء الصرح، وقرأ أهل الكوفة (وصد) بضم الصاد على مالم يسم فاعله. الباقون بفتحها، فمن ضم أراد صده الشيطان عن سبيل الحق وطابق قوله تعالى (زين لفرعون سوء عمله) ومن فتح الصاد أراد أنه صد غيره

### (٧٨)

عن سبيل الحق. وقرأ ابن كثير وابوعمر و ابوبكر عن عاصم (يدخلون) بالضم كقوله (يرزقون). الباقون بفتح الياء، لانهم إذا ادخلوا، فقد دخلوا، حكى الله تعالى ان فرعون قال لهامان (ياهامان) وقيل: إنه كان وزيره (ابن لي صرحا) أي بناء ظاهرا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد، وهو من التصريح بالامر وهو اظهاره بآتم الاظهار (لعلي ابلغ الاسباب) ثم فسر تلك الاسباب فقال (اسباب السموات) وقال ابن عامر اراد به منزل السماء. وقال قتادة: معناه ابواب طرق السموات. وقال السدي طرق السموات. وقيل: هي الامور التي يستمسك بها. فهي أسباب لكونها على ما هي به ولا تضطرب ولا تسقط إلى الارض بتقلها، ولا تزول إلى خلاف جهتها، وقوله " فاطلع إلى إله موسى " معناه فأشرف عليه لا راه. وقيل: إن فرعون كان مشبها فطلب رؤية الإله في السماء كما ترى الأشخاص إذا أشرف عليها. وقيل: يجوز ان يكون اراد، فاطلع إلى بعض الآيات التي يدعيها موسى الدالة على إله موسى، لانه كان يعلم أن الصرح لا يبلغ السماء، فكيف يرى من الصرح ما هو في السماء، ولو كان فيها على قول المجسمة، ويجوز ان يكون قال ذلك تمويها لما علم من جهل قومه.

وقوله " وإني لاظنه كاذبا " حكاية ما قال فرعون وإنه يظن أن ما يقوله موسى أن له إله خلق السماء والارض كاذب في قوله. وقال الحسن: إنما قال فرعون هذا على التمويه وتعمد الكذب، وهو يعلم ان له إلهها. وقوله " وكذلك زين لفرعون سوء عمله " أي مثل ما زين لهؤلاء الكفار أعمالهم كذلك زين لفرعون سوء عمله، وقال المزين له سوء عمله جهله بالله تعالى والشيطان الذي اغواه ودعاه اليه لانه الجهل بالقبح في العمل يدعو إلى انه حسن وصواب، فلما جهل فرعون ان له إلهها يجب عليه عبادته وتوهم كذب ما دعاه اليه نبيه موسى،

### (٧٩)

سولت له نفسه ذلك من أمره. وقد بين الله تعالى ذلك في موضع آخر فقال " زين لهم الشيطان أعمالهم " (١).

وقوله " وصد عن السبيل " من ضم اراد انه صده غيره. ومن فتح اراد انه صد نفسه وغيره. ثم قال تعالى " وماكيد فرعون إلا في تباب " يعني في هلاك. والتباب الهلاك بالانقطاع، ومنه قوله " ثبت يدا أبي لهب " (٢) أي خسرت بانقطاع الرجاء، ومنه تبا له. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معنى " تباب " خسران.

ثم حكى تعالى ما قال مؤمن آل فرعون في قوله " وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد " وهو الايمان بالله وتوحيده وإخلاص العبادة له والاقرار بموسى (عليه السلام) وقال لهم ايضا على وجه الوعظ لهم والزجر عن المعاصي " يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع " يعني انتفاع قليل، ثم يزول بأجمعه ويبقى وزره وآثامه " وإن الآخرة هي دار القرار " أي دار مقام، وسميت دار قرار لاستقرار الجنة بأهلها واستقرار النار بأهلها. والقرار المكان الذي يستقر فيه.

ثم قال (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) ومعناه أي من عمل معصية فليس يجازى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلك (ومن عمل صالحا من ذكر او اننى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة) جزاء على إيمانهم (يرزقون فيها بغير حساب) أي زيادة على ما يستحقونه تفضلا منه تعالى، ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحسابه. قال الحسن: هذا كلام مؤمن آل فرعون. ويحتمل أن يكون ذلك اخبارا منه تعالى عن نفسه.

---

(١) سورة ٨ الانفال آية ٤٩ (٢) سورة ١١١ اللهب آية ١ (\*)

(٨٠)

قوله تعالى:

(ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (٤١) تدعونني لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٤٢) لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار (٤٣) فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (٤٤) فوقيه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٤٥)

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا \* ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (٤٦) ست آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا ابابكر (ادخلوا آل فرعون) بقطع الهمزة على انه يؤمر الملائكة بادخالهم النار. الباقيون بوصلها بمعنى انهم يؤمرون بدخولها، وعلى الاول يكون (آل فرعون) نصبا على انه مفعول به (وأشد) المفعول الثاني. وعلى الثاني يكون نصبا على النداء.

حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون قال لهم (مالي أدعوكم إلى النجاة)  
يعني إلى ما فيه خلاصكم: من توحيد الله وإخلاص العبادة له والاقرار بموسى (عليه السلام) -  
وهو قول الحسن وابن زيد - و (تدعونني) انتم (إلى النار) لانهم إذا دعوا إلى عبادة غير الله  
التي يستحق بها النار، فكأنهم دعوا إلى النار، لان من

### (٨١)

دعا إلى سبب الشئ فقد دعا اليه، ومن صرف عن سبب الشئ فقد صرف عنه، فمن صرف  
عن معصية الله فقد صرف عن النار، ومن دعا اليها فقد دعا إلى النار. والدعاء طلب الطالب  
الفعل من غيره، فالمحق يدعو إلى عبادة الله وطاعته وكل ما أمر الله به او نهى عنه والمبطل  
يدعو إلى الشر والعصيان، فمنهم من يدري انه عصيان ومنهم من لا يدري ثم بين ذلك فقال  
(تدعونني لا كفر بالله) واجد نعمه (واشرك به) في العبادة (ما ليس لي به علم) مع حصول  
العلم ببطلانه. لانه لا يصح ان يعلم شريك له وما لا يصح أن يعلم باطل، فدل على فساد  
اعتقادهم للشرك من هذه الجهة ثم قال (وأبا أدعوكم) معاشر الكفار (إلى) عبادة (العزير) يعني  
القادر الذي لا يقهر، ولا يمنع لاستحالة ذلك عليه (الغفار) لمن عصاه إذا تاب اليه تفضلا منه  
على خلقه. وقوله (لا جرم إن ما تدعونني اليه) قال الزجاج: هو رد الكلام كأنه قال لا محالة  
إن لهم النار. وقال الخليل: لا جرم لا يكون إلا جوابا تقول: فعل فلان كذا فيقول المجيب: لا  
جرم إنه عوين والفعل منه جرم يجرم.

وقال المبرد معناه حق واستحق (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) والمعنى ليس له  
دعوة ينتفع بها في أمر الدنيا ولا في الآخرة فأطلق ليس له دعوة، لانه ابلغ وإن توهم جاهل  
ان له دعوة ينتفع بها، فانه لا يعتد بذلك لفساده وتناقضه.

وقال السدي وقتادة والضحاك: معناه ليس لهذه الاصنام استجابة دعاء احد في الدنيا ولا في  
الآخرة. وقيل: معناه ليس لها دعوة تجاب بالآلهية في الدنيا، ولا في الآخرة (وإن مردنا إلى  
الله) أي وجب ان مردنا إلى الله، ووجب (أن المسرفين) بارتكاب المعاصي. وقال مجاهد:  
يعني بقتل النفس من غير حلها.

وقال قتادة بالاشراك بالله (هم اصحاب النار) يعني الملازمون لها. قال الحسن:

(ج ٩ م ١١ من التبيان)

### (٨٢)

هذا كله من قول مؤمن آل فرعون.



ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ (فستذكرون) صحة (ما اقول لكم) إذا حصلتم في العقاب يوم القيامة. ثم اخبر عن نفسه فقال (وافوض أمري إلى الله) أي اسلمه إليه (إن الله بصير بالعباد) أي عالم بأحوالهم، وما يفعلونه من طاعة ومعصية. وقال السدي: معنى أفاض اسلم اليه. ثم اخبر تعالى فقال (فوقاه الله سيئات ما مكروا) وقال قتادة: صرف الله عنه سوء مكرهم، وكان قبطيا من قوم فرعون فنجى مع موسى. وقوله (وحاق بآل فرعون)

أي حل بهم ووقع بهم (سوء العذاب) لان الله تعالى غرقهم مع فرعون، وبين انهم مع ذلك في (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعني صباحا ومساء، ورفع النار بدلا من قوله (سوء العذاب) (ويوم تقوم الساعة) يعني إذا كان يوم القيامة يقال للملائكة (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) فيمن قطع الهمزة.

ومن وصلها اراد ان الله يأمرهم بذلك. والعرض إظهار الشئ ليراه الذي يظهر له. ومنه قوله (وعرضوا على ربك) (١) أي اظهروا (صفا) كما يظهر المرائي لهم. ومنه قولهم: عرضت الكتاب على الامير، فهؤلاء يعرضون على النار لينالهم من ألمها والغم بالمصير اليها. والغدو المصير إلى الشئ بالغداة غدا يغدو غدوا. وقولهم: تغدى أي اكل بالغداة، وغدا أي سابق إلى الامر بالغداة.

و (قيام الساعة) وجودها، ودخولها على استقامة بما يقوم من صفتها، وقامت السوق إذا حضر أهلها على ما جرت به العادة و (اشد العذاب) اغلظه.

وفي الآية دلالة على صحة عذاب القبر لانه تعالى اخبر انهم يعرضون على النار غدوا وعشيا. وقال الحسن: آل فرعون اراد به من كان على دينه.

---

(١) سورة ١٨ الكهف ٤٩ (\*)

### (٨٣)

وكان السدي يقول: ارواحهم في اجواف طير سود يعرضون على النار غدوا وعشيا، ويجوز ان يحيهم الله بالغداة والعشي ويعرضهم على النار، ووجه الاحتجاج على رؤساء الضلال بالاتباع انهم كانوا يدعونهم إلى اتباعهم بما يدعون من صواب مذهبهم. وهذا يلزمهم الرفع بها عنهم وأن يسعوا في تخفيف عذابهم، فاذا هي سبب عذابهم. وقال الفراء وقوم من المفسرين - ذكره البلخي - في الكلام تقديما وتأخيرا، وتقديره وحق بآل فرعون سوء العذاب، ويوم تقوم الساعة يقال: لهم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويكون معنى غدوا وعشيا مع انهم فيها أبدا أنه تتجدد جلودهم بعد الاحتراق غدوا وعشيا. وقال قوم: يجوز ان يكون المراد انهم بعرضها، كما يقال: فلان يعرضه شر شديد أي

يقرب من ذلك. وقال قوم: يجوز ان يكون المراد ان اعمالهم اعمال من يستحق النار، فكأنهم يغدون ويروحون اليها باعمالهم. وقال قوم: المعنى يعرضون عليها وهم أحياء بالزجر والتحذير والوعد والوعيد، فاذا كان يوم القيامة - وماتوا على كفرهم - ادخلوا اشد العذاب. قوله تعالى:

(وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار (٤٧)

قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد (٤٨) وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب (٤٩) قالوا أو لم تك تأتكم

### (٨٤)

رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (٥٠) أربع آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيه واذكر يا محمد (إذ) أي الوقت الذي (يتحاجون في النار) ويخاصم بعضهم بعضاً يعني الرؤساء والاتباع (فيقول الضعفاء) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء (إنا كنا لكم) معاشر الرؤساء (تبعاً)

ويحتمل ان يكون ذلك جمع تابع كغايب وغيب وحایل وحول، ويجوز أن يكون مصدراً أي تبعناكم تبعاً (فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار) لانه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لامره، فيسألونهم هؤلاء أن يغنوا عنهم قسطاً من النار أي طائفة منها، فيقول الرؤساء الذين استكبروا (إنا كل فيها) أي نحن وأنتم في النار، فكيف ندفع عنكم. ورفع " كل فيها " على انه خبر (إنا) كقوله (إن الامر كله لله) (١) ويجوز أن يكون رفعا بالابتداء، وخبره (فيها) (ان الله حكم) بذلك (بين العباد) وانه يعاقب من اشرك به وعبد معه غيره ثم حكى ما يقوله (الذين) حصلوا (في النار) من الاتباع والمتبوعين (لخزنة جهنم) وهم الذين يتلون عذاب اهل النار " ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) ويقولون ذلك، لانه لاصبر لهم على شدة العذاب لا انهم يطمعون في التخفيف، لان معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفف عنهم.

ثم حكى ما يجيب به الخزنة لهم فانهم يقولون لهم " او لم تك تأتكم رسلكم بالبينات " يعني بالحجج والدلالات على صحة توحيده ووجوب إخلاص العبادة له؟ فيقولون في جوابهم " بلى " قد جاءتنا الرسل بالبينات فكذبناهم وجحدنا نبوتهم وانكرنا

(٨٥)

بيناتهم فيقول لهم الخزنة اذا " فادعوا " بما لا ينفعكم ويقولون ايضا " وما دعاء الكافرين إلا في ضلال " لانه في وقت لا ينفع.

قوله تعالى:

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد (٥١) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (٥٢) ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (٥٣) هدى وذكرى لأولي الالباب (٥٤)

فأصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) (٥٥)

اربع آيات في الشامي وفي عدد اسماعيل وخمس في ما عداها عدوا " بني اسرائيل الكتاب " ولم يعده الاولان.

قرأ نافع واهل الكوفة (يوم لا ينفع الظالمين) بالياء، لان المعذرة ليس تأنيثها حقيقيا ولانهم ارادوا عذرهم. الباقرن بالتاء لتأنيث المعذرة.

اخبر الله تعالى عن نفسه بأنه ينصر رسله الذين بعثهم بالحق إلى خلقه وينصر الذين آمنوا به وصدقوا رسله في دار الدنيا، وينصرهم ايضا يوم يقوم الاشهاد. والنصر المعونة على العدو، وهو على ضربين: نصر بالحجة ونصر بالغلبة في المحاربة بحسب ما يعلم الله تعالى من المصلحة وتقتضيه الحكمة، هذا إذا كان في دار التكليف. فأما نصره إياهم يوم القيامة فهو اعلاء كلمتهم وظهور حقهم وعلو منزلتهم وإعزازهم بجزيل الثواب وإذلال عدوهم بعظيم العقاب. والاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب

(٨٦)

وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وأهل الحق وعلى المبطلين والكافرين بما قامت به الحجة يوم القيامة وفي ذلك سرور المحق وفضيحة المبطل في ذلك المجمع العظيم والمحفل الكبير. وقال قتادة الاشهاد الملائكة والانبياء والمؤمنون وقال مجاهد: هم الملائكة. ثم بين سبحانه وتعالى اليوم الذي يقوم فيه الاشهاد، فقال " يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم " فالمعذرة والاعتذار واحد. وإنما نفى ان تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار التكليف لان الآخرة دار الاجاء إلى العمل، والملجأ غير محمود على العمل الذي ألجئ اليه، لانه لا يعمل له لداعي الحكمة إلى ما يمكنه أن يعمل ولا يعمل فيضمن الحمد على فعله. وقيل: إنما لم يقبل معذرتهم، لانهم يعتذرون بالباطل - في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين.

ثم بين تعالى إن لهم مع بطلان معذرتهم اللعنة، وهي الابعاد من رحمة الله والحكم عليهم بدوام العقاب ولهم سوء الدار وهو عذاب النار نعوذ بالله منها. والظالمين الذين لا تنفعهم المعذرة هم الذين ظلموا أنفسهم او غيرهم بارتكاب المعاصي التي يستحق بها دوام العقاب. ثم اخبر تعالى على وجه القسم فقال " ولقد آتينا موسى الهدى " أي اعطيناه التوراة فيها أدلة واضحة على معرفة الله وتوحيده وانزلنا عليه الكتاب وأورثناه بني إسرائيل يعني التوراة، وهدى يعني أدلة واضحة على معرفة الله وتوحيده و " ذكرى " أي ما يتذكر به أولوا الالباب، وإنما خص العقلاء بذلك، لانهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا يعقل. ثم أمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) فقال " فاصبر " يا محمد على أذى قومك وتحمل المشقة في تكذيبهم إياك " إن وعد الله حق " الذي وعدك به من الثواب والجنة لمن اطاعك والنار والعقاب لمن عصاك حق لا خلف له. واطلب ايضا المغفرة لذنبك.

### (٨٧)

ويجوز ان يكون الخطاب له والمراد به أمته " وسبح بحمد ربك " أي نزه الله تعالى واعترف بشكره بما أنعم الله عليك (بالعشي والابكار) أي صباحا ومساء. وقيل (وسبح بحمد ربك) معناه صل بحمد ربك و (بالعشي) معناه من زوال الشمس إلى الليل. و (الابكار) من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. قوله تعالى:

(إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير (٥٦) لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٥٧) وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ قليلا ما تتذكرون (٥٨) إن الساعة لآتية لا ريب فيما ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٦٠) خمس آيات. وست في المدني الاخير.

قرأ أهل الكوفة " تتذكرون " بالتاء على الخطاب. الباقرن بالياء على الاخبار عنهم. وقرأ ابو جعفر وابن كثير ورويس ويحيى والبرجمي وابن غالب " سيدخلون " بضم الياء. على مالم يسم فاعله. الباقرن بفتح الياء على اسناد الفعل اليهم.

### (٨٨)

يقول الله تعالى " ان الذين يجادلون " أي يخاصمون " في " رفع " آيات الله " وابطالها " بغير سلطان " أي بغير حجة " اتاهم " اعطاهم الله إياها يتسلط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم

" إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه " أي ليس في صدورهم إلا كبر. قال مجاهد: معناه الاعظمة وجبرية ما هم ببالغي تلك العظمة، لان الله تعالى مذلمهم. وقيل: معناه إلا كبر بحسبك على النبوة التي اكرمك الله بها (ما هم ببالغيه) لان الله يرفع بها من يشاء. وقيل، منعا إلا كبر ما هم ببالغي مقتضاه ولا نالوه لان الكبر إنما يعمله صاحبه لمقتضى ان يعظم حاله، وهؤلاء يصير حالهم إلى الادلال والتحقير بكفرهم فلا يبلغون ما في صدورهم من مقتضى كبرهم. وقيل:

الآية نزلت في اليهود وان الكبر الذي ليس هم ببالغيه توقعهم امر الدجال، فاعلم الله تعالى ان هذه الفرقة التي تجادل ألا تبلغ خروج الدجال. فلذلك قال تعالى " فاستعذ بالله " ثم امر نبيه بأن يستعذ بالله من شر هؤلاء المخاصمين " انه هو السميع البصير " ومعناه انه يسمع ما يقول هؤلاء الذين يخاصمون في دفع آيات الله بصير بما يضمرونه وفي ذلك تهديد لهم في ما يقدمون عليه. وقيل: فيه وعدله بكفاية شرهم.

ثم قال تعالى " لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس " معناه إن خلق السموات والارض على ما هما عليه من العظم والنقل مع وقوفهما من غير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير سبب اعظم في النفس وأهول في الصدر من خلق الناس، وإن كان عظيما لما فيه من الحياة والحواس المهيأة لأنواع مختلفة من الادراكات إلا ان امر السموات والارض خارج عن مقتضى الطبيعة، او ان يكون فاعلها وخالقها يجرى مجرى العباد في الجسمية، فهو اكبر شأنًا من هذه الجهة " من لكن اكثر الناس لا يعلمون " لعدولهم عن الفكر فيه والاستدلال على

## (٨٩)

صحته وإدخال الشبهة على نفوسهم فيه، وذكر كبر خلق السموات والارض وما هو خارج عن الطبيعة حجة على المشركين في انكار النشأة الثانية مما هو خارج عن عادة الولادة. ثم قال " وما يستوي الاعمى والبصير " أي لا يتساوى من عمي عن طريق الرشد والصواب فلم يهتد اليها، والبصير الذي أبصرها واهتدى اليها " والذين آمنوا وعملوا الصالحات. ولا المسيئ " أي ولا يتساوى ايضا الذين آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات من الاعمال والذين اساءوا وظلموا نفوسهم بارتكاب المعاصي. ثم قال " قليلا ما تتذكرون " أي ما أقل ما تتفكرون في ذلك. والوقف على قوله " قليلا ".

وقوله " ما تتذكرون " يجوز أن تكون (ما) صلة ويجوز أن تكون بمعنى المصدر وتقديره قليلا ما تذكركم. ومن قرأ بالتاء اراد قل لهم وخاطبهم به.

ومن قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عنهم بذلك.  
ثم اخبر " إن الساعة " يعني القيامة (آتية لا ريب فيها) أي جائية واقعة لا شك في مجيئها  
(ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بذلك لجهلهم بالله وشكهم في اخباره.  
ثم قال " وقال ربكم ادعوني استجب لكم " يعني استجب لكم إذا اقتضت المصلحة اجابتنكم.  
ومن يدعوا الله ويسأله فلا بد أن يشترط المصلحة إما لفظا او اضمارا، وإلا كان قبيحا، لانه إذا  
دعا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها (ج ٩ م ١٢ من التبيان)

### (٩٠)

كان قبيحا.

ثم قال تعالى مخبرا (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) أي من يتكبر، ويتعظم عن إخلاص  
العبادة لله تعالى (سيدخلون جهنم داخرين) من ضم الياء ذهب إلى انهم تدخلهم الملائكة كرها  
ومن فتح الياء قال: لانهم إذا دخلوا فقد دخلوا، فاضاف الفعل اليهم. ومعنى (يستكبرون عن  
عبادتي) أي عن دعائي بالخضوع لي. وقال السدي (داخرين) معناه صاغرين.  
قوله تعالى:

(الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر  
الناس لا يشكرون (٦١) ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا إله إلا هو فأتى توفكون (٦٢) كذلك  
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون (٦٣) الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء  
وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين (٦٤)  
هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين أحمد الله رب العالمين) (٦٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه بأنه " الله الذي جعل لكم معاش الخلق (الليل) وهو ما بين  
غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني (لتسكنوا فيه) أي

### (٩١)

وغرضه منه سكونكم واستراحتكم فيه من كد النهار وتعبه (وجعل لكم النهار)  
أيضا وهو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس (مبصرا) تبصرون فيه مواضع  
حاجاتكم فجعله (مبصرا) لما كان يبصرون فيه المبصرون. ثم اخبر تعالى (إن الله لذو فضل)  
أي لذو زيادة كثيرة من نعمه (على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون)

نعمه أي لا يعترفون بها بل يجحدونها ويكفرون بها. ثم قال مخاطبا لخلقه (ذلكم الله) يعني الذي قدم وصفه لكم هو الذي خلقكم (ربكم خالق كل شيء) من مقدوراته من السموات والارض وما بينهما مما لا يقدر عليه سواه (لا إله إلا هو)

أي لا يستحق العبادة سواه تعالى (فأتى توفكون) أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده، ثم قال مثل ما انقلب وانصرف هؤلاء (كذلك يؤفك) أي يصرف (الذين كانوا بآيات الله يجحدون) ومعناه كما خدع هؤلاء بما كذب لهم كذب من كان قبلهم من الكفار (الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي بدلالات الله وبياناته، ولا يفكرون فيها.

ثم عاد إلى ذكر صفاته تعالى فقال (الله الذي جعل لكم الارض قرارا)

أي هيأها لكم بحيث تستقرون عليها (والسمااء بناء) أي وجعل السماء بناء مرتفعا فوقنا ولو جعلها رتقا لما أمكن الخلق الانتفاع في ما بينهما. ثم قال (وصوركم فأحسن صوركم) لأن صور ابن آدم أحسن من صور الحيوان. والصور جمع صورة مثل سورة وسور (ورزقكم من الطيبات) لأنه ليس لشيء من الحيوان من الطيبات المأكل والمشارب مثل ما خلق الله لابن آدم، فان انواع الطيبات واللذات التي خلقها الله لهم لا تحصى لكثرتها من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك. ثم قال (ذلكم) يعني الذي تقدم وصفه هو الذي يحق له العبادة على الحقيقة وهو (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أي جل بأنه الثابت

(٩٢)

الدائم الذي لم يزل ولا يزال.

ثم قال (هو الحي) ومعناه الحي على الاطلاق هو الذي يستحق الوصف بأنه حي لا إلى اجل (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير: إذا قال احدكم (لا إله إلا الله وحده) فليقل في آخرها (الحمد لله رب العالمين).

قوله تعالى:

(قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين (٦٦) هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون (٦٧) هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٦٨) ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون (٦٩) الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) (٧٠)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) ان يقول الكفار قومه (إني نهيت) أى نهاني الله (ان اعبد) أى اوجه العبادة إلى (الذين تدعون من دون الله) التي تجعلونها آلهة (لما جاغني البينات من ربي) أى حين أتاني الحجج والبراهين

(٩٣)

من جهة الله دلنتي على ذلك (وامرت) مع ذلك (أن اسلم لرب العالمين) أى استسلم لامر رب العالمين الذى خلقكم وأوجدكم ويملك تدبير الخلائق اجمعين.  
ثم وصفه فقال (وهو الذى خلقكم) معاشر البشر (من تراب) ومعناه خلق أباكم آدم من تراب وانتم نسله واليه ترجعون واليه تنتمون (ثم من نطفة..).  
اى ثم انشأ من ذلك الاصل الذى خلقه من تراب النطفة ثم قلبها إلى علقة وهي القطعة من الدم لانها تعلق بما يمر به لظهور اثرها فيه وخلقكم منها (ثم يخرجكم طفلا) أى اطفالا واحدا واحدا، فلهذا ذكره بالتوحيد، كما قال " بالاخسرين اعمالا " (١) لان لكل واحد منهم اعمالا قد خسر بها " ثم لتبلغوا اشدكم " وهو حال استكمال القوة وهو جمع شدة واشد كنعمة وانعم.  
واصل الشدة اللف الذى يصعب منه الانحلال، ثم " لتكونوا شيوخا " بعد ذلك " ومنكم من يتوفى من قبل " ان يصير شيخا ومن قبل ان يبلغ اشدة " ولتبلغوا اجلا مسمى " أى يبلغ كل واحد منكم ما سمي له من الاجل. وقال الحسن: هو النسل الذى يقوم عليه القيامة والاجل المسمى القيامة (ولعلمكم تعقلون) أى خلقكم لهذه الاغراض التي ذكرها ولكي تفكروا في ذلك فتعقلوا ما انعم الله عليكم من انواع النعم و اراده منكم من اخلاص العبادة. ثم قال (هو الذى يحيى ويميت) يعنى من خلقكم على هذه الاوصاف التي ذكرها هو الذى يحييكم وهو الذى يميتكم فأولكم من تراب وآخركم إلى تراب تعودون (فاذا قضى امرا) اى اراد امرا من الامور (فانما يقول له كن فيكون) ومعناه انه يفعل ذلك من غير ان يتعذر عليه ولا يمتنع منه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون، لا انه خاطب المعدوم بالتكوين، لان ذلك محال.

(١) سورة ١٨ الكهف ١٠٤ (\*)

(٩٤)

والله لا يأمر بالمحال.

ثم قال (الذين يجادلون في آيات الله) يعنى المشركين الذين يخاصمون في دفع آيات الله وابطالها (أنى يصرفون) أى كيف ومن أين ينقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمهم الله. قال ابن زيد اراد



بذلك المشركين. ثم وصفهم فقال (الذين كذبوا بالكتاب يعني بالقرآن جحدوه وكذبوا بما ارسلنا به من الكتب في الشرائع رسلنا قبلك (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم إذا حل بهم وبال ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه ويعرفون ان ما دعوتهم اليه حق وما ارتكبوه ضلال وفساد.

قوله تعالى:

(إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يسجرون (٧٢) ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون (٧٣) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين (٧٤) ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥)

خمس آيات كوفي وشامي وأربع في ما عداهما سوى البصري عد إسماعيل والكوفي والشامي " يسبحون " وعد المدني الاول والمكى " في الحميم " وعد الكوفي والشامي " تشركون " وهي ثلاث آيات بصري لانه عندهم آخر الاولى " يسبحون والثانية " الكافرون " والثالثة " تمرحون " .

#### (٩٥)

قوله " إذا الاغلال " متعلق بقوله " فسوف يعلمون.. إذ الاغلال " أي يعلمون في حال ما تجعل الاغلال وهي جمع غل، وهو طرق يدخل في العنق للالم والذل. وأصله الدخول من قولهم: انغل في الشئ إذا دخل فيه. والغلول الخيانة التي تصير كالغل في عنق صاحبها، والاعناق جمع عنق وهو مركب الرأس بين البدن وبينه، وقوله " فاضربوا فوق الاعناق " (١) أي اصل الرأس وما والاه، وقوله " والسلاسل " أي وتجعل السلاسل ايضا في اعناقهم. وقرأ ابن عباس " والسلاسل " بالنصب " يسحبون " بفتح الياء بمعنى يسحبون السلاسل.

وحكي عنه الجر أيضا بتقدير، وهم في السلاسل يسحبون. والجر ضعيف عند النحويين، لان حرف الجر لا يجوز إضماره وأجاز بعضهم ذلك على ضعفه بأن يتوهم أن التقدير إذ الاغلال في الاعناق. والسلاسل جمع سلسلة وهي حلق منتظمة في جهة الطول مستمرة. ويقال: تسلسلت المعاني إذا استمرت شيئا قبل شئ كالسلسلة الممدودة، وقوله " يسحبون " أي يجرون على الارض. وموضع " يسحبون " النصب على الحال، وتقديره إذ الاغلال والسلاسل في أعناقهم مسحوبين على النار والسحب جر الشئ على الارض، هذا أصله يقال: سحب عليه ما يلزمه من الاصل الفاسد، ويسحب الكافر على وجهه في النار سحباً " في الحميم " وهو الماء الذي يبلغ الغاية في الحرارة " ثم في النار يسجرون " فالسجر القاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود، فهؤلاء الكفار لجهنم كالسجار للتنور " ثم قيل لهم " على وجه

التوبيخ لا يلام قلوبهم كإيلام ابدانهم بالتعذيب " اينما كنتم تشركون من دون الله " فتوجهون  
العبادة اليه من الاصنام والاثوان فيخلصوكم وينصروكم من عذاب الله " قالوا " في الجواب "  
ضلوانا عنا " ثم يستدركون

---

(١) سورة ٨ الانفال آية ١٢ (\*)

(٩٦)

فيقولون: بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً " ومعناه لم نكن ندعو من قبل شيئاً يستحق العبادة وما  
ينتفع بعبادته، لذلك أطلق القول فقال الله تعالى " كذلك يضل الله الكافرين " قال الحسن: معناه  
كذلك يضل اعمالهم بأن يبطلها. وقيل:

معناه كذلك يضل الله الكافرين عن نيل الثواب. وقيل: كذلك يضل الله الكافرين عما اتخذوه  
إلها بأن يصرفهم عن الطمع في نيل منفعتهم من جهتها. ثم يقول موبخا لهم " ذلكم " أي ما فعل  
بكم جزاء " بما كنتم تفرحون في الارض " والفرح والمرح والبطر والاشر نظائر " بغير الحق  
" أي كنتم تفرحون بالباطل والفرح بالحق لا يوبخ عليه " بما كنتم تفرحون " أي وجزاء بما  
كنتم تبطرون في معاصي الله. والمرح الاختيال في السرور والنشاط قال الشاعر:

ولا ينسني الحدثان عرضي \* ولا ارخي من الفرح الازارا (١)  
قوله تعالى:

(أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦)

فاصبر إن وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد  
أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن  
يأتي بآية إلا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨) الله الذي  
جعل لكم

---

(١) مر في ٨ / ١٠٧ (\*)

(٩٧)

الانعام لتتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم  
وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى ما يقال للكفار من قوله " ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون " حكى ايضا انه يقال لهم " ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها " أي مؤبدين فيها لا انقطاع لكونكم فيها ولا نهاية لعقابكم.

وقيل: إنما جعل لجهنم ابواب كما جعل فيها الادراك تشبيها بما يتصور الانسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير، فان ذلك أهول واعظم في الزجر.

وقيل: لجهنم ابواب، كما قال تعالى " لها سبعة ابواب " (١) وقوله " فبئس مثوى المتكبرين " أي بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة الله وتجبروا عن الانقياد له، وإنما اطلق عليه اسم بئس مع كونه حسنا لان الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح بالذم عليه، فحسن لهذه العلة اطلاق اسم بئس عليه. ووصف الواحد منا بانه متكبر اسم ذم. ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) " فاصبر " يا محمد على أذى قومك وتكذيبهم إياك ومعناه اثبت على الحق، فسماه صبرا للمشقة التي تلحق فيه كما تلحق بتجرع المر، ولذلك لا يوصف اهل الجنة بالصبر. وإن وصفوا بالثبات على الحق. وكان في الوصف به في الدنيا فضلا، ولكن يوصفون بالحلم، لانه مدح ليس فيه صفة نقص. وقوله (إن وعد الله حق) معناه إن ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في

---

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٤٤ (ج ٩ م ١٣ من التبيان)

(\*)

(٩٨)

الجنة وتوعد الكفار من العقاب (حق) لاشك فيه بل هو كائن لا محالة ثم قال (فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فاليانا يرجعون) معناه إنا إن أريناك يا محمد بعض ما نعدهم من العقاب عاجلا وإهلاكهم في دار الدنيا، وإن لم نفعل ذلك بهم وقبضناك إلينا، فاليانا يرجعون يوم القيامة، فنفعل بهم ما وعدناهم من العقاب وأليم العذاب. وقال الحسن: تقديره إما نرينك بعض الذي نعدهم فنرينك ذلك في حياتك او نتوفينك، فيكون ذلك بعد موتك فأى ذلك كان (فاليانا يرجعون).

ثم قال تعالى (ولقد ارسلنا) يا محمد (رسلا من قبلك منهم) أي من جملتهم (من قصصنا عليك) قصتهم (ومنهم من لم نقصص عليك) وروي عن علي (عليه السلام) انه قال (من بعث الله نبيا اسود لم يذكره الله) وقيل: بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم. ولم يذكر إلا نفرا يسيرا. ثم قال (وما كان لرسول أن يأتي بأية) أي بمعجزة ولا دلالة (إلا باذن الله) وامره (فاذا جاء امرالله) يعني قيام الساعة (قضي بالحق) أي فصل

بين الخلائق (وخسر هنالك المبطلون) لانهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلا منها (وذلك هو الخسران المبين) ثم قال تعالى على وجه تعداد نعمه على الخلق (الله الذي جعل لكم الانعام) من الابل والبقر والغنم (لتركبوا منها ومنها تأكلون) اي خلقها لتنتفعوا بركوبها وتأكلوا منها، فانه جعلها للامرئين. وقال قوم: المراد بالانعام - ههنا - الابل خاصة، لانها التي تتركب ويحمل عليها في اكثر العادات. واللام في قوله (لتركبوا) لام الغرض، فاذا كان الله تعالى خلق هذه الانعام واراد ان ينتفع خلقه بها، وكان تعالى لا يريد القبيح ولا المباح، فلا بد ان يكون اراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة اليه

(٩٩)

(ولكم فيها منافع) أخرى من ألبانها واصوافها وأشعارها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) ان تركبوا وتبلغوا المواضع التي تقصدونها لحوائجكم (وعليها) يعني على الانعام (وعلى الفلك) وهي السفن (تحملون) ايضا لانه تعالى هو الذي يسيرها في البحر بالرياح إلى حيث تقصدون وتبلغون أغراضكم منها. وقال ابو عبيدة معنى (وعلى الفلك) في الفلك كما قال (ولا صلبنكم في جذوع النخل) (١) واراد عليها، فحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض. قوله تعالى:

(ويريكم آياته فأبى آيات الله تنكرون (٨١) أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٨٣)

فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) (٨٥) خمس آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى مخاطبا للكفار الذين جحدوا آياته وانكروا أدلته الدالة على

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٧١ (\*)

(١٠٠)

توحيده وإخلاص العبادة له (ويريكم آياته) أي يعلمكم حججه ويعرفكم إياها، منها إهلاك الامم الماضية على ما اخبر عنهم ووجه الآية فيه انهم بعد النعمة العظيمة صاروا إلى النقم لانهم عصوا فاقتضى ذلك العصيان أولا النقم ثانيا. وكان فيه اوضح الدليل على تثبيت القديم

تعالى الذي لولاه لم يصح فعل ولا تدبير. ومنها الآية في خلق الانعام التي قدم ذكرها، ووجه الآية فيه تسخيرها لمنافع العباد بالتصرف في الوجوه التي قد جعل كل شئ منها لما يصلح له وذلك يقتضي ان الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره، وانما يرى الآيات بالبيان عنها الذي يحضر للناس معناها ويخطر بها ببالهم، وينبه عليها، فانه يحتاج اولاً في الآية احضارها للنفس ثم الاستدلال عليها والتمييز بين الحق والباطل منها، فأول الفائدة إخطارها بالبال والتنبية عليها. والثاني الاستدلال عليها إلى الحق.

ثم قال (فإي آيات الله تتكرون) توبيخاً لهم على جحدها، وقد يكون الإنكار للآية تارة بجحدها أصلاً. وقد يكون تارة بجحد كونها دالة على صحة ما هي دالة عليه، والخلاف في الدلالة يكون من ثلاثة أوجه: إما في صحتها في نفسها، أو في كونها دلالة، أو فيهما. وإنما يجوز من الجهال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لأمور:

منها اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة. ومنها التقليد لمن ترك النظر في الأمور.

ومنها السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمتنع ذلك من توليد النظر للعلم.

ثم نبههم فقال (أفلم يسيروا في الأرض) بأن يمشروا في جنباتها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عدداً (وأشد قوة) أي

### (١٠١)

واعظم آثاراً في الأرض بالابنية العظيمة التي نبوها والقصور المشيدة التي شيدها.

وقال مجاهد: بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم، فلما عصوا وكفروا بالله اهلكهم الله واستأصلهم "فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون" معناه لم يغن عنهم ما كسبوه من الأموال والبنيان. وقيل ان (ما) بمعنى أي، وتقديره فأى شئ اغنى عنهم كسبهم؟! على وجه التهجين لفعلهم والتفريع لهم، فتكون (ما) الأولى نصباً وموضع الثانية رفعا.

ثم قال تعالى "فلما جاءتهم رسلهم بالبينات" يعني لما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له "فرحوا بما عندهم من العلم" وفي الكلام حذف، وتقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجدوها وانكروا دلالتها وعد الله تعالى الرسل باهلاك أممهم ونجاة الرسل فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك. وقيل: إن المعنى فرحوا بما عندهم من العلم يعني الكفار بما اعتقدوا انه علم إذ قالوا: نحن اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، فكان ذلك جهلاً واعتقدوا انه علم، فاطلق الاسم عليه بالعلم على اعتقادهم، كما قال "حجتهم داحضة" (١) وقال "نق انك انت العزيز الكريم" (٢) يعني عند نفسك وعند قومك، فالاول قال به الجبائي، والثاني قول الحسن ومجاهد. وقيل: المعنى إن الكفار فرحوا بما عند الرسل فرح استهزاء

وسخرية لا فرح سرور وغبطة وقوله " وحق بهم " أي حل بهم " ما كانوا به يستهزؤن " أي جزء ما كانوا به يسخرون برسلمهم من الهلاك والعذاب.  
ثم اخبر تعالى عنهم انهم " فلما رأوا بأسنا " بأس الله ونزول عذابه " قالوا

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦ (٢) سورة ٤٤ الدخان آية ٤٩ (\*)

### (١٠٢)

أما بالله وحده " وخلقنا الإنذاد من دونه " وكفرنا بما كناهه مشركين " في عبادة الله من الاصنام والوثان فقال الله سبحانه " فلم يك ينفعهم إيمانهم " عند رؤيتهم بأس الله وعذابه، لانهم يصيرون عند ذلك ملجئين وفعل الملجأ لا يستحق به الثواب. ثم قال " سنة الله التي قد خلت في عباده " نصب " سنة الله " على المصدر، والمعنى طريقة الله المستمرة من فعله بأعدائه والجاحدين لنعمه واتخاذ الولايج من دونه في ما مضى مع عباده الذين كفروا به " وخسر هنالك الكافرون " لنعمه لفوتهم الثواب والجنة واستحقاقهم العذاب والكون في النار.

### (١٠٣)

٤١ - سورة حم السجدة هي مكية في قول قتادة ومجاهد ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وهي اربع وخمسون.

آية كوفي وثلاث في المدنيين واثنان وخمسون في البصري والشامي.

بسم الله الرحمن الرحيم (حم) (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون (٥).

خمس آيات في الكوفي وأربع في الباقي عد الكوفيون " حم " ولم يعده الباقيون قرأ بعض الكوفيين (حم) رفع ب (تنزيل) ر (تنزيل) رفع ب (حم) وقال الفراء: ارتفع (تنزيل) باضمار (ذلك) او هذا تنزيل. وقال البصريون (تنزيل)

رفع بالابتداء، وخبره " كتاب فصلت آياته " و " قرانا " نصب على المصدر او

### (١٠٤)

الحال ذهب اليه قوم.

قد بينا اختلاف المفسرين في معنى قوله (حم) فلا وجه لا عادته. وقيل:

في وجه الاشتراك في اسماء هذه السور السبع ب (حم) انه للمشكلة التي بينهما بما يختص به بما ليس لغيرها، لانه اسم علم أجري على الصفة الغالبة بما يصح فيه الاشتراك، والتشاكل

الذي اختصت به هو ان كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول والقصر ومع شدة تشاكل الكلام في النظام، وحكم الكتاب البيان عن طريق النجاة الذي يصغر كل شئ في حنب الفائدة به من طريق الهلاك الذي لا صبر للنفس عليه، وهو على وجوه: منها تبيين الواجب مما ليس بواجب، وتبيين الاولى في الحكمه مما ليس بأولى، وتبيين الجائز مما ليس بجائز، وتبيين الحق في الدين من الباطل، وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل، وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه، وما يحذر منه مما لا يحذر مثله. وغير ذلك من وجوه أحكامه وهي اكثر من ان تحصى.

وقوله " تنزل من الرحمن الرحيم " وصف الكتاب بأنه تنزِيل لان جبرائيل (عليه السلام) نزل به على محمد (صلى الله عليه وآله) وفي ذلك دلالة على حدوثه، لان التنزيل لا يكون إلا محدثاً. وقوله " كتاب فصلت آية " أي هذا كتاب، وإنما وصف القرآن بأنه كتاب وإن كان المرجع فيه إلى كلام مسموع، لانه مما ينبغي أن يكتب ويدون لان الحافظ ربما نسيه او نسي بعضه، فينذكر، وغير الحافظ فيتعلم منه. وقوله " فصلت آياته " معناه ميزت دلائله. وإنما وصفه بالتفصيل دون الاجمال، لان التفصيل يأتي على وجوه البيان، لانه تفصيل جملة عن جملة او مفرد عن مفرد، ومدار أمر البيان على التفصيل والتمييز في ما يحتاج اليه من أمور الدين إذ العلم

### (١٠٥)

علمان: علم دين وعلم دنيا وعلم الدين أجلهما واشرفهما لشرف النفع به. وقيل: " فصلت آياته " بالامر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب. ونصب قوله " قرآنا عربيا " على الحال - في قول الزجاج - وتقديره فصلت آياته في حال جمعه. ووصف بأنه قرآن، لانه جمع بعضه إلى بعض، وبأنه عربي لانه يخالف جميع اللغات التي هي ليست عربية " لقوم يعلمون " أي لمن يعلم العربية. وقوله " بشيرا " أي مبشرا بالجنة وثوابها " ونذيرا " أي مخوفا من النار وعقابها. وقوله " فاعرض اكثرهم " اخبار منه تعالى عن الكفار أن اكثرهم يعدل عن التفكير فيه وعن سماعه " فهم لا يسمعون " لعدولهم عنه. ويجوز أن يكون مع كونهم سامعين إذا لم يفكروا فيه ولم يقبلوه فكأنهم لم يسمعه. وقال البلخي:

معناه إنهم يفعلون فعل من لا يسمعه، لانهم مع سماعه يستتقلونه ويعرضون عن الفكر فيه. ثم حكى ما قاله الكفار من قولهم " قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه " قال مجاهد والسدي: معناه في أعطية وإنما قالوا ذلك لبيؤسوا النبي (صلى الله عليه وآله) من قبولهم دينه، فهو على التمثيل، فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل اليه شئ مما وراءه، وفيه تحذير من مثل

حالهم في كل من دعي إلى امر أن لا يمتنع ان يكون هو الحق، فلا يجوز ان يدفعه بمثل ذلك الدفع " وفي آذاننا وقر " أي ثقل عن استماع هذا القرآن " ومن بيننا وبينك حجاب " قيل الحجاب الخلف الذي يقتضي أن يكون بمعزل عنك. قال الزجاج: معناه حاجز في النحلة والدين أي لا نوافقك في مذهب " فاعمل اننا عاملون " معناه فاعمل بما يقتضيه دينك، فانا عاملون بما يقتضيه ديننا، وقال الفراء: معناه فاعمل في هلاكنا، فاننا عاملون (ج ٩ م ١٤ من التبيان)

### (١٠٦)

في هلاكك، تهديدا منهم.

قوله تعالى:

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إليه واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون (٧) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٨) قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين (٩)

وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر " سواء " رفعا. وقرأه يعقوب خفضا. وقرأه الباقر نصبا.

فمن رفعه فعل الاستئناف. ومن خفضه جعله نعتا للأيام. ومن نصبه فعلى المصدر.

امر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يقول لهؤلاء الكفار " إنما أنا بشر مثلكم " لحم ودم، ومن ولد آدم، وإنما خصني الله بنبوته وأمرني برسالته وميزني منكم بأني " يوحى إلي أنما إليكم " الذي يستحق العبادة " إله واحد " لا شريك له في العبادة (فاستقيموا إليه) أي استمروا على وجه واحد في الطاعة له وإخلاص العبادة له على ما تقتضيه الحكمة " واستغفروه " أي واطلبوا المغفرة من جهته لذنوبكم.

ثم اخبر فقال " فويل للمشركين " الذين اشركوا بعبادة الله غيره من

### (١٠٧)

الاصنام والالوثان ووصفهم بانهم " الذين لا يؤتون الزكاة " وقال الحسن: معناه لا يؤتون ما يكونون به ازكياء اتقياء من الدخول في دين الله. وقال الفراء: الزكاة في هذا الموضع ان قریشا كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله). وقال قوم: إنما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم لانهم متعبدون بجميع العبادات ويعاقبون



على تركها وهو الظاهر. وقال الزجاج: معناه وويل للمشركين الذين لا يؤمنون بأن الزكاة واجبة. وإنما خص الزكاة بالذكر تقريرا لهم على شحهم الذي يأنف منه أهل الفضل ويتركون ما يقتضي انهم ان يعملوه عملوه لاجله. وفي ذلك دعاء لهم إلى الايمان وصرف لهم عن الشرك. وكان يقال: الزكاة قنطرة الايمان فمن عبرها نجا. وقال الطبري: معناه الذين لا يعطون الله الطاعة التي يظهرهم بها ويزكي أبدانهم، ولا يوحونه. وقال عكرمة: هم الذين لا يقولون: لا إله إلا الله. وقد بينا أن الأقوى قول من قال إن الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، لأن هذا هو حقيقة هذه اللفظة " وهم بالآخرة هم كافرون " معناه وهم مع ذلك يجحدون ما أخبر الله به من الثواب والعقاب في الآخرة.

ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين فقال " ان الذين يؤمنون بالآخرة " أي يصدقون بأمر الآخرة من الثواب والعقاب " وعملوا الصالحات " أي الطاعات " لهم اجر غير ممنون " أي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع، بل هو متصل دائم، ويجوز ان يكون معناه انه لا أذى فيه من المن الذي يكدر الصنعة.

ثم امر النبي (صلى الله عليه وآله) ان يقول لهم على وجه الانكار عليهم بلفظ الاستفهام " أنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين " أي تجحدون نعمة من خلق الارض في يومين " وتجعلون له اندادا " أي تجعلون له اشباها وامثالا في استحقاق العبادة.

### (١٠٨)

ثم قال الذي يستحق العبادة " ذلك رب العالمين " الذي خلق الخلائق وملك التصرف فيهم. وقوله " وجعل فيها رواسي من فوقها " أي وخلق في الارض جبالا راسيات ثابتات فوق الارض " وبارك فيها " بما خلق فيها من المنافع " وقدر فيها اقواتها في أربعة ايام سواء للسائلين " روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال (إن الله خلق الارض يوم الاحد والاثنتين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الاربعاء فتلك أربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم). وقال الحسن والسدي: وابن زيد " قدر فيها اقواتها " أي ارزاقها. وقال قتادة: معناه قدر فيها مافيه صلاحها. قال ابو عبيدة، الاقوات جمع قوت وهي أرزاق الخلق وما يحتاجون اليه. وقيل: إنما خلق ذلك شيئا بعد شئ في هذه الاربعة ايام لتعتبر به الملائكة وقيل: لاعتبار العباد في الاخبار عن ذلك إذا تصوروه على تلك الحال. وقال الزجاج: الوجه فيه تعليم الخلق التأنى في الامور وألا يستعجلوا فيها بأن الله تعالى كان قادرا على ان يخلق ذلك في لحظة. لكن خلقها في هذه المدة لما قلنا. وقال قوم إنما خلق ذلك في هذه المدة ليعتبروا بذلك على انها صادرة

من قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الاحكام إذ لو كان صادرا عن مطبوع او موجب  
لحصلت في حالة واحدة. وقال الزجاج:  
" في اربعة ايام " معناه في تنمة اربعة أيام.  
وقوله " سواء للسائلين " قال قتادة والسدي: معناه سواء للسائلين عن ذلك لان كلا يطلب القوت  
ويسأله. وفي قراءة عبدالله " وقسم فيها اقواتها " ومعناه خلق في هذه البلدة ما ليس في هذه  
ليتعايشوا ويتجروا. ومن نصب (سواء) فعلى تقدير استوت سواء واستواه لمن سأل في كم  
خلقت السموات

### (١٠٩)

والارض؟ فقيل في اربعة ايام سواء لا زيادة ولا نقصان.  
قوله تعالى:

(ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض أئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين  
(١١) فقضيهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا  
بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (١٢) فإن أعرضوا فقل أأنذرتكم صاعقة مثل صاعقة  
عاد وثمود (١٣) إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا له شاء  
ربنا لانزل ملئكة فانا بما أرسلتم به كافرون (١٤)  
فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم  
هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجدون) (١٥).  
اربع آيات في البصري والشامي وخمس في ما عداه. اختلفوا في قوله " وثمود " فلم يعدها  
البصريون والشاميون وعدها الباقون.  
اخبر الله تعالى انه بعد خلق الارض والجبال وتقدير الاقوات فيها " استوى إلى السماء وهي  
دخان " قال الحسن: معناه استوى امره ولطفه إلى السماء.  
وقال غيره: معنى الاستواء إلى السماء العمدة والقصد اليها، كأنه قال: ثم قصد اليها. واصل  
الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له. وقوله

### (١١٠)

" ثم استوى على العرش " (١) معناه ثم استوى تدبيره بتقدير القادر عليه. وقيل إن الاستوى  
بمعنى الاستيلاء، كما قال الشاعر:  
ثم استوى بشر على العراق \* من غير سيف ودم مهباق (٢)

فاما الاستواء عن اعوجاج فمن صفات الاجسام لا يجوز ذلك على الله تعالى. وقوله " ثم استوى إلى السماء " يفيد انه خلق السماء بعد خلق الارض وخلق الاقوات فيها، ولا ينافي ذلك قوله " أنتم اشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها " إلى قوله (والارض بعد ذلك دحاها) (٣) لان ذلك يفيد أن الارض كانت مخلوقة غير مدحوة، فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الارض فبسطها، وإنما جعل الله السموات أولا دخانا ثم سبع سموات طباقا ثم زينها بالمصابيح، لما في ذلك من الدلالة على أن صانعها وخالقها ومدبرها ليس كمثلها شئ من الموجودات غني عن كل شئ سواه، وإن كل ما سواه يحتاج اليه من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شئ، عالم لنفسه لا يخفى عليه شئ. و (الدخان) جسم لطيف مظلم، فانه تعالى خلق السموات اولا دخانا ثم نقلها إلى حال السماء من الكثافة والالتئام لما في ذلك من الاعتبار واللفظ لخلقها.

وقوله (فقال لها وللارض انتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين) قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الارض بما فيها من الانها والاشجار والثمار، وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا إطاعة، ولا

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ٥٣ وسورة ١٠ يونس آية ٣ وسورة ١٣ الرعد آية ٢ وسورة ٢٥ الفرقان آية ٥٩ وسورة ٣٢ الم السجدة آية ٤ وسورة ٥٧ الحديد آية ٤ (٢) مرفي ١ / ١٢٥ و ٢ / ٣٩٦ و ٤ / ٤٥٢ و ٥ / ٣٨٦ (٣) سورة ٧٩ النازعات آية ٣٠ (\*)

### (١١١)

جواب لذلك القول بل أخبرتعالى عن اختراعه السموات والارض وانشائه لهما من غير تعذر ولا مشقة ولا كلفومن غير ملابسة ولا معاناة بمنزلة ما قيل:

للمأمور افعل ففعل من غير تلبث ولا توقف، فعبر عن ذلك بالامر والطاعة وهو كقوله (كن فيكون) (١) وقد بينا الوجه في ذلك ويكون التقدير كأنه قيل:

أتينا بمن فينا طائعين أي سبحانه فعل الطباع في ما أمر به وإنما قلنا ذلك لانه تعالى لا يأمر المعدوم ولا الجماد، لان ذلك قبيح يتعالى الله عن ذلك ومثل ذلك قول الشاعر:

امتلا الحوض وقال قطني \* مهلا رويدا قد ملات بطني (٢)

ونظائر ذلك كثيرة بينهاها في ما مضى وإنما قال (طائعين) ولم يقل طائعتين، لانه لما اسند الفعل اليهما وهو مالا يكون إلا من العقلاء اخبر عنهما بالياء والنون، وقال قطرب: لان المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء.

وقال الشاعر:

فاجهشت للتوباد حين رأيت \* وكبر للرحمن حين رأني

فقلت له اين الذين عهدتهم \* بجنبيك في حفص وطيب زمان  
فقال مضوا واستودعوني بلادهم \* ومن ذاالذي يبقي على الحدثنان (٣)  
وقوله (فقضاهن سبع سموات في يومين) معناه جعلهن سبع سموات على اتمام خلقهن لان  
القضاء جعل الشئ على اتمام وإحكام ولذلك قيل: انقضى أي قدتم ومضى، وقضى فلان إذا  
مات، لان عمره تم ومضى. وقيل: إن السماء موج مكفوف، روي ذلك في الخبر عن النبي  
(صلى الله عليه وآله). وقال الحسن: هي سبع ارضين

---

(١) سورة ٣٦ يس آية ٨٢ وغيرها (٢) مر في ١ / ٤٣١ و ٨ / ٨٥، ٣٦٩ (٣) قد مر في ٨ / ٣٦٩ (\*)

### (١١٢)

بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام. وقوله (في يومين) قال السدي: خلق الله السموات  
وسواها يوم الخميس والجمعة وسمي جمعة لانه جمع في خلق السموات والارض، وإنما خلقها  
في يومين نظير خلق الارض في يومين، فان قيل: قوله (خلق الارض في يومين) وخلق  
الجبال والاقوات في اربعة أيام وخلق السموات في يومين يكون ثمانية ايام، وذلك مناف لقوله  
(إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) (١) قلنا: لا تنافي بين ذلك، لانه  
خلق السموات والارض وخلق الجبال والاشجار والاقوات في اربعة أيام منها اليومان  
المتقدمان، كما يقول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة ايام ثم إلى الكوفة في  
خمسة عشر يوما أي في تمام هذه العدة، ويكون قوله (فقضاهن سبع سموات في يومين) تمام  
ستة أيام. وهو الذي ذكره في قوله في ستة أيام. وزال الاشكال.

وقوله (واوحى في كل سماه أمرها) قال السدي معناه جعل فيها ما اراده من ملك وغيره. وقيل  
معناه أوحى في كل سماه بما يصلحها " وزينا السماء الدنيا بمصابيح " روي ان الكواكب في  
السماء الدنيا، وهي الاقرب إلى الارض دون ما فوقها من السموات.

وقوله (وحفظا) منصوب على المعنى وتقديره جعلناها زينة وحفظا أي وجعلناها حفظا من  
استراق الشياطين السمع بالكواكب التي جعلت فيها. وقيل:

حفظا من ان تسقط على الارض (ذلك تقدير العزيز العليم) يعني القادر الذي لا يغالب العليم  
بجميع الاشياء لا يخفى عليه شئ منها.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (فان أعرضوا) يعني ان عدل الكفار عن الفكر في ما ذكرنا  
والندبر لما بينا وأبوا إلا الشرك والجحود (فقل) لهم مخوفا لهم (انذرتكم

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ٥٣ وسورة ١٠ يونس آية ٣ (\*)

### (١١٣)

صاعقة) أي خوفتكم إياها ان ينزل بكم كما نزل بمن قبلكم ونصب (صاعقة) على انه مفعول ثان (مثل صاعقة عاد وثمود) التي أرسلها الله عليهم واهلكهم بها، فقال السدي: الصاعقة اراد بها العذاب، وقال قتادة: معناه وقية. وقيل: إن عادا اهلكت بالريح والصاعقة جميعا. وقوله (إذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم) ف (إذ) متعلقة بقوله (صاعقة) أي نزلت بهم إذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم، منهم من تقدم زمانه ومنهم من تأخر عنه، وقال الفراء: انت الرسل إياهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم أي وجاءتهم انفسهم رسل من بعد اولئك الرسل فيكون الهاء والميم في خلفهم للرسل، ويكون لهم بجعل ما خلفهم ما معهم. وقال قوم: معناه قبلهم وبعد أن بلغوا وتعبدوا بأمر الرسل الذين تقدموهم، قال البلخي: ويجوز أن يكون المراد أتهم اخبار الرسل من ههنا وههنا مع ما جاءهم منهم (ألا تعبدوا إلا الله) أي ارسلناهم بأن لا يعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وألا يشركوا بعبادته غيره، فقال المشركون عند ذلك (لو شاء ربنا) أن نؤمن ونخلع الانداد " لا نزل ملائكة " يدعوننا إلى ذلك ولم يبعث بشرا مثلنا، فكأنهم انفوا من الانقياد لبشر مثلهم وجهلوا أن الله يبعث الانبياء على ما يعلم من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام بها وقالوا لهم ايضا (إنا) معاشر قومنا (بما أرسلتم به) من إخلاص العبادة والتوحيد (كافرون) جاحدون، ثم فصل تعالى اخبارهم فقال (فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي تجبروا وعتوا وتكبروا على الله بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح (وقالوا من أشد منا قوة) لما كان الله تعالى اعطاهم من فضله قوة تقوا بها على اهل زمانهم، فقال الله تعالى (او لم يروا)

(ج ٩ م ١٥ التبيان)

### (١١٤)

ومعناه او لم يعلموا (ان الله الذي خلقهم) واخترعهم وخلق فيهم هذه القوة (اشد منهم قوة) واعظم اقتدارا (وكانوا) مع ذلك (بآيات الله) وادلته (يجحدون) أي ينكرونها، ولا يعترفون بها. قوله تعالى:

(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أجزى وهم لا ينصرون (١٦) وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧) ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (١٨) ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون (١٩) حتى إذا ما جاؤاها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.



الحسن بالنصب على تقدير هديناثمود هديناهم، والرفع اجود، لان (اما) لا يقع بعدها إلا الاسماء، فالنصب ضعيف. والمعنى واما ثمود دللناهم على طريق الرشاد فعدلوا عنها إلى طريق الغي والفساد، والهدي يتصرف على وجوه بينهاها في ما مضى. وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد: معناه بينا لهم، وإنما لم يصرف ثمود لانه اسم القبيلة او الامة، وهو معرفة. وإنما رفع لان (أما) رفع الاسم بعدها اولى.

وقوله (فاستحبوا العمى على الهدى) معناه اختاروا العمى على طريق الحق والاهتداء اليها وبئس الاختيار ذلك - وهو قول الحسن.

وفى الآية دلالة على بطلان قول المجبرة في ان الله يضل الكفار عن الدين ولا يهديهم اليه لانه صرح بأنه هدى ثمود إلى الدين وانهم اختاروا العمى على الهدى، وذلك واضح لا اشكال فيه. وقوله (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون)

أي ارسل عليهم الصاعقة التي بعثها للعذاب دون غيره، والهون والهوان واحد - في قول ابي عبيدة - وقال السدي: معناه الهوان (بما كانوا يكسبون) أي جزاء على ما كسبوه من الشرك والكفر.

وقوله (ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اخبار من الله تعالى انه خلص من جملتهم من آمن بالله واتقى معاصيه خوفا من عقابه نجاهم الله من ذلك العذاب.

ثم قال تعالى (ويوم يحشر اعداء الله) يبعثون وهو يوم القيامة. فمن قرأ بالنون فعلى الاخبار من الله عن نفسه بذلك. ومن قرأ بالياء المضمومة فعلى انهم يبعثون ويجمعون إلى النار (فهم يوزعون) أي يمنعون من التفرق ويحبسون ويكفون، يقال: وزعت الرجل إذا منعته، ومنه قول الحسن لأبد للناس من وزعة وقوله (اوزعني) أي الهمني. وقول الشاعر:

## (١١٧)

وإني بها إذا المعارج موزع ويروى موزع (حتى إذا ماجأوها) معناه حتى إذا أتى هؤلاء الكفار النار، و اراد الله إلقاءهم فيها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) وقيل: في شهادة هذه الجوارح قولان:

أحدهما - انها تبنى بنية حي وتلجأ إلى الشهادة والاعتراف بما فعله اصحابها.  
والآخر - ان يفعل فيها الشهادة ويضاف اليها مجازا.

ووجه ثالث - قال قوم: إنه يظهر فيها امارات تدل على كون اصحابها مستحقين للنار، فسمى ذلك شهادة مجازا. كما يقال: عيناك تشهد بسهرك أي فيها ما يدل على سهرك. وقيل: المراد بالجلود الفروج، على طريق الكناية. وقيل:

لا: بل الجلود المعروفة وهو الظاهر.

قوله تعالى:

(وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٢١)

وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (٢٢)

وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أردىكم فأصبحتم من الخاسرين (٢٣) فان يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (٢٤) وقبضنا لهم قرناء فزينوا له ا بين أيديهم

## (١١٨)

وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

هذا حكاية من الله من الكفار في الآخرة بعد ما شهدت عليهم ابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون من المعاصي في دار الدنيا أنهم يقولون (لجلودهم لم شهدتم علينا) منكبين عليهم إقامة تلك الشهادة. وقيل: اشتقاق الجلد من التقوية من قولهم: فلان يتجلد على كذا، وهو جلد أي قوي، فتقول جلودهم في الجواب عن ذلك (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فالانطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالالقاء إلى النطق أو الدعاء اليه. فهؤلاء يلجئهم الله إلى ان ينطقوا بالشهادة. والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام، ولذلك لا يوصف تعالى بأنه ناطق، وإن وصف بأنه متكلم. ومعنى (أنطق كل شيء) أي كل شيء لا يمتنع منه النطق كالأعراض والموات، والفائدة في الاخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم في ما ينزل بهم من الفضيحة



بشهادة جوارحهم عليهم بما كانوا يعملون من الفواحش. فلم يكن عندهم في ذلك أكثر من هذا القول الذي لا ينفعهم وقال قوم: إن الجوارح تشهد عليهم حين يجحدون ما كان منهم. وقوله (وهو خلقكم أول مرة) اخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بأنه الذي خلقهم في الابتداء (واليه ترجعون) في الآخرة إلى حيث لا يملك احد النهي والامر سواه. وقوله (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) قال مجاهد (وما كنتم تستترون) أي تتقون. وقال السدي: معناه لم تكونوا في دار الدنيا تستخفون عن معاصي الله بتركها. وقيل: إن الآية نزلت في ثلاثة

### (١١٩)

نفر تساروا، فقال بعضهم لبعض: أترى الله يسمع إسرارنا؟ وقال الفراء: معناه لم تكونوا تخافون ان تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها ولم تكونوا تقدرُوا على الاستتار منها، ويكون على وجه التغيير أي ولم تكونوا تستترون منها. وقوله (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وصف لهؤلاء الكفار بأنهم ظنوا انه تعالى يخفى عليه أسرارهم ولا يعلمها، فبين الله بذلك جهلهم به تعالى، وانهم وإن علموه من جهة انه قادر غير عاجز وعالم بما فعلوا فاذا ظنوا انه يخفى عليه شئ منها فهو جاهل على الحقيقة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وفي قراءة عبدالله (ولكن زعمتم) قال الفراء: الزعم والظن يكونان بمعنى واحد وقد يختلفان. ثم حكى ما يخاطبهم به فانه يقال لهم (وذلكم ظنكم) معاشر الكفار (الذي ظننتم بربكم أراكم) أي اهلككم يقال: ردى فلن يردى إذا هلك قال الاعشى:

أي الطوف خفت علي الردى \* وكم من رد أهله لم يرم (١)

وقوله (فاصبحتم من الخاسرين) معناه فظللتم من جملة من خسر في تجارته لانكم خسرتم الجنة وحصل لكم النار. ثم قال (فان يصبروا فالنار مثوى لهم)

قال البلخي: معناه فان يتخيروا المعاصي فالنار مصير لهم، وقال قوم: معناه وإن يصبروا في الدنيا على المعاصي فالنار مثواهم (وإن يستعتبوا) - بضم الياء - قرأ به عمرو ومعناه إن طلب منهم العتبي لم يعتبوا أي لم يرجعوا ولم ينزعوا.

وقال قوم: المعنى فان يصبروا أو يجزعوا فالنار مثوى لهم، (وإن يستعتبوا) معناه فان يجزعوا فيستعتبوا (فماهم من المعتبين) لانه ليس يستعتب إلا من قد جزع مما قد اصابه، فطلب العتبي حينئذ، كما قال (اصلوها فاصبروا او لا تصبروا

(١٢٠)

سواء عليكم) (١) ومعنى الآية (فان يصيروا) على ما هم فيه فمقامهم في النار (وإن يستعتبوا) أي وإن يطلبوا العتبي وهي الرضا (فما هم من المعتبين) أي ليس بمرضي عنهم، لان السخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم وزال التكليف عنهم، فليس لهم طريق إلى الاعتاب، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل.

وقوله (وقيضنا لهم قرناء فزيناوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم) قال الحسن:

معناه خلينا بينهم وبين الشياطين الذين اغووهم ودعوهم إلى ما استوجبوا العقاب به، ولم نمنعهم منهم، جزاء على ما استحقوه من الخذلان، فمعنى (قيضنا) خلينا ومكنا. قال الجبائي: (التقييض) إحواج بعض العباد إلى بعض كحاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل، وكحاجة الغني إلى الفقير يستعمله وحاجة الفقير إلى ان يستعمله الغني وغير ذلك من احواج بعضهم إلى بعض. وقال قوم: التقييض المماثلة، والمقايضة المقايضة، قال الشماخ:

تذكرت لما اتقل الدين كاهلي \* وغاب يزيد ما اردت تعذرا

رجالا مضوا عني فلست مقايضا \* بهم أبدا من سائر الناس معشرا

فالمعنى على هذا إنا نضم إلى كل كافر قرينا له من الجن مثله في الكفر في نار جهنم كما قال

(ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) (٢)

ومعنى (فزيناوا لهم) يعني فعل اهل الفساد الذين في زمانهم، وفعل من كان قبلهم، وقيل (ما

بين ايديهم) من أمر الدنيا (وما خلفهم) من أمر الآخرة - في قول الحسن والسدي - وذلك

بدعائهم إلى انه لا بعث ولا جزاء. وقال الفراء (فزيناوا لهم ما بين ايديهم) من أمر الآخرة،

فقالوا: لا جنة ولا نار

---

(١) سورة ٥٢ الطور آية ١٦ (٢) سورة ٤٣ الزخرف آية ٣٦ (\*)

(١٢١)

ولا بعث ولا حساب (وما خلفهم) من امر الدنيا فزيناوا لهم اللذات وجمع الاموال وترك انفاقها في سبيل الله. وقيل: زيناوا لهم اعمالهم التي يعملونها، وهي (ما بين ايديهم) وزيناوا لهم ما عزموا عليه أن يعملوه وهو (ما خلفهم).

وقوله (وحق عليهم القول) يعني وجب عليهم القول بتصويرهم إلى العذاب الذي كان اخبر انه

يعذب به من عصاه (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) أي حق على هؤلاء الكفار

وعلى امم من الجن والانس انهم متى عصوا الله حق القول بأنهم يعاقبون. ثم قال تعالى (انهم

كانوا خاسرين) خسروا الجنة وحصلت لهم النار.

قوله تعالى:

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (٢٨)  
وقال الدين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين (٢٩) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف (ج ٩ م ١٦ من التبيان)

### (١٢٢)

حكى الله تعالى عن الكفار انهم يقول بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) الذي يقرؤه محمد (صلى الله عليه وآله) ولا تصغوا إليه (والغوا فيه) لكي تغلبوه، ويجوز ان تغلبوه فاللغو هو الكلام الذي لا معنى له يستفاد، وإلغاء الكلمة إسقاط عملها، ويقال: لغا يلغو لغوا، ولغا، قال الراجز:  
عن اللغا ورفث التكلم (١)

وإذا كانت جملة الكلام لغوا لا فائدة فيه لم يحسن وإذا كان تأكيدا لمعنى تقدم - وإن لم يكن له معنى في نفسه مفرد - حسن لأنه يجري مجرى المتمم للكلمة التي تدل معها على المعنى، وإن لم يكن له معنى في نفسه. وقال مجاهد: قالوا خلطوا عليهم القول بالمكاء والصفير، وقال غيره: هو الضجيج والصياح، وأقسم تعالى فقال (فلنذيقن الذين كفروا) بالله وجحدوا آياته (عذابا شديدا ولنجزينهم

أسوأ الذي كانوا يعملون) قيل: معناه أسوأ الذي كانوا يعملون من المعاصي من جملة ما كانوا يعملون دون غيرها مما لا يستحق به العقاب. وقال قوم: خص بذلك الكبائر - زجرا وتغليظا - بعينها. واقتصر في الصغير على الجملة في الوعيد. ثم قال (ذلك) يعني ما تقدم الوعيد به (جزاء اعداء الله) الذين عادوه بالعصيان وكفروا به، وعادوا أولياءه: من الانبياء والمؤمنين وهي (النار) والكون فيها. ف (النار) رفع بأنه بدل من قوله (ذلك) جزاؤهم وهو دخولهم فيها (لهم فيها دار الخلد) أي منزل دوام وتأييد (جزاء) لهم وعقوبة على كفرهم به تعالى في الدنيا وجددهم لآياته. قال الفراء: هو كقولهم: لاهل الكوفة فيها دار سالحة، والدار هي الكوفة، وحسن ذلك لما اختلف لفظاهما، فكذلك قوله (ذلك جزاء اعداء الله النار) ثم قال (لهم فيها دار الخلد) وهي النار بعينها.

(١) مرفي ٢ / ١٣٢، ١٦٤، ٢٣٠ و ٧ / ١٣٨ و ٨ / ١٦٣ (\*)

### (١٢٣)

وفي قراءة عبدالله (ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد)، فهذا بين لا شئ فيه لان الدار هي النار، فأعداء الله العصاة الذين يعاديهم الله - عزوجل - وليس هو من عداوة الانسان لغيره إلا أن يراد به أنه يعمل عمل المعادي، كما قال (يخادعون الله والذين آمنوا..) (١). ثم حكى ما يقول الكفار ايضا، فانهم يقولون (ربنا ارنا للذين اضلانا من الجن والانس) قيل: أراد به إبليس الالبسة وهو رأس الشياطين، وابن آدم الذي قتل أخاه، وهو قابيل. روي ذلك عن علي (عليه السلام)، لان قابيل أسس الفساد في ولد آدم. وقيل: هم الدعاة إلى الضلال من الجن والانس.

وقوله (نجعلهما تحت أقدامنا) انهم لشدة عداوتهم وبغضهم لهم بما أضلوهم وأغوهم يتمنون ان يجعلوهما تحت اقدمهم ويطؤهم (ليكونا من الاسفلين) وقيل: المعنى فيكونا في الدرك الاسفل من النار.

وقوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) اخبار منه تعالى أن الذين يقرون بلسانهم بتوحيد الله ويصدقون أنبياءه ويعترفون بالله (يقولون ربنا الله ثم استقاموا) أي استمروا على ما توجبه الربوبية. وقال الحسن وقتادة وابن زيد: معناه ثم استقاموا على طاعة الله (تتنزل عليهم الملائكة) قال مجاهد والسدي: يعني عند الموت. وقال الحسن: تنزل عليهم الملائكة تستقبلهم إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة. ويقولون لهم (لا تخافوا) عقاب الله " ولا تحزنوا " لفوات الثواب (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها في دار الدنيا جزاء على الطاعات. وموضع (أن لا تخافوا) النصب وتقديره تنزل عليهم والملائكة بأن لا تخافوا، فلما حذف الباء نصب، وفي قراءة عبدالله (لا تخافوا) بلا (أن)

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٩ (\*)

### (١٢٤)

قبلها، وتقديره يقولون لهم: لا تخافوا، وقال مجاهد: معنى لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما تخلفونه في دار الدنيا. وقيل البشرى في ثلاثة مواضع: عند الموت، وفي القبر، وفي البعث. قوله تعالى:

(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢) ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها إلا ذوحظ عظيم) (٣٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى أن الملائكة تنزل على المؤمنين المستقيمين على طاعة الله التاركين لمعصيته وتبشرهم بالجنة وتؤمنهم من عقاب الله. ذكر أيضا أنهم يقولون لهم مع ذلك (نحن أولياؤكم) وهو جمع ولي أي انصاركم واحباؤكم في الحياة الدنيا وأولياؤكم أيضا في الآخرة، ففي ذلك البشارة للمؤمنين بمودة الملائكة لهم وفي الآية بشارة لهم بنيل مشتاهم في الجنة. وتقيد الآية وجوب اعتقاد تودد الملائكة إلى من كان مستقيما على طاعته. وفيها حجة على شرف الاستقامة بالطاعة على كل ما عداه من أعمال العباد يتولى الملائكة لصاحبه من اجله.

### (١٢٥)

وقوله (ولكم فيها ما تشتهي انفسكم) يعني ما تشتهونه وتتمنونه من المنافع ما تدعي انه لك فهو لك بحكم الله لك بذلك. وقوله (نزلا من غفور رحيم) تقديره انزلكم ربكم في ما تشتهون من النعمة نزلا. فيكون نصبا على المصدر. ويجوز ان يكون نصبا على الحال، وتقديره: لكم فيها ما تشتهي انفسكم منزلا كما تقول: جاء زيد مشيا تريد ماشيا. وقال الحسن (نزلا من غفور رحيم) ليس منا. وقيل: معناه ان هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلاله لمعطيته بعد ان غفر الذنب حتى صار بمنزلة مالم يكن رحمة منه لعباده فهو أهنأ لك واكمل للسرور به.

وقوله " ومن احسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين " صورته صورة الاستفهام، ونصب " قولاً " على التفسير، ومعناه النفي وتقديره وليس أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى طاعة الله واطاف إلى ذلك أن يعمل الاعمال الصالحات، ويقول مع ذلك إنني من المسلمين الذين استسلموا لامر الله وانقادوا إلى طاعته. وقيل: المعنى بالآية النبي (صلى الله عليه وآله) لانه الداعي إلى الله.

وروي أنها نزلت في المؤذنين. وفي الآية دلالة على من يقول: أنا مسلم إن شاء الله من أصحاب عبدالله بن مسعود، لانه لا أحد احسن قوله منه، فيجب عليه أن يقول: إنني مسلم ويقطع في الحكم إذا لم يكن فاسقا.

ثم قال " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة " أي لا يتماثلان، ودخلت (لا) في " ولا السيئة " تأكيدا. وقيل: دخلت لتحقيق انه لا يساوي ذا ذلك، ولا ذاك ذا، فهو تبعيد المساواة. وقوله " أدفع بالتتي هي احسن " أمر للنبي (صلى الله عليه وآله) ان يدفع بالتتي هي احسن

### (١٢٦)

وقيل: معنى الحسنه - ههنا - المداراة. والسيئة المراد بها الغلظة. فأدب الله تعالى عباده بهذا الادب. ثم قال " فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " معناه دار القوم ولا تغلظ عليهم حتى كأن عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك من حسن عشرتك له وبشرك له. ويدعو ذلك ايضا عدوك إلى أن يصير لك كالولي الحميم. وقيل: المراد ان من اساء اليك فأحسن اليه ليعود عدوك وليك. وكأنه حميمك. والحميم القريب الذي يحم لغضب صاحبه. وقوله " وما يلقاها إلا الذين صبروا " معناه ما يعطى هذه الخصلة في رفع السيئة بالحسنه إلا ذو نصيب في الخير عظيم. وقيل: معناه وما يلقاها يعني البشرى بالجنة والامان من العذاب إلا الذين صبروا على طاعة الله والجهاد في دينه " وما يلقاها " ايضا " إلا ذو حظ عظيم " من الثواب والخير وقد لقي الله تعالى جميع الخلق مثل ما لقي من صبر، غير ان فيهم من لم يتلقه كما يتلقاه من صبروا وقبلوا ما امرهم الله به. قوله تعالى:

(وإما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم (٣٦) ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٣٧) فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون (٣٨) ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن

### (١٢٧)

الذي أحيها لمحبي الموتى إنه على كل شئ قدير (٣٩) إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنة يوم القيمة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قوله " واما ينزغناك " اصله (إن) التي للشرط وزيد عليها (ما) تأكيدا فاشبه ذلك القسم، فلذلك دخلت نون التأكيد في قوله " ينزغناك " كما تقول:

والله ليخرجن. والنزغ النخس بما يدعوا إلى الفساد ومنه قوله " من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي " (١) فنزغ الشيطان وسوسته ودعاؤه إلى معصية الله بايقاع العداوة بين من يجب موالاته، يقال نزغ ينزغ نزغا فهو نازغ بين رجلين.

وفلان ينزغ فلانا كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب. والمعنى وإن ما يدعوك إلى المعاصي نزغ من الشيطان بالاغواء والسوسة " فاستعذ بالله " ومعناه اطلب الاعتصام من شره من جهة الله واحذر منه وامتنع من جهته بقوة الله، فنحن نستعيز بالله من شر كل شيطان وشر كل ذي شر من انس وجان.

وقوله " إنه هو السميع العليم " يعني انه سميع لاقوالكم من الاستعاذة وغيرها عليم بضمائركم قادر على إجابة دعائكم وقوله " ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر " معناه ومن أدلته وحججه الباهرة الدالة على توحيده وصفاته التي باين بها خلقه الليل بذهاب الشمس عن بسيط الارض والنهار بطلوعها على وجهها بالمقادير التي أجريا عليه ورتبا فيه بما يقتضي تدبير عالم بهما قادر على تصریفهما،

(١) سورة ١٢ يوسف آية ١٠٠ (\*)

(١٢٨)

لان ذلك لا يقدر عليه غير الله. والشمس والقمر وجه الدلالة فيهما أن الاجرام الثقيلة لا تقف بغير عمد ولا تتصرف على غير قرار ولا عماد إلا أن يصرفهما قادر ليس كالقادرين من الاجسام التي تحتاج في نقلها وتمسكها إلى غيرها، وكل جسم ثقيل يصرف من غير عماد فمصرفه هو الله تعالى. والافعال الدالة على الله تعالى على وجهين:

احدهما - ما لا يقدر عليه إلا هو كخلق الحياة والقدرة والاجسام وغير ذلك والآخر - أنه إذا وقع على وجه مخصوص لا يتأتى من القادر بقدرة وإن كان جنسه مقدورا للعباد كتسكين الارض من غير عمد وتصرف الشمس والقمر بكونها مرة صاعدة ومرة هابطة ومرة طالعة ومرة غاربة مع ثقل أجرامهما وبعدهما من عماد لها اعظم دلالة على ان لهما مصرفا ومدبرا لا يشبههما ولا يشبهه شيء. قال تعالى " لا تسجدوا للشمس ولا للقمر " كما يفعل قوم من المجوس بل " اسجدوا لله الذي خلقهن " وانشاهن. وإنما قال " خلقهن " لانه أجري مجرى جمع التكسير، ولم يغلب المذكر على المونث، لانه في ما لا يعقل. وقال الزجاج: تقديره الذي خلق هذه الآيات " إن كنتم إياه تعبدون " أي ان كنتم تقصدون بعبادتكم الله فوجهوا العبادة اليه دون الشمس والقمر. ثم قال " فان استكبروا " يعني هؤلاء الكفار أي تكبروا عن توجيه العبادة إلى الله وابوا إلا عبادة الاصنام " فالذين عند ربك " يعني من الملائكة " يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون " أي لا يفترون من عبادته ولا يملونه. والسجود عند اصحابنا عند قوله " إن كنتم إياه تعبدون "

وهو مذهب أبي عمرو بن العلاء. وعند الباقيين عند قوله " وهم لا يسأمون ".

ثم قال تعالى " ومن آياته " أي من ادلته الدالة على توحيده وإخلاص العبادة له " إنك ترى الارض خاشعة " يعني دارسة مهشمة - في قول قتادة

(١٢٩)

والسدي - والخاشع الخاضع فكان حالها حال الخاضع المتواضع " فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت " أي تحركت بالذبات " وربت " قال السدي: معناه انفتحت وارتفعت قبل ان تثبت. وقرئ " ربأت " بمعنى عظمت، ومعنى ربأت ارتفعت - ذكره الزجاج - ثم قال " إن الذي أحياها " يعني من أحيا الأرض بما انزله من الماء حتى تثبت " لمحبي الموتى " مثل ذلك بعد ان كانوا أمواتا ويرد فيها الأرواح، لانه قادر على ذلك. ومن قدر على ذلك قدر على هذا، لانه ليس احدهما بأعجب من الآخر " انه على كل شئ قدير " يصح أن يكون مقدورا له، وهو قادر لا تتناهى مقدوراته.

ثم قال " إن الذين يلحدون في آياتنا " معناه الذين يميلون عن الحق في أدلتنا يقال: الحد يلحد إلحادا. وقيل: لحد يلحد أيضا. وقال مجاهد: معناه ما يفعلونه من المكاء والصفير. وقال ابوروق: يعني الذين يقعون فيه " لا يخفون علينا " بل نعلمهم على التفصيل، لا يخفى علينا شئ من احوالهم.

ثم قال على وجه الإنكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم " أفمن يلقى في النار " جزاء على كفره ومعاصيه " خير أم من يأتي آمنا " من عذاب الله جزاء على معرفته بالله وعمله بالطاعات. ثم قال " اعملوا ما شئتم " ومعناه التهديد وإن كان بصورة الامر، لانه تعالى لم يخيرنا، ويجبنا أن نفعل ما شئنا، بل نهانا عن القبائح كلها. ثم قال " إنه بما تعملون بصير " أي عالم بأفعالكم لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم بحسبها. قوله تعالى:

(إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب (ج ٩ م ١٧ من التبيان)

### (١٣٠)

عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢) ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٤٣) ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد (٤٤) ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب (٤٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ " أعجمي وعربي " على الخبر حفص والحلواني عن هشام وابن مجاهد عن قنبل في غير رواية ابن الحمامي عن بكار. الباقرن بهمزتين. وحفهما اهل الكوفة إلا حفصا وروح. والباقرن بتخفيف الاولى وتليين الثانية. وفصل بينهما بألف اهل المدينة إلا ورشا وابوعمر. ومن قرأ بلفظ الاستفهام اراد الإنكار، فادخل حرف الاستفهام على الف " أعجمي " وهي الف



قطع. ومن حققها، فلانها الاصل. ومن خففهما او فصل بينهما فلكراهة اجتماع الهمزتين. ومن قرأ على الخبر، فالمعنى هلا كان النبي عربيا والقرآن اعجميا. والنبي اعجميا والقرآن عربيا، فكان يكون ابهر في باب الاعجاز.

يقول الله تعالى مخبرا " إن الذين كفروا بالذكر " الذي هو القرآن وجدوه وسمي القرآن ذكرا، لانه تذكر به وجوه الدلائل المؤدية إلى الحق، والمعاني التي

### (١٣١)

يعمل عليها فيه. واصل الذكر ضد السهو وهو حضور المعنى للنفس " لما جاءهم " أي حين جاءهم، وخبر (ان) محذوف، وتقديره: إن الذين كفروا بالذكر هلكوا به وشقوا به ونحوه. وقيل تقديره: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به، فحذف لدلالة الكلام عليه. وقيل خبره " أولئك ينادون من مكان بعيد " وقيل قوله " وانه لكتاب عزيز " في موضع الخبر، وتقديره الكتاب الذي جاءهم عزيز، وقوله " وانه " الهاء كناية عن القرآن، والمعنى وإن القرآن لكتاب عزيز بأنه لا يقدر احد من العباد على ان يأتي بمثله، ولا يقاومه في حججه على كل مخالف فيه. وقيل: معناه إنه عزيز باعزاز الله - عزوجل - اياه اذ حفظه من التغيير والتبديل. وقيل: هو عزيز حيث جعله على أتم صفة الاحكام. وقيل:

معناه انه منيع من الباطل بما فيه من حسن البيان ووضوح البرهان، ولان احكامه حق يقضي بصحتها العقل.

وقوله " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " قيل في معناه اقوال خمسة:

احدها - انه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقضة وهو الحق المخلص والذي لا يليق به الدنس.

والثاني - قال قتادة والسدي: معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا.

الثالث - ان معناه لا يأتي بشئ يوجب بطلانه مما وجد قبله ولا معه ولا مما يوجد بعده. وقال الضحاك: لا يأتيه كتاب من بين يديه يبطله ولا من خلفه أي ولا حديث من بعده يكذبه.

الرابع - قال ابن عباس: معناه لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره.

والخامس - ان معناه لا يأتيه الباطل في اخباره عما تقدم ولا من خلفه

### (١٣٢)

ولا عما تأخر.

ثم وصف تعالى القرآن بأنه " تنزيل من حكيم حميد " فالحكيم هو الذي افعاله كلها حكمة فيكون من صفات الفعل، ويكون بمعنى العالم بجميع الاشياء واحكامها فيكون من صفات

الذات. و (الحميد) هو المحمود الذي يستحق الحمد والشكر على جميع افعاله لان افعاله كلها نعمة يجب بها الشكر.

وقوله " ما يقال لك الا ما قد قيل للرسول من قبلك " قيل في معناه اقوال:

احدها - من الدعاء إلى الحق في عبادة الله تعالى ولزوم طاعته.

والثاني - ما حكاه تعالى بعده من " ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم " فيكون على جهة الوعد والوعيد.

والثالث - قال قتادة والسدي: وهو تعزية للنبي (صلى الله عليه وآله) بأن ما يقول لك المشركون مثل ما قال من قبلهم من الكفار لانبيائهم من التكذيب والجدد لنبوتهم.

وقوله " ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم " أي وقد يفعل العقاب بالعصاة من الكفار قطعاً ومن الفساق على تجويز عقابهم، فلا ينبغي ان يغتروا ويجب عليهم أن يتحرزوا بترك المعاصي وفعل الطاعات.

ثم قال تعالى " ولو جعلناه " يعني الذكر الذي قدم ذكره " قرآنا أعجميا " أي مجموعاً بلغة العجم، يقال: رجل أعجمي إذا كان لا يفصح وإن كان عربي النسب، وعجمي إذا كان من ولد العجم وإن كان فصيحاً بالعربية. قال ابو علي:

يجوز ان يقال: رجل أعجمي يراد به اعجم بغير ياء كما يقال: أحمري واحمر، ودواري ودوار " قالوا لولا فصلت آياته " ومعناه هلا فصلت آياته وميزت. وقالوا " اعجمي وعربي " أي، قالوا القرآن أعجمي ومحمد عربي - ذكره سعيد بن جبير - وقال السدي: قالوا اعجمي وقوم عرب. ومن قرأ على الخبر حمله على أنهم يقولون ذلك

### (١٣٣)

مخبرين. ومن قرأ على الاستفهام أراد انهم يقولون ذلك على وجه الانكار، وإنما قوبل الاعجمي في الآية بالعربي، وخلاف العربي العجمي لان الاعجمي في انه لا يبين مثل العجمي عندهم من حيث اجتماعاً في انهما لا يبينان، قوبل به العربي في قوله " أعجمي وعربي " وحكى ان الحسن قرأ " اعجمي " بفتح العين قابل بينه وبين قوله " وعربي " فقال الله تعالى لنبيه " قل " لهم يا محمد " هو " يعني القرآن " للذين آمنوا " بالله وصدقوا بتوحيده وأقروا بنبوة نبيه " هدى " يهتدون به " وشفاء " من سقم الجهل " والذين لا يؤمنون " بالله ولا يصدقون بتوحيده " في آذانهم وقر " يعني ثقل إذهم بمنزلة ذلك من حيث لم ينتفعوا بالقرآن فكانهم صم او في آذانهم ثقل " وهو عليهم عمى " حيث ضلوا عنه وجاروا عن تدبيره فكانه عمى لهم. وقوله " اولئك ينادون من مكان بعيد " على وجه المثل، فكانهم الذين ينادون من مكان بعيد ويسمعوا الصوت ولا يفهموا المعنى من حيث لم ينتفعوا به. وقال مجاهد: لبعده عن

قلوبهم. وقال الضحاك: ينادون الرجل في الآخرة كبأشنع اسمائه، وقيل: معناه أولئك لا يفهمون ذلك كما يقال لمن لا يفهم شيئاً:  
كبأنك تتادى من مكان بعيد.

ثم أقسم تعالى بأنه أنى " موسى الكتاب " يعني التوراة " فاختلف فيه " لأنه آمن به قوم وجدوه آخرون، تسلياً للنبي (صلى الله عليه وآله) عن جحود قومه وإنكارهم نبوته. ثم قال " ولو لا كلمة سبقت من ربك " في أنه لا يعاجلهم بالعقوبة وأنه يؤخرهم إلى يوم القيامة " لقضي بينهم " أي لفصل بينهم بما يجب من الحكم.

ثم أخبر عنهم فقال: وإنهم لفي شك منه " يعني مما ذكرناه " مريب " يعني أقبح الشك لأن الريب أفضع الشك. وفي ذلك دلالة على جواز الخطأ على أصحاب المعارف لأنه تعالى بين أنهم في شك وأنهم يؤخذون مع ذلك.

### (١٣٤)

قوله تعالى:

(من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد (٤٦) إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد (٤٧) وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص (٤٨) لا يسئم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط (٤٩) ولئن أدقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة وابن عار وحفص " ثمرات " على الجمع. الباقر " ثمرة " على التوحيد من قرأ على الجمع فلا ختلاف أجناس الثمار، ولأنه في المصاحف مكتوباً بتاء ممدودة. ومن وحده قال: الثمرة تفيد الجمع والتوحيد فلا يحتاج إلى الجمع، لأنه في مصحف عبد الله مكتوب بالهاء، و " الاكمام " جمع (كم) في قول الفراء، و (كمة) في قول أبي عبيدة. وهي الكفري. قال ابن خالويه: يجوز أن يكون (الاكمام) جمع (كم) و (كم) جمع كمة، فيكون جمع الجمع.

### (١٣٥)

يقول الله تعالى " من عمل صالحاً " أي فعل افعلها هي طاعة " فلنفسه " لأن ثوابه واصل إليه، وهو المنتفع به دون غيره " ومن أساء " يعني فعلاً قبيحاً، من الاساءة إلى غيره أو غيرها " فعليها " أي فعلى نفسه لأن وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره.

ثم قال تعالى على وجه النفي عن نفسه مالا يليق به من فعل القبيح والتمدح به " وما ربك " أي وليس ربك " بظلام للعبيد " وإنما قال (بظلام)

على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه مع انه لا يفعل مثقال ذرة لأميرين: احدهما - انه لو فعل فاعل الظلم، وهو غير محتاج اليه مع علمه بقبحه وبأنه غني لكان ظلاما، وما هو تعالى بهذه الفصاة لانه غني عالم.

الثاني - إنه على طريق الجواب لمن زعم انه يفعل ظلم العباد. فقال: ما هو بهذه الصفة التي يتوهمها الجاهل، فيأخذ احدا بذنب غيره، والظلام هو الفاعل لما هو من افحش الظلم. والظالم من فعل الظلم، وظالم صفة ذم، وكذلك قولنا فاعل الظلم هما سواء، وكذلك آثم فاعل الاثم، وسيئ فاعل الاساءة.

وقوله " اليه يرد علم الساعة " معناه اليه يرد علم الساعة التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي فاحذروها قبل ان تأتي، كما يرد اليه علم إخراج الثمار وما يكون من الاولاد والنتاج، فذاك غائب عنكم وهذا مشاهد لكم، وقد دل عليه ولزم، وكل من سئل متى قيام الساعة؟ وجب أن يقول: الله تعالى العالم به حتى يكون قد رده إلى الله " وما يخرج من ثمرة من اكمامها " معناه وعنده علم ذلك. وآكمام الثمرة وعائها الذي تكون فيه. وقيل: الآكمام جمع كمة، وهو الطرف المحيط بالشئ. وقال الحسن: الآكمام - ههنا - ليف النخيل. وقيل: من آكمامها معناه خروج الطلع من قشره " وما تحمل من أنثى وما تضع إلا بعلمه " أي وعنده

### (١٣٦)

تعالى علم ما تحمله كل انثى من حمل ذكرا كان او انثى ولا تضع الانثى إلا بعلمه أي إلا في الوقت الذي علمه انه تضع فيه.

وقوله (ويوم يناديهم اين شركائي) أي ويوم يناديهم مناد اين شركاء الله الذين كنتم تعبدونهم من دون الله (قالوا أذناك ما منا من شهيد) معناه إنهم يقولون اعلمناك مامنا من شهيد لمكانهم. ثم بين ذلك فقال (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص) قال السدي: معناه ايقنوا وقال ابن عباس أذناك معناه أعلمناك. وقيل المنادي هو الله تعالى، وقال السدي:

مامنا من شهيد ان لك شريكا. وقيل: معناه أذناك اقررنا لك مامنا من شهيد بشريك له معك. وقيل قوله أذناك من قول المعبودين مامنا من شهيد لهم بما قالوا:

وقيل هذا: من قول العابدين مامنا من شهيد بأنهم آلهة. وقال آخرون: يجوز ان يكون العابدون والمعبودون يقولون ذلك.

وقوله (وظنوا مالهم من محيص) أي ايقنوا ليس لهم من مخلص.

ودخل الظن على (ما) التي للنفي كما تدخل (علمته) على لام الابتداء، وكلاهما له صدر الكلام.

وقوله (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أي لا يمل الانسان من طلب المال وصحة الجسم - وهو قول ابن زيد - وقال بعضهم: معناه لا يمل الانسان من الخير الذي يصيبه (وإن مسه الشر) أي إن ناله بذهاب مال أو سقم في جسمه (فيؤس قم ط) أي يقنط من رحمة الله ويأس من روحه، ففي ذلك إخبار عن سرعة؟ الانسان وتنقله من حال إلى حال. ثم قال تعالى (ولئن أدقناه رحمة منا) يعني لئن أدقنا الانسان نعمة وأنلناه إياها (من بعد ضراء مسته) أي من بعد شدة لحقته (ليقولن هذا لي) قال مجاهد: يقول أنا حقيق بهذا الفعل (وما

### (١٣٧)

اظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي ان لي عند للحسنى) أي لو قامت لكان لي الحسنى يعني الجنة. فقال الله تعالى على وجه التهديد لمن هذه صفته (فلننبئن الذين كفرا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أي فلنجزين الكفار بعد ان نعلمهم ما عملوه من كفرهم ومعاصيهم ثم نجازيهم عليها بأن نذيقهم من عذاب غليظ قدر ما يستحقونه. قوله تعالى:

(وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأ بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض (٥١) قل رأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد (٥٢) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (٥٣) ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط) (٥٤) أربع آيات بلا خلاف. اخبر الله تعالى عن جهل الانسان الذي تقدم وصفه بمواضع نعم الله وما يجب عليه من الاعتراف بشكره، بتركه النظر المؤدي إلى معرفته، فقال (وإذا أنعمنا على الانسان) بنعمة من اعطاء مال أو ولد أو صحة جسم (اعرض) عن القيام بشكر الله على ذلك حسب ما يلزمه (ونأ بجانبه) أي بعد بجانبه كبرا وتجبرا عن الاعتراف بنعم الله. وقيل: معناه وبعد عن الواجب (وإذا مسه الشر) يعني إذا ناله مرض أو مصيبة في مال أو نفس (فذو دعاء عريض) قال السدي يدعو (ج ٩ م ١٨ من التبيان)

### (١٣٨)

الله كثيرا عند ذلك. وإنما قال (فذو دعاء عريض) ولم يقل: طويل، لانه ابلغ، لان العرض يدل على الطول، ولا يدل الطول على العرض إذ قد يصح طويل ولا عرض له. ولا يصح

عريض ولا طول له، لان العرض الانبساط في خلاف جهة الطول، والطول الامتداد في أي جهة كان.

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: انه ليس الله على الكافر نعمة، لانه اخبر تعالى بأنه ينعم عليه وانه يعرض عن موجبها من الشكر وفي دعائه عند الشدة حجة عليه، لانه يجب من اجل قلة صبره على الشدة ان يشكر برفعها عنه إلى النعمة، فقال الله تعالى لهم على وجه الانكار عليهم (قل ارأيتم إن كان) هذه النعمة (من عند الله وكفرتم به) أي وجحدتموه (من اضل ممن هو في شقاق بعيد) أي في مشاققة الله بخلافه له بعيد عن طاعته. والشقاق المبل إلى شق العداوة لا لاجل الحق كأنه قال لا احد اضل ممن هو في شقاق بكفره، وبه يذم من كان عليه، كما قال علي (عليه السلام) (يا اهل العراق يا اهل الشقاق والنفاق ومساوى، الاخلاق) وقيل: الشقاق فراق الحق إلى العداوة وأهله.

وقوله (سنربهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم) معناه إن الدلائل في آفاق السماء بسير النجوم وجريان الشمس والقمر فيها بأتم التدبير، وفي أنفسهم جعل كل شئ لما يصلح له من آلات الغذاء ومخارج الانفاس، ومجاري الدم، وموضع العقل والفكر، وسبب الافهام، وآلات الكلام. وقال السدي: آياتنا في الآفاق بصدق ما يخبر به النبي (صلى الله عليه وآله) من الحوادث عنها. وفي ما يحدث من انفسهم، وإذا رأوا ذلك تبينوا وعلموا أن خبره حق، وانه من قبل الله تعالى. وقوله (او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) أي هو عالم لجميع ذلك والباء زائدة، والتقدير او لم يكف ربك انه عالم بجميع الاشياء. والمعنى اليس في

(١٣٩)

الله كفاية في معاقبة هؤلاء الكفار على كفرهم إذ كان عالما بكل شئ مشاهدا لجميع ما يفعلونه قادرا على مجازاتهم عليه، وكما انه شهيد على ذلك هو شهيد على جميع الحوادث ومشاهد لجميعها وعالم بها لا يخفى عليه شئ من موضعها. وقوله (إنه) يحتمل ان يكون موضعه رفعا ب (يكف) ويحتمل ان يكون جراً بالباء. وتقديره بأنه على كل شئ شهيد.

ثم قال (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) أي هم في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه، لانهم في شك من البعث والنشور (ألا انه بكل شئ محيط) أي هو عالم بكل شئ قادر عليه.

(١٤٠)

٤٢ - سورة الشورى مكية في قول قتادة ومجاهد، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وهي ثلاث وخمسون آية في الكوفي، وخمسون في البصري والمدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم (حم) (١) عسق (٢) كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم (٣) له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم (٤) تكاد السموات يتقطرن من فوقهن والملئكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض إلا إن الله هو الغفور الرحيم (٥).

خمس آيات في الكوفي وثلاث في ما عداه عد الكوفيون (حم) وعدوا (عسق) ولم يعده الباقون.

قال ابو عبدالله بن خالويه سألت ابن مجاهد، فقلت: إن القاف أبعد من الميم، فلم اظهر حمزة النون عند الميم في (طسم) ولم يظهرها عند القاف في (عسق) فقال والله ما فكرت في هذا قط، قال ابو عبدالله الحجة في ذلك ان (طسم) اول سورة النمل ثم جاءت سورتان فيهما الميم، فبين ليعلم ان الميم زائدة على هجاء

### (١٤١)

السين واتفق اهل الكوفة على ان لم يفردوا السين بين حرفين في الكلام هذا على الاصل. واما الحجة من جهة التخفي، فان النون تدغم في الميم وتخفى عند القاف والمخفي بمنزلة المظهر، فلما كره التشديد في (طسم) اظهروا لما كان المخفي بمنزلة الظاهر ولم يحتج إلى اظهار القاف، قال الفراء: ذكر عن ابن عباس انه قال (حمسق) بلا عين. وقال السين كل فرقة تكون. والقاف كل جماعة كانت، قال الفراء وكانت في بعض مصاحف عبدالله مثل ذلك. وقرأ ابن كثير وحده (يوحي اليك) بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله، فعلى هذا يكون اسم الله مرتفعاً بمحذوف يدل عليه المذكور قال الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة \* ومختبب مما تطيح الطوائح (١)

أي يبكيه ضارع، فيكون التقدير يوحي اليك يوحي الله. قال ابو علي: ذكر أن مثل هذه السورة أوحى إلى من تقدم من الانبياء، فعلى هذا يكون التقدير يوحي اليك هذه السورة كما اوحى إلى الذين، وقال الزجاج، والفراء: يقال إن (حمسق) اوحيت إلى كل نبي كما اوحيت إلى محمد (صلى الله عليه وآله) قال ابن عباس: وبها كان علي (عليه السلام) يعلم الفتن. وقرأ الباقون يوحي - بكسر الحاء - فيكون على هذا اسم الله مرتفعاً بأنه فاعل (يوحي) وقد قرئ شاذاً (نوحى) بالنون مع كسر الحاء فعلى هذا يحتمل رفع اسم الله لوجهين:

احدهما - ان يكون رفعاً بالابتداء.

والثاني - ان يكون مرتفعاً بفعل مقدر يدل عليه (يوحي) الاول، كما قلناه في من فتح الحاء. ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير. ويجوز أن يجعل اسم الله خبر ابتداء محذوف، وتقديره هو الله العزيز الحكيم. وقرأ ابو عمرو وعاصم في

(١) مر هذا البيت في ٤ / ٣١٠ و ٦ / ٣٢٩ و ٧ / ٤٤٠ (\*)

(١٤٢)

رواية أبي بكر (يكاد) بالياء (ينفطرن) بالياء والنون، لان تأنيث السموات غير حقيقي، وقد تقدم الفعل ولذلك أنتت (ينفطرن) لما تأخر الفعل عن السموات وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة في رواية حفص (تكاد) بالتاء لتأنيث السموات (وينفطرن) بالياء والنون لما قدمناه. وقرأ نافع والكسائي (يكاد) بالياء لما قلناه من ان التأنيث غير حقيقي (ينفطرن) بياء، وتاء و (ينفطرن) في معنى تنفطر وهو مضارع فطرته فتفطر وفطرته بالتخفيف فانفطر، ومعنى بنفطرن ينشققن.

قيل إنما عدوا (حم) و (عسق) آية ولم يعد (طس) لان (طس)

لما انفرد عن نظيره من (طسم) فاشبه الاسم حمل عليه، ولما لم ينفرد (حم) عن نظيره جرى عليه حكم الجملة التامة التي تعد آية من اجل انها آية. فلما اجتمع في (طس) الانفراد عن النظرير وأشبه (قابيل) وكل واحد من هذين الوجهين يقتضي مخالفة حكم (طسم) وجب الخلاف. وأما إنفراد (حاميم) بالزنة فقط، لم يجب الخلاف كما وجب في ما اجتمع فيه سببان. وفي (حم) من الفائدة تعظيم الله - عزوجل - السورة وتسميتها وتشريفها لها وتنويها باسمها وإجراؤها في التفصيل مجرى ما يعقل في فضله على ما لا يعقل من الاجسام والاعراض. وقيل ان (حم عسق) انفردت بأن معانيها اوحيت إلى سائر الانبياء، فلذلك خصت بهذه التسمية. وقيل إنما فصل (حم عسق) من سائر الحواميم ب (عسق) لان جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه السورة فانه دل عليه دلالة التضمين بذكر الوحي الذي يرجع إلى الكتاب، والوحي أعم من الكتاب في معناه إلا انه دال في هذا الموضع على الكتاب بهذه الصفة.

وقوله (كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك) قيل في المشبه به في قوله (كذلك) وجهها:

(١٤٣)

أحدهما - كالوحي الذي تقدم يوحي اليك.

والثاني - هذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحي اليك، لان ما لم يكن حاضرا يراه صلح فيه (هذا) لقرب وقته و (ذلك) لبعده في نفسه. ومعنى التشبيه في (كذلك) أن بعضه كبعض في انه حكمة وصواب بما تضمنه من الحجج والمواعظ والفوائد التي يعمل عليها في الدنيا (وإلى الذين من قبلك) معناه مثل ذلك اوحى إلى الذين من قبلك من الانبياء وتعبدهم بشريعة كما تعبدك بمثل ذلك.



وقوله (العزیز الحکیم) معناه القادر الذي لا یغالب الحکیم في جميع أفعاله. ومن كان بهاتین الصفتین خلصت له الحکمة في کل ما يأتي به، لانه العزیز الذي لا یغالب والغني الذي لا یحتاج إلى شئ، ولا یجوز أن یمنعه مانع مما یریده، وهو الحکیم العليم بالامور لا یخفی علیه شئ منها لا یجوز أن يأتي إلا بالحکمة. فاما الحکیم غیره یحتاج فلا یوثق بكل ما يأتي به إلا أن یدل على ذلك الحکمة دلیل.

قوله (له ما في السموات والارض) معناه أنه مالکهما ومدبرهما وله التصرف فیهما ولا احد له منعه من ذلك ویكون (العلي) مع ذلك بمعنی المستعلي على کل قادر العظیم في صفاته التي لا یشاركه فیها احد.

وقوله (تکاد السموات ینفطرن من فوقهن " قيل في معناه قولان:

احدهما - قال ابن عباس وقتادة والضحاك: ینفطرن من فوقهن من عظمة الله وجلاله. والثاني - ان السموات تکاد تنفطرن من فوقهن استعظاما للكفر بالله والعصیان له مع حقوقه الواجبة على خلقه، وذلك على وجه التمثیل لیس لان السموات تفعل شيئا او تنکر شيئا، وإنما المراد ان السموات لو انشقت لمعصيته استعظاما لها أو لشيء من الاشياء لتفطرت استعظاما لكفر من كفر بالله وعبد

#### (١٤٤)

معه غیره.

وقوله (الملائكة یسبحون بحمد ربهم) معناه ینزهونه عما لا یجوز علیه من صفات، وما لا یليق به من افعال (ویستغفرون لمن في الارض) من المؤمنین. وفي ذلك صرف الاهیلاك لهم ولغیرهم من اهل الارض یصرفه عنهم.

ثم قال (ألا إن الله هو الغفور الرحیم) لعباده عصیانهم تارة بالتوبة وتارة ابتداء منه کل ذلك تفضلا منه ورأفة بهم ورحمة لهم.

قوله تعالى:

(والذین اتخذوا من دونه أولیاء الله حفیظ علیهم وما أنت علیهم بوكیل (٦) وكذلك أوحینا إليك قرآنا عربيا لتتذر أم القرى ومن حولها وتتذر یوم الجمع لا ریب فیة فریق فی الجنة وفریق فی السعیر (٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن یدخل من یشاء فی رحمته والظالمون مالمهم من ولي ولا نصیر (٨)

أم اتخذوا من دونه أولیاء فالله هو الولي وهو یحیی الموتی وهو على کل شئ قدير (٩) وما اختلفتم فیة من شئ فحکمه إلى الله ذلکم الله ربي علیه توكلت وإليه أنیب) (١٠) خمس آیات بلا خلاف.

هذا اخبار من الله تعالى (أن الذين اتخذوا من دونه اولياء) يعني الكفار الذين اتخذوا الاصنام  
آلهة ووجهوا عبادتهم اليها. وجعلوهم أولياء لهم وانصارا

### (١٤٥)

من دونه. وإنما قال (من دونه) لان من اتخذ وليا بأمر الله لم يتخذه من دون الله.  
وقوله (الله حفيظ عليهم) أي حافظ عليهم أعمالهم وحفيظ عليها بأنه لا يعزب عنه شئ منها،  
وانه قد كتبها في اللوح المحفوظ مظهرة في الحجة عليهم وما هو اقرب إلى افهامهم إذا  
تصوروها مكتوبة لهم وعليهم.

وقوله (وما انت عليهم بوكيل) معناه إنك لم توكل بحفظ اعمالهم، فلا يظن ظان هذا، فانه ظن  
فاسد وإنما بعثك الله نذيرا لهم وداعيا إلى الحق ومبيناً لهم سبيل الرشاد، وقيل: معناه إنك لم  
توكل عليهم أي تمنعهم من الكفر بالله، لانه قد يكفر من لا يتهيأ له منعه من كفره بقتله.

وقوله (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا) معناه مثل ما اوحينا إلى من تقدمك من الانبياء بالكتب  
التي أنزلناها عليهم أوحينا اليك ايضا قرآنا عربيا لتتذر أم القرى أي لتخوفهم بما فيه من  
الوعيد وتبشرهم بما فيه من الوعد. قال السدي: أم القرى مكة والتقدير لتتذر اهل أم القرى  
(ومن حولها) من سائر الناس. وسميت أم القرى، لانه روي أن الله تعالى دحا الارض من  
تحت الكعبة قال المبرد: كانت العرب تسمي مكة أم القرى (ومن حولها) ومن يطيف بها  
(وتتذر يوم الجمع) معناه وتخوفهم يوم الجمع أيضا، ونصب (يوم) لانه مفعول ثان وليس  
بظرف، لانه ليس ينذر في يوم الجمع، وإنما يخوفهم عذاب الله يوم الجمع.

وقيل هو يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لا شك فيه وفي كونه.

ثم قسم اهل يوم القيامة فقال (فريق) منهم (في الجنة) بطاعتهم (وفريق)

منهم (في السعير) جزاء على معاصيهم. ثم قال (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة)

معناه الاخبار عن قدرته بأنه لو شاء ان يلجئهم إلى الايمان ودين الاسلام، لكان (ج ٩ م ١٩  
من التبيان)

### (١٤٦)

قادرا على ذلك وفعله، لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف وهو ان يفعلوا العبادة على وجه  
يستحقون بها الثواب، ومع الاجاء لا يمكن ذلك، فلذلك لم يشأ ذلك.

فالآية تفيد قدرته على الاجاء وتأتي ذلك. ثم قال (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي  
يدخلهم في الجنة وثوابها من يشاء منهم إذا اطاعوا واجتنبوا معاصيه وبين أن (الظالمين)  
نفوسهم بارتكاب معصية الله (مالهم من ولي) يواليهم (ولا نصير) يمنعمهم من عذاب الله إذا

اراد فعله بهم جزاء على معاصيهم، ثم قال (أم اتخذوا من دونه اولياء) معناه بل هؤلاء الكفار اتخذوا من دون الله اولياء من الاصنام والاثوان يوالونهم وينصرونهم. ثم قال (فان الله هو الولي) معناه المستحق في الحقيقة للولاية والتقرب اليه هو الله تعالى دون غيره (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) يصح ان يكون مقدورا له قادر. ومن كان بهذه الصفة فهو الذي يجب ان يتخذ وليا.

وقوله (وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله) معناه ان الذي تختلفون فيه من أمر دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه (فحكمه إلى الله) يعني أنه الذي يفصل بين المحق فيه وبين المبطل، لانه العالم بحقيقة ذلك، فيحكم على المحق باستحقاق الثواب وعلى المبطل باستحقاق العقاب. وقيل: معناه فحكمه إلى الله، لانه يجب ان يرجع إلى أمره في الدنيا وفصل القضاء في الآخرة. ثم قال لنبيه قل لهم (ذلك) الذي وصفته من أنه يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير (هو الله ربي) ومدبري (عليه توكلت) بمعنى فوضت أمري اليه واسندت ظهري اليه (واليه انيب) أي ارجع اليه في جميع أموري واحوالي.

#### (١٤٧)

قوله تعالى:

(فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذروكم فيه ليس كمثلته شئ وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم (١٢) شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤) فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

لما قال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) قل لهم الذي وصفته بأنه الذي يحيي ويميت

#### (١٤٨)

هو ربي واليه ارجع في أموري كلها، زاد في صفاته تعالى (فاطر السموات والارض)

أي هو فاطر السموات، ومعنى فاطر خالق السموات ابتداء. وحكي عن ابن عباس انه قال لم اكن أعرف معنى (فاطر) حتى تحاكم إلى اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرته بمعنى أنا ابتدأته، والفاطر ايضا الشق. ومنه قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه) وقوله (جعل لكم من انفسكم أزواجا) يعني اشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن اليها ويألفها. ومن الانعام أزواجا من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين، ذكورا وإناثا ووجه الاعتبار بجعل الأزواج ما في ذلك من إنشاء الشيء مالا بعد حال على وجه التصريف الذي يقتضي الاختيار، وجعل الخير له أسباب تطلب كما للشر أسباب تجتنب، فعمل لكل حيوان زوجا من شكله على ما تقتضيه الحكمة فيه.

وقوله (يدرؤكم فيه) أي يخلقكم ويكثركم فيه يعني في التزويج وفي ما حكم فيه. وقال الزجاج والفراء: معناه يدرؤكم به أي بما جعل لكم أزواجا وانشد الازهري قول الشاعر يصف امرأة: وارغب فيها عن لقيط ورهطه \* ولكنني عن سننيس لست ارغب (١) أي ارغب بها عن لقيط. فالذرة إظهار الشيء بايجاده يقال: ذرأ الله الخلق يدرؤهم ذرءا واصله الظهور، ومنه ملح ذرأني لظهور بياضه. والذرية لظهورها ممن هي منه. وقوله (ليس كمثلته شيء) قيل في معناه ثلاثة اقوال:

احدها - إن الكاف زائدة وتقديره ليس مثل الله شيء من الموجودات ولا المعدومات كما قال أوس بن حجر:

---

(١) مر في ٦ / ٢٧٨ (\*)

(١٤٩)

وقتلى كمثل جذوع النخيل \* يغشاهم سيل منهر (١)  
وقال آخر:

سعد بن زيد إذا ابصرت فضلهم \* ما إن كمثلهم في الناس من احد (٢)  
وقال الراجز:

وصاليات ككما توثقين (٣)

الثاني - قال الرماني: إنه بلغ في نفي الشبيه إذا نفي مثله، لانه يوجب نفي الشبهة على التحقيق والتقدير، وذلك انه لو قدر له مثل لم يكن له مثل صفاته ولبطل ان يكون له مثل ولنفرده بتلك الصفات، وبطل ان يكون مثلا له فيجب أن يكون من له مثل هذه الصفات على الحقيقة لامثل له أصلا إذ لو كان له مثل لم يكن هو بصفاته وكان ذلك الشيء الآخر هو الذي

له تلك الصفات، لأنها لا تصح إلا لو اُحد في الحقيقة وهذا لا يجوز أن يشبهه بشبه حقيقة، ولا بلاغة فوجب التباعد من الشبه لبطان شبه الحقيقة.

الثالث - وجه كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي (رحمة الله عليه) جارانا فيه فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده، وهو ان لا تكون الكاف زائدة ويكون المعنى انه نفى ان يكون لمثله مثل وإذا ثبت انه لا مثل لمثله فلا مثل له ايضا. لانه لو كان له مثل لكان له امثال، لان الموجودات على ضربين: احدهما - لا مثل له، كالقدرة فلا أمثال لها ايضا. والثاني - له مثل كالسواد والبياض واكثر الاجناس فله امثال ايضا وليس في الموجودات ماله مثل واحد فحسب، فعلم بذلك ان المراد انه لا مثل له اصلا من حيث لا مثل لمثله. وقوله (وهو السميع البصير) معناه انه على صفة يجب ان يسمع المسموعات

---

(١، ٢، ٣) تفسير الطبري ٢٥ / ٨ والقرطبي ١٦ / ٨ والشوكاني ٤ / ٥١٤ (\*)

### (١٥٠)

إذا وجدت ويبصر المبصرات إذا وجدت وذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفة به، وفائدة ذكره - ههنا - هو انه لما نفى ان يكون له شبه على وجه الحقيقة والمجاز، وعلى وجه من الوجوه بين انه مع ذلك سميع بصير، لئلا يتوهم نفى هذه الصفة له على الحقيقة فقط، فانه لا مدحة في كونه مما لا مثل له على الانفراد، لان القدرة لا مثل لها، وإنما المدحة في انه لا مثل له مع كونه سميعا بصيرا، وذلك يدل على التفرد الحقيقي.

وقوله (له مقاليد السموات والارض) معناه له مفاتيح الرزق منها بانزال المطر من السماء واستقامة الهواء فيها وابنائ الثمار والاقوات من الارض. ثم قال (بيسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع له (ويقدر) أي يضيق لمن يشاء ذلك على ما يعلمه من مصالحهم (إنه بكل شئ عليم) مما يصلحهم او يفسدهم.

ثم خاطب تعالى خلقه فقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) معنى شرع بين وأظهر، وهو (الذي اوحينا اليك) يا محمد (صلى الله عليه وآله) وهو (ما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وسائر النبيين، وهو أنا أمرناهم بعبادة الله والشكر له على نعمه وطاعته في كل واجب وندب مع اجتناب كل قبيح، وفعل ما أمر به مما أدى إلى التمسك بهذه الاصول مما تختلف به شرائع الانبياء.

ثم بين ذلك فقال (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وموضع (ان أقيموا) يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب:

أحدها - ان يكون نصبا بدلا من (ما) في (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا).  
الثاني - ان يكون جرا بدلا من الهاء في (به).  
الثالث - ان يكون رفعا على الاستئناف، وتقديره هو ان أقيموا الدين.  
وقوله (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) معناه كبر عليهم واستعظمو كونك

### (١٥١)

داعيا إلى الله، ودعاؤك يا محمد وأنت مثلهم بشر ومن قبيلتهم إنك نبي، وليس لهم ذلك، لان الله يجتبي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه باعباء الرسالة وتحمله لها، فاجتباك الله تعالى كما اجتبي موسى ومن قبلك من الانبياء، ومعنى (يجتبي) يختار. وقوله (ويهدي اليه من ينيب) معناه ويهديه إلى طريق الثواب ويهدي المؤمنين الذين أنابوا اليه وأطاعوه. وقيل: يهديه إلى طريق الجنة والصواب بأن يطف له في ذلك إذا علم ان له لطفًا، ثم قال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ومعناه إن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد أن اتاهم طريق العلم بصحة نبوتك، فعدلوا عن النظر فيه بغيا بينهم للحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وإتباع الهوى. وقيل: إن هؤلاء لم يختلفوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، لكن فعلوا ذلك للبغي.

ثم قال (ولولا كلمة سبقت من ربك) بأن اخبر بأنه يبعثهم (إلى أجل مسمى) ذكر انه يبيهم اليه لم يجز مخالفته، لانه يصير كذبا (لقضي بينهم) أي لفصل بينهم الحكم وانزل عليهم ما يستحقونه من العذاب عاجلا. ثم قال (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) قال السدي: يعني اليهود والنصارى من بعد الذين أورثوا الكتاب الذي هو القرآن (لفي شك منه مريب) أي من الدين. وقال غيره: الذين أورثوا الكتاب من بعد اليهود والنصارى في شك من الدين مريب، وهم الذين كفروا بالقرآن وشكوا في صحته وانه من عند الله من سائر الكفار والمنافقين.  
وقوله (فلذلك فادع واستقم) معناه فالى ذلك فادع، كما قال (بأن ربك أوحى لها) (١) أي اوحى اليها يقال دعوته لذا وبذا وإلى ذا. وقيل:  
(١) سورة ٩٩ الزلزال آية ٥

### (١٥٢)

معنا فلذلك الدين فادع. وقيل: معناه فلذلك القرآن فادع. والاول احسن وواضح وقوله (ولا تتبع أهواءهم) نهى للنبي (صلى الله عليه وآله) عن إتباع ما هو به المشركون والمراد به أمته. وقيل: ثلاث من كن فيه نجا: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والخشية في السر والعلانية. وثلاث من كن فيه هلك: شح مطاع، وهوى متبع، وعجب المرء بنفسه.

وقوله (وقل آمنتم بما انزل الله من كتاب) أي قل لهم صدقت بما انزل الله من القرآن وبكل كتاب انزله الله على الانبياء قبلي (وأمرت لأعدل بينكم). وقيل في معناه قولان: احدهما - امرت بالعدل. والثاني - أمرت كي اعدل. وقل لهم أيضا (الله ربنا وربكم) أي مدبرنا ومدبركم ومصرفنا ومصرفكم (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) ومعناه أن جزاء أعمالنا لنا من ثواب أو عقاب وجزاء أعمالكم لكم من ثواب أو عقاب، لا يؤاخذ احد بذنب غيره، كما قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (١) (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة بيننا - في قول مجاهد وابن زيد - أي قد ظهر الحق فسقط الجدل والخصومة. وقيل: معناه إن الحجة لنا عليكم لظهورها، وليست بيننا بالاشتباه والالتباس. وقيل: معناه لا حجة بيننا وبينكم لظهور أمركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة، لا على طريق الشبهة، وليس ذلك على جهة تحريم إقامة الحجة، لأنه لم يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها الحق من الباطل فإذا صار الانسان إلى البغي والعداوة سقط الحجاج بينه وبين اهل الحق. ثم قال (الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير) أي المرجع حيث لا يملك احد الحكم فيه ولا الامر والنهي غيره، فيحكم بيننا بالحق. وفي ذلك غاية التهديد. وقيل: إن

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٦٤ وسورة ١٧ الاسرى آية ١٥ وسورة ٣٥ آية فاطر آية ١٨ وسورة ٣٩ الزمر آية ٧ (\*)

### (١٥٣)

ذلك كان قبل الامر بالقتال والجهاد.

قوله تعالى:

(والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داخضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (١٦) الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب (١٧) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (١٨) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩)

من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى إن (الذين يحاجون في الله) أي يجادلون في الله بنصرة مذهبهم (من بعد ما استجيب له) وقيل في معناه قولان:

أحدهما - من بعد ما استجاب له الناس لظهور حجته بالمعجزات التي أقامها الله - عز وجل - والآيات التي أظهرها الله فيه، لأنهم بعد هذه الحال في حكم المعاندين بالبغي والحسد. قال مجاهد: كانت محاجتهم بأن قولوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالحق منكم، فلذلك قال الله تعالى " حجتهم (ج ٩ من ٢٠ من التبيان)

### (١٥٤)

داحضة " لان ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بأن ينسخ الله كتابهم وما شرعه النبي الذي كان قبله.

والثاني - معناه من بعد ما استجيب للنبي دعاءه بالمعجزات التي اجاب الله تعالى دعاءه في إقامتها له. قال الجبائي: أجاب الله تعالى دعاءه في كفار بدر حتى قتلهم الله بأيدي المؤمنين، وأجاب دعاءه عليهم بمكة وعلى مضر من القحط والشدائد التي نزلت بهم، وما دعا به من إنجاء الله المستضعفين من أيدي قريش فأنجاهم الله وخلصهم من أيديهم وغير ذلك مما يكثر تعداده، فقال الله تعالى " حجتهم داحضة عند ربهم " وهي شبهة، وإنما سماها حجة - على اعتقادهم - فلشبهها بالحجة أجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها، و (داحضة) معناه باطلة " عند ربهم وعليهم غضب من الله " أي لعن واستحقاق عقاب والاختبار به عاجلا " ولهم " مع ذلك " عذاب شديد " يوم القيامة.

وقوله تعالى " الله الذي انزل الكتاب " يعني القرآن " بالحق والميزان " فقوله " بالحق " فيه دلالة على بطلان مذهب المجبرة: بأن الله أنزله ليكفروا به و اراد منهم الضلال والعمل بالباطل. وانزل " الميزان " يعني العدل، لان الميزان إظهار التسوية من خلافها في ما للعباد اليه الحاجة في المعاملة او التفاضل ومثل الموازنة المعارضة والمقابلة والمقايسة، فالقرآن إذا قوبل بينه وبين ما يدعونه، وقويس بينهما ظهرت فضيلته، وبانت حجته، وعلمت دلالته، فلذلك وصفه بالميزان.

وقال مجاهد وقتادة: الميزان - ههنا - العدل. وقال الجبائي: انزل الله عليهم الميزان من السماء وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به. وقيل: إن الحق الذي انزل به الكتاب وصفه على عقد معتقده على ما هو به من ثقة. والحق قد يكون بمعنى حكم ومعنى امر او نهي ومعنى وعد او وعيد ومعنى دليل.



## (٢١٧)

من شدة الحيرة، يقال أبلس فلان إذا تجبر عند انقطاع الحجة.

قوله تعالى:

(وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين (٧٦) ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون (٧٧) لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون (٧٨) أم أبرموا أمرا فانا مبرمون (٧٩) أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجويهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) (٨٠) خمس آيات بلا خلاف.

لما بين الله تعالى ما يفعله بالفساق والمجرمين من انواع العذاب بين انه لم يظلمهم بذلك لانه تعالى غني عن ظلمهم عالم بقبح الظلم، ومن كان كذلك لا يفعل القبيح، والظلم قبيح. وبين انهم هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي وفعل القبائح. ثم حكى تعالى ما ينادي به هؤلاء العصاة في حال العذاب، فانهم ينادون مالكا خازن النار فيقولون (يا مالك ليقض علينا ربك) أي ليميتنا حتى نتلخص من العذاب، فيقول مالك مجيبا لهم (إنكم ماكثون) أي لا بثون فيها. وقال ابن عباس والسدي: إنما يجيبهم مالك خازن جهنم بذلك بعد الف سنة، وقال عبدالله بن عمر: بعد أربعين سنة. وقال نوف: بعد مئة عام.

ثم اخبر تعالى إنه جاء الخلق بالحق في ما أخبر به من حال اهل الجنة واهل النار. ولكن اكثركم معاشر الخلق كارهون للحق. وإنما لا يكره ذلك المؤمنون منكم. (ج ٩ من ٢٨ من التبيان)

## (٢١٨)

ثم قال (أم ابرموا أمرا فانا مبرمون) أي اجمعوا على التكذيب أي عزموا عليه فانا مجمعون على الجزاء لهم بالتعذيب - وهو قول قتادة - ويكون ذلك على وجه الازدواج، لان العزم لا يجوز عليه تعالى، ومثله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (١)

وقيل: معناه أم احكموا أمرا في المخالفة، فانا محكمون أمرا في المجازاة.

ثم قال (ام يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم) أي يظن هؤلاء الكفار انا لا نسمع سرهم ونجواهم أي ما يخفونه بينهم وما يعلنونه. ثم قال تعالى (بلى)

نسمع ذلك وندرکه ومع ذلك (رسلنا لديهم يكتبون) قال السدي وقاتدة:

معناه إن رسلنا الذين هم الحفظة لديهم يكتبون ما يفعلونه ويقولونه.

وقد روي إن سبب نزول هذه الآية ما هو معروف في الكتب لا نطول بذكره قوله تعالى:

(قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (٨١)

سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون (٨٢)

فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون (٨٣) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم (٨٤)  
وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون (٨٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

قيل في معنى قوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) اقوال:  
أحدها - فانا أول الأنفين من عبادته، لان من كان له ولد لا يكون إلا

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٤٠ (\*)

(٢١٩)

جسامحدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة، لانه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة  
تقول: العرب عبدت فصمت قال الفرزدق:  
واعبد ان يهجي كليب بدارم (١)  
وقال آخر:

ألا هذيت أم الوليد واصبحت \* لما أبصرت في الرأس مني تعبد (٢)  
الثاني - ما قاله ابن زيد وابن أسلم وقتادة: إن (ان) بمعنى (ما) وتقديره ما كان للرحمن ولد  
فأنا أول العابدين لله.

الثالث - هو انه لو كان له ولد لعبده على ذلك كما تقول لو دعت الحكمة إلى عبادة غير الله  
لعبده لكنها لا تدعوا إلى عبادة غيره، وكما تقول: لو دل الدليل على أن له ولدا لقلت به، لكنه  
لا يدل، فهذا تحقيق نفي الولد لانه تعليق محال بحال.  
الرابع - قال السدي: لو كان له ولد لكنت اول من عبده بأن له ولدا، لكن لا ولد. وهذا قريب  
من الوجه (الثالث).

الخامس - إن كان لله ولد على قولكم، فأنا أول من وحده وعبده على ان لا ولد له - ذهب  
اليه مجاهد - وإنما لم يجز على الله تعالى الولد لانه لا يخلو من ان يضاف اليه الولد حقيقة او  
مجازا، وحقيقته أن يكون مخلوقا من مائه او مولودا على فراشه، وذلك مستحيل عليه تعالى.  
ومجازه أن يضاف اليه على وجه التبني وإنما يجوز فيمن يجوز عليه حقيقته، ألا ترى انه لا  
يقال تبني شاب شيئا لما لم يمكن أن يكون له ولد حقيقة، وإنما جاز ان يضاف إلى شيخ شاب  
على انه تبناه لما

---

(١) القرطبي ١٦ / ١٢٠ والشوكاني ٤ / ٥٥٠ (٢) تفسير الطبري ٢٥ / ٥٥ (\*)

(٢٢٠)

كان حقيقته مقدورة فيه، وكذلك لا يقال تبني انسان بهيمة لما كان يستحيل أن يكون مخلوقا من مائه او على فراشه، فلما استحال حقيقته على الله تعالى استحال عليه مجازه ايضا. وإنما جاز أن يقال روح الله، ولم يجز ان يقال ولد الله لان روح الله بمعنى ملك الله للروح، وإنما اضيف اليه تشريفا. وإن كانت الارواح كلها لله بمعنى انه مالك لها. ولا يعرف مثل ذلك في الولد. ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض) يعني الذي خلقهن (رب العرش) أي خالقه ومدبره (عما يصفون) من اتخاذ الولد، لان من قدر على خلق ذلك وإنشائه مستغن عن اتخاذ الولد.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) على وجه التهديد للكفار (فذرهم) أي اتركهم (يخوضوا) في الباطل (ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذين يوعدون) بمعنى يوعدون فيه بالعذاب الابدي. وقال تعالى (وهو الذي في السماء إله) أي يحق له العبادة في السماء ويحق له العبادة في الارض، وإنما كرر لفظة إله في قوله (وفي الارض إله) لاحد امرين:  
احدهما - للتأكيد ليتمكن المعنى في النفس لعظمه في باب الحق.

الثاني - إن المعنى هو في السماء إله، يجب على الملائكة عبادته، وفي الارض اله يجب على آدميين عبادته (وهو الحكيم) في جميع افعاله (العليم) بجميع المعلومات (وتبارك) وهو مأخوذ من البرك وهو الثبوت، ومعناه جل الثابت الذي لم يزل ولا يزال. وقيل: معناه جل الذي عمت بركة ذكره (الذي له ملك السموات والارض) أي الذي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع (وما بينهما وعنده علم الساعة) يعني علم يوم القيامة، لانه لا يعلم وقته على التعيين غيره (واليه ترجعون) يوم القيامة فيجازي كلا على قدر عمله.

(٢٢١)

فمن قرأ بالتاء خاطب الخلق. ومن قرأ بالياء رد الكناية إلى الكفار الذين تقدم ذكرهم.  
قوله تعالى:

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون (٨٦) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (٨٧) وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (٨٨) فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) (٨٩) أربع آيات بلا خلاف قرأ عاصم وحمزة (وقيله) بكسر اللام على تقدير وعنده علم الساعة وعلم قيله. والباقون بالنصب. وقال الاخفش: ردا على قوله (أم يحسبوا أنا لا نسمع سرهم... وقيله) وهو نصب على المصدر. وقال قوم: معناه أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ولعلمهم وقيله، لانه لما قال (وعنده علم الساعة) كان تقديره ويعلم قيله، وقرأ قتادة (وقيله) بالرفع جعله ابتداء.

يقول الله تعالى مخبراً إن الذي يدعونه الكفار إليها ويوجهون عبادتهم إليه من الأصنام والأوثان وغيرها لا يملكون من دون الله الشفاعة. وهي مسألة الطالب العفو عن غيره وإسقاط الضرر عنه، لأن حقيقة الشفاعة ذلك. وعند قوم يدخل فيها المسألة في زيادة المنافع. ثم استثنى من جملتهم من شهد بالحق وهم عالمون بذلك وهم الملائكة وعيسى وعزير. وقيل: المعنى ولا يشفع الملائكة وعيسى وعزير لأن شهد بالحق، وهو يعلم الحق - ذكره مجاهد - وقال قوم (إلا من شهد بالحق)

الملائكة وعيسى وعزير لهم عند الله شهادة بالحق. وقيل: المعنى إلا من يشهد بأنه

### (٢٢٢)

أهل العفو عنه (وهم يعلمون) ذلك. وهؤلاء أصحاب الصغائر والذين تابوا من الكبائر. ثم قال تعالى و (لئن سألتهم) يا محمد يعني هؤلاء الكفار (من خلقهم) وأخرجهم من العدم إلى الوجود (ليقولن الله) لأنهم يعلمون ضرورة أن الأصنام لم تخلقهم. فقال الله تعالى معنفا لهم (فأني يؤفكون) مع علمهم بأن الله هو خالقهم، فكيف ينقلبون عن عبادته إلى عبادة غيره.

وقوله (وقيله يارب) من نصبه احتمل أن يكون بقوله (إلا من شهد بالحق) وقال (قيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) على وجه الإنكار عليهم.

وقيل: المعنى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم... وقيله. وقال الزجاج: الاختيار (وعنده علم الساعة) ويعلم (قيله) ومن جر فعلى تقدير وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب. وقيل: معنى (وقيله) أنه شكاً محمد (صلى الله عليه وآله) شكوة إلى ربه. ثم قال لنبينه (صلى الله عليه وآله) (فاصفح عنهم) أي اعف عنهم. قال قتادة: وكان ذلك قبل أمره إياه بقتالهم (وقل سلام) رفع على تقديره وهو عليكم سلام أي ما سلم به من شرهم وأذاهم. وقال الحسن: يعني (وقل سلام) احلم عنهم ثم هددهم فقال (فسوف تعلمون) بالتاء على وجه الخطاب. الباقيون بالياء على الخبر عن الكفار الذين مضى ذكرهم.

### (٢٢٣)

٤٤ - سورة الدخان وهي مكية في قول قتادة ومجاهد وهي تسع وخمسون آية في الكوفي وسبع في البصري وست في المدني والشامي وسنذكر اختلافهم. بسم الله الرحمن الرحيم (حم) (١) والكتاب المبين (٢) إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين (٥) رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) (٦).

ست آيات في الكوفي وخمس في الباقيين.

قد بينا معنى (حم) في ما مضى وإختلاف الناس فيه وإن أقوى الوجوه انه اسم للسورة. وإنما كرر ذكر (حم) لانه ينبئ عن استفتاح السورة بذكر الكتاب على وجه التعظيم إذ على ذلك جميع الحواميم، فهو اسم علم للسورة مضمن بمعنى الصفة من وجهين: احدهما - انها من الحروف العربية. والآخر أنه استفتحت بذكر الكتاب على طريق المدحة.

### (٢٢٤)

وقوله (والكتاب المبين) فالمراد بالكتاب القرآن، وجره بأنه قسم. وقال قوم: تقديره ورب الكتاب المبين، وإنما أقسم به لينبئ عن تعظيمه. لان القسم يؤكد الخبر بذكر المعظم منعقدا بما يوجب أنه حق كما أن تعظيمه حق. وإنما وصف بأنه مبين وهو بيان مبالغة في وصفه بأنه بمنزلة الناطق بالحكم الذي فيه من غير أن يحتاج إلى استخراج الحكم من مبين غيره، لانه يكون من البيان ما لا يقوم بنفسه دون مبين حتى يظهر المعنى فيه. وقوله (إنا انزلناه في ليلة مباركة) إخبار منه تعالى أنه انزل القرآن في الليلة المباركة، وهي ليلة القدر - في قول قتادة وابن زيد - وقال قوم: هي ليلة النصف من شعبان. والاول أصح لقوله تعالى (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) (١) وقيل هي في كل شهر رمضان فيها تقسم الآجال والارزاق وغيرهما من اللطاف - في قول الحسن - وقيل: انزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر.

ثم انزل نجوما على النبي (صلى الله عليه وآله) وقيل ينزل في ليلة القدر قدر ما يحتاج اليه في تلك السنة. وقيل المعنى إن ابتداء انزاله في ليلة مباركة، ووصفها. بأنها مباركة لان فيها يقسم الله تعالى نعمه على عباده من السنة إلى السنة. والبركة نماء الخير، وضده الشؤم وهو نماء الشر، فالليلة التي انزل فيها كتاب الله مباركة، فان الخير ينمي فيها على ما دبره الله لها من علو الخير الذي قسمه فيها.

وقوله (إنا كنا منذرين) فالانذار الاعلام بموضع الخوف ليتقى وموضع الامن ليرتجى، فالله تعالى قد انذر العباد بأنم الانذار من طريق العقل والسمع وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فحكيم - ههنا - بمعنى محكم، وهو ما بيناه من انه تعالى يقسم في هذه الليلة الآجال والارزاق وغيرها.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٨٥ (\*)

### (٢٢٥)

وقوله (امرا من عندنا) يحتمل أن يكون نصبا على الحال، وتقديره انزلناه أمرين. ويحتمل أن يكون على المصدر وتقديره يفرق كل أمر فرقا، ووضع امرا موضعه.

وقوله (إنا كنا مرسلين) اخبار منه تعالى انه يرسل الرسل (رحمة) أي نعمة. ونصبه على المصدر واختار الاخفش النصب على الحال أي انزلناه أمرين راحمين. ويجوز ان يكون نصبا على انه مفعول له أي انزلناه للرحمة. وسميت النعمة رحمة، لأنها بمنزلة ما يبعث على فعله رقة القلب على صاحبه ومع داعي الحكمة إلى الاحسان اليه يؤكد أمره.

وقوله (إنه هو السمع العليم) معناه إنه يسمع ما يقوله خلقه من المبطلين والمحقين فيجيب كلا منهم على ما يعلمه من مصلحته من إرساله الرسل اليه وإنعامه عليه قوله تعالى:

(رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين (٧))

لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين (٨)

بل هم في شك يلعبون (٩) فارتق يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠) يغشى الناس هذا عذاب أليم (١١) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا (رب السموات) خفضا بدلا من قوله (رحمة من ربك.. رب السموات) الباقر بالرفع على الاستئناف. ويجوز أن يكون (ج ٩ م ٢٩ من التبيان)

(٢٢٦)

خبر (إن) في قوله (إنه هو السميع العليم).

لما ذكر الله تعالى أنه - عزوجل - السميع العليم، وصف نفسه أيضا بأنه الذي خلق السموات والارض ودبرهما، ودبر ما فيهما (إن كنتم موقنين)

بهذا الخبر محققين له، وقيل: إن وجه الاحتجاج بذكر رب السموات والارض - ههنا - أن الذي دبرهما على ما فيه مصالح العباد هو الذي دبر الخلق بإرسال الرسول رحمة منه بعباده على ما فيه مصالحهم. ومعنى (إن كنتم موقنين) أي إن كنتم ممن يطلب اليقين، فهذا طريق اليقين يلج الصدور بالعلم، وهو حال يجده الانسان من نفسه عند التعقل. ولهذا يقال: من وجد برد اليقين كان من المتقين. ولذلك لا يوصف الله تعالى باليقين وإن وصف بأنه عالم وعليم.

ثم بين تعالى انه لا أحد يستحق العبادة سواه بقوله (لا إله إلا هو)

وانه (يحيي) الخلق بعد موتهم (ويميت) أي ويميتهم بعد احيائهم (ربكم)

الذي خلقكم ودبركم (ورب آبائكم) الذي خلقهم، دبرهم (الاولين) الذين سبقوكم وتقدموكم.

ثم اخبر تعالى عن الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه (بل هم في شك) يعني بما أخبرناك به ووصفنا الله تعالى به (يلعبون) مع ذلك ويسخرون.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (فارتقب) قال قتادة: فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان مبين) والدخان الظلمة التي كانت تغطي أبصار المشركين من قريش لشدة الجوع وحين دعا عليهم النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال (اللهم سنين كسنتين يوسف) - في قول ابن مسعود والضحاك - وقال ابن عباس والحسن وهو المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) إن الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيز ونصيب المؤمن منه مثل الزكمة. و (يغشى الناس) يعني الدخان يغشى

(٢٢٧)

الناس. ثم حكى تعالى بأن هؤلاء الكفار يقولون عند ذلك (هذا عذاب أليم) أي مؤلم موجع. والغشى اللباس الذي يغمر الشيء، لان الانسان قد يلبس الازار ولا يغشيه. فاذا غمه كان قد غشاه. والغشية من الناس الجماعة يغشون، وغاشية السرج من ذلك، ومنه قوله (يغشى الليل النهار) (١) والعذاب استمرار الالم ووصفه ب (أليم) مبالغة في سببه، لاجل استمراره وصار بالعرف عبارة عن العقاب، لان الالم الذي يفعل للعرض والاعتبار، كأنه لا يعتد به لما يؤل إليه من النفع. قوله تعالى:

(ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (١٢) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين (١٣) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (١٤) إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون (١٥) يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) (١٦) خمس آيات بلا خلاف.

لما اخبر الله تعالى أن الدخان يغشى الناس عذابا لهم وعقابا للكفار، وحكى أنهم يقولون هذا عذاب أليم، حكى ايضا انهم يقولون ويدعون (ربنا اصرف عنا العذاب) الذي أنزلته من الدخان إنا موقنون) بأنه لا إله غيرك، وأن لا يستحق العبادة سواك. فقال تعالى (أنى لهم الذكرى) قال ابن عباس معناه (كيف)؟ وقال غيره معناه من أين لهم الذكرى (وقد جاءهم رسول مبين)

وحثهم على ذلك فلم يقبلوا منه، وهذا زمان سقوط التكليف لكونهم ملجئين

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ٥٣ وسورة ١٣ الرعد آية ٣ (\*)

(٢٢٨)

فلا تقبل لهم توبة.

وقوله (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) قال مجاهد: المعنى ثم تولوا عن محمد (صلى الله عليه وآله) وقالوا هو معلم يعلمه غيره، ونسبوه إلى الجنون، وأنه مجنون. ثم قال تعالى (إنا كاشفوا

العذاب قليلا) على وجه التبيكيت لهم على شدة عنادهم إنا لو كشفنا عنكم العذاب ورفعناه عنكم (إنكم عائدون) فمن قال إن العذاب بالدخان عند رفع التكليف قال (إنكم عائدون) في العذاب، وهو قول قتادة ومن ذهب إلى أنه في الدنيا مع بقاء التكليف، قال معناه (إنكم عائدون) في الضلال. وهو قول جماعة.

وقوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) فالبطش الاخذ بشدة وقع الالم، بطش به يبطش بطشا، ومثله عرش يعرش ويعرش، وهو باطش، وأكثر ما يكون بوقوع الضرب المتتابع، فأجري افراغ الالم المتتابع مجراه و (البطشة الكبرى) قال ابن مسعود ومجاهد وابوالعالية، وروى عن ابن عباس وابي بن كعب والضحاك وابن زيد: هو ما جرى عليهم يوم بدر - وفي رواية أخرى عن ابن عباس والحسن انه يوم القيامة، وهو اختيار الجبائي.

وقوله (إنا منتقمون) اخبار منه تعالى أنه ينتقم من هؤلاء الكفار بانزال العقوبة بهم، وقد فرق قوم بين النعمة والعقوبة: بأن النعمة ضد النعمة، والعقوبة ضد المثوبة، فهي مضمنة بأنها بعد المعصية في الصفة، وليس كذلك النعمة وإنما تدل الحكمة على انها لا تقع من الحكيم إلا لاجل المعصية.

قوله تعالى:

(ولقد فتننا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (١٧)

(٢٢٩)

أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين (١٨) وأن لا تعلموا على الله إني آتيتكم بسلطان مبين (١٩) وإني عدت بربي وربكم أن ترجمون (٢٠) وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (٢١) خمس آيات بلا خلاف.

أقسم تعالى انه فتن قبلهم يعني قبل كفار قوم النبي (صلى الله عليه وآله) (قوم فرعون) أي اختبرناهم، وشددنا عليهم بأن كلفناهم، لان الفتنة شدة التعبد في الاخذ بالسراء والضراء، وأصلها الاحراق بالنار لخالص الذهب من الغش، فهذه الشدة كشدة الاحراق للخلاص. وقيل: الفتنة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لم يعلم (وجاءهم رسول كريم) أي حقيق بالتكريم في الدعاء إلى الله والبرهان الواضح والدليل القاهر حتى يسلكوا طريق الهدى المؤدي إلى ثواب الجنة ويعدلوا عن طريق الردى المؤدي إلى العقاب. وقيل: معناه كريم عندالله بما استحق بطاعته من الاكرام والاجلال.

وقوله (أن ادوا إلي عباد الله) قال الحسن: هو مثل قوله (إن ارسل معنا بني إسرائيل) (١) ف (عبادالله) منصوب ب (أدوا) وقيل: هو منصوب على النداء. أي يا عباد الله أدوا ما أمركم به،



في قول الفراء (إني لكم رسول أمين) على ما أؤديه اليكم وادعوكم اليه، (وأن لا تغلوا على الله)

قال ابن عباس: معناه أن لا تطغوا عليه بافتراء الكذب عليه. وقال قتادة: معناه ان لا تبغوا عليه بكفر نعمه، وقيل معناه أن لا تتكبروا على الله بترك طاعته

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٧ (\*)

(٢٣٠)

وإتباع أمره. وقيل: معناه أن لا تبغوا على أولياء الله بالبغي عليهم. وقال الحسن: معناه لا تستكبروا عليه بترك طاعته (إني آتيتكم بسلطان مبين) أي بحجة واضحة لان السلطان الحجة والمبين الظاهر الذي مع ظهوره يظهر الحق، فكأنه اظهره.

ثم قال لهم (وإني عدت بربي) الذي خلقتني (وربكم) الذي خلقكم (أن ترجمون)

قال ابن عباس وابوصالح: الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم، كقولهم:

هو ساحر كذاب ونحوه، وقال قتادة: هو الرجم بالحجارة. ثم قال لهم (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي لم تؤمنوا بي، فاللام بمعنى الباء ومعناه وإن لم تصدقوني في أي رسول الله اليكم وأن ما ادعوكم اليه حق يجب عليكم العمل به فلا أقل من أن تعتزلون بصرف أذاكم عني، لانكم إن لا تجاوزوا الاحسان بالاحسان، فلا اساءة. وإنما دعاهم إلى ترك ملابسته بسوء إن اصروا على الكفر ولم يقبلوا إلى الايمان لان هذا أمر يدعو اليه العقل ببديته ولا يحتاج إلى برهان.

قوله تعالى:

(فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون (٢٢) فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون (٢٣) واترك البحر

رهوا إنهم جند مغرقون (٢٤)

كم تركوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦)

ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧) كذلك وأورثناها قوما آخرين (٢٨)

فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) (٢٩) ثمان آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر (فاكهين) بغير الف - ههنا - وفي المطففين. وفي الطور

(٢٣١)

وافقه الداجوني وحفص في المطففين.

حكى الله تعالى أن موسى حين يؤس من قومه ان يؤمنوا به (دعا) الله (ربه)

فقال (إن هؤلاء قوم مجرمون) وقيل إنه دعا بما يقتضيه سوء أفعالهم وقبح إجرامهم وسوء معاملتهم له، فكأنه قال: اللهم عجل لهم بما يستحقونه باجرامهم ومعاصيهم بما به يكونون نكالا لمن بعدهم، وما دعا بهذا الدعاء إلا بعد إذن الله له في الدعاء عليهم.

وقوله (فاسر بعبادي) الفاء وقعت موقع الجواب، وتقديره فدعا فأجيب بأن قيل له (فاسر بعبادي) فهي عطف وقع موقع جواب الدعاء. وأمره الله تعالى بأن يسير بأهله والمؤمنين به لئلا يروهم إذا خرجوا نهارا، واعلمه (إنكم متبعون) أنه سيتبعهم فرعون وقومه ويخرجون خلفهم، وأمره بأن (يترك البحر رهوا) أي ساكنا على ما هو به من كثرتة إذا قطعه، ولا يرده إلى ما كان ويقال: عيش راه إذا كان خفضا وادعا. وقال قوم: معناه اترك البحر يبسا.

وقيل: طريقا يابسا. وقال ابن الاعرابي: معناه واسعا ما بين الطاقات. وقال خالد ابن خيبري: معناه رمثا أي سهلا ليس برمل ولا حزن. ذكره الازهري يقال:

جاء الخيل رهوا أي متتابعة. وقال ابن الاعرابي الرهو من الخيل والطير السراع. وقال العكلي: المرهي من الخيل الذي تراه كأنه لا يسرع، وإذا طلب لا يدرك، ويقال: أعطاه سهوا رهوا أي كثيرا لا يحصى. وإنما قيل ذلك، لانه كان أمره أولا ان يضرب البحر بعصاه ليفلق فيه طرقا لقومه ثم أمره بأن يتركه على الحالة الاولى ليغرق فيه فرعون وجنده، قال الشاعر:

طيرا رأت بازيا نضح الدماء به \* وأمة اخرجت رهوا إلى عيد (١)

أي سكونا على كثرتهم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ٦٧ (\*)

(٢٣٢)

ثم اخبره عن فرعون وقومه ب (إنهم جند مغرقون) أي سيغرقهم الله. وفي الكلام حذف، لأن تقديره ان موسى سار بقومه وتبعه فرعون وجنده وأن الله أهلكتهم وغرقهم.

ثم اخبر عن حالهم بأن قال (كم تركوا من جنات) يعني من بساتين لهم تركوها لم تنفعهم حين نزل بهم عذاب الله (وعيون) جارية لم تدفع عنهم عقاب الله (وزروع جمع زرع ومقام كريم) قيل: هو المجلس الشريف. وقيل:

مقام الملوك والامراء والحكماء. وقيل: المنازل الحسنة. وقال قتادة: يعني مقام حسن بهج.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هي المناظر. وقيل: المنابر. وقيل:

المقام الكريم هو الذي يعطي اللذة، كما يعطي الرجل الكريم الصلة (ونعمة كانوا فيها فاكهين)، فالنعمة - بفتح النون - التنعيم - وبكسرهما - منفعة يستحق بها الشكر، وإن كانت مشقة، لأن

التكليف نعمة وإن كانت فيه مشقة. ومعنى الآية أنهم كانوا متمتعين. فالفاكة المتمتع بها بضروب اللذة، كما يتمتع الأكل بضروب الفاكهة، يقال: فكه يفكه فكهها، فهو فاكه، وفكه وتفكه يتفكه تفكها، فهو متفكه.

وقوله (كذلك وأورثناها قوما آخرين) فتوريثه النعمة إلى الثاني بعد الأول بغير مشقة كما يصير الميراث إلى أهله على تلك الصفة، وتوريث العلم شبه بذلك، لأن الأول تعب في استخراجِه وتوطئة الدلالة المؤدية اليه، ووصل إلى الثاني وهو رافه وادع، لم يكل لطول الفكر وشدة طالب العلم، فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم، كان ذلك توريثاً من الله لهم. قال قتادة:

يعني بقوم آخرين بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون على ما قيل، وكذلك قال في موضع آخر (وأورثناها بني إسرائيل) (١).

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٦٠ (\*)

(٢٣٣)

وقوله (فما بكت عليهم السماء والأرض) قيل في معناه ثلاثة أقوال: أحدها - قال الحسن فما بكى عليهم - حين أهلكهم الله - أهل السماء وأهل الأرض، لأنهم مسخوط عليهم مغضوب عليهم بانزال الخزي بهم.

الثاني - إن التقدير أن السماء والأرض لو كانتا ممن يبكي على أحد إذا هلك لما بكتا على هؤلاء، لأنهم ممن أهلكهم الله بالاستحقاق وانزل عليهم جزاء بما كانوا يكفرون. والعرب تقول: إذا أرادت أن تعظم موت إنسان: اظلمت الشمس وكسف القمر لفقده وبكت السماء والأرض، وإنما يريدوا المبالغة قال الشاعر:

الريح تبكي شجوها \* والبرق يلمع في الغمامه (١)  
وقال آخر:

والشمس طالعة ليست بكاسفة \* تبكي عليك نجوم الليل والقمر (٢)  
الثالث - أنهم لم يبكي عليهم ما يبكي على المؤمن إذا مات، مصلاه ومصعد علمه - ذكره ابن عباس وابن جبير - ومعناه لم يكن لهم عمل صالح. وقال السدي:

لما قتل الحسين (عليه السلام) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة أطرافها. وقال الحسن: ما بكى عليهم المؤمنون والملائكة، بل كانوا بهلاكهم مسرورين.

وقوله " وما كانوا منظرين " أي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا.  
قوله تعالى:

(ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين (٣٠)  
من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين (٣١) ولقد اخترناهم

(١) تفسير القرطبي ٦١ / ١٤٠ نسبه إلى يزيد بن يربوع الحميري، وقد مر في ٢ / ٤٠٠ (٢) تفسير القرطبي ١٦ / ١٤٠ نسبه إلى جرير (ج ٩ م ٣٠ من التبيان)  
(\* )

### (٢٣٤)

على علم على العالمين (٣٢) وأتيناهم من الآيات ما فيه بلؤ مبين (٣٣) إن هؤلاء ليقولون  
(٣٤) إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين (٣٥) فأتوا بآياتنا إن كنتم صادقين (٣٦)  
سبع آيات كوفي وست في ما عداه، عد الكوفيون " ليقولون " ولم يعده الباقون.  
اقسم الله تعالى أنه نجى أي خلص بني إسرائيل الذين آمنوا بموسى من العذاب المهين الذي  
كان يفعله بهم فرعون وقومه لانهم كانوا استعبدهم، وكانوا يكلفونهم المشاق ويحملوهم  
القذارات ويكلفونهم كنسها وتظيفها وغير ذلك، فخلصهم الله تعالى حين أهلك فرعون وقومه  
ووقفهم للايمان بموسى.

ثم اخبر تعالى ان فرعون كان عاليا من المسرفين أي متجبرا متكبرا من المسرفين في  
الارض الذين يتجاوزون حد ما يجوز فعله إلى ما لا يجوز فعله استكبارا وعلوا وعتوا، يقال:  
اسرف يسرف اسرافا فهو مسرف، ومثله الافراط، وضده الاقتار، وإنما وصف المسرف بأنه  
عال، وإن كان وصف عال قد يكون صفة مدح، لانه قيده بأنه عال في الاسراف، لان العالي  
في الاحسان ممدوح والعالي في الاسراف مذموم، واطلاق صفة عال تعظيم، وإذا اطلق  
فالمدح به أولى.

ثم اخبر تعالى مقسما بأنه اختارهم يعني موسى وقومه على علم على العالمين، فالاختيار هو  
اختيار الشئ على غيره بالارادة له لتفضيله عليه. ومثله الايثار، وليس في مجرد الارادة  
تفضيل شئ على غيره، لانه قد يمكن أن يريد شيئا من غير أن يخطر بباله ما هو فيه أولى  
منه في العقل، فلا يكون اختياره تفضيلا. وإما ان يريد الأولى ولا يدري انه أولى، فيختاره  
عليه لجهله بأنه أولى او يختاره وهو يعلم انه غير

### (٢٣٥)

أولى، ويختاره لحاجته اليه من جهة تعجل النفع به، ومن اختار الادون في الصلاح على  
الاصلاح كان منقوصا مذموما، لانه بمنزلة من اختار القبيح على الحسن.

وقيل: المعنى اخترناهم على عالمي زمانهم بدلالة قوله لامة نبينا " كنتم خير أمة اخرجت للناس " (١) وذلك يوجب انه ما اختارهم على من هو خير منهم، وإنما اختارهم على من هو في وقتهم من العالمين. وقال قتادة، ومجاهد: على عالمي زمانهم. وإنما قال " اخترناهم على علم على العالمين " بما جعل فيهم من الانبياء الكثيرين، فهذه خاصة لهم ليست لغيرهم، لما في العلوم من مصالح المكلفين بأنبيائهم.

ثم بين ما بن اختارهم بأن قال " وآتيناهم " يعني أعطيناهم " من الآيات " يعني الدلالات والمعجزات " ما فيه بلاء مبين " قال الحسن: يعني ما فيه النعمة الظاهرة. قال الفراء: البلاء قد يكون بالعذاب، وقد يكون بالنعمة، وهو ما فعل الله بهم من إهلاك فرعون وقومه، وتخليصهم منه وإظهار نعمه عليهم شيئاً بعد شيء.

ثم اخبر تعالى عن كفار قوم نبينا (صلى الله عليه وآله) فقال " ان هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الاولى " أي ليس هذا إلا الموتة الاولى " وما نحن " أي لسنا بعدها بمبعوثين ولا معاد بن " بمنشرين " ويقولون " فأتوا بآبائنا " الذين ماتوا قبلنا واعيدوهم " ان كنتم صادقين " في ان الله تعالى يقدر على اعادة الاموات وحياتهم لان من قدر على النشأة الثانية قدر على اعادة الآباء، وهذا باطل لان النشأة الثانية انما وجبت للجزء لا للتكليف، فلا تلزم اعادة الآباء ولا تجب.

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١١٠ (\*)

(٢٣٦)

قوله تعالى:

(أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين (٣٧) وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لا عيين (٣٨) ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٩) إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) (٤٠) أربع آيات بلا خلاف.

ان قيل: لم لم يجابوا عن شبهتهم في الآية، ولم يبين لهم أن ذلك لا يلزم، وما الوجه في جوابهم؟ " أهم خير أم قوم تبع " قلنا: من تجاهل في الحجاج الذي يجري مجرى الشغب الذي لا يعتقد بمثله مذهب لنفي الشبهة فيه، فانه ينبغي أن يعدل عن مقابلته إلى الوعظ له بما هو اعود عليه، فلذلك عدل تعالى معهم إلى هذا الوعيد الشديد، وقال " أهم " هؤلاء الكفار " خير أم قوم تبع والذين من قبلهم " فانا " اهلكتناهم " لما جحدوا الآيات وكفروا بنعم الله وارتابوا معاصيه فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك. وقيل: تبع الحميري كان رجل من حمير سار بالجيش إلى الحيرة حتى حيرها، ثم أتى سمرقند فهدمها، وكان يكتب باسم الذي ملك بحرا وبراً وضحاً وريحاً، ذكره قتادة. وقال سعيد بن جبير وكعب الاخبار ذم الله قومه، ولم يذمه

ونهى أن يسب. وحكى الزجاج: ان تبعاً كان مؤمناً، وان قومه كانوا كافرين. وقيل: انه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير (هذا قبر رضوي وقبر جي ابني تبع لا يشركان بالله شيئاً) وقيل: سمي تبعاً، لانه تبع من كان قبله من ملوك اليمن. والتبابعة اسم ملوك اليمن. ثم قال تعالى " وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لا عيين " أي لم نخلق ذلك لا لغرض حكيم بل خلقناهم لغرض حكيم، وهو ان ننتفع به المكلفين

### (٢٣٧)

ونعرضهم الثواب وننتفع الحيوان بالمنافع لهم فيها والذات. وفي الآية دلالة على من انكر البعث، لانه لو كان على ما توهموه انه لا يجز به إلى الجزاء في دار أخرى مع ما فيه من الالم لكان لعباً، لانه ابتداءً باختيار ألم لا يجز به إلى عوض. ثم قال تعالى " وما خلقناهما " يعني السموات والارض " الا بالحق " قال الحسن معناه الا للحق الذي يصل اليه في دار الجزاء. وقيل فيه قولان آخران: احدهما - ما خلقناهما الابداعي العلم إلى خلقهما، والعلم لا يدعو الا إلى الصواب. الثاني - وما خلقناهما الا على الحق الذي يستحق به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم.

ثم قال " ولكن اكثرهم لا يعلمون " بصحة ما قلناه لعدو لهم عن النظر فيه، والاستدلال على صحته. وفي ذلك دلالة على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية، لانه لو كانت لما نفى تعالى علمهم بذلك.

ثم قال تعالى " ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين " يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل بما يضطر كل واحد منهما إلى حاله من حقه او باطله فيثفي صدور المؤمنين ويقطع قلوب الكافرين بما يرون من ظهور الامر وانكشافه، وهو يوم القيامة، وبين انه ميقات الخلق أجمعين وهو من له ثواب وعوض او عليه عقاب يوصله اليه. قوله تعالى:

(يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون (٤١) إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم (٤٢) إن شجرت الزقوم (٤٣)

### (٢٣٨)

طعام الاثيم (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (٤٨) ذق إنك أنت العزيز الحكيم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون (٥٠).

عشر آيات كوفي وبصري وتسع في ما عداه، عد الكوفيون والبصريون " الزقوم " ووافقهم عليه الشاميون والمدني الاول. وعد أيضا العراقيون " يغلي في البطون " ووافقهم عليه المكبون والمدني الاخير.

قرأ " يغلي " بالياء كثير وابن عامر وحفص عن عاصم. الباؤون بالتاء. من قرأ بالياء رده إلى المهل. ومن قرأ بالتاء رده إلى الشجرة. قال ابو علي: من قرأ بالياء حمله على الطعام، لان الطعام هو الشجرة في المعنى ألا ترى انه خبر الشجرة والخبر هو المبتدأ بعينه إذا كان مفردا في المعنى، ولا يحمل على (المهل) لان المهل إنما ذكر ليشبه به في الذوق، لان التقدير إن شجرة الزقوم طعام الاثيم تغلي في البطون كالمهل على الحميم. لما ذكر الله تعالى أن يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم الله فيه ويفصل بينهم بالحق أي يوم هو؟ فوصفه انه " يوم لا يغني فيه مولى عن مولى شيئا "، لان الله تعالى أيأس من ذلك، لما علم فيه من صلاح العباد، ولولا ذلك لجاز أن يغرى.

والمعنى إنه ليس لهم من ينتصر لهم من عقاب الله تعالى، فلا ينافي ذلك ما نقوله: من أنه يشفع النبي والائمة والمؤمنون في إسقاط كثير من عقاب المؤمنين، لان الشفاعة لا تحصل إلا بأمر الله واذنه. والمراد في الآية أنه ليس لهم من يغني عنهم

### ( ٢٣٩ )

من غير أن يأذن الله له فيه على وجه الدفع عنه والنصر له، وبين ذلك بقوله " ولاهم ينصرون " والمولى - ههنا - صاحب الذي شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره، فيدخل في ذلك ابن العم والحليف وغيره ممن هذه صفته وقد استثننا ما اشرنا اليه بقوله " إلا من رحم الله " فان من يرحمه الله اما أن يسقط عقابه ابتداء او يأذن في إسقاط عقابه بالشفاعة فيه.

ثم وصف نفسه بأنه القادر الذي لا يغلب ولا يقهر بدفع العقاب عمن يريد فعله به " الرحيم " أي المنعم لمن يريد العفو عنه باسقاط عقابه.

ثم اخبر تعالى " إن شجرة الزقوم طعام الاثيم " الذي يستحق العقاب بمعاصيه وعنى به - ههنا - أبوجهل، فالزقوم ما أكل بتكره شديد له، لانه يخشو به فمه ويأكله بشره شديد، ولهذا حكى عن أبي جهل انه أتى بتمر وزبد، فقال:

نحن نتزقم هذا أي نملا به أفواهنا فما يضرنا.

ثم شبه ذلك بأنه مثل المهل، وهو الشئ الذي يذاب في النار حتى يشتد حره كالفضة والرصاص وغيرهما مما يماع بالنار، وهو مهل، لانه يمهل في النار حتى يذوب. وقال ابن

عباس: المهل ما أذيب بالنار كالفضة، وهو قول ابن مسعود وروي عن ابن عباس ايضاً أن المهل دردي الزيت في النار. ثم وصف (المهل) بأنه " يغلي في البطون " من حرارته، كما يغلي الحميم وهو الماء المغلي على النار، فالمهل يغلي في بطون أهل النار، كما يغلي الماء بحر الايقاد والغلي إرتفاع المائع من الماء ونحوه بشدة الحرارة. والحميم الحار ومنه أحم الله ذلك من لقاء أي ادناه وقربه لأن ما حم فلا سراع وما برد فلا بطاء، ومنه حمم ريش الطائر إذا قرب خروجه. ثم بين أنه تعالى يأمر الملائكة بأن يأخذوا الكافر وأن يعتلوه " إلى سواء الجحيم " يعني إلى وسطه. والعنل زعزعة البدن بالجفاء والغلظة للاهانة، فمعنى

(٢٤٠)

" اعتلوه " اعملوا به هذا العمل، ومنه العنل، وهو الجافي الغليظ يقال: عتله يعتله ويعتله عتلاً إذا ساقه دفعا وسحباً. قال الفرزدق:

ليس الكرام بنا حليكم إباءهم \* حتى ترد إلى عطية تعتل (١)

و " سواء الجحيم " وسطه - في قول قتادة - وسمي وسط الشئ سواء، لا استواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به، والسواء العدل كقولهم: هذا سواء بيننا وبينكم أي عدل. ثم بين تعالى أنه يأمرهم بأن يصبوا فوق رأس الكافر من عذاب الحميم. وهو ما فسرناه. ثم يخاطبه فيقول له " ذق إنك أنت العزيز الكريم " على وجه التهجين له بما كان يدعي له مما ليس به أي أنت كذلك عند نفسك وقومك.

ويجوز ان يكون على معنى النقيض، كأنه قيل: إنك انت الذليل المهين إلا أنه قيل: على تلك الجهة للتباعد منها على وجه الاستخفاف به. وقيل إن الآية نزلت في أبي جهل، وقد كان قال: (أنا أعز من بها وأكرم) - ذكره قتادة - وقيل:

المعنى أنت الذي كنت تطلب العز في قومك والكرم بمعصية الله. وقيل: المعنى إنك انت العزيز في قومك، الكريم عليهم، فما أغنى عنك.

ثم قال " إن هذا " يعني العذاب " ما كنتم به تمترون " أي تشكون فيه في دار الدنيا. وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورة.

وقرأ الكسائي " ذق أنك " بفتح الهمزة بمعنى لانك أنت العزيز أو بأنك الباقون - بكسر الهمزة - على وجه الابتداء بالخبر عنه، ويكون التقدير ذق العذاب.

ثم ابتدأ إنك. وقرأ " فاعتلوه " - بضم التاء - ابن كثير ونافع وابن عامر. الباقون بكسر التاء وهما لغتان على ما حكيناها.



(٢٤١)

قوله تعالى:

(إن المتقين في مقام أمين (٥١) في جنات وعيون (٥٢) يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين (٥٣) كذلك وزوجناهم بحور عين (٥٤) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (٥٥) لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى ووقئهم عذاب الجحيم (٥٦) فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم (٥٧) فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون (٥٨) فارتقب إنهم مرتقبون) (٥٩) تسع آيات بلا خلاف. قرأ ابن عامر ونافع " في مقام " بضم الميم، وهو موضع الإقامة. الباقر بفتح الميم، وهو موضع القيام.

لما أخبر الله تعالى عن الكفار وما يفعله بهم من انواع العقاب، أخبر عن حال المطيعين وما أعد لهم من الثواب، فقال " إن المتقين " يعني الذين يجتنبون معاصيه لكونها قبائح، ويفعلون طاعاته لكونها صاعة " في مقام أمين " أي موضع إقامة - فيمن ضم الميم - ومن فتحها يريد أنهم في موضع قيامهم، ووصفه بأنهم في " مقام أمين " من كل ما يخاف، وليس هذا في الدنيا، لانه لا يخلو منها احد من موقف خوف من مرض او أذى او غير ذلك. ثم بين ذلك المقام فقال " في جنات " يعني بساتين تجنبا الاشجار " وعيون " (ج م ٩ ٣١ من التبيان)

(٢٤٢)

ماء نابغة فيها " يلبسون من سند واستبرق " فالسندس الحرير - في قول الحسن. والاستبرق الديباج الغليظ - في قول قتادة - وإنما رغبهم في ذلك بحسب ما كانوا يعرفونه، وإن كان - ههنا - ما هو ارفع منها واحسن " متقابلين " أي يقابل بعضهم بعضا بالمحبة، لا متدابرين بالبغضة. ثم قال ومثل ما فعلنا بهم " كذلك زوجناهم بحور عين " فالحور جمع حوراء من الحور، وهو شدة البياض. وقال قتادة " بحور " أي ببيض، ومنه الحور لبياضه، وحورته أي بيضته من حار يحور أي رجع إلى الحالة الاولى كما يرجع إلى حال الابيض، ومنه المحور " والعين " جمع عيناء وهي الواسعة العين الحسنة، وكذلك لهم في حكم الله. وقال الحسن: العيناء الشديدة السواد سواد العين، الشديدة البياض بياضها " يدعون فيها بكل فاكهة آمنين " أي يستدعون أي ثمرة شأوا غير خائفين فوتها. ثم قال " لا يذوقون فيها " يعني في الجنة " الموت إلا الموتة الاولى " شبه الموت بالطعام الذي يذاق وينكر عند المذاق. ثم

نفى ذلك، وانه لا يكون ذلك في الجنة، وإنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع أن جميع الحيوان يوم القيامة لا يذوقون الموت، لما في ذلك من البشارة لهم بانتهاء ذلك إلى الحياة الهنيئة في الجنة، فأما من يكون فيها هو كحال الموت في الشدة، فلا يطلق له هذه الصفة، لانه يموت موتات كثيرة بما يلاقي ويقاسي من الشدة، واما غير المكلفين، فليس مما يعقل، فتلحقه هذه البشارة وإن عم ذلك اهل الجنة.

وقوله " إلا الموتة الاولى " قيل ان (إلا) بمعنى (بعد) كأنه قال بعد الموتة الاولى. وقيل: معنى (إلا) سوى كأنه قال: سوى الموتة الاولى. وقيل:

إنها بمعنى (لكن) وتقديره لكن الموتة الاولى قد ذاقوها. وقال الجبائي: هذا حكاية حال المؤمنين في الآخرة، فلما اخبرهم بذلك في الدنيا، وهم لم يذوقوا بعد

### (٢٤٣)

الموت جاز أن يقال لا يذوقون الموت في المستقبل إلا الموتة الاولى يخرجون بها من دار التكليف، وهذا ضعيف، لان في ذلك خبر عن حكمهم في الجنة وأنهم لا يذوقون فيها الموت ثم استثنى من ذلك الموتة الاولى، وكيف يرد إلى دار الدنيا؟! وحقيقة (إلا) إخراج بعض عن كل وحقيقة (بعد) إخراج الثاني عن الوقت الاول.

وقوله " ووقاهم عذاب الجحيم " أي يصرف عنهم عذاب النار، وليس في ذلك ما يدل على أن الفاسق إلي ملي لا يعذب ويخرج من النار، من حيث أنه لا يكون قد وقى النار، لانه يحتمل أمرين:

احدهما - ان يكون ذلك مخصوصا بمن لا يدخل النار ممن لا يستحقه او بمن عفي عنه.  
والثاني - ان يكون المراد " ووقاهم عذاب الجحيم " على وجه التأييد او على الوجه الذي يعذب عليه الكفار.

ثم بين أن ذلك فضل من الله، ونصبه على المصدر، وتقديره فضل فضلا منه تعالى. واخبر بأن " ذلك هو الفوز العظيم " يعني الفلاح العظيم.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) " إنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون " يعنى باللغة العربية ليفقهوه ويتفكروه فيه، فيعلموا ان الامر على ما قلناه. ثم أمره (صلى الله عليه وآله) فقال " فارتقب " أي انتظر يا محمد مجئ ما وعدتك به " إنهم منتظرون " ايضا وهو قول قتادة، وإنما قال فيهم " إنهم منتظرون " لانهم في مثل حال المنتظر في انه سيأتيه عاقبة حاله كما يأتي المنتظر.

### (٢٤٤)

٤٥ - سورة الجاثية مكية في قول قتادة ومجاهد وهي سبع وثلاثون آية في الكوفي وست في البصري والمدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم.

(حم) (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السموات والارض آيات للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥).

خمس آيات في الكوفي واربع في الباقي، عد الكوفيون " حم " ولم يعده الباقيون.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " لآيات " بالكسر في الثلاث مواضع. الباقيون بالرفع في الثاني. والثالث. من خفض التاء فعلى أنه في موضع نصب ردا على (إن) وإنما كسرت التاء، لأنها تاء جمع التأنيث. وقال المبرد: هذا بعد الواو لأنه عطف على عاملين على " إن " و " في " بحرف الواو، لأنه يكون عطف " وإختلاف " على (في) وعطف على (إن) بهذه الواو وحدها، فأما " آيات " الثانية

#### (٢٤٥)

فأجاز عطفها على الاولى، لان معها (في) وتقديره إن في خلقكم. قال ابن خالويه ليس ذلك لحناء، لان من رفع أيضا فقد عطف على عاملين، فيكون عطف جملة على جملة ويحتمل ان يكون عطف على موضع (إن) لان موضعها الرفع، والاختلاف كان يجيز العطف على عاملين، فيقول مررت بزيد في الدار والحجرة عمرو، ويحتج بقول الشاعر:

اكل امرئ تحسبين امرأ \* ونار تأجج للحرب نارا (١)

عطف على ما عملت فيه (كل) وما عملت فيه (تحسبين) وأجود من العطف على عاملين أن يجعل (آيات) الثانية بدلا من الاول، فيكون غير عاطف على عاملين، وتقديره إن في السموات والارض آيات للمؤمنين لآيات، كما تقول:

ضربت زيدا زيدا، فلا يحتاج إلى حرف العطف، ومن رفع آيات الثانية حملها على الابتداء والخبر، وجعل الثالثة تكرير الثانية بالرفع، قال الزجاج: لانه يرفع (آيات) عطفًا على ما قبلها، كما خفض (وإختلاف) عطفًا على ما قبلها. وقال ابو علي: وجه قراءة الكسائي أنه لم

يحمل على موضع (إن) كما حمله من رفع (آيات)

في الموضعين أو قطعه واستأنف، لكنه حمله على لفظ (إن) دون موضعها، فحمل (آيات) في الموضعين على نصب (إن) في قوله " إن في السموات والارض آيات للمؤمنين) ويكون على تقدير إن، وإن كانت محذوفة من اللفظ ويجعلها في حكم المثبت فيه، لان ذكره قد تقدم في

قوله " إن في السموات " وقوله " وفي خلقكم " فلما تقدم الجار في هذين الموضعين قدر في الاثبات في اللفظ، وإن كان محذوفاً منه كما قدر سيبويه في قوله:  
اكل امرئ تحسبن امراء \* - ونار تأجج للجر ناراً -

---

(١) قائله ابوذواد الايادي، تفسير القرطبي ١٦ / ١٥٧ (\*)

(٢٤٦)

وقيل (كل) في حكم الملفوظ به واستغني عن إظهاره بتقدم ذكره، وكذلك فعلت العرب في الجار ألا ترى أنهم لم يجيزوا (من تمرر أمرر) واجازوا (بمن تمرر أمرر) و (على أيهم تنزل انزل) فحذف الجار حسن لتقدم ذكر الجار، وعلى هذا قول الشاعر:

ان الكريم وأبيك يعتمل \* إن لم يجد يوماً على من يتكل

لما ذكر (على) و (إن) كانت زائدة - في قول سيبويه - حسن حذف الجار من الصلة، ولو لم تذكر لم يجزه. وحكي في بعض القراءات عن أبي إنه قرأ في المواضع الثلاث " لآيات في خلقكم وما يبث من دابة لآيات " وكذلك الآخر فدخول اللام يدل على أن الكلام محمول على (إن) وإذا كان محمولا عليها حسن النصب على قراءة حمزة والكسائي وصار كل موضع من ذلك كأن (إن) مذكورة فيه بدلالة دخول اللام، لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر (إن) أو اسمها، وحكي أن أبا قرأ " لآيات " بالرفع مع إدخال اللام عليها، وهذا لا يجيزه أكثر النحويين كالكسائي وغيره، كما لا يجوز في الدار لزيد، واجازه الفراء وانشد لحميد بن ثور:

إن الخلافة بعدهم لذميمة \* وخلائف طرف لميما أحقر (١)

وحكى الفراء أنه يقول العرب (إن) لي عليك مالا وعلى أهلك مال بالرفع والنصب، وحكى ابو علي: إنه يجوز أن يعمل الثاني على التأكيد للاول وكذلك في الثالث، ولا يكون عطفاً على عاملين، كما قال بعض شيوخنا في قوله " ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له " (٢) حمل الثاني على أنه تأكيد للاول.

قد ذكرنا في ما تقدم ان (حم) اسم للسورة، وانه أجود الاقوال. قال الرماني: وفي تسمية السورة ب (حم) دلالة على ان هذا القرآن المعجز كله من

---

(١) تفسير الطبري ٢٥ / ٧٧ (٢) سورة التوبة آية ٦٤ (\*)

(٢٤٧)

حروف المعجم، لانه سمي به ليدل عليه بأوصافه، ومن اوصافه انه مفصل قد فصلت كل سورة من اختها. ومن اوصافه أنه هدى ونور، فكأنه قيل: هذا اسمها الدال عليه بأوصافه. ثم وصف تعالى الكتاب بأنه تنزيل من الله في مواضع من السور لاستفتاحه بتعظيم شأنه على تصريف القول بما يقتضي ذلك فيه من أضافته إلى الله تعالى من اكرم الوجوه وأجلها وما يتفق الوصف فيه يقتضى انه كالاول في علو المنزلة وجلالته عند الله وإذا أفاد هذا المعنى باقتضائه له لم يكن تكريرا، ويقول القائل: اللهم اغفر لي اللهم ارحمني اللهم عافني اللهم اوسع علي في رزقي فيأتى بما يؤذن أن تعظيمه لربه منعقد بكل ما يدعو به.

وقوله " من الله " يدل على ان ابتداءه منه تعالى " العزيز " ومعناه القادر الذي لا يغالب " الحكيم " معناه العالم. وقد يكون بمعنى أن أفعاله حكمة وصواب ثم أخبر تعالى ان في السموات والارض آيات للمؤمنين الذين يصدقون بالله ويقرون بتوحيده وصدق انبيائه وإنما اضاف الآيات إلى المؤمنين وإن كانت ادلة للكافرين ايضا، لان المؤمنين انتفعوا بها دون غيرهم من الكفار. والآيات هي الدلالات والحجج. وفي السموات والارض دلالات على الحق من وجوه كثيرة، منها أنه يدل بخلقها على ان لها خالقا، وانه قادر لا يعجزه شئ وانه مخالف لها، فلا يشبهها وعلى انه عالم بما فيها من الاتقان والانتظام. وفي استحالة تعلق القدرة بها دلالة على ان صانعها قديم غير محدث وبوقوفها مع عظمها وثقل اجرامها بغير عمد ولا سند يدل على أن القادر عليها قادر على الاتيان بما لا يتناهى ولا يشبه احد من القادرين وانه خارج عن حد الطبيعة.

ثم بين تعالى ان في خلقنا آيات، والوجه في الدلالة في خلقنا ضروب كثيرة: منها خلق النفس على ما هو به من وضع كل شئ موضعه لما يصلح له.

—٢٤٨—

وفي ذلك دلالة على أن صانعه عالم لانه فعل الحواس الخمس على البنية التي تصلح له مما يختص كل واحد منها بادراك شئ بعينه، لا يشركه فيه الآخر، لان العين لا تصلح إلا لادراك المبصرات وكذلك الفم يصلح للذوق، والانف للشم، والبشرة للمس، وكل شئ من ذلك يختص بما لا يشركه فيه الآخر وفي ذلك أوضح دلالة على ان صانعها عالم بها، وأنه لا يشبهه شئ، ولو لم يكن إلا خلق العقل الذي يهدي إلى كل أمر، ويتميز به العاقل من كل حيوان، ولا يشبهه شئ في جلالته وعظم منزلته لكان فيه كفاية على جلالته وصانعه وعظم خالقه. وقيل: معنى اختلاف الليل والنهار تعاقبهما. وقيل: زيادتهما ونقصانهما، وإنزال الماء من السماء من الغيث والمطر واحياء الارض بالنبات بعد الجذب والقحط فيثبت الله بذلك رزق الحيوان.

وقوله " وبت فيها من كل دابة " أي فرق فيها من جميع الحيوان بأن خلقها وأوجدتها، وتصريف الرياح بأن يجعلها تارة جنوبا وتارة شمالا ومرة دبوراً ومرة صبا - في قول الحسن - وقال قتادة: يجعلها رحمة مرة وعذاباً أخرى. وقال الحسن: كثافة السماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى سماء فتق مسيرة خمسمائة عام وبين كل أرضين فتق مسيرة خمسمائة عام، وكثافة الأرض مسيرة خمسمائة عام. قوله تعالى:

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٦) ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فيبشره بعذاب أليم (٨) وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا أولئك لهم

### (٢٤٩)

عذاب مهين (٩) من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم) (١٠) خمس آيات بلاخلاف. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي " تؤمنون " بالتاء على وجه الخطاب للكفار على تقدير قل لهم يا محمد. الباقون بالياء على وجه الاخبار عنهم والتعجب منهم. لما اخبر الله تعالى عن القرآن بأنه تنزيل من الله وأن في السموات والأرض آيات ودلالات لمن نظر فيها تدل على الحق وأن في أنفس الخلق وإنزال الماء من السماء وإخراج النباتات وبت أنواع الحيوان أدلة لخلقه تدلهم على توحيد الله وحكمته لمن انعم النظر فيها، بين ههنا أن ما ذكره أدلة الله التي نصبها لخلقه المكلفين لازاحة علتهم وانه يتلوها بمعنى يقرأها على نبيه محمد ليقراءها عليهم بالحق دون الباطل.

والتلاوة الاثنيان بالتاني في أثر الاول في القراءة، فتلاوة الحروف بعضها بعضاً يكون في الكتابة والقراءة، وفلان يتلو فلاناً أي يأتي بعده، وفلان يتلو القرآن أي يقرأه، والحق الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع أنواعه. والفرق بين حديث القرآن وإياته ان حديثه فصص تستخرج منه عبر تدل على الحق من الباطل، والآيات هي الأدلة التي تفصل بين الصحيح والفاقد فهو مصروف في الامرين ليسلك الناظر فيه الطريقين، لما له في كل واحد منهما من الفائدة في القطع بأحد الحالين في أمور الدين.

ثم قال على وجه التهجين لهم ان هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه فبأي شيء بعده يؤمنون.

(ج ٩ م ٣٢ من التبيان)

(٢٥٠)

ثم قال مهديا لهم " ويل لكل أفاك أثيم " فالويل قيل: إنه واد سائل من جهنم صديد أهلها. وقيل: إن الويل كلمة يتلقى بها الكفار والفساق تتضمن استحقاقهم العقاب، والافاك الكذاب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وإن كان في خبر واحد، ككذب مسيلمة في ادعاه النبوة. والاثيم ذو الاثم، وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب.

ثم وصف هذا الافاك الاثيم، فقال " يسمع آيات الله " أي حججه " تتلى عليه " أي تقرأ " ثم يصير " أي يقيم مصرا على كفره " مستكبرا " متجبرا عن النظر في آيات الله لا ينظر فيها ولا يعتبر بها " كأن لم يسمعها " أصلا.

ثم أمر نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يبشر من هذه صفته فقال " فبشره بعذاب اليم " أي مؤلم موجع. ثم عاد تعالى إلى وصفه فقال (وإذا علم من آياتنا شيئا) اتخذها هزوا أي إذا علم هذا الافاك الاثيم من حجج الله تعالى وأدلته شيئا وسمعها (اتخذها هزوا) أي سخر منها وتلهى بها، كما فعل ابوجهل حين سمع قوله (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) (١) ثم قال أولئك يعني من هذه صفته (لهم عذاب مهين) أي مذل لهم. ثم قال (من ورائهم جهنم) أي من بين أيديهم يعني يوم القيامة (جهنم) معدة لهم وإنما قيل: لما بين أيديهم من ورائهم، والوراء هو الخلف، لأنه يكون مستقبل أوقاتهم بعد تقضيهم ومعناه ما توارى عنهم قد يكون قداما وخلفا فهو لهذه العلة يصلح فيه الوجهان ثم قال تعالى " ولا يغني عنهم " إذا جعلوا في جهنم ما كسبوه في دار الدنيا من جمع الاموال (ولا شيئا يغني عنهم أيضا) (ما اتخذوا من دون الله أولياء) يتولونهم ويحبونهم لينصروهم ويدفعوا عنهم (ولهم عذاب عظيم) ووصفه بأنه عظيم، لأنه مؤبد نعوذ بالله منه.

---

(١) سورة ٤٤ الدخان آية ٤٤ (\*)

(٢٥١)

قوله تعالى:

(هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم (١١) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحفص (من رجز اليم) بالرفع جعلاه صفة للعذاب. الباقون بالخفض جعلوه صفة للرجز، فكأن قال: من رجز اليم، والرجز هو العذاب فلذلك صح وصفه بأنه أليم. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (لنجزي) قوما بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه بأنه يجازيهم، الباقون بالياء ردا إلى (الله) على الاخبار عنه.

معنى قوله (هذا هدى) أي هذا القرآن الذي تلوناه والكلام الذي ذكرناه (هدى) أي دلالة موصلة إلى الفرق بين ما يستحق به الثواب والعقاب، ويفرق به بين الحق والباطل من امر الدين والدنيا. ثم قال تعالى (والذين كفروا بآيات الله) وجحدوها " لهم عذاب " من عند الله جزاء على كفرهم (من رجز اليم).

### (٢٥٢)

ثم نبه تعالى خلقه على وجه الدلالة على توحيده، فقال (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمرة) ووجه الدلالة من تسخير البحر لتجري الفلك فيه بأمرة، لنبتغي بتسخيره من فضل الله، فهو محسن في فعله يستحق الشكر به على وجه لا يجوز لغيره، وإن احسن، لانه أعظم من كل نعمة. وبين انه إنما فعل ذلك لكي يشكروه على نعمه. ثم قال (وسخر لكم) معاشر الخلق (ما في السموات وما في الارض جميعا) من شمس وقمر ونجم وهواء وغيث وغير ذلك وجعل السماء سقفا مزينا وجوهر اكريما وسخر الارض للاستقرار عليها وما يخرج من الاقوات منها من ضروب النباتات والثمار والبر فيها إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من ضروب نعمه مما لا يحاط به علما، وسهل الوصول إلى الانتفاع به تفضلا (منه) على خلقه. ثم بين (إن في ذلك) يعني في ما بينه (آيات) ودلالات (لقوم يتفكرون) فيه ويعتبرون به.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (قل الذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون عذاب الله إذا أنالوكم الاذى والمكروه، ولا يرجون ثوابه بالكف عنكم. وقيل: معناه لا يرجون ثواب الله للمؤمنين، إن الله يعرفهم عقاب سيئاتهم بما عملوا من ذلك وغيره. ومعنى (يغفروا) ههنا يتركوا مجازاتهم على أذاهم ولا يكافوهم ليتولى الله مجازاتهم. وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك: هو من المنسوخ. وقال ابوصالح: نسخها قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) (١)

و (يغفروا) جواب أمر محذوف دل عليه الكلام، وتقديره: قل لهم اغفروا يغفروا وصار (قل لهم) على هذا الوجه يغني عنه. وقال الفراء: معناه في الاصل حكاية بمنزلة الامر كقولك: قل للذين آمنوا اغفروا، وإذا ظهر الامر مصرحا فهو مجزوم



(٢٥٣)

لانه أمر وإن كان على الخبر مثل قوله (قل للذين آمنوا يغفروا) (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة) (١) فهذا مجزوم تشبيها بالجزاء.  
وقوله (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) يحتمل معنيين:  
أحدهما - قل لهم يغفروا لهم، فان الله يجازيهم يعني الكفار، فانهم اليه يرجعون.  
الثاني - ان يكون المعنى ليجزيهم الله يعني المؤمنين، ويعظم أجرهم على احتمالهم وصبرهم ولن يفوتوه يعني الكافرين بل اليه مرجعهم.  
ثم قال تعالى (من عمل صالحا) يعني طاعة وخيرا (فلنفسه) لان ثواب ذلك عائد عليه (ومن اساء) بأن فعل المعصية (فعلينا) أي على نفسه لان عقاب معصيته يناله دون غيره. ثم قال (ثم إلى ربكم ترجعون) الذي خلقكم وديركم تردون يوم القيامة اليه أي إلى حيث لا يملك أحد الامر والنهي والضر والنفع غيره، فيجازي كل إنسان على قدر علمه.  
قوله تعالى:

(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) (١٦) وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا

(٢٥٤)

وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩)  
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.  
هذا قسم به من الله تعالى بأنه أعطى بني إسرائيل الكتاب يعني التوراة وآتاهم الحكم، وهو العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحق والمبطل، يقال: حكم في الامر يحكم حكما، وحكمته في أمري تحكما، واحكم العمل إحكاما، واستحكم الشيء استحكاما، وحاكمته إلى الحاكم محاكمة (ورزقناهم من الطيبات) فالرزق العطاء الجاري على توقيت وتوظيف في الحكم، وإنما قلنا في الحكم، لانه لو حكم بالعطاء الموقت في الاوقات الدائرة على الاستمرار لكان رازقا وإن أقطع ظالم عن ذلك العطاء. ثم قال (وفضلناهم على العالمين) والتفضيل جعل

الشيء أفضل من غيره باعطائه من الخير مالم يعط غيره أو بالحكم لانه افضل منه، فانه تعالى فضل بني إسرائيل بما أعطاهم على عالمي زمانهم. قال الحسن: فضلهم الله على أهل زمانهم وقال قوم: فضلهم بكثرة الانبياء منهم على سائر الامم، وإن كانت أمة محمد (صلى الله عليه وآله) أفضل في كثرة المطيعين لله، وكثرة العلماء منهم، كما تقول هذا أفضل في علم النحو، وذلك في علم الفقه، فأمة محمد (صلى الله عليه وآله) افضل في علو منزلة نبيها عند الله على سائر الانبياء، وكثرة العلماء منهم والعاملين بالحق لقوله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس) (١) فأولئك خالف اكثرهم أنبياءهم ووافق كثير من هؤلاء علماءهم واخذوا عنهم واقتبسوا من نورهم، والفضل الخير الزائد على غيره وأمة محمد (صلى الله عليه وآله) أفضل

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ (\*)

(٢٥٥)

بفضل نبيها.

ثم قال (وآتيانهم) يعني اعطيناهم (بيانات من الامر) أي دلالات وبراهين واضحات من الامر ثم قال (فما اختلفوا) أي لم يختلفوا (إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالاختلاف اعتقاد كل واحد من النفيسين ضد ما يعتقد الآخر إذا كان اختلافا في المذهب، وقد يكون الاختلاف في الطريق بأن يذهب احدهما يمنا، والآخر يسرة، وقد يكون الاختلاف في المعاني بأن لا يسد احدهما مسد الآخر في ما يرجع إلى ذاته. وإختلاف بني إسرائيل كان في ما يرجع إلى المذاهب.

وقوله (بغيا بينهم) نصب على المصدر، ويجوز ان يكون على انه مفعول له أي اختلفوا للبغي وطلب الرياسة. ومعنى البغي الاستعلاء بالظلم، وهو خلاف الاستعلاء بالحجة. والبغي يدعو إلى الاختلاف لما فيه من طلب الرفعة بما لا يرجع إلى حقيقة ولا يسوغ في الحكمة، وإنما كان ذلك طلبا الرياسة والامتناع من الانقياد للحق بالانفة، ثم قال (إن ربك) يا محمد (يقضي بينهم يوم القيامة)

أي يحكم ويفصل بين المحق منهم والمبطل في ما كانوا يختلفون في دار التكليف، وقيل: الحكم العلم بالفصل بين الناس في الامور.

ثم قال تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة من الامر) فالشريعة السنة التي من سلك طريقها أدته إلى البغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء، وهي علامة منصوبة على الطريق إلى الجنة كأداء هذا إلى الوصول إلى الماء، فالشريعة العلامات المنصوبة من الامر والنهي المؤدية إلى الجنة، ثم قال (فاتبعها)

يعني اعمل بهذه الشريعة (ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) الحق ولا يفصلون بينه وبين الباطل.

ثم اخبر النبي (صلى الله عليه وآله) فقال (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) يعني هؤلاء

### (٢٥٦)

الكفار لا يغنون عنك شيئاً (وإن الظالمين) نفوسهم (بعضهم أولياء بعض) بفعل المعاصي (والله ولي المتقين) الذين يجتنبون معاصيه ويفعلون طاعاته.

ثم قال (هذا) يعني هذا الذي ذكرناه (بصائر للناس) أي ما يتبصرون به واحدها بصيرة (وهدى) أي ودلالة واضحة (ورحمة) أي ونعمة من الله عليهم (لقوم يوقنون) بحقيقة ذلك. وإنما اضافه إلى المؤمنين لانهم الذين انتفعوا به دون الكفار الذين لا يفكروا فيه. قوله تعالى:

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢١)

وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢) أفرايت من اتخذ إليه هويته وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٤) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا آتوا بآياتنا إن كنتم صادقين (٢٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ أهل الكوفة إلا أبابكر (سواء) نصيبا. الباقون بالرفع. وقرأ أهل

### (٢٥٧)

الكوفة إلا عاصما (غشوة) على التوحيد الباقون (غشاوة) على الجمع. من رفع (سواء) جعله مبتدأ وما بعده خبرا عنه، ويكون الوقف على قوله (و عملوا الصالحات) تاما. ويجعل الجملة في موضع النصب، لانها خبر ل (جعل) ورفع (سواء) لانه اسم جنس لا يجري على ما قبله كما لا تجري الصفة المشبهة بالمشبهة إذا كانت لسبب الاول كذلك نحو قولك: مررت بزيد خير مه أبوه. فمثل هذا في الحال والخبر والصفة سبيلة واحد إذا كانت لسبب الاول. ومن نصب (محياهم ومماتهم) جعل (سواء) في موضع (مستو) وعامله تلك المعاملة، فجعل في موضع المفعول الثاني (أن نجعلهم) والهاء والميم المفعول الاول، وإن جعلت (كالذين آمنوا) المفعول الثاني نصب (سواء) على الحال وهو وقف حسن.

ويرفع (محياهم) بمعنى استوى محياهم ومماتهم. ومن قرأ (غشوة) جعله كالرجفة والخطفة. ومن قرأ (غشاوة) جعله مصدرا مجهولا، والفعلة المرة الواحدة، وقال قوم هما لغتان بمعنى واحد. وحكي الضم ايضا. وقيل: في الضمير في قوله (سواء محياهم ومماتهم) قولان: احدهما - إنه ضمير للكفار دون الذين آمنوا.

والثاني - انه ضمير للقبيلين. فمن جعل الضمير للكفار قال (سواء) على هذا القول مرتفع بأنه خبر ابتداء متقدم وتقديره محياهم ومماتهم سواء أي محياهم محيا سواء ومماتهم كذلك، فعلى هذا لا يجوز النصب في (سواء) لانه إثبات الخبر بأن محياهم ومماتهم يستويان في الذم والبعد من رحمة الله. ومن قال الضمير يرجع إلى القبيلين قال يجوز ان ينتصب (سواء) على انه مفعول ثان لانه ملتبس بالقبيلين جميعا، وليس كذلك الوجه الاول، لانه للكفار دون المؤمنين، فلا يلتبس بالمؤمن حيث كان للكفار دونهم (ج ٩ م ٣٣ من التبيان)

### (٢٥٨)

يقول الله تعالى على وجه التوبيخ للكفار على معاصيهم بكفرهم بلفظ الاستفهام (أم حسب) ومعنى (أم) يحتمل ان تكون الهمزة وتقديره أحسب الذين اجترحوا السيئات، والحسبان هو الظن. وقد بيناه في ما مضى. والاجتراح الاكتساب اجترح السيئة اجترحا أي اكتسبها من الجراح، لان له تأثيرا كتأثير الجراح.

ومثله الاقتراف، وهو مشتق من قرف القرحة. والسيئة التي يسوء صاحبها، وهي الفعلة القبيحة التي يستحق بها الذم، والحسنة هي التي يسر صاحبها بأستحقاق المدح بها عليها، ووصفها بهذا يفيد هذا المعنى. وقال الرماني: القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله. والحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله قال: وكل فعل وقع لا لامر من الامور، فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا السفه. والجعل تصيير الشئ على صفة لم يكن عليها، وهو انقلاب الشئ عما كان قادرا عليه. والمعنى أیظن هؤلاء الكفار المرتكبون للمعاصي الذين اكتسبوا القبائح أن يحكم لهم بحكم المؤمنين المعترفین بتوحيد الله المصدقين لرسله العاملين بطاعته؟!.

ثم اخبر عن الكفار فقال (سواء محياهم ومماتهم) أي هم متساون حال كونهم أحياء وحال كونهم أمواتا، لان الحي متى لم يفعل الطاعات فهو بمنزلة الميت وقال مجاهد: المؤمن يموت على ايمانه ويبعث عليه. والكافر يموت على كفره ويبعث عليه. ثم قال (ساء ما يحكمون) أي بئس الشئ الذي يحكمون به في هذه القصة. وإنما قال (يحكمون) مع ان الحكم مأخوذ من الحكمة، وهي حسنة لان المراد على ما يدعون من الحكمة، كما قال (حجتهم داحضة عند ربهم) (١) وقوله (وما كان حجتهم الا أن قالوا اتوا بأبائنا ان كنتم صادقين).

(٢٥٩)

ثم قال تعالى (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي للحق لم يخلقهما عبثا، وانما خلقهما لمنافع خلقه بأن يكلفهم فيها ويعرضهم للثواب الجزيل (ولتجزى كل نفس بما كسبت) من ثواب طاعة او عقاب على معصية (وهم لا يظلمون) أي لا يبخسون حقوقهم.

ثم قال (أفرايت من اتخذ) يا محمد (الهه هواه) وانما سمي الهوى إليها من حيث أن العاصي يتبع هواه ويرتكب ما يدعوه اليه ولم يريد انه يعبد هواه أو يعتقد أنه يحق له العبادة، لان ذلك لا يعتقد احد. قال الحسن: معناه اتخذ إلهه بهواه، لان الله يحب أن يعرف بحجة العقل لا بالهوى. وقال سعيد بن جبیر كانوا يعبدون العزى وهو حجر أبيض حينا من الدهر، فاذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الاول وعبدوا الآخر. وقال ابن عباس: معناه أفرايت من اتخذ دينه ما يهواه لانه يتخذه بغير هدى من الله ولا برهان. وقوله (وأضله الله على علم)

معناه حكم الله بضلاله عالما بعدوله عن الحق. ويحتمل ان يكون المعنى يعدل الله به عن طريق الجنة إلى طريق النار جزاء على فعله، عالما بأنه يستحق ذلك (وختم على سمعه وقلبه) وقد فسرناه في ما مضى. ومعناه أنه يجعل عليهما علامة تدل على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب، لا أنه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الايمان والطاعات (وجعل على بصره غشاوة) شبهه بمن كان على عينه غشاوة تمنعه من الابصار، لان الكافر إذا كان لا ينتفع بما يراه ولا يعتبر به، فكأنه لم يره، ثم قال (فمن يهديه) إلى طريق الجنة او من يحكم بهدائه (من بعد الله) إن حكم الله بخلافه (أفلا تذكروه) أي افلا تتفكرون فتعلمون ان الامر على ما قلناه.

ثم حكى تعالى عن الكفار أنهم (قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا) أي ليس الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها في دار الدنيا (نموت ونحيا) وقيل في

(٢٦٠)

معناه ثلاثة اقوال:

احدها - انه على التقديم والتأخير وتقديره ونحيا ونموت من غير رجوع ولا بعث على ما تدعون.

والثاني - ان يكون المراد نموت ويحيا أولادنا كما يقال ما مات من خلف ابنا مثل فلان والثالث - ان يكون المعنى يموت بعضنا ويحيا بعضنا، كما قال تعالى (فاقتلوا أنفسكم) (١) أي ليقتل بعضكم بعضا. ثم حكى انهم يقولون (وما يهلكنا إلا الدهر) يعنون مرور الليل

والنهار والشهور والاعوام ثم اخبر تعالى فقال (وما لهم بذلك من علم) أي ليس لهم بما يقولونه علم (إن هو إلا يظنون) أي وليس هم في ما يذكرونه إلا ظانين وإنما الامر فيه بخلافه. ثم قال تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي إذا قرئت عليهم حججنا الظاهرة (ما كان حجتهم إلا أن قالوا) يعني لم يكن لهم في مقابلتها حجة إلا قولهم (اننوا بأبائنا) الذين ماتوا وبادوا (إن كنتم صادقين)

في أن الله يعيد الاموات ويبعثهم يوم القيامة. وإنما لم يجبهم الله إلى ذلك، لانهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الحجة.

قوله تعالى:

(قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٦) والله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها أليوم تجزون ما كنتم

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٥٤ (\*)

(٢٦١)

تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (قل) لهم يا محمد (الله يحييكم) في دار الدنيا، لانه لا يقدر على الاحياء احد سواه تعالى لانه قادر لنفسه (ثم يميتكم) بعد هذا (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة) بأن يبعثكم ويعيدكم أحياء، وإنما احتج بالاحياء في دار الدنيا، لان من قدر على فعل الحياة في وقت قدر عليها في كل وقت. ومن عجز عنها في وقت وتعذرت عليه مع كونه حيا ومع إرتفاع الموانع عجز عنها في كل وقت. ثم بين أن يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لاشك في كونه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما قلناه لعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحة ذلك. ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم) أي وله الملك يوم تقوم (الساعة يخسر فيه المبطلون) ثواب الله. والمبطل هو من فعل الباطل وعدل عن الحق.

ثم اخبر تعالى عن حال يوم القيامة فقال (وترى كل أمة جاثية) فالامة الجماعة التي على مقصد، واشتقاقه من أمه يؤمه أما إذا قصد، والامم أمم الانبياء (جاثية) وقال مجاهد والضحاك وابن زيد: معناه باركة مستوفرة على ركبها والجنث البروك. والجنث البروك على طرف الاصابع، فهو ابلغ من الجنث.

وقوله (كل أمة تدعى إلى كتابها) قيل معناه إلى كتابها الذي كان

(٢٦٢)

يستنسخ لها ويثبت فيه أعمالها. وقال بعضهم: كتابها الذي انزل على رسولها - حكي ذلك عن الجاحظ - والاول الوجه.

ثم حكي إنه يقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من طاعة او معصية على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب. ثم قال تعالى (هذا كتابنا) يعني الذي أستنسخ (ينطق عليكم بالحق) جعل ثبوت ما فيه وظهوره بمنزلة النطق، وإنه ينطق بالحق دون الباطل. ثم قال تعالى " إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " قال الحسن: نستنسخ ما حفظت عليكم الملائكة الحفظة. وقيل: الحفظة تستنسخ ما هو مدون عندها من أحوال بني آدم الجزائية في قول ابن عباس - وروي عن علي (عليه السلام) أن الله ملائكة ينزلون في كل يوم يكتبون فيه أعمال بني آدم، ومعنى نستنسخ نستكتب الحفظة ما يستحقونه من ثواب وعقاب ونلقي ما عداه مما أثبتته الحفظة، لأنهم يثبتون جميعه.

ثم قسم تعالى الخلق فقال " فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات " أي صدقوا بوحدانيته وصدقوا رسله و عملوا الاعمال الصالحات " فيدخلهم ربهم في رحمته " من الثواب والجنة. ثم بين ان " ذلك هو الفوز المبين " أي الفلاح الظاهر.

قوله تعالى:

(وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين (٣١) وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدلهم سيئات ما عملوا وحاق

(٢٦٣)

بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٣) وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤)

ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فالיום لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥) فله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين (٣٦) وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٣٧) سبع آيات بلا خلاف قرأ حمزة وحده " والساعة لا ريب فيها " نصبا عطا على " ان وعده " وتقديره ان وعد الله حق وإن الساعة آتية. الباقون بالرفع على الاسيئاف او عطا على موضع (إن).

لما اخبر الله تعالى عن حال المؤمنين العاملين بطاعة الله وانه يدخلهم الجنة أخبر عن حال الكفار، فقال " واما الذين كفروا " أي جحدوا وحدانيتي وكذبوا رسلي، يقال لهم " أفلم تكن آياتي " وحججي " تتلى عليكم " قال الزجاج:

جواب (إما) محذوف والفاء في " أفلم " دلالة عليه بتقدير فيقال لهم " أفلم " ومثله قوله " فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم " (١) وتقديره فيقال لهم اكفرتم بعد إيمانكم. وقال قوم: جواب " اما " الفاء في " أفلم تكن آياتي " إلا أن الالف تقدمته، لان لها صدر الكلام. وقوله (فاستكبرتم) فالاستكبار هو طلب التعظيم في أعلى المراتب فهو صفة

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٠٦ (\*)

(٢٦٤)

ذم في العباد وكذلك متكبر، لانها تقتضي التعظيم في أعلى المراتب، ولا يستحق التعظيم في أعلى المراتب إلا من لا يجوز عليه صفة النقص بوجه من الوجوه " وكنتم قوما مجرمين " أي عاصين، فالاجرام الانقطاع إلى الفساد، واصله قطع الفعل عما تدعو اليه الحكمة. ثم حكى تعالى انه " إذا قيل ان وعد الله حق " أي ما وعدوا به من الثواب والعقاب كائن لامحة " وان الساعة لا ريب فيها " أي لاشك في حصولها " قلتم " معاشر الكفار " ما ندري ما الساعة " أي لا نعرفها " إن نظن إلا ظنا " ليس نعلم ذلك " وما نحن بمستيقنين " أي لسا بمستيقنين ذلك. ثم اخبر تعالى فقال " وبدالهم سيئات ما عملوا " ومعناه ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها في دار التكليف من العقاب " وحق بهم، أي حل بهم جزاء " ما كانوا به يستهزؤن " باخبار الله واخبار نبيه " وقيل " لهم " اليوم ننساكم " أي نترككم في العقاب - في قول ابن عباس - ونحرمكم ثواب الجنة " كما نسيتم " أي كما تركتم التأهب ل " لقاء يومكم هذا " فلم تعملوا الطاعات وارتكبتم المعاصي وقال مجاهد: كنسيانكم يومكم " ومأواكم النار " أي مستقركم جهنم " ومالكم من ناصرين " يدفعون عنكم عذاب الله ولا لكم من مستنقذ من عذاب الله. ثم بين تعالى لم فعل بهم ذلك بان قال " ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا " يعني حججه وآياته (هزوا) أي سخرية تسخرون منها " وغرتمكم الحياة الدنيا " أي خدعتكم زينتها ومعناه اغترتم بها، " فالיום لا تخرجون منها " يعني من النار.

وقرأ اهل الكوفة إلا عاصما " يخرجون " بفتح الياء وبضم الراء. الباقون بضم الياء وفتح الراء. ومن فتح الياء، فلقوله " يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها " (١) ومن ضم فلقوله " ولا هم يستعتبون " وطابق بينهما

---



(٢٦٥)

ومعنى " ولا هم يستعتبون " أي لا يطلب منهم العتبي والاعتذار، لان التكليف قد زال. وقيل: معناه لا يقبل منهم العتبي. وقيل: الوجه في ظهور أحوالهم وسيئاتهم في الآخرة التبكيث بها والتفريع بالتكذيب لما كان يمكنهم معرفته لظهور حججه على خلقه. ثم قال تعالى " فله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين " أي الشكر التام والمدحة التي لا يوازيها مدحة الله الذي خلق السموات والارض ودبرهما وخلق العالمين " وله الكبرياء في السموات والارض " أي له السلطان القاهر وله العظمة العالية التي هي في أعلى المراتب لا يستحقها سواه " وهو العزيز " أي القادر الذي لا يغالب " الحكيم " في جميع أفعاله. وقيل: (عزيز) في انتقامه من الكفار (حكيم) في ما يفعل بهم وبالمؤمنين من الثواب. (ج ٩ م ٣٤ من التبيان)

(٢٦٦)

٤٦ - سورة الاحقاف مكية بلا خلاف، وهي خمس وثلاثون آية في الكوفي واربعة وثلاثون في البصري والمدنيين عد أهل الكوفة (حم) آية ولم يعده الباقون. والباقي لا خلاف فيه بسم الله الرحمن الرحيم (حم) (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (٣) قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات انتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين (٤) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون (٥).

خمس آيات في الكوفي واربعة في ما عداه عد الكوفي (حم) ولم يعده الباقون. وقد بينا معنى قوله (حم) وإختلاف العلماء في ذلك، وبيننا أيضا تأويل قوله " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " فلا وجه لا عادته. وقيل: الوجه في

(٢٦٧)

تكرير ذلك الا بانه عن أن هذه السورة حالها حال السورة التي قبلها في أنه تعالى نزلها وشرفها وكرمها في الاضافة إلى العزيز الحكيم. والعزيز القادر الذي لا يغالب ولا يقهر. وقيل هو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في افعاله. وقد يكون الحكيم بمعنى العالم

بتصرف الامور الذي لا يوقعها الا على مقتضى العلم في التدبير وهو صفة مدح، وضده السفيه، وضد العزيز الدليل.

ثم قال تعالى مخبرا إنا " ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق " ومعناه إنا لم نخلق السموات والارض وما بينهما إلا بالحق ومعناه إنه لم توجد السموات والارض وما بينهما من الاجناس إلا للحق وتعريض الخلق لضروب النعم وتعريض المكلفين للثواب الجزيل ولم ونخلقها عبثا ولا سدى بل عرضناهم للثواب بفعل الطاعات وزجرناهم بالعقاب عن فعل المعاصي، وقدرنا لهم اوقات نبعثهم اليها وأوقات نجازيهم فيها " واجل مسمى " أى مذكور للملائكة في اللوح المحفوظ.

ثم قال " والذين كفروا " بوجدانية الله تعالى وجدوا ربوبيته " عما اندروا " به معرضون وعما خوفوا العمل من خلافه بالعقاب " معرضون " أى عادلون عن الفكر فيه والاعتبار به. ثم قال " قل " يا محمد (صلى الله عليه وآله) لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام ويدعون مع الله إليها آخر " أرايتم ما تدعون من دون الله " آلهة وتوجهون عبادتكم اليها بأي شئ استحقوا ذلك " أروني ماذا خلقوا من الارض " فاستحقوا بخلق ذلك العبادة والشكر " أم لهم شرك في السموات " أى في خلقها، فانهم لا يقدرون على ادعاء ذلك.

ثم قال لهم " ائتوني بكتاب من قبل هذا " يعني هاتوا بكتاب انزله الله يدل على صحة قولكم قبل هذا القرآن " او أثارة من علم " يعني شئ يستخرج منه

### (٢٦٨)

فيثاثر فيعلم به ماهو منفعة لكم - وهو قول الحسن - وقال مجاهد: معناه او علما تأثرونه عن غيركم - ويؤدى أثره، وهما لغتان: اثره واثاره، ومنه الحديث المأثور أى المرفوع - يدل على صحة ما تذهبون اليه. وقال ابوبكر وابن عباس: معناه او بقية من علم يشهد بصحة قولكم وصدق دعواكم " إن كنتم صادقين " في ما تذكرونه وتذهبون اليه. ويقال: اثر الشئ اثارة مثل قبح قباحة وسمح سماحة، قال الراعي:

وذاث أثارة اكلت عليه يعني ذات بقية من شحم. ثم قال تعالى " ومن أضل " أى من اضل عن طريق الصواب " ممن يدعو من دون الله " أي يضرع اليه ويوجه عبادته إلى " من لا يستجيب له إلى يوم القيامة " مع ظهور الدلالة على توحيد الله ووضوح آثار نعمه على خلقه " وهم " مع ذلك " عن دعائهم " إياهم " غافلون " أى ذاهبون عن الفكر فيه، لانهم لا يعقلون ولا يفقهون. والغفلة ذهاب المعنى عن نفس العاقل بمعنى يمتنع به إدراكه. وضده اليقظة، وهو حضور المعنى لنفس العاقل بما يجد إدراكه، وانما كنى عن الاصنام بالواو والنون مع أنها لا

تعقل لما أضاف إليها ما يكون من العقلاء، كنى عنها بكنائياتهم، كما قال " والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " (١) وقوله " كل في فلك يسبحون " (٢).

قوله تعالى:

(وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٦) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٤ (٢) سورة ٣٦ يس آية ٤٠ (\*)

(٢٦٩)

للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (٩) قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

لما قال تعالى إنه لا أحد أضل عن طريق الحق ممن يدعو من لا يستجيب له، يعني الاصنام التي عبدوها وإنهم عن دعائهم غافلون أيضاً، ذكر انه " إذا حشر الناس " يوم القيامة وبعثهم الله للثواب والعقاب " كانوا لهم اعداء " يعني هذه الاوثان التي عبدوها ينطقهم الله حتى يجحدوا أن يكونوا يدعو إلى عبادتها او شعرت بذكر من أمرها " وكانوا بعبادتهم كافرين " يعني يكفرون بعبادة الكفار لهم ويجحدون ذلك. ثم وصفهم ايضا فقال " وإذا تتلى عليهم " يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم " آياتنا " أى أدلنتنا التي انزلناها من القرآن ونصبتها لهم.

والآية الدلالة التي تدل على ما يتعجب منه، قال الشاعر:

بأية يقدمون الخيل زورا \* كأن على سنانها مدا (١)

ويروى مناكبها و " بينات " أى واضحات " قال الذين كفروا " بوحداية

---

(١) مر في ٦ / ٦٣ (\*)

(٢٧٠)

الله وجحدوا نعمه " للحق لما جاءهم " يعني القرآن، والمعجزات التي ظهرت على يد النبي (صلى الله عليه وآله) " هذا سحر مبين " أى حيلة لطيفة ظاهرة، ومن اعتقد ان السحر حيلة لطيفة لم يكفر بلا خلاف. ومن قال انه معجزة كان كافرا، لانه لا يمكنه مع هذا القول ان يفرق بين النبي والمنتبي.

ثم قال " أم يقولون افتراه " أي بل يقولون اختلقه و اخترعه فقال الله تعالى له " قل " لهم " إن " كنت (افتريته) وأخترعته (فلا تملكون لي من الله شيئاً) أي ان كان الامر على ما تقولون إني ساحر ومفتن لا يمكنكم أن تمنعوا الله مني إذا أراد اهلاكي على افترائي عليه (هو أعلم بما تقيضون فيه) يقال:

أفاض القوم في الحديث إذا مضوا فيه، وحديث مستفيض أي شائع، من قولكم هذا سحر وافتراء، ثم قل لهم (كفى به) يعني بالله (شهيدا بيني وبينكم) يشهد للمحق منا والمبطل (وهو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بكثرة نعمه عليهم. وفي ذلك حث لهم على المبادرة بالتوبة والرجوع إلى طريق الحق، ثم قال (قل) يا محمد (صلى الله عليه وآله) (ما كنت بدعا من الرسل) فالبدع الاول في الامر يقال: هو بدع من قوم أبدع قال عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري \* رجالا عرت من بعد يؤمن واسعد (١)  
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معناه ما كنت بأول رسول بعث وقوله (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال الحسن: معناه لا أدري ما يأمرني الله تعالى فيكم من حرب او سلم او تجعيل عقابكم او تأخيره. وقال قل لهم (إن اتبع إلا ما يوحى إلي) أي لست اتبع في أمركم من حرب او سلم او امر او نهى إلا ما يوحى الله إلي ويأمرني به (وما أنا إلا نذير مبين) أي لست إلا مخوفا من

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٤ (\*)

### (٢٧١)

عقاب الله ومحذرا من معاصيه ومرغبا في طاعته. وقيل: إن اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) شكوا إليه ما يلقون من اهل مكة من الاذى، فقال لهم (إني رأيت في المنام أني اهاجر إلى ارض ذات نخل وشجر) ففرحوا بذلك، فلما تأخر ذلك، قالوا: يارسول الله ما نرى ما بشرتنا به فانزل الله الآية. وقوله (مبين) معناه مظهر لكم الحق فيه. ثم قال (قل) لهم يا محمد (أرأيتم إن كان من عند الله) يعني هذا القرآن (وكفرتم به) يعني بالقرآن (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وعون بن مالك الاشجعي صحابي، وابن زيد: نزلت الآية في عبدالله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل، فروي أن عبدالله بن سلام جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: يا رسول الله سل اليهود عني فهم يقولون هو أعلمنا، فاذا قالوا ذلك قلت لهم إن التوراة دالة على

نبوتك وأن صفاتك فيها واضحة، فلما سألهم عن ذلك، قالوا ذلك، فحينئذ اظهر ابن سلام إيمانه وأوقفهم على ذلك، فقالوا هو شرنا وابن شرنا. وقال الفراء: هو رجل من اليهود. وقال مسروق: الشاهد من بني إسرائيل هو موسى (عليه السلام) شهد على التوراة كما شهد النبي (صلى الله عليه وآله) على القرآن، قال: لان السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة. وقوله (فأمن واستكبرتم) عن الايمان وجواب (إن كان من عند الله محذوف. قال الزجاج: تقديره (فأمن واستكبرتم) فلا تؤمنون. وقال غيره تقديره فأمن واستكبرتم إنما تهلكون. وقال الحسن: جوابه فمن أضل منكم.

ثم اخبر تعالى فقال (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ويحتمل أمرين: احدهما - إنه لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب.

والثاني - إنه لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالا ظالمين. ولا يجوز ان يكون

(٢٧٢)

المراد لا يهديهم إلى طريق الحق، لانه تعالى هدى جميع المكلفين بأن نصب لهم الادلة على الحق ودعاهم إلى اتباعه، ورجبهم في فعله. وقد قال (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) (١) فبين أنه هداهم إلى الحق وإن اختارواهم الضلال. قوله تعالى:

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) (١١) ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين (١٢) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (١٤) ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضيه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير - في إحدى الروايتين عنه - ونافع وابوجعفر وابن عامر

---

(١) سورة ٤١ حم السجدة آية ١٧ (\*)

(٢٧٣)

ويعقوب (لتنذر) بالتاء على وجه الخطاب. ويجوز ان يكون مردودا إلى اللسان وهو مؤنث. الباقون بالياء على وجه الاخبار عن الكتاب او القرآن. وقرأ اهل الكوفة (إحسانا) بالف.

الباقون (حسنا) بضم الحاء بلا ألف. وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وابوعمر و (كرها) بفتح الكاف. الباقون بضمها، وهما لغتان.

وقرأ يعقوب (وفصله) بفتح الفاء وسكون الصاد من غير الف. الباقون (وفصاليه) بكسر الفاء وإثبات ألف، وهما لغتان وبإثبات الالف كلام العرب. وفي الحديث (لا رضاع بعد فصال) وروى بعد (فطام).

أخبر الله تعالى عن الكفار الذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) أنهم قالوا (للذين آمنوا) وصدقوا رسوله (لو كان) هذا الذي يدعوننا هؤلاء المسلمون اليه: محمد ومن اتبعه (خيرا) أي نفعنا عاجلا أو آجلا يظهر لنا ذلك (ما سبقونا) يعني الكفار الذين آمنوا به (اليه) أي إلى إتياعه لانا كنا بذلك أولى وبه أجرى، وحكى ان اسلم وغفار وجهينة ومزينة لما اسلموا قال بنو عامر ابن صعصعة وغطفان واسد واشجع هذا القول، فحكا الله. والسبق المصير إلى الشيء قبل غيره، وكذلك السابق إلى الخير والتابع فيه، فقال الله تعالى (وإذ لم يهتدوا به) يعني هؤلاء الكفار بهذا القرآن ولا استبصروا به ولا حصل لهم العلم بأنه مرسل داع إلى الله (فسيقولون هذا أفك قديم) أي كذب متقدم حيث لم يهتدوا به، وصفه بالقديم للمبالغة في التقدم أي ليس أول من ادعى الكذب في ذلك بل قد تقدم اشباهه. والقديم في اللغة هو المتقدم الوجود، وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا أول لوجوده. ثم قال تعالى (ومن قبله) يعني من قبل القرآن (كتاب موسى) يعني (ج ٩ م ٣٥ من التبيان)

### (٢٧٤)

التوراة (إماما ورحمة) أي جعلناه إماما ورحمة وانزلناه إماما يهتدى به ورحمة أي نعمة على الخلق. ثم قال (وهذا) يعني القرآن (كتاب مصدق) لذلك الكتاب (لسانا عربيا) نصبه على الحال، ويجوز ان يكون حالا من هذا الكتاب ويجوز ان يكون حالا لما في (مصدق) من الضمير. وقوله (لينذر الذين ظلموا)

أي ليخوفهم، ويعلمهم استحقاق العقاب على المعاصي واستحقاق الثواب على الطاعات. فمن قرأ بالتاء جاز أن يكون خطابا للنبي (صلى الله عليه وآله) ويجوز ان يكون ردا على اللسان على ما قدمناه، وهو مؤنث. ومن قرأ بالياء رده إلى الكتاب الذي هو القرآن. وقوله (وبشرى للمحسنين) معناه ان يكون هذا القرآن بشارة لمن فعل الصالحات واختار الحسنات، ويجوز في (بشرى) ان يكون رفعا عطفًا على (مصدق) ويجوز ان يكون نصبا لوقوعه موقع (وبشيرا) فيكون حالا، كما تقول: اتيتك لازورك وكرامة لك وقضاء لحقك.

ثم اخبر تعالى (إن الذين قالوا) بلسانهم (ربنا الله) واعتقدوا ذلك بقلوبهم (ثم استقاموا) على ذلك لم يعدلوا عنه (فلا خوف عليهم) من العقاب في الآخرة (ولا هم يحزنون) من أهوال القيامة.

ثم اخبر عنهم فقال (أولئك) يعني من تقدم ذكرهم (اصحاب الجنة) أي الملازمون لها (خالدين فيها جزاء) لهم (بما كانوا يعلمون) في الدنيا من الطاعات.

ثم قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) أي امرناه بأن يحسن إلى والديه إحسانا. فمن قرأ بلا الف فالمعنى أن يحسن فعله معهما حسنا، فالحسن والحسن. لغتان، يقال: حسن يحسن حسنا ومن قرأ "إحسانا" جعله مصدر احسن". وكرها "بفتح الكاف المصدر وبضمها الاسم. وقيل هما لغتان. وقوله "حملته أمه كرها ووضعته كرها" قال الحسن وقتادة ومجاهد: أي بمشقة. ثم

### (٢٧٥)

قال "وحمله وفصاله ثلاثون شهرا" نبه بذلك على ما يستحقه الوالدان من الاحسان اليهما ومعاملتها من حيث أنهما تكفلا به وربياه، وانه "حملته أمه كرها ووضعته كرها" أي بمشقة في حال الولادة وارضعته مدة الرضاع. ثم بين ان أقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا، وأنهما تكفلا به حتى بلغ حد الكمال "حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة" قيل اكثر الفصال واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا واقل مدة الحمل ستة اشهر، والمعنى وصية بذلك ليكون إذا بلغ اشده أي حال التكليف وحال الاربعين، قال هذا القول علمه الله إياه. وقال قتادة وابن عباس: أشده ثلاث وثلاثون سنة. وقال الشعبي: هو وقت بلوغ الحلم. وقال الحسن: اشده وقت قيام الحجة عليه. ثم "قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي" فالإيزاع المنع من الانصراف عن الشئ فالإيزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللفظ، ومنه قولهم يزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن. ومنه قول الحسن: لا بد للسلطان من وزعة. قال النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبا \* فقلت ألما تصح والشيب وازع

اي مانع. وقيل: إيزاع الشكر هو الهام الشكر وقيل الاعزاء بالشكر "وأن أعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين" تمام ما علمه الله للانسان ووصاه ان يدعو به إذا بلغ اشده: أن يقول: إني تائب إلى الله من المعاصي وإني من جملة المسلمين لامر الله.

قوله تعالى:

(أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون (١٦)  
والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت

### (٢٧٦)

القرن من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الاولين (١٧) أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين (١٨) ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون (١٩) ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ " نتقبل، ونتجاوز " بالنون فيهما حمزة والكسائي وخلف، على وجه الاخبار من الله عن نفسه ولقوله " ووصينا " الباقر بالبياء فيهما، على ما لم يسم فاعله. وروى هشام " اتعداني " بنون مشددة. الباقر بنونين. وقرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم إلا الكسائي عن ابي بكر والحلواني عن هشام (وليوفينهم)

بالياء. الباقر بالنون. وقرأ ابن ذكوان وروح (أذهبتم) بهزتين مخففتين على الاستفهام. وقرأ ابن كثير وابوجعفر وهشام بتخفيف الاولى وتلين الثانية وفصل بينهما بالف ابوجعفر والحلواني عن هشام. الباقر بهمزة واحده على الخبر.

لما اخبر تعالى بما أوصى به الانسان ان يعمله ويقوله عند بلوغ أشده اخبره بعده بما يستحقه من الثواب إذا فعل ما أمره به تعالى فقال (أولئك)

يعني الذين فعلوا ما وصيناهم به من التائبين المسلمين هم (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من قرأ بالنون اضاف الفعل إلى الله وانه أخبر عن نفسه بأنه يفعل بهم. ومن

### (٢٧٧)

قرأ بالياء والضم فيهما لم يذكر الفاعل لانه معلوم أن المراد به أن الله الذي يتقبل الطاعات ويجازي عليها. وقوله (أحسن ما عملوا) يعني ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات، لان المباحات وإن كانت حسنة لا يستحق بها الثواب ولا توصف بأنها متقبلة، لانه لا يتقبل إلا ما ذكرناه من واجب او نذب.

ثم قال (ونتجاوز عن سيئاتهم) التي اقترفوها فلا نؤاخذهم بها إذا تابوا منها أو اردنا أن نتفضل عليهم باسقاطها، وقوله (في اصحاب الجنة) أي هم في اصحاب الجنة (وعد الصدق) أي



وعدهم وعد الصدق لا الكذب، فهو نصب على المصدر (الذي كانوا يوعدون) به في دار الدنيا إذا اطاعوا الله.

ثم اخبر تعالى عن حال (الذي قال) أي الذي يقول (لوالديه أف لكما) ومعناه أنه في موضع ضجر منهما، وقيل: معناه نتنا وقذرا لكما، كما يقال عند شم الرائحة الكريهة. وقال الحسن: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وانه يتأفف بهما إذا دعواه إلى الاقرار بالبعث والشنور. وقال قوم: نزلت الآية في عبدالرحمن بن ابي بكر قبل ان يسلم.

ثم بين أنه يقول لهما (أتعدانني أن اخرج) من القبر وأحيا وابعث (وقد خلت القرون من قبلي) أي مضت امم قبلي وماتوا فما أخرجوا ولا اعيدوا وهما) يعني والديه (يستغيثان الله) ويقولان له (ويلك آمن إن وعد الله حق)

والبعث والنشور والثواب والعقاب (فيقول) في جوابهما (ما هذا إلا اساطير الاولين) أي ليس هذا إلا أخبار الاولين وسطروها، وليس لها حقيقة، فقال تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) باستحقاق العقاب وإدخالهم النار (في أمم) أي مع أمم وجماعات (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) على مثل حالهم ومثل اعتقادهم. وقال قتادة: قال الحسن: الجن لا يموتون، قال قتادة:

### (٢٧٨)

فقلت (أولئك الذين حق عليهم القول..) الآية تدل على خلافه، ويجوز ان يكون الحسن أراد انهم لا يموتون في دار الدنيا ويبقون إلى وقت قيام الساعة.

ثم يميتهم الله كما ان ذلك سبيل كل خلق من الملائكة. ثم قال تعالى مخبرا عن حالهم (إنهم) يعني الذين وصفهم (كانوا قوما خاسرين) في أمورهم، لانهم خسروا الثواب الدائم وحصل لهم العقاب المؤبد.

ثم قال (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل مطيع درجات ثواب، وإن تفاضلوا في مقاديرها. وقوله (وليوفيهم) من قرأ بالياء معناه ليوفيهم الله. ومن قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من الله عن نفسه انه يوفيهم ثواب اعمالهم من الطاعات " وهم لا يظلمون " أي من غير ان ينقص منه شيئا.

ثم قال تعالى (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعني يوم القيامة (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي يقال لهم على وجه التهجين والتوبيخ (أذهبتم طيباتكم) أي انفقتم ذلك في ملاذ الدنيا، وفي معاصي الله، ولم تستعملوها في طاعاته. فمن خفف الهمزتين أراد بالف الاستفهام التوبيخ. ومن لين الثانية كره الجمع بين الهمزتين. ومن قرأ على الخبر، فعلى تقدير يقال لهم

(أذهبتم) أو يكون حذف احدهما تخفيفا ويكون المحذوفة الاصلية، لان همزة الاستفهام ادخلت لمعنى.

وقوله (واستمعتم بها) يعني بالطيبات. ثم حكى ما يقال لهم بعد ذلك فانه يقال لهم (فاليوم تجزون عذاب الهون) يعني عذاب الهوان - في قول مجاهد (بما كنتم تستكبرون في الارض) أي جزاء بما كنتم تطلبون التكبر والتجبر على الناس (بغير الحق) أي بغير استحقاق (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون

من طاعة الله إلى معاصيه.

قوله تعالى:

(واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٢١) قالوا أجبنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٢٢) قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أريكم قوما تجهلون (٢٣) فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم (٢٤) تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم وحمزة وخلف (لا يرى) بالياء مضمومة، على ما لم يسم فاعله (إلا مساكنهم) برفع النون. الباقون - بالتاء - ونصب النون. من ضم الياء فعلى ما لم يسم فاعله. ومن فتح التاء، فعلى الخطاب، والمعنيان متقاربان.

يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (واذكر) يا محمد (أبا عاد) يعني هودا (عليه السلام) (اذ أنذر قومه) أي خوفهم من الكفر بالله وحذرهم معاصيه ودعاهم إلى طاعته (بالاحقاف) قال ابن عباس: هو واد بين عمان ومهورة، وقال ابن اسحاق:

الاحقاف الرمل في ما بين عمان إلى حضرموت. وقال قتادة: الاحقاف رمال

=====

مشرفة على البحر بالشجر من اليمن، وقال الحسن: الاحقاف أرض خلالها رمال.

وقال الضحاك: جبل بالشام يسمى بذلك، قال العجاج:

بات إلى أرطات حقف أحقفا (١)

أي رمل مشرف، وقال ابن زيد: الحقف الرمل يكون كهيئة الجبل.

وقال المبرد: الحقف هو كثيب المكثر غير العظيم وفيه اعوجاج، قال العجاج:

سماوة الهلال حتى احقوقفا (٢)

وهو انحناءه. وقوله (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه ومن خلفه) أي قدامه ووراءه (ألا تعبدوا إلا الله) أي انذرهم وخوفهم بان لا تعبدوا إلا الله. وقال لهم (إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني عذاب يوم القيامة.

ثم حكى ما اجاب به قومه وانهم (قالوا اجبتنا) يهود (لتأفكنا)

أي لتلفتنا وتصرفنا (عن) عبادة (التهتنا) بالكذب والافك (فأنتا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت) صادقا (من الصادقين) فانا لا نصدقك في ما تقوله، فقال هود لهم (إنما العلم عندالله) يريد العلم بوقت إنزال العذاب بكم عندالله، وهو العالم به ولا أعلمه مفصلا (وابلغكم ما أرسلت به) أي أودي اليكم ما بعثت به اليكم من الدعاء إلى عبادة الله وإخلاص القربة اليه، فلست اراكم تقبلون ذلك (ولكني أراكم قوما تجهلون) أي تفعلون ما يفعله الجهال.  
وقوله " فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم " معناه فلما رأو العذاب وشاهدوه أطل عليهم " قالوا هذا عارض " أي سحاب " ممطرنا " والعارض المار بمعنى انه

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠٣ / ١٦ ومجاز القرآن ٢ / ٢١٣ والطبرى ٢٦ / ١٥ (٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٠٣ وقد مرفى ٦ / ٧٩ و ٨ / ٢٩ (\*)

=====

(٢٨١)

لا يلبث من خير أو شر، فلما رأو العارض ظنوا انه عارض خير بالمطر، فقيل لهم ليس الامر كما ظننتم " بل هو ما استعجلتم " أي هو عارض من العذاب الذي استعجلتموه وطلبتموه مكذبين به، وقال (عارض) نكرة و (ممطرنا) معرفة، وإنما وصفه به لان التقدير ممطر ايانا، كقولك: مررت برجل مثلك أي مثل لك ثم فسره فقال " هو ريح فيه عذاب عظيم " أي مؤلم، وسمي السحاب عارضا، لآخذه في عرض السماء، وقال الاعشى:  
يامن رأى عارضا قدبت أرمقه \* كأنما البرق في حافاته الشعل (١)  
وقيل: كانت الريح ترفع الطعينة بحملها حتى ترى كأنها جرادة - في قول عمرو بن ميمون -  
وقوله تعالى " تدمر كل شئ " أي تخرب وتلقي بعض الاشياء على بعض حتى تهلك، قال جرير:

وكان لهم كبكر ثمود لما رغا \* ظهرا فدمرهم دمارا (٢).  
وقوله " فاصبحوا " يعني اهل الاحقاف " لا يرى إلا مساكنهم " وما عداها قد هلك. فمن فتح التاء نصب النون من (مساكنهم) على وجه الخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله). ومن ضم الياء ضم النون وتقديره فأصبحوا لا يرى شئ في مساكنهم وقرأ الحسن بالتاء والضم. وقال النحويون: القراءة بالياء ضعيفة في العربية، لان العرب تذكر ما قبل (الا) في الجحد، فنقول: ما قام إلا اختك، لان المحذوف (أحد) وتقديره ما قام احد إلا اختك قامت.  
ثم قال تعالى مثل ما أهلكنا اهل الاحقاف وجازيناهم بالعذاب " كذلك نجزي القوم المجرمين " الذين سلكوا مسلكهم.

=====

(٢٨٢)

قوله تعالى:

(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٢٦) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (٢٨) وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين (٢٩) قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى على وجه القسم في خبره أنه مكن هؤلاء الكفار الذين اخبر عنهم بأنه اهلكهم انه مكناهم من الطاعات ومن جميع ما أمرهم به من انه جعلهم قادرين متمكنين بنصب الدلالة على توحيدهم، ومكنهم من النظر فيها، ورجبهم في ذلك بما ضمن لهم من الثواب وزجرهم عما يستحق به العقاب، ولطف لهم وازاح عنهم في جميع ذلك، لان التمكين عبارة عن فعل جميع ما لا يتم الفعل إلا معه، ثم قال " وجعلنا لهم سمعا " يسمعون به الادلة " وأبصارا " يشاهدون بها الآيات " وأفئدة " يفكرون بها ويعتبرون بالنظر فيها " فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم

=====

(٢٨٣)

ولا أفئدتهم من شيء " أي لم ينفعهم جميع ذلك، لانهم لم يعتبروا بها ولا فكروا فيها " إذ كانوا يجحدون بآيات الله " وأدلته " وحاق بهم " أي حل بهم عذاب " ما كانوا به يستهزؤن " ويسخرون منه.

وقوله " ما ان مكناكم فيه " قال ابن عباس وقتادة: معناه في مالم نمكنكم فيه. وقال المبرد: (ما) الاولى بمعنى (الذي) و (إن) بمعنى (ما) وتقديره في الذي ما مكناكم، والمراد بالآية وعيد كفار قريش وتهديدهم وأن الله قد مكن قوم عاد بما لم يمكن هؤلاء منه، من عظيم القوة وشدة البطش والقدرة على جميع ما يطلبونه، وأنهم مع تمكينهم لم ينفعهم ذلك لما نزل بهم عذاب الله حين كفروا به وجحدوا ربوبيته ولم يغنهم جميع ذلك.

ثم قال " ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى " يعني قوم هود وصالح، لانهم كانوا مجاورين لبلاد العرب وبلادهم حول بلادهم، فاذا أهلكهم الله بكفرهم كان ينبغي أن يعتبروا بهم " وصرفنا الآيات " وتصريف الآيات تصييرها في الجهات وتصريف الشئ تصييره في الجهات، وتصريف المعنى تصييره تارة مع هذا الشئ وتارة مع ذلك، وتصريف الآيات تصييرها تارة في الاعجاز وتارة في الاهلاك، وتارة في التذكير بالنعمة وتارة في وصف الابرار، وتارة في وصف الفجار، ليجتنب مثل فعلهم " لعلمهم يرجعون " أي لكي يرجعوا إلى طاعته.

ثم قال " فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة " ومعناه فهلا نصرهم الذين اتخذوا آلهة من دون الله من الاصنام، توبيخا لهم على فعلهم واعلاما بأن من لا يقدر على نصره أوليائه كيف تصح عبادته " قربانا آلهة " أي يقربون اليهم قربانا وسموها آلهة.

ثم قال لم ينصرونهم " بل ضلوا عنهم " واخبر أن " ذلك إفكهم وما كانوا

=====

(٢٨٤)

يفترون " أي كذبهم الذي كذبوه، والذي كانوا يفترونه، ويخترعون.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) واذكر يا محمد " إذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه " يعني القرآن او النبي " قالوا " بعضهم لبعض " انصتوا فلما قضي " أي حين فرغ من تلاوته " ولوا إلى قومهم منذرين " لهم مخوفين من معاصي الله. وقال قوم: إن الله تعالى أمر نبيه ان يقرأ القرآن على الجن، وأمره بأن يدعوهم إلى عبادته. وقال قوم: هم يسمعون من قبل نفوسهم لقراءة القرآن فلما رجعوا " قالوا " لقومهم " يا قومنا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه " يعني التوراة " يهدي إلى الحق " أي يرشد إليه " ويهدي إلى طريق مستقيم " من توحيد الله ومعرفة نبيه المؤدي إلى الجنة. وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير: صرفوا اليه بالرجم بالشهب، فقالوا عند ذلك إن هذا الامر كبير.

وقال قتادة: صرفوا اليه من جهة. وفي رواية عن ابن عباس من نصيبين. وقيل:

ان نصيبين من أرض اليمن. وقال رزين بن حبيش: كانوا تسعة نفر، وقال ابن عباس: كانوا سبعة نفر. وقال قوم: صرفوا اليه بالتوفيق.

قوله تعالى:

(يا قومنا أجبوا داعي الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله

فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء ألك في ضلال مبين (٣٢) أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل

=====

(٢٨٥)

شئ قدير (٣٣) ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٤)

فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون (٣٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ يعقوب " يقدر " بالياء جعله فعلا مستقبلا. الباقر - بالياء - اسم فاعل.

لما حكى الله تعالى أن نفرا من الجن استمعوا القرآن وتدبروه ورجعوا به إلى قومهم مخوفين لهم من معاصي الله وأنهم قالوا إنا سمعنا كتابا يعني القرآن انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني التوراة يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، حكى انهم قالوا ايضا " يا قومنا أجببوا داعي الله " يعنون محمدا (صلى الله عليه وآله) إذ دعاهم إلى توحيده وخلع الانداد دونه، وقال قوم: يجوز ان يكون المراد كل من دعا إلى الله تعالى. والاجابة موافقة الفعل الدعاء اليه بأنه عمل من أجله، ولهذا لا تكون موافقة الكافر - وإن كان إذا دعا به - إجابة له إذ لم يعمل من أجل دعائه اليه، وإنما عمل لامر آخر. وعلى هذا قال بعضهم: إنه لا يجيب الله دعاء الكافر لان فيه إجلالا له كمالا يعمل شيئا لان فيه مفسدة.

فان قيل: لو ان الكافر دعا إلى حق هل تلزم اجابته؟ قلنا: يجب العمل بما يدعو اليه، ولا تلزم إجابته، وإنما يجب العمل به، لانه حق. وقيل: يجوز إجابته إذا لم يكن فيه مفسدة.

=====

(٢٨٦)

وقالوا لهم " آمنوا به " أي آمنوا بالله " يغفر لكم من ذنوبكم " (من) زائدة، والمعنى يغفر لكم ذنوبكم " ويجركم من عذاب اليم " فالاجارة من النار جعلهم في جوار الاولياء المباعدين من النار. وفي الدعاء: اللهم أجرني من النار واللهم اعذني منها.

ثم قالوا ايضا " ومن لا يجب داعي الله " تاركا له إلى خلافه " فليس بمعجز " أي بفانت " في الارض وليس له من دونه اولياء " ينصرونهم ويدفعون عنهم العذاب إذا نزل بهم، ويجوز ان

يكون ذلك من كلام الله ابتداء. ثم قال " اولئك " يعني الذين لا يجيبون داعي الله " في ضلال " أي في عدول عن الحق " مبين " .

ثم قال تعالى منبها لهم على قدرته على الاعادة والبعث " او لم يروا " أي او لم يعلموا " ان الله الذي خلق السموات والارض " وانشأهما " ولم يعي بخلقهن " أي لم يصبه في خلق ذلك إعياء ولا تعب " بقادر " فالبراء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر (أن) ودخول الباء في خبر (ان) جائز إذا كان اول الكلام نفيًا نحو ما ظننت أن زيدا بقائم ولو قلت: إن زيدا بقائم لا يجوز، لانه إثبات " على ان يحيي الموتى " ثم قال " بلى " هو قادر عليه " إنه على كل شئ قدير " ثم قال " ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق " أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جزيتم به حق لا ظلم فيه لانكم شاهدتموه الآن " قالوا بلى وربنا " فيحلفون على ذلك، فيقال لهم عند ذلك " ذوقوا العذاب " جزاء " بما كنتم تكفرون " أي بما كنتم تجحدون من نعمه وتكفرون من وحدانيته ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) " فاصبر " يامحمد على أذى هؤلاء الكفار على ترك إجابتهم لك " كما صبر اولوالعزم من الرسل " قبلك على اممهم. وقال قوم: أولوا العزم

=====

(٢٨٧)

هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب وإجتتاب المحارم، فعلى هذا الانبياء كلهم أولوا العزم، ومن قال ذلك جعل (من) ههنا للتبيين لا للتبويض. ومن قال: إن أولى العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون قال (من) ههنا للتبويض وهو الظاهر في روايات اصحابنا، وأقوال المفسرين، ويريدون بأولي العزم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدم من الانبياء، قالوا وهم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد (صلى الله عليه وآله).

ثم قال " ولا تستعجل لهم " العقاب " كأنهم يوم يرون ما يوعدون " من يوم القيامة لقرب مجيئه " لم يلبثوا إلا ساعة من نهار " من قلة لبثهم في الدنيا.

وقوله " بلاغ " قيل في معناه قولان:

احدهما - ذلك اللبث بلاغ. والآخر - هذا القرآن بلاغ.

ثم قال " فهل يهلك " بهذا النوع من الاهلاك على وجه الاستحقاق " إلا القوم الفاسقون " الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته ومن ولايته إلى عداوته.

=====



(٢٨٨)

٤٧ - سورة محمد (صلى الله عليه وآله) هي مدينة كلها إلا آية واحدة قال ابن عباس وقتادة:  
فالآية الواحدة نزلت حين خرج النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهو  
يبكي حزنا عليه فنزل قوله " فكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي اخرجتك.. " الآية  
وهي ثمان وثلاثون آية في الكوفي وتسع وثلاثون في المدنيين واربعون في البصري.

بسم الله الرحمن الرحيم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (١)  
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم  
سيئاتهم وأصلح بهم (٢) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من  
ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (٣) فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا  
أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله  
لا نتصر منهم ولكن لليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في

=====

(٢٨٩)

سبيل الله فلن يضل أعمالهم (٤) سيهدهم ويصلح بهم (٥).  
خمس آيات كوفي وست في ما عداه.

قرأ أهل البصرة وحفص عن عاصم " والذين قتلوا " على ما لم يسم فاعله بضم القاف وكسر  
التاء. الباقيون " قاتلوا " بألف من المفاعلة. وقرئ شاذاً " قتلوا " بفتح القاف وتشديد التاء. من  
قرأ بألف كان أعم فائدة، لأنه يدخل فيه من قتل. ومن قرأ بغير الف لم يدخل في قراءته القاتل  
الذي لم يقتل وكلاهما لم يضل الله أعمالهم، فهو أكثر فائدة. ومن قرأ بغير الف خص هذه  
الآية بمن قتل. وقال: علم أن الله لم يضل أعمال من قاتل بدليل آخر ولأن من قاتل لم يضل  
عمله بشرط ألا يحبط عند من قال بالاحباط، وليس من قتل كذلك، لأنه لا يضل الله أعمالهم  
على وجه بلا شرط، ولأنه لا يقتل إلا وقد قاتل فصار معناهما واحد.  
قال مجاهد عن ابن عباس إن قوله " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله " نزلت في أهله مكة.  
وقوله " والذين آمنوا وعملوا الصالحات " في الانصار.

يقول الله تعالى مخبراً بأن الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا معه غيره وكذبوا محمداً نبيه (صلى  
الله عليه وآله) في الذي جاء به وصدوا من أراد عبادة الله والاقرار بتوحيده وتصديق نبيه عن  
الدين، ومنعوه من الاسلام " أظلم أعمالهم " ومعناه حكم الله على أعمالهم بالضلال عن الحق  
والعدول من الاستقامة وسماها بذلك لأنها عملت على غير هدى وغير رشاد. والصد عن

سبيل الله هو الصبر عن سبيل الله بالنهي عنه والمنع منه. والترغيب في خلافه، وكل ذلك صد، فهؤلاء كفروا في أنفسهم ودعوا (ج ٩ م ٣٧ من التبيان)

(٢٩٠)

غيرهم إلى مثل كفرهم، والضلال الأهلك حتى يصير بمنزلة مالم يعمل، وليس في الآية ما يدل على القول بصحة الاحباط إذا حملناها على ما قلناه. ومن قال بالتحابط بين المستحقين لابد ان يترك ظاهر الآية.

ثم قال " والذين آمنوا وعملوا الصالحات " يعني صدقوا بتوحيد الله والاقرار بنبوة نبيه و اضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحات " وآمنوا بما انزل على محمد " من القرآن والعبادات وغيرها " وهو الحق من ربهم " الذي لا مرية فيه " كفر الله عنهم سيئاتهم " وقوله " وهو الحق " يعني القرآن - على ما قاله قوم - وقال آخرون إيمانهم بالله وبالنبي (صلى الله عليه وآله) " هو الحق من ربهم " أي بلطفه لهم فيه وجثه عليه وأمره به. ومعنى تكفير السيئات هو الحكم باسقاط المستحق عليها من العقاب، فاخبر تعالى انه متى فعل المكلف الايمان بالله والتصديق لنبيه أسقط عقاب معاصيه حتى يصير بمنزلة ما لم يفعل. وقوله " وأصلح بهم " قال قتادة: معناه وأصلح حالهم في معاشهم وأمر دنياهم. وقال مجاهد: وأصلح شأنهم، والبال لا يجمع، لانه ابهم أخواته من الحال والشأن.

ثم بين تعالى لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال " ذلك بأن الذين كفروا " فعلنا ذلك بهم وحكمنا بابطال أعمالهم جزاء على انهم " اتبعوا الباطل " والمعاصي، وفعلنا بالمؤمنين من تكفير سيئاتهم لانهم " اتبعوا الحق " الذي أمر الله باتباعه. وقيل الباطل هو الشيطان - ههنا - والحق هو القرآن، ويجوز ان يكون التقدير الامر ذلك، وحذف الابتداء.

ثم قال تعالى (كذلك يضرب الله للناس امثالهم) أي هؤلاء الذين حكمنا بهلاكهم وضلالهم بمنزلة من دعاه الباطل فاتبعه، والمؤمن بمنزلة من دعاه الحق من الله فاتبعه ويكون التقدير يضرب الله للناس صفات أعمالهم بأن بينها وبين ما يستحق

(٢٩١)

عليها من ثواب وعقاب.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال (فاذا لقيتم) معاصر المؤمنين " الذين كفروا " بالله وجحدوا ربوبيته من أهل دار الحرب (فضرب الرقاب) ومعناه اضربوهم على الرقاب، وهي الاعناق

(حتى إذا اثخنتموهم) أي اثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم (فشدوا الوثاق) ومعناه احكموا وثاقهم في الامر. ثم قال (فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) ومعناه ائقالتها. وقوله (فاما منا بعد) نصب على المصدر والتقدير إما أن تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء، وقال قتادة وابن جريج: الآية منسوخة بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (١) وقوله (فاما نتقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم) (٢)

وقال ابن عباس والضحاك: الفداء منسوخ. وقال ابن عمر والحسن وعطا وعمر ابن عبد العزيز: ليست منسوخة. وقال الحسن يكره أن يفادي بالمال، ويقال يفادي الرجل بالرجل، وقال قوم: ليست منسوخة، والامام مخير بين الفداء والمن والقتل بدلالة الآيات الاخر (حتى تضع الحرب أوزارها) أي ائقالتها، وقال قتادة: حتى لا يكون مشرك. وقال الحسن: إن شاء الامام أن يستفد الاسير من المشركين، فله ذلك بالسنة، والذي رواه اصحابنا ان الاسير إن اخذ قبل انقضاء الحرب والقتال بأن تكون الحرب قائمة والقتال باق، فالامام مخير بين أن يقتلهم أو يقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا، وليس له المن ولا الفداء. وإن كان أخذ بعد وضع الحرب أوزارها وانقضاء الحرب والقتال كان مخيرا بين المن والمفادات. إما بالمال أو النفس، وبين الاسترقاق، وضرب الرقاب، فان أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم.

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦ (٢) سورة ٨ الانفال آية ٥٨ (\*)

=====

(٢٩٢)

وقوله (ذلك) أي الذي حكمنا به هو الحق الذي يجب عليكم إتباعه (ولو يشاء الله لا نتصر منهم) وأهلكهم بانزال العذاب عليهم (ولكن ليلو بعضكم ببعض) ويختبرهم ويتعبدهم بقتالهم إن لم يؤمنوا.

ثم اخبر تعالى أن (الذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) قال قتادة هم الذين قتلوا يوم احد. ومن قرأ (قاتلوا) أراد قاتلوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا لن يهلك الله أعمالهم ولا يحكم بضلالهم وعدولهم عن الحق. ثم قال (سيهديهم)

يعني إلى طريق الجنة (ويصلح بالهم) أي شأنهم أو حالهم، وليس في ذلك تكرار البال، لان المعنى يختلف، لان المراد بالاول انه يصلح حالهم في الدين والدنيا وبالتالي يصلح حالهم في النعيم، فالاول سبب النعيم، والثاني نفس النعيم.

قوله تعالى:

(ويدخلهم الجنة عرفها لهم (٦) يا أيها الذين آمنوا إن تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم (٨) ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم (٩) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

لما خبر الله تعالى انه سيهدي المؤمنين إلى طريق الجنة، ويصلح حالهم فيها، بين أنه أيضا (يدخلهم الجنة عرفها لهم) وقيل في معنى (عرفها لهم) قولان: احدهما - بانه عرفها لهم بان وصفها على ما يسوق اليها، ليعملوا بما يستوجبونها

=====

(٢٩٣)

به من طاعة الله وإجتنب معاصيه.

والثاني - عرفها لهم بمعنى طيبها بضروب الملاذ، مشتقا من العرف، وهي الرائحة الطيبة التي تتقبلها النفس تقبل ما تعرفه ولا تتكره. وقال ابوسعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد: معناه انهم يعرفون منازلهم فيها كما كانوا يعرفون منازلهم في الدنيا. وقال الحسن: وصف الجنة في الدنيا لهم، فلما دخلوها عرفوها بصفتها.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا) بتوحيد الله وصدقوا رسوله (إن تتصروا الله ينصركم) ومعناه إن تتصروا دينه بالدعاء اليه، واضافه إلى نفسه تعظيما كما قال (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) (١) وقيل معناه (تتصروا الله) تدفعوا عن نبيه (ينصركم) الله، أي يدفع عنكم اعداءكم في الدنيا عاجلا، وعذاب النار آجلا (ويثبت أقدامكم) في حال الحرب. قيل: ويثبت أقدامكم يوم الحساب.

ثم قال (والذين كفروا) بنعم الله وجدوا نبوة نبيه (فتعسا لهم) أي خزيا لهم وويلا لهم، فالتعس الانحطاط والعتار عن منازل المؤمنين (وأضل اعمالهم) أي أهلكها وحكم عليها بالضلال. وإنما كرر قوله (وأضل أعمالهم)

و (احبط أعمالهم) تأكيدا، ومبالغة في الزجر عن الكفر والمعاصي وكرر ذكر النعيم إذا ذكر المؤمنين مبالغة في الترغيب في الطاعات. وإنما عطف قوله (واضل) وهو (فعل) على قوله (فتعسا) وهو اسم، لان المعنى اتعسهم الله وأضل اعمالهم فلذلك حسن العطف.

ثم بين تعالى لم فعل ذلك، فقال فعلنا (ذلك) جزاء لهم على معاصيهم (بأنهم كرهوا ما انزل الله) من القرآن والاحكام وأمرهم بالانقياد لها، فخالفوا

(٢٩٤)

ذلك (فاحبط أعمالهم) من أجل ذلك أي حكم ببطلاتها، لأنها وقعت على خلاف الوجه الامور به.

ثم نبههم على الاستدلال على صحة ما دعاهم اليه من توحيدهِ وإخلاص العبادَةِ له، فقال (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) حين أرسل الله اليهم الرسل فدعوهم إلى توحيدهِ وإخلاص العبادَةِ له، فلم يقبلوا منهم وعصوهم وعملوا بخلافه، فأهلكهم الله جزاء على ذلك (ودمر عليهم)

مثل ما فعل بعاد وثمود وقوم لوط وأشباهم. ثم قال (وللكافرين) بك يا محمد إن لم يقبلوا ما تدعوهم إليه (أمثالها) أي امثال تلك العقوبات أي هم يستحقون مثلها، وإنما يؤخر عذابهم تقضلاً منه.

قوله تعالى:

(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (١١) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم (١٢) وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم (١٣) أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (١٤) مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل

(٢٩٥)

مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) (١٥).

ست آيات بصري، وخمس في ما عداه، عد البصريون (للشاربين) ولم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير (أسن) على وزن (فعل). الباقون على وزن (فاعل)

ومعناها واحد، لأن المعنى من ماء غير متغير.

لما اخبر الله تعالى انه أهلك الامم الماضية بكفرهم وأن للكافرين أمثالها بين أنه لم كان كذلك؟ فقال (ذلك) أي الذي فعلناه في الفريقين (بأن الله مولى الذين آمنوا) ينصرهم ويدفع عنهم لأن

الله مولى كل مؤمن (وأن الكافرين لا مولى لهم) ينصرهم من عذابه إذا نزل بهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلا ولا آجلا.

ثم اخبر تعالى انه (يدخل الذين آمنوا) بتوحيده وصدقوا نبيه (وعملوا الصالحات) مضافة اليها (جنات) أي بساتين تجنحها الاشجار (تجري من تحتها الانهار) وقيل: ان أنهار الجنة في أخاديد من الارض، فلذلك قال من تحتها.

ثم قال (والذين كفروا) بتوحيده وكذبوا رسله (يتمتعون) في دار الدنيا ويلتذون فيها (ويأكلون) المآكل فيها (كما تأكل الانعام) أي مثل ما تأكل الانعام والبهائم، لانهم لا يعتبرون ولا ينظرون ولا يفكرون ولا يفعلون ما أوجبه الله عليهم، فهم بمنزلة البهائم. وقيل: إن المعنى بذلك الاخبار عن خستهم في أكلهم بأنهم يأكلون للشره والنهم، لانهم جهال. ثم قال (والنار مثوى لهم) أي موضع مقامهم الذي يقيمون فيه.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) مهددا لكفار قومه (وكأين من قرية في أشد قوة من

=====

(٢٩٦)

قرينتك) يعني مكة (التي اخرجتك أهلكتناهم فلا ناصر لهم) الآن فما الذي يؤمن هؤلاء أن يفعل بهم مثل ذلك. ومعنى (وكأين) (وكم) والاصل فيها (أي) قرية إلا أنها إذا لم تضاف تؤنث. ثم قال على وجه التهجين للكفار والتوبيخ لهم (أفمن كان على بينة من ربه) أي حجة واضحة. قال قتادة: يعني محمدا (صلى الله عليه وآله). وقال قوم: يعني به المؤمنين الذين عرفوا الله تعالى وأخلصوا العبادة (كمن زين له سوا عمله) من المعاصي زينها لهم الشيطان وأغواهم بها (واتبعوا أهواءهم) أي شهواتهم في ذلك، وما تدعوهم اليه طباعهم.

ثم اخبر تعالى عن وصف الجنة التي وعد المتقين بها، فقال (مثل الجنة أي وصف الجنة) (التي وعد المتقون) بها (فيها أنهار من ماء غير آسن) أي غير متغير لطول المقام (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) (مثل ذلك) (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يلتذون بشر بها ولا يتأذون بها ولا بعاقبتها (وأنهار من عسل مصفى) من كل أذى (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) تلحقهم أي لا يلحقهم في الجنة توبيخ بشئ من معاصيهم، لان الله قد تفضل بسترها عليهم فصارت بمنزلة مالم يعمل بابطال حكمها.

وقوله (مثل الجنة) مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، وتقديره ما يتلى عليكم مثل الجنة التي وعد المتقون، ولو جعل المثل مقما جاء الخبر المذكور عن الجنة كأنه قيل الجنة التي وعد المتقون فيها كذا وفيها كذا.

وقوله (كمن هو خالد في النار) أي يتساون من له نعيم الجنة على ما وصفناه ومن هو في النار مؤبد؟! ومع ذلك (سقوا ماء حميما) أي حارا (فقطع أمعاءهم) من حرارتها، ولم يقل أمن هو في الجنة لدلالة قوله (كمن هو خالد) عليه. وقيل: معنى قوله (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع

=====

(٢٩٧)

أمعاءهم) أي هل يكون صفتها وحالهما سواء؟! .! ويتمثالان فيه؟! فإنه لا يكون ذلك أبدا. قوله تعالى:

(ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (١٦) والذين اهتدوا زادهم هدى وآياتهم تقويهم (١٧) فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكريرهم (١٨) فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثويكم (١٩) ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير في إحدى الروايتين (أنفا) على وزن (فعل) الباقون (أنفا) بالمد على وزن (فاعل) قال أبو علي الفارسي: جعل ابن كثير ذلك مثل (حاذر، وحذر. وفاكه، وفكه) والوجه الرواية الأخرى.

حكى الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) أن من الكفار من إذا جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) واستمع (ج ٩ م ٣٨ من التبيان)

=====

(٢٩٨)

لقراءة القرآن منه وسمع ما يؤديه إلى الحق من الوحي وما يدعوه إليه، فلا يصغي إليه ولا ينتفع به حتى إذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه، ويسألون أهل العلم الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين (ماذا قال آنفا) أي أي شيء قال الساعة؟! وقيل: معناه قرينا مبتديا. وقيل: إنهم كانوا يتسمعون للخطبة يوم الجمعة وهم المنافقون، والأنف الجائي بأول المعنى ومنه الاستئناف، وهو استقبال الأمر بأول المعنى، ومنه الأنف لأنه أول ما يبدو من صاحبه، ومنه الأنفة رفع النفس عن أول الدخول في الرتبة. وإنما قال (ومنهم من يستمع إليك) فرده

إلى لفظة (من) وهي موحدة. ثم قال (حتى إذا خرجوا) بلفظ الجمع برده إلى المعنى، لأن (من) يقع على الواحد والجماعة.

ثم قال تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) أي وسم قلوبهم وجعل عليها علامة تدل على انهم كفار لا يؤمنون، وهو كالحتم وإن صاحبه لا يؤمن فطبع الله على قلوب هؤلاء الكفار ذما لهم على كفرهم أي لكونهم عادلين عن الحق واخبر أنهم (اتبعوا) في ذلك (اهواءهم) وهو شهوة نفوسهم وما مال إليه طبعهم دون ما قامت عليه الحجة يقال: هوى يهوي هوى فهو هاو، واستهواه هذا الامر أي دعاه إلى الهوى.

ثم وصف تعالى المؤمنين فقال (والذين اهتدوا) إل الحق، ووصلوا إلى الهدى والايمان (زادهم هدى) فالضمير في زادهم يحتمل ثلاثة اوجه:

احدها - زادهم الله هدى بما ينزل عليهم من الآيات والاحكام، فاذا اقرؤا بها وعرفوها زادت معارفهم.

الثاني - زادهم ما قال النبي (صلى الله عليه وآله) هدى.

الثالث - زادهم استهزاء المنافقين إيماناً.

=====

(٢٩٩)

والوجه في إضافة الزيادة في الهدى إلى الله هو ما يفعله تعالى بهم من اللطاف التي تقوي دواعيهم إلى التمسك بما عرفوه من الحق وتصرفهم عن العدول إلى خلافه. ويكون ذلك تأكيداً لما عملوه من الحق وصارفاً لهم عن تقليد الرؤساء من غير حجة ولا دلالة. ثم قال (وآتاهم) على زيادة الهدى (تقواهم) أي خوفاً من الله من معاصيه ومن ترك مفترضاته بما فعل بهم من اللطاف في ذلك.

وقيل معناه (آتاهم) ثواب (تقواهم) ولا يجوز أن يكون المراد خلق لهم تقواهم لأنه يبطل أن يكون فعلهم.

ثم قال (فهل ينظرون إلا الساعة) أي ليس ينتظرون إلا القيامة (أن تأتيهم بغتة) أي فجأة، فقولته (أن تأتيهم) بدل من الساعة، وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة، فان حذف الساعة كان التقدير هل ينظرون إلا إتيانهم الساعة بغتة.

ثم قال تعالى (فقد جاء أشراتها) أي علاماتها. وقيل: منها إنشقاق القمر في وقت النبي (صلى الله عليه وآله) ومنها مجئ محمد (صلى الله عليه وآله) بالآيات لأنه آخر الانبياء، فالأشراط العلامات واحدها شرط قال جرير:

ترى شرط المعزى مهور نسائهم \* وفي شرط المعزى لهن مهور (١)



وأشراط فلان لنفسه إذا علمها بعلامة، وقال أوس بن حجر:  
فأشراط فيها نفسه وهو مقصم \* والقي بأسباب له وتوكلا (٢)  
والفاء في قوله (فقد جاء أشراطها) عطف جملة على جملة فيها معنى الجزاء، والتقدير إن  
تأتهم بغتة، فقد جاء أشراطها. وقد قرئ شاذا عن أبي عمرو (الا إن)  
والقراءة بفتح (أن) وقال المبرد: هذا لا يجوز لانه تعالى أخبر انه لا تأتي الساعة إلا بغتة،  
فكيف تعلق بشرط. وقال تعالى (فأنى لهم) أي من اين لهم (إذا)

(١) الطبري ٢٦ / ٣٠ (٢) الطبري ٢٦ / ٣١ (\*)

=====

(٣٠٠)

جاءتهم) يعني الساعة (ذكرهم) أي ما يذكرهم أعمالهم من خير او شر، فانه لا ينفعم في ذلك  
الوقت الايمان والطاعات لزوال التكليف عنهم.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع المكلفين (فاعلم) يا محمد (أنه لا إله إلا الله)  
أي لا معبود يحق له العبادة إلا الله. وفي ذلك دلالة على ان المعرفة بالله اكتساب، لانها لو  
كانت ضرورية، لما أمر بها (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فالخطاب له والمراد به  
الامة لانه (صلى الله عليه وآله) لا ذنب له يستغفر منه، ويجوز ان يكون ذلك على وجه الانقطاع  
اليه تعالى.

ثم قال (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي الموضع الذي تتقلبون فيه وكيف تتقلبون وموضع  
استقراركم، لا يخفى عليه شئ من أعمالكم طاعة كانت او معصية.  
وقيل: يعلم متقلبكم في أسفاركم ومثواكم في اوطانكم، وقيل: متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في  
نومكم.

ثم قال تعالى حكاية عن المؤمنين أنهم كانوا يقولون (لولا نزلت سورة)  
أي هلا نزلت سورة لانهم كانوا يأنسون بنزول الوحي ويستوحشون من ابطائه فقال الله تعالى  
حاكيا عن حالهم عند نزول السورة فقال (وإذا أنزلت سورة محكمة) أي ليس فيها متشابه ولا  
تأويل (وذكر فيها القتال) أي أوجب عليهم القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق  
وشك (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم  
(فأولى لهم)

قال قتادة: هو وعيد، وكأنه قال العقاب اولى بهم، وهو ما يقتضيه قبح أحوالهم.

وروي عن ابن عباس، انه قال: قال الله تعالى (فأولى) ثم استأنف فقال (لهم طاعة وقول معروف) يعني للمؤمنين فصارت أولى للذين في قلوبهم مرض.  
وقيل: المعنى (أولى لهم طاعة وقول معروف) من أن يجزعوا عن فرض الجهاد

=====

### (٣٠١)

عليهم. وقال الجبائي: معنى الكلام ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم أن يعاقبوا (فلو صدقوا الله) في ما أمرهم به (لكان خيرا لهم) ودخل بين الكلامين (طاعة وقول معروف) وليس من قصته وإنما هي من صفة المؤمن يأمره الله أن يطيعه، ويقول له قولا معروفا. وقرأ ابن مسعود "سورة محدثة" وهو شاذ.  
قوله تعالى:

(طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (٢١) فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (٢٣) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤)  
إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم) (٢٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو " وأملى لهم " على مالم يسم فاعله. الباقون " وأملى لهم " بمعنى الشيطان أملى لهم ويجوز أن يريد ان الله أملى لهم كما قال " إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم " (١) وقرأ يعقوب مثل أبي عمرو إلا انه أسكن الياء بمعنى الاخبار عن الله عن نفسه وابو عمرو جعله لما لم يسم فاعله. وقرأ رويس " توليتم " بضم التاء والواو وكسر اللام. الباقون بفتحهما. وقوله " طاعة وقول معروف " قيل في معناه قولان:

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٧٨ (\*)

=====

### (٣٠٢)

احدهما - قولوا أمرنا طاعة وقول معروف. قال مجاهد أمر الله بذلك المنافقين. وقيل هو حكاية عنهم أنهم يقولون " طاعة وقول معروف " مثل فرض الجهاد. لانه يقتضيه قوله " فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ".

الثاني - طاعة وقول معروف أمثل أي اولى بالحق من أقوال هؤلاء المنافقين وقيل: طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد - ذكره الحسن - والطاعة موافقه الارادة الداعية إلى الفعل بطريق الترغيب فيه. والقول المعروف هو القول الحسن، وسمي بذلك لانه معروف صحته، وكذلك الامر بالمعروف أي المعروف أنه حق. والباطل منكر، لانه تنكر صحته، فعلى هذا المعنى وقع الاعتراف والانكار.

وقوله " فاذا عزم الامر " معناه إذا انعقد الامر بالارادة انه يفعله فاذا عقد على انه يفعل قيل عزم الامر على طريق البلاغة. وقيل معنى عزم أي جد الامر (فلو صدقوا الله) يعني في ما أمرهم به من القتال وامتثلوا أمره (لكان خيرا لهم) لانهم كانوا يصلون إلى نعيم الابد.

ثم خاطبهم فقال " فهل عسيتم " يا معشر المنافقين أن توليتم. وقيل في معناه قولان: احدهما - " إن توليتم " الاحكام وجعلتم ولاية " أن تفسدواك " في الارض بأخذ الرشاش. وقيل أن عرضتم عن كتاب الله ان تعودوا إلى ما كنتم من أمر الجاهلية أن يقتل بعضكم بعضا كما كنتم تفعلونه.

والثاني - ان توليتم الامر أن يقطع بعضكم رحم بعض، ويقتل بعضكم بعضا كما قتلت قريش بني هاشم، وقتل بعضهم بعضا. وقيل المعنى ان عرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه من وجوب القتال " أن تفسدوا في الارض " بان

=====

( ٣٠٣ )

تعلموا فيها بالمعاصي " وتقطعوا أرحامكم " فلا تصلونها، فان الله تعالى يعاقبكم عليه بعذاب الابد ويلعنكم.

ثم قال " أولئك الذين لعنهم الله " أي أبعدهم الله عن رحمته " فأصمهم وأعمى ابصارهم " أي ساهم عميا وصما، وحكم عليهم بذلك، لانهم بمنزلة الصم والعمي من حيث لم يهتدوا إلى الحق ولا أبصروا الرشد، ولم يرد الاصمام في الجارحة والاعماء في العين، لانهم كانوا بخلافه صحيحي العين صحيحي السمع.

ثم قال موبخا لهم " افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها " معناه أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيها لهم على ان الامر بخلافه. وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكر والتدبر في النظر في موجب الامر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدبر القرآن.

وفى ذلك حجة على بطلان قول من يقول لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع.

وفيه تنبيه على بطلان قول الجاهل من اصحاب الحديث انه ينبغي ان يروى الحديث على ما جاء وإن كل مختلا في المعنى، لان الله تعالى دعا إلى التدبر والفقہ وذلك مناف للتاجل والتعامي.

ثم قال " إن الذين ارتدوا على ادبارهم " أي رجعوا عن الحق والايمن " من بعد ما تبين لهم الهدى " أي ظهر لهم الطريق الواضح المفضي إلى الجنة. وليس في ذلك ما يدل على ان المؤمن على الحقيقة يجوز ان يرتد، لانه لا يمتنع ان يكون المراد من رجع عن إظهار الايمان بعد وضوح الامر فيه وقيام الحجة بصحته. ثم قال " الشيطان سول لهم " أي زين لهم ذلك. وقيل: معناه أعطاهم سؤلهم من خطاياهم " وأملى لهم " أي أمهلهم الشيطان، وأملى لهم بالاطماع والاعتزاز.

=====

(٣٠٤)

وقيل: المعنى واملى الله لهم أي اخرهم فاغترروا بذلك. ومن قرأ - على ما لم يسم فاعله - احتمل الامرين ايضا.

وقيل الآية نزلت في اليهود، لانهم عرفوا صفات النبي (صلى الله عليه وآله) في التوراة فلما جاءهم كفروا به. وقيل نزلت في المنافقين حين صدوا عن القتال معه من بعد ما علموا وجوبه في القرآن، قوله تعالى:

(ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم إسرارهم (٢٦) فكيف إذا توفتهم الملكة يضربون وجوههم وأدبارهم (٢٧) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (٢٨) أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم (٢٩) ولو نشاء لاريناكم فلعرفتهم بسيميمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) (٣٠) خمس آيا بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبابكر " إسرارهم " بكسر الهمزة على انه مصدر. الباكون بفتحها على انه جمع سر.

لما اخبر الله تعالى عن حال المرتدين على اعقابهم والراجعين عن إظهار الحق خلافه، بين لم فعلوا ذلك، فقال " ذلك بأنهم " يعني الشياطين " قالوا للذين كرهوا ما انزل الله " من القرآن وما أمرهم به من الامر والنهي والحلال والحرام

=====

(٣٠٥)

وشبهوا عليهم ذلك ومالوا إلى خلافه. وقيل: هذا قول اليهود للمناققين " سنطيعكم في بعض الامر " أي نفعل بعض ما تريدونه من الميل اليكم وإعطاء شهواتكم. ثم قال " والله يعلم اسرارهم " أي بواطنهم - فمن فتح الهمزة، ومن كسرهما - أراد يعلم ما يسرونه. ثم قال " فكيف إذا توفتهم الملائكة " والمعنى كيف حالهم إذا توفتهم الملائكة وحذف تفخيماً لشأن ما ينزل بهم " يضربون وجوههم وأدبارهم، على وجه العقوبة لهم في القبر ويوم القيامة.

ثم بين تعالى لم يفعل الملائكة بهم ذلك، فقال " ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله " يعني المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها " وكرهوا رضوانه " أي كرهوا سبب رضوانه من الايمان والطاعات والامتناع من القبائح " فأحبط أعمالهم " أي حكم بأنها باطلة محبطة لا يستحق عليها الثواب.

ثم قال " أم حسب الذين في قلوبهم مرض " أي نفاق وشك يظنون " أن لن يخرج الله اضغانهم " أي احقادهم مع المؤمنين ولا يظهرها ولا يبدي عوراتهم للنبي (صلى الله عليه وآله) " ولو نشاء لاريناكمم " يعني المنافقين بأعيانهم، ولو شئت لعرفتكم حتى تعرفهم. ثم قال " فلعرفتهم بسيماهم " أي بعلاماتهم التي نصبها الله لكم، يعرفهم بها يعني الامارات الدالة على سوء نياتهم. ثم قال " ولتعرفنهم في لحن القول " أي في فحوى أقوالهم ومتضمنها. ومنه قوله (صلى الله عليه وآله) (ولعل بعضكم ألحن بحجته)

أي أذهب بها في الجهات لقوته على تصريف الكلام، واللحن الذهاب عن الصواب في الاعراب، واللحن ذهاب الكلام إلى خلاف جهته. ثم قال " والله يعلم أعمالكم " الطاعات منها والمعاصي، فيجازيكم بحسبها. (ج ٩ م ٣٩ من التبيان)

=====

(٣٠٦)

قوله تعالى:

(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (٣١) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم (٣٢) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (٣٣) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (٣٤) فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابوبكر عن عاصم " وليبلونكم حتى يعلم... ويبلو أخباركم " بالياء فيهن ردا على اسم الله في قوله " والله يعلم أعمالكم " الباقر بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه. وقرأ حمزة

وابوبكر عن عاصم " إلى السلم " بكسر السين. الباقون بفتحها، وهما لغتان على ما بيناه في ما تقدم في الاسلام والمصالحة (١)  
يقول الله تعالى مقسما إنا نبلو هؤلاء الكفار، ومعناه نختبرهم بما نكلفهم من الامور الشاقة، فالابتلاء والاختبار واحد. وقوله " حتى نعلم المجاهدين منكم " قيل في معناه قولان: احدهما - حتى نعلم جهادكم موجودا لان الغرض ان تفعلوا الجهاد فيثيبكم

(١) انظر ٥ / ١٧٥ (\*)

=====

(٣٠٧)

على ذلك، لانكم لا تستحقون الثواب على ما يعلم الله انه يكون.  
الثاني - حتى نعاملكم معاملة من كأنه يطلب ان يعلم.  
وقيل: معناه حتى يعلم أوليائي المجاهدين منكم، وأضافه إلى نفسه تعظيما لهم وتشريفا، كما قال " إن الذين يؤذون الله ورسوله " (١) يعني يؤذون أولياء الله. وقيل: معناه حتى يتميز المعلوم في نفسه، لانهم إنما يتميزون بفعل الايمان. وقيل: المعنى حتى تعلموا أنتم، وأضافه إلى نفسه تحسنا كما أن الانسان العالم إذا خولف في ان النار تحرق الحطب يحسن ان يقول: نجمع بين النار والحطب لنعلم هل تحرق ام لا، ولا يجوز ان يكون المراد حتى نعلم بعد ان لم نكن عالمين، لانه تعالى عالم في مالم يزل بالاشياء كلها، ولو تجدد كونه عالما لاحتاج إلى علم محدث كالواحد منا وذلك لا يجوز أن يكون غرضا بالتكليف، لكن يجوز ان يكون الغرض ظهور حق الذم على الاساءة، وإنما جاز في وصف الله الابتلاء، لان المعنى انه يعامل معاملة المبتلي المختبر مظهرة في العدل بالجزاء لها. والجهاد احتمال المشقة في قتال المشركين واعداء دين الله. وافضل الاعمال علم الدين، والجهاد في سبيل الله، لان علم الدين به يصح العمل بالحق والدعاء اليه. والجهاد داع إلى الحق مع المشقة فيه. والصابر هو الحابس نفسه عما لا يحل له. وهي صفة مدح. ومع ذلك ففيها دليل على حاجة الموصوف بها، لانه إنما يحبس نفسه ويمنعها مما تشتهييه او تتنازع اليه من القبيح " ونبلو أخباركم " أي نختبر أخباركم ونعلم المطيع من العاصي.  
ثم اخبر تعالى " إن الذين كفروا " بوحدانيته وجدوا نبوة نبيه " وصدوا " أي منعوا غيرهم " عن " إتباع " سبيل الله " بالقهر تارة وبالاغراء أخرى " وشاقوا الرسول " أي عاندوه وباعدوه بمعاداته " من بعدما تبين لهم الهدى " ووضح لهم

=====

(٣٠٨)

سبيله " لن يضرُوا الله " بذلك " شيئاً " وإنما ضرُوا نفوسهم " وسيحبط أعمالهم " ويستحقون عليها العقاب. والهدى الدلالة المؤدية إلى الحق. والهادي الدال على الحق وفي الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كان قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه او يكون ظهر لهم أمر النبي، فلم يقبلوه. وقيل: تبين لهم الهدى، لانهم كانوا قد عرفوا الايمان ورجعوا عنه.

ثم خاطب المؤمنين فقال " يا ايها الذين آمنوا " بالله وصدقوا رسوله " اطيعوا الله وأطيعوا الرسول " أي افعلوا الطاعات التي أمركم الله بها وامركم بها رسوله " ولا تبطلوا اعمالكم " بأن توقعوها على خلاف الوجه المأمور به فيبطل ثوابكم عليها وتستحقون العقاب.

ثم اخبر تعالى فقال " إن الذين كفروا " أي جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله " وصدوا عن سبيل الله " بالمنع والاغراء والدعاء إلى غيره " ثم ماتوا وهم كفار " أي في حال كفرهم " فلن يغفر الله لهم " معاصيهم بل يعاقبهم عليها. ثم قال " فلا تهنوا " أي لا تتوانوا. وقال مجاهد وابن زيد: لا تضعفوا " وتدعوا إلى السلم " يعني المصالحة " وأنتم الاعلون " أي وانتم القاهرون الغالبون - في قول مجاهد - " والله معكم " اي ناصركم والدافع عنكم فلا تميلوا مع ذلك إلى الصلح والمسالمة بل جاهدوا واصبروا عليه. وقوله " ولن يترككم اعمالكم " أي لن ينقصكم اجور اعمالكم يقال: وتره يتره وترا إذا أنقصه. وهو قول مجاهد. وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك: لن يظلمكم واصله القطع، فمنه البتر القطع بالقتل. ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره. وقوله " وتدعوا " يجوز ان يكون جراً عطفاً على " تهنوا " أي لا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم، ويجوز ان يكون في موضع نصب على الظرف (١)

---

(١) المقصود من (الظرف) واو المعصية الذي تضر (ان) بعدها (\*)

=====

(٣٠٩)

قوله تعالى:

(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم (٣٦) إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (٣٧) ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله

فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل  
قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (٣٨) ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مزهدا لخلقه في الانعكاف على الدنيا، ومرغبا لهم في التوفر على عمل  
الآخرة (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) وإنما زهدهم في الدنيا لكونها فانية ورغبتهم في الآخرة  
لكونها باقية، فمن اختار الفاني على الباقي كان جاهلا ومنقوصا ومعنى (الحياة الدنيا لعب  
ولهو) أي ذات لعب ولهو، لان غالب أمر الناس في الدنيا اللعوب واللهو، وذلك عبث وغرور  
وانصراف عن الحد الذي يدوم به السرور والحبور، وقيل: شبهت باللعب واللهو لانقطاعها  
عن صاحبها بسرعة، فالتقدير على هذا إنما الحياة الدنيا كاللعب واللهو في سرعة الانقضاء،  
والآخرة كالحقيقة في اللزوم والامتداد، فاحدهما كالحقيقة، والآخرى كالمخرقة. ثم قال (وإن  
تؤمنوا)

بوحديثه وتصديق رسوله (وتتقوا) معاصيه (يؤتكم أجوركم) على ذلك وثوابكم على طاعتكم  
(ولا يسألكم أموالكم) أن تدفعوها اليه. وقيل (لا يسألكم أموالكم)  
كلها وإن أوجب عليكم الزكاة في بعض أموالكم. وقيل المعنى (لايسألكم أموالكم)  
بل أمواله، لانه تعالى مالها والمنعم بها.

=====

(٣١٠)

ثم بين تعالى لم لا يسألهم أموالهم، فقال (إن يسألكمها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم)  
فالاحفاء الاحاح في المسألة حتى ينتهي إلى مثل الحفاء، والمشي بغير حذاء، احفاه بالمسألة  
يحفه إحفاء. وقيل الاحفاء طلب الجميع (تبخلوا) أي تمنعونه. والبخل قال قوم: هو منع  
الواجب. وقال الرماني: البخل منع النفع الذي هو أولى في العقل، قال: ومن زعم أن البخل  
منع الواجب عورض بأن البخل منع ما يستحق بمنعه الذم، لان البخيل مذموم بلا خلاف، وقد  
يمنع الواجب الصغير فلا يجوز وصفه بأنه بخيل (ويخرج أضغانكم) لان في سؤال الاموال  
بالاحفاء خروج الاضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة. وقيل (الاضغان)  
هي المشاق التي في القلوب، ولذلك ذكر الاخراج. وقيل: ويخرج الله المشقة التي في قلوبكم  
بسؤال أموالكم. وإنما قدم المخاطب على الغائب في قوله (أن يسألكمها)  
لانه ابتداء بالاقرب مع انه المفعول الاول، ويجوز مع الظاهر أن يسألها جماعتكم، لانه غائب  
مع غائب، فالمتصل أولى بأن يليه من المنفصل.



ثم قال (ها انتم هؤلاء) وإنما كرر التنبيه في موضعين للتوكيد، فقال (ها أنتم هؤلاء) وقيل (ها) للتقريب، ودخل على المضمرة لمشاكلته (اليهم) في انه معرفة تصلح صيغته لكل مكنى عنه على جهة جماعة المخاطب، كما يصلح (هؤلاء) لكل خاص مشاراليه، ولم يجز مع الظاهر لبعده من المبهم. وقال بعضهم: العرب إذا زادت التقريب جعلت المكنى بين (ها) وبين (ذا)، فيقولون ما أنت ذا قائماً، لان التقريب جواب الكلام فربما اعادت (ها) مع (ذا) وربما اجتزأت بالاولى وحذفت الثانية، ولا يقدمون (أنتم) على (ها) لان (ها) جواب، فلا يقرب بها بعد الكلمة. وقوله (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) لينيلكم الجزيل من ثوابه وهو غني عنكم وعن جميع خلقه (فمنكم من يبخل) فلا ينفق ماله في سبيل الله.

### (٣١١)

ثم قال (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي عن داعي نفسه، لا عن داعي ربه لان الله قد صرفه عن البخل بالنهي عنه والذم له. ثم قال (والله الغني) الذي ليس بمحتاج لا اليكم ولا إلى احد (وانتم الفقراء اليه وإن تتولوا) أي ان تعرضوا عن أمره ونهيه ولا تقبلونهما، ولا تعملون بما فيهما (يستبدل قوما غيركم) قال قوم يستبدل الله بهم من في المعلوم أنهم يخلقون بعد، ويجوز أن يكونوا من الملائكة وقيل: هم قوم من اليمن، وهم الانصار. وقيل: مثل سلمان واشباهه من ابناء فارس، ولم يجز الزجاج أن يستبدل الملائكة، لانه لا يعبر بالقوم عن الملائكة، لا يكونوا أمثالكم، لانهم يكونون مؤمنين مطيعين، وأنتم كفار بماصون. وقال الطبري لا يكونوا أمثالكم في البخل والانفاق في سبيل الله، ولما نزلت هذه الآية فرح النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: هي أحب إلي من الدنيا.

### (٣١٢)

٤٨ - سورة الفتح مدينة بلا خلاف وهي تسع وعشرون آية بلا خلاف.  
بسم الله الرحمن الرحيم (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (١) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً (٢) وينصرك الله نصراً عزيزاً (٣) هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم والله جنود السموات والارض وكان الله عليماً حكيماً (٤) ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً (٥)

خمس آيات.

يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) قال البلخي: الفتح يكون في القتال وبالصلح، وباقامة الحجج، ويكون المعنى (إنا فتحنا لك) بحجج الله وآياته (فتحنا مبينا) لينصرك الله بذلك على من ناواك. وقال قتادة: نزلت

=====

(٣١٣)

هذه الآية عند رجوع النبي (صلى الله عليه وآله) من الحديبية، بشر في ذلك الوقت بفتح مكة، وتقديره (إنا فتحنا لك) مكة. وقال البلخي عن الشعبي في وقت الحديبية بويح النبي (صلى الله عليه وآله) بيعة الرضوان، وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدي محله. والحديبية بئر، فروي انها غارت فمخ النبي (صلى الله عليه وآله) فيها فظهر ماؤها حتى امتلأت به. وقال قتادة: معنى (فتحنا) قضينا لك بالنصر. وقيل: معناه اعلمناك علما ظاهرا في ما أنزلناه عليك من القرآن واخبرناك به من الدين، وسمي العلم فتحا، كما قال (وعنده مفاتيح الغيب) (١) أي علم الغيب. وقال (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) (٢) وقال الزجاج: معناه ارشدناك إلى الاسلام، وفتحنا لك الدين بدلالة قوله (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) (٣) وقال مجاهد (فتحنا لك فتحا مبينا) يعني نحره بالحديبية وحلقه. وقال قتادة: معناه قضينا لك قضاء بينا. وفي الحديبية مضمض رسول الله (صلى الله عليه وآله) في البئر وقد غارت فجاشت بالرواء. والفتح هو القضاء من قولهم:

اللهم أفتح لي. وقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) (٤) والفتح الفرغ المزيل اللهم. ومنه فتح المسألة إذا انفرجت عن بيان ما يؤدي إلى المطلوب، ومنه فتح عليه القراءة، لانه متعلق بالسهو، ويفتح بالذكر والفتح المبين هو الظاهر، وكذلك جرى فتح مكة.

وقوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل جعل غفرانه جزاء عن ثوابه على جهاده في فتح مكة. وقيل في معناه اقوال:

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٥٩ (٢) سورة ٨ الانفال آية ١٩ (٣) سورة ٣٣ الاحزاب آية ٧٣ (٤) سورة ٧ الاعراف آية ٨٨ (ج ٩ م ٤٠ من التبيان)  
(\*)

=====

(٣١٤)

أحدها - ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها.  
الثاني - ما تقدم قبل الفتح وما تأخر عنه.  
الثالث - ما قد وقع منك وما لم يقع على طريق الوعد بأنه يغفره له إذا كان.  
الرابع - ما تقدم من ذنب أبيك آدم، وما تأخر عنه.  
وهذه الوجوه كلها لا تجوز عندنا، لان الانبياء (عليهم السلام) لا يجوز عليهم فعل شئ من القبيح لا قبل النبوة ولا بعدها، لا صغيرها ولا كبيرها فلا يمكن حمل الآية على شئ مما قالوه، ولا صرفها إلى آدم لان الكلام فيه كالكلام في نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ومن حمل الآية على الصغائر التي تقع محبطة فقولته فاسد، لانا قد بينا أن شيئاً من القبائح لا يجوز عليهم بحال. على ان الصغائر تقع مكفرة محبطة لا يثبت عقابها، فكيف يمتن الله تعالى على النبي (صلى الله عليه وآله) أنه يغفرها له وهو تعالى لو آخذه بها لكان ظالماً وإنما يصح التمدح بما له المؤاخذة أو العفو عنه، فاذا غفر استحق بذلك الشكر. وللاية وجهان من التأويل:  
أحدهما - ليغفر لك ما تقدم من ذنب امك. ما تأخر بشفاعتك ولمكانك.  
وأضاف الذنب إلى النبي وأراد به أمته، كما قال (واسأل القرية) (١) يريد اهل القرية فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وذلك جائز لقيام الدلالة عليه، كما قال (وجاء ربك) (٢) والمراد وجاء أمر ربك.  
الثاني - أراد يغفر ما اذنبه قومك اليك من صدهم لك عن الدخول إلى مكة في سنة الحديبية، فزال الله ذلك وستر عليك تلك الوصمة بما فتح عليك من مكة ودخلتها في ما بعد، ولذلك جعله جزاء على جهاده في الدخول إلى مكة.  
والذنب مصدر تارة يضاف إلى الفاعل وتارة إلى المفعول، فيكون - ههنا - مضافاً

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٨٢ (٢) سورة ٨٩ الفجر آية ٢٢ (\*)

=====

(٣١٥)

إلى المفعول، والذنب وإن كان غير متعد إلى مفعول جاز ان يحمل على المصدر الذي هو في معناه، والصد متعد كما قال الشاعر:  
جنني بمثل بني بدر لقومهم \* او مثل اسرة منظور بن سيار (١)  
لما كان معنى جنني هات أعطني عطف او (مثل) على المعنى فنصبه، ومثله كثير في اللغة.

وقوله (ويتم نعمته عليك) فإتمام النعمة فعل ما يقتضيها من تيقنيتها على صاحبها والزيادة منها، فالله تعالى قد أنعم على النبي (صلى الله عليه وآله) وتممها بنصره على أعدائه الرادين لها المكذبين بها حتى علا بالحجة والقهر لكل من ناواه. وقيل يتم نعمته عليك بفتح مكة وخيبر والطائف. وقيل بخضوع من تكبر وطاعة من تجبر.

وقوله (ويهديك صراطا مستقيما) أي يرشدك إلى الطريق الذي إذا سلكته اذاك إلى الجنة، لا يعدل بك إلى غيرها (وينصرك الله نصرا عزيزا) فالنصر العزيز هو الذي يمنع من كل جبار عنيد وعات أئيم. وقد فعل الله تعالى ذلك بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) فصار دينه أعز الأديان وسلطانه أعظم السلطان.

وقوله (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) وهو ما يفعل الله تعالى بهم من اللطف الذي يحصل لهم عنده بصيرة بالحق تسكن اليها نفوسهم ويجدون الثقة بها بكثرة ما ينصب الله لهم من الأدلة الدالة على الحق فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة. فأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهة ترد عليهم، لأنهم لا يجدون برد اليقين في قلوبهم. وقيل: السكينة ما تسكن اليه قلوبهم من التعظيم لله ورسوله والوفاء له.

وقوله (ليزدادوا إيماننا مع إيمانهم) أي ليزدادوا معارف أخر بما أوجب

---

(١) قنمر في ٣ / ٤٥٥ و ٦ / ٣٠ (\*)

=====

(٣١٦)

الله عليهم زيادة على المعرفة الحاصلة، فبين الله تعالى ما لنبيه عنده وللمؤمنين ليزدادوا ثقة بوعده. وقوله (ولله جنود السموات والارض) قيل: معناه انصار دينه ينتقم بهم من أعدائه. وقيل: معناه إن جميع الجنود عبيده (وكان الله عليما) بالاشياء قبل كونها وعالما بعد كونها (حكيمًا) في افعاله لأنها كلها محكمة وصواب.

وقوله (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) إنما لم يدخل واو العطف في (ليدخل) اعلاما بالتفصيل، كأنه قال إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله، إنا فتحنا لك فتحا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات أي بساتين تجري من تحت اشجارها الأنهار " خالدين فيها " أي مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها (ويكفر عنهم سيئاتهم) أي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) أي الظفر، والصلاح بما طلبوه من الثواب العظيم. قوله تعالى:

(ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (٦) والله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما (٧) إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٨) لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا (٩) إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجرا عظيما) (١٠) خمس آيات.

=====

### (٣١٧)

قرأ ابن كثير وابوعمر (دائرة السوء) بضم السين. الباقون بفتحها، وقد فسرناه في ما تقدم. فالسوء المصدر والسوء الاسم. وقال قوم - بالفتح - الفساد مثل قوله (وظننتم ظن السوء) لانهم ظنوا أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يعود إلى موضع ولادته أبدا. وقرأ ابن كثير وابوعمر (ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه وسبحوه) بالياء أربعهن، على وجه الاخبار من الله عزوجل عن نفسه.

لما اخبر الله تعالى عن نفسه أنه يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات، ووصفها اخبر في هذه الآية انه يعذب المنافقين والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك. والنفاق إسرار الكفر وإظهار الايمان، فكل نفاق هو إظهار خلاف الابطان. وأصله من نافقا اليربوع، وهو أن يجعل لسربه بايين يظهر أحدهما ويخفي الآخر، فاذا أتى من الظاهر خرج من الآخر، فالمنفاق يقوي الباطل على الحق بالظن له، وإلقاء خلافه لتضييعه الدليل المؤدي اليه، (والمشركين والمشركات) وهم الذين يعبدون مع الله غيره، ويدخل في ذلك جميع الكفار. ثم وصفهم فقال (الظانين بالله) يعني الذين يظنون بالله (ظن السوء) أي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله، وذلك قبيح لا يجوز وصف الله بذلك. ثم قال تعالى (عليهم دائرة السوء) فالدائرة هي الراجعة بخير او شر قال حميد بن ثور:

ودائرات الدهر ان تدورا (١)

ومن قرأ (دائرة السوء) بضم السين - أراد دائرة العذاب، ومن قرأ - بالفتح - أراد ما عاد عليهم من قتل المؤمنين وغنمهم أموالهم، فهذا حسن.

وقيل (عليهم دائرة السوء) أي جزاء ظنهم السوء من العذاب. ومن ضم اراد الشر، ويقال: رجل سوء - بالفتح - أي رجل فساد. ثم قال (وغضب الله

عليهم) أي لعنه لهم وعذابه (ولعنهم) أي أبعدهم من رحمته. وقوله (وأعد لهم جهنم) يجعلهم فيها.

ثم قال (وساءت مصيرا) أي ساءت جهنم مآلا ومرجعا، لما فيها من انواع العقاب. وقوله (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيز حكيما) قد فسرناه، وإنما أعيد ذكر (ولله جنود...) لأنه متصل بذكر المنافقين أي وله الجنود التي يقدر على الانتقام منكم بها، وذكر أولا، لأنه متصل بذكر المؤمنين أي له الجنود التي يقدر ان يغنيكم بها. والعزيز القادر الذي لا يقهر. وقيل (هو العزيز) في إنتقامه من أعدائه " الحكيم " في جميع أفعاله. ثم خاطب نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) فقال " إنا أرسلناك " يا محمد " شاهدا " يعني على أمتك بالبلاغ والدعاء إلى إخلاص عبادته. أو شاهدا بما عملوه من طاعة ومعصية (وشاهدا) نصب على حال مقدر على القول الاول، وعلى حال غير مقدر على القول الثاني. (ومبشرا) نصب على الحال الحاصلة. والمعنى ومبشرا بالجنة لمن أطاع " ونذيرا " أي مخوفا من النار لمن عصى - ذكره قتادة - ثم بين الغرض بالارسال، فقال: أرسلناك بهذه الصفة " لتؤمنوا " ومن قرأ - بالياء - أي ليؤمنوا هؤلاء الكفار " بالله ". ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب إلى الخلق أي أرسلته اليكم " لتؤمنوا بالله " فتوحدوه " ورسوله " فتصدقوه و " تغرروه " أي تنصروه، فالهاء راجعة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال المبرد: معنى (تغرروه) تعظموه يقال: غررت الرجل إذا كبرته بلسانك " وتوقروه " أي تعظموه يعني النبي (صلى الله عليه وآله) - في قول قتادة - وقال ابن عباس (تغرروه) من الاجلال (وتوقروه) من الاعظام. وقوله " وتسبحوه " يعني الله تعالى أي تنزهوه عما لا يليق به " بكرة

واصيلا " أي بالغداة والعشي. وقيل معناه تصلوا له بالغدوات والعشيات. وقوله " لتؤمنوا بالله ورسوله " فيه دلالة على بطلان قول المجبرة إن الله تعالى يريد من الكفار الكفر، لأنه تعالى بين انه أراد من جميع المكلفين الطاعة، ولم يرد أن يعصوا. ثم قال " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله " فالمراد بالبيعة المذكورة - ههنا - بيعة الحديبية، وهي بيعة الرضوان - في قول قتادة ومجاهد - والمبايعة معاقدة على السمع والطاعة، كالمعاقدة في البيع والشراء بما قد مضى فلا يجوز الرجوع فيه. وقيل: إنها معاقدة على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصر.

وقوله " يدا الله فوق أيديهم " قيل في معناه قولان:

أحدهما - عقدا الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه (صلى الله عليه وآله) والآخر - قوة الله في نصرته نبيه (صلى الله عليه وآله) فوق نصرتهم.

وقيل يدا الله في هدايتهم، فوق أيديهم بالطاعة.

وقوله " فمن نكث فانما ينكث على نفسه " والنكث النقض للعقد الذي يلزم الوفاء به، فبين تعالى أن من نقض هذه المبايعة، فانما ينكث على نفسه، لأن ما في ذلك من استحقاق العقاب عائد عليه " ومن أوفى " يقال: أوفى بالعقد، ووفى. وأوفى لغة الحجاز. وهي لغة القرآن " بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما " أي إذا أوفى بالبيعة ونصر دينه ونبيه آتاه الله في ما بعد أجرا عظيما وثوابا جزيلا.

ومن ضم الهاء في " عليه " وهو حفص، فلانها الاصل. ومن كسرهما فللمجاورة للياء قوله تعالى:

(سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا

=====

(٣٢٠)

فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً (١٣) والله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً (١٤) سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعوننا كذاكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً (١٥) خمس آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً " كلم الله " على الجمع. الباقيون " كلام الله " على التوحيد، لانه يدل على الكثير من حيث هو اسم جنس، قال ابو علي " كلام الله " يقع على ما يفيد، والكلم يقع أيضاً على الكلام، وعلى ما لا يفيد والكلم جمع كلمة.

وقرأ حمزة والكسائي " ضرا " بالفتح. الباقيون بالضم. فمن قرأ - بالفتح - أراد المصدر. ومن قرأ بالضم أراد الاسم. وقيل بالفتح ضد النفع وبالضم سوء

=====

(٣٢١)

الحال، كقوله " مسني الضر " (١) ويقال: ضرني الشيء وأضرني، ولا يقال: أضربي، وضره يضره وضراره يضيره بمعنى واحد.

هذا اخبار عن الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) انه " سيقول لك " يامحمد " المخلفون من الاعراب " قال ابن اسحاق ومجاهد: لما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخروج إلى مكة عام الحديبية أحرم بعمره ودعا الاعراب الذين حول المدينة إلى الخروج، فنتأقلوا: أسلم وغفار وجهينة ومزينة، فاخبر الله تعالى بذلك. والمخلف هو المتروك في المكان خلف الخارجين عن البلد، وهو مشتق من المتخلف وضده المتقدم. تقول خلفته كما تقول قدمته تقدما، وإنما تخلفوا لتأقلهم عن الجهاد وإن اعتذروا بشغل الاموال والاولاد. والاعراب الجماعة من عرب البادية، وعرب الحاضرة ليسوا بأعراب، ففرقوا بينهما، وإن كان اللسان واحدا.

وقوله " شغلنا أموالنا وأهلونا " أخبار بما اعتلوا به، فالشغل قطع العمل عن عمل، لا يمكن الجمع بينهما لتنافي أسبابهما كالكتابة والرمي عن القوس والله لا يشغله شأن عن شأن لانه لا يعمل بآلة. وقوله " فاستغفر لنا " حكاية ما قالوه للنبي وسألوه أن يستغفر لهم والاستغفار طلب المغفرة بالدعاء مع التوبة عن المعاصي فهو لاء سألوا الدعاء بالمغفرة، وفي قلوبهم خلاف ما أظهره بافواههم ففضحهم الله وهتك أستارهم، وأبدى ما نافقوا به في جهادهم، فقال " يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم " .

ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله) " قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا " لا يقدر احد على دفعه " أو اراد بكم نفعاً " لا يقدر احد على إزالته " بل كان

---

(١) سورة ٢١ الانبياء آية ٨٣ (ج ٩ م ٤١ من التبيان)

(\*)

=====

(٣٢٢)

الله بما تعملون خبيرا " أي عالما نافعا لكم لا يخفى عليه شيء منها، ثم قال له قل لهم " بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم ابدا " أي ظننتم انهم لا يرجعون ويقتلون ويصطلمون. وهو قول قتادة " وزين ذلك في قلوبكم " زينه الشيطان ذلك وسوله لكم " وظننتم ظن السوء " في هلاك النبي والمؤمنين، وإن الله ينصر عليهم المشركين " وكنتم قوما بورا " والبور الفاسد وهو معنى الجمع وترك جمعه في اللفظ لانه مصدر وصف به قال حسان:

لا ينفع الطول من نوك القلوب \* وقد يهدي الا له سبيل المعشر (١)



البور والبوار الهلاك وبارت السلعة إذا كسدت والبائر من الفاكهة مثل الفاسدة. وقال قتادة " بورا " أي فاسدين. وقال مجاهد: هالكين. ثم قال تعالى مهددا لهم " ومن لم يؤمن بالله ورسوله " أي لم يصدق بهما " فانا أعتدنا للكافرين سعيرا " أي نارا تسعروهم وتحرقهم. ثم قال " والله ملك السموات والارض " بأن يتصرف فيهما كما يشاء لا يعترض أحد عليه فيها " يغفر لمن يشاء " معاصيه (ويعذب من يشاء) إذا استحق العقاب بارتكاب القبائح (وكان الله غفورا رحيفا) أي ساترا على عباده معاصيهم إذا تابوا لا يفصحهم بها رحيفا باسقاط عقابهم الذي استحقوها بالتوبة على وجه الابتداء.

ثم قال تعالى (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) أي اتركونا نجئ معكم، فقال الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله قل) لهم يا محمد (لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) قال مجاهد وقتادة: يعني ما وعد به أهل الحديبية أن غنيمة خيبر لهم خاصة، فاردوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها فمنعهم الله من ذلك. وقال ابن زيد: أراد بقوله

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٤٥ (\*)

=====

(٣٢٣)

(لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) وهذا غلط لان هذه الآية نزلت في الذين تأخروا عن تبوك بعد خيبر وبعد فتح مكة، فقال الله تعالى لهم (لن تخرجوا معي أبدا) لان النبي (صلى الله عليه وآله) لم يخرج بعد ذلك في قتال ولا غزو إلى أن قبضه الله تعالى. ثم قال (كذلك قال الله من قبل) أي مثل ذلك حكم الله وقال ابن زيد: غنيمة خيبر لاهل الحديبية خاصة لا يشركهم فيها أحد. ثم حكى ما قالوه بأنهم (فسيقولون) عند ذلك ليس الامر كذلك (بل تحسدوننا) فقال ليس الامر على ما قالوه (بل كانوا لا يفقهون) الحق وما يدعون اليه (إلا قليلا) وقيل معناه لا يفقهون الحق إلا القليل منهم، وهم المعاندون. وقال بعضهم لا يفقهون إلا فقها قليلا أو الاشياء قليلا. وإنما قالوا: تحسدوننا، لان المسلمين لما توجهوا إلى خيبر وأخذوا غنائمها، قال المخلفون (ذرونا نتبعكم) قالوا نعم على ان لا شئ لكم من الغنيمة، فقالوا عند ذلك تحسدوننا، فقال تعالى (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا). قوله تعالى:

(قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسبا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦)

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله  
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما (١٧) لقد رضي الله  
عن

=====

(٣٢٤)

المؤمنين إذ يبائعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا  
(١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (١٩) وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها  
فجعل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠)  
خمس آيات.

قرأ أهل المدينة، وابن عامر (ندخله ونعذبه) بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه.  
الباقون - بالياء - ردا على اسم الله. يقول الله تعالى لنبيه (قل للمخلفين من الاعراب) أي  
لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنك في الخروج إلى الحديبية (ستدعون) في ما بعد (إلى قوم  
أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) قال ابن عباس: اولوا البأس الشديد أهل فارس. وقال  
ابن أبي ليلى والحسن: هم الروم. وقال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة: هم هوازن بحنين.  
وقال الزهري:

هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، وكانوا بهذه الصفة.

واستدل جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبي بكر، من حيث ان أبابكر دعاهم إلى  
قتال بني حنيفة، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم، وكانوا قد حرموا القتال مع النبي (صلى  
الله عليه وآله) بدليل قوله (لن تخرجوا معي ابداء، ولن تقاتلوا معي عدوا) وهذا الذي ذكروه غير  
صحيح من وجهين:

احدهما - أنه غلط في التاريخ ووقت نزول الآية.

والثاني - أنه غلط في التأويل، ونحن نبين فساد ذلك أجمع، ولنا في الكلام في تأويل الآية  
وجهان:

=====

(٣٢٥)

احدهما - إنه تنازع في اقتضائها داعيا يدعو هؤلاء المخلفين غير النبي (صلى الله عليه وآله)  
ويبين أن الداعي لهم في ما بعد كان النبي (صلى الله عليه وآله) على ما حكيناه عن قتادة وسعيد  
ابن جبير في ان الآية نزلت في أهل خبير، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) هو الداعي إلى ذلك.

والآخر - ان يسلم ان الداعي غيره، ونبين انه لم يكن أبابكر ولا عمر بل كان أمير المؤمنين (عليه السلام).

فاما الوجه الاول فظاهر، لان قوله (سيقول لك المخلفون) إلى قوله (وكنتم قوما بورا) قد بينا انه أراد به الذين تخلفوا عن الحديبية باجماع المفسرين ثم قال (سيقول المخلفون إذا انطلقتم...) إلى آخر الآية، فبين أن هؤلاء المخلفين سألوا ان يخرجوا إلى غنيمة خبير فمنعهم الله من ذلك، وأمر نبيه (صلى الله عليه وآله) ان يقول لهم (قل لن نتبعونا...) إلى هذه القرية، لان الله تعالى حكم من قبل بأن غنيمة خبير لمن شهد الحديبية وانه لاحظ فيها لمن لم يشهدها، وهذا هو معنى قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله) وقوله (كذلك قال الله من قبل) ثم قال (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون) وإنما أراد الرسول سيدعوهم في ما بعد إلى قتال قوم بهذه الصفة، وقد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة. وقال قوم: أولى بأس شديد، كموقعه حنين وتبوك وغيرها، فمن أين يجب أن يكون الداعي لهم غير النبي (صلى الله عليه وآله) فأما قولهم إن معنى قوله (كذلك قال الله من قبل) هو انه أراد قوله (فان رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) مملؤ بالغلط الفاحش في التاريخ، لانا قد بينا أن هذه الآية التي في التوبة نزلت ب (تبوك) سنة تسع. وآية سورة الفتح نزلت سنة ست، فكيف تكون قبلها، وينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ ويراعي اسباب نزول

=====

(٣٢٦)

الآية على ما روي، ولا يقول على الآراء والشهوات. وتبين أيضا أن هؤلاء المخلفين غير أولئك، وإن لم يرجع إلى تاريخ. ونقول قوله (فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) فلم يقطع على طاعة، ولا على معصية بل ذكر الوعد والوعيد على ما يتعلق به من طاعة او معصية وحكم المذكورين فيهم في سورة التوبة، بخلافه لانه تعالى قال بعد قوله (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) إلى قوله (وهم كفرون) (١)

فاختلاف احكامهم يدل على اختلافهم، وقد حكينا عن سعيد بن جبير انه قال هذه الآية نزلت في هوازن يوم حنين. وقال الضحاك: هم تقيف، وقال قتادة:

هم هوازن وثقيف، وأما الوجه الذي يسلم معه أن الداعي غير النبي (صلى الله عليه وآله) فهو ان نقول الداعي أمير المؤمنين (عليه السلام)، لانه قاتل بعده أهل الجمل وصفين وأهل النهروان، وبشره النبي (صلى الله عليه وآله) بقتالهم، وكانوا أولى بأس شديد، فان قالوا من قاتلهم علي (عليه

**السلام** كانوا مسلمين، وفي الآية قال تقاتلونهم او يسلمون ! كيف تتناولهم الآية؟ ! قلنا ! أول ما نقوله: إنهم غير مسلمين عندنا، ولا عند جميع من خالفنا من المعتزلة، لان عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن، ولا مسلم. وأما مذهبنا في تكفير من قاتل عليا **(عليه السلام)** معروف، وقد ذكرناه في كتب الامامة لقوله **(صلى الله عليه وآله)** (حربك يا علي حربي) وغير ذلك من الاخبار والادلة التي ذكرناها في غير موضع واستوفينا ما يتعلق بذلك في كتاب الامامة، ويمكن على تسليم أن الداعي ابو بكر وعمر، أن يقال: ليس في الآية ما يدل على مدح الداعي ولا على امامته، لانه قد يدعو إلى الحق من ليس عليه، ويجب ذلك من حيث كان واجبا من

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٤ - ٨٦ (\*)

=====

(٣٢٧)

أجل دعاه الداعي، وابوبكر دعاهم إلى الدفاع عن الاسلام، وهذا واجب على كل واحد بلا دعاء داع، ويمكن ان يكون المراد بقوله (ستدعون) دعاء الله لهم بايجاب القتال عليهم، لانه إذا دلهم على وجوب قتال المرتدين ودفعهم عن بيضة الاسلام، وقد دعاهم إلى القتال ووجبت عليهم طاعته، والكلام في هذه الآية كالتالي قبلها في أنا إذا قلنا لا تدل على إمارة الرجلين، لا تكون طاعنين عليهما، بل لا يمتنع أن يثبت فضلها وإمامتهما بدليل غير الآية، لان المحصلين من العلماء يذهبون إلى امامتهما من جهة الاخبار لا من جهة الآية.

وقوله (تقاتلونهم او يسلمون) بالرفع معناه إن احد الامرين لابد أن يقع لا محالة، وتقديره أو هم يسلمون. وقرئ شاذاً بالنصب، والوجه فيه حتى يسلموا ولو نصبه، فقال او يسلموا لكان دالا على ان ترك القتال من أجل الاسلام.

وقوله (ليس على الاعمى حرج..) الآية، فالاعمى هو من لا يبصر بجارحة العين. والاعرج الذي برجله آفة تمنعه من المشي مأخوذ من رفعها عند محاولة المشي بغيرها، ومنه العروج الصعود إلى السماء، والمريض من به علة تمنعه من الحركة من اضطراب في البدن حتى يضعف وتحصل فيه آلام، بين الله تعالى انه ليس على وجه هؤلاء الذين بهم هذه الآفات من ضيق ولا حرج في ترك الحصول مع المؤمنين والحضور معهم في الجهاد. قال قتادة: كل ذلك في الجهاد. ثم قال (ومن يطع الله ورسوله) في ما أمره به ونهاه عنه (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول) عن إتباعهما وامثال أمرهما ونهيهما (يعذبهم) الله (عذابا أليما) فمن قرأ بالياء رده إلى الله. ومن قرأ بالنون أراد الاخبار من الله عن نفسه.

وقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة) إخبار

(٣٢٨)

من الله تعالى انه رضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة النبي (صلى الله عليه وآله) وكانوا مؤمنين في الوقت الذي بايعوه (فعلم ما في قلوبهم) من إيمان ونفاق فرضي عن المؤمنين وسخط على المنافقين. وقيل معناه فعلم ما في قلوبهم من صدق النية في القتال وكراحتهم له، لانه بايعهم على القتال - ذكره مقاتل - (فانزل السكينة عليهم)

يعني على المؤمنين، والسكينة الصبر لقوة البصيرة (وأثنهم فتحا قريبا) قال قتادة وابن أبي ليلى: يعني فتح خيبر وقال قوم: فتح مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها)

فالغيمة ملك أموال اهل الحرب من المشركين بالقهر والغلبة في حكمه تعالى، وكان القتال من أجلها. و (المغانم) ههنا يراد به غنائم خيبر.

وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعني سائر الغنائم وقال قوم: أراد بها ايضا غنائم خيبر. وقوله (فعجل لكم هذه) يعني الصلح وسميت بيعة الرضوان لقول الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين) وقال ابن عباس كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية تأخر عثمان حين بعثه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى قريش أنهم قتلوه، فبايعهم على قتال قريش، وقال ابن عباس: كانوا ألفا وخمسمائة نفس. وقال جابر: كانوا ألفا وأربعمائة نفس، وقال ابن أوفى ألفا وثلاثمائة. والشجرة التي بايعوا تحتها هي السمرة.

واستدل بهذه الآية جماعة على فضل أبي بكر، فانه لا خلاف أنه كان من المبايعين تحت الشجرة. وقد ذكر الله أنه رضي عنهم، وانه أنزل السكينة عليهم وانه علم ما في قلوبهم من الايمان، واثابهم فتحا قريبا.

والكلام على ذلك مبنى على القول بالعموم، وفي أصحابنا من قال لا صيغة للعموم ينفرد بها. وبه قال كثير من المخالفين، فمن قال بذلك كانت الآية عنده مجملة لا يعلم المعنى بها، وقد بايع (صلى الله عليه وآله) جماعة من المنافقين بلا خلاف، فلا بد

=====

(٣٢٩)

من تخصيص الآية على كل حال. على انه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف قد علمنا أنها لم تحصل في جميع المبايعين، فوجب أن يختص الرضا بمن جمع الصفات لانه قال (فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا) ولا خلاف بين أهل النقل ان الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل هو فتح خيبر. وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ذلك قال: (لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يده) فدعا عليا فأعطاه الراية، وكان الفتح على يده، فوجب ان يكون

هو المخصوص بحكم الآية، ومن كان معه في ذلك الفتح لتكامل الصفات فيهم. على ان ممن بايع بيعة الرضوان طلحة والزبير، وقد وقع منهما من قتال علي (عليه السلام) ما خرجا به عن الايمان وفسقا عند جميع المعتزلة ومن جرى مجراهم، ولم يمنع وقوع الرضاء في تلك الحال من واقعة المعصية في ما بعد، فما الذي يمنع من مثل ذلك في غيره. وليس إذا قلنا: أن الآية لا تختص بالرجلين، كان طعنا عليهما بل إذا حملناها على العموم دخلا، وكل متابع مؤمن معهما، فكان ذلك أولى.

وقوله (ومغانم كثيرة تأخذونها) يعني ما غنتموه من خيبر من انواع الغنائم (وكان الله عليهما) بمصالح عباده (حكيمًا) في جميع أفعاله. ثم قال (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذا - ه) يعني غنائم خيبر. والباقي كل ما يغنمه المسلمون من دار الحرب (وكف ايدي الناس عنكم) يعني أسدا وغطفان، فانهم كانوا مع خيبر فصالحهم النبي (صلى الله عليه وآله) فكفوا عنه. وقيل: يعني اليهود كف ايديهم عنكم بالمدينة من قبل الحديبية ومجئ قريش، فلم يغلبوكم (ولتكون آية للمؤمنين) يستدلون بها على صحة قولكم (ويهدىكم) أي ويرشدكم (صراطا) ج ٩ م ٤٢ من التبيان)

=====

(٣٣٠)

مستقيما) يفضي بكم إلى الحق وما يؤدي إلى الثواب. والواو في قوله (ولتكون) معناه إنا وعدناكم الغنائم لكف أيدي الناس عنكم وليكون ذلك آية للمؤمنين إذ وقع الخبر على ما أخبر به، لانه علم غيب لا يعلمه إلا الله. قوله تعالى:

(وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا (٢١) ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا (٢٢) سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٢٣) وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا (٢٤) هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوبا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) (٢٥) خمس آيات.

قرأ أبو عمرو " بما يعملون بصيرا " بالياء على الخبر. الباقيون بالناء على الخطاب لما ذكر الله تعالى انه وعد المؤمنين مغانم كثيرة يأخذونها وانه عجل لهم هذه منها، يعني غنائم خيبر وعدهم بالغنائم الاخر، فقال (وأخرى لم تقدروا عليها) أي

=====

( ٣٣١ )

وغنيمة أخرى - عن ابن عباس والحسن - إنها فارس والروم. وقال قتادة:  
هي مكة (قد أحاط الله بها) أي قدر الله عليها واحاط بها علما فجعلهم بمنزلة ما قد أدير حولهم  
بما يمنع ان يفلت احد منهم (وكان الله على كل شئ قديرا) أي ما يصح أن يكون مقدورا له،  
فهو قادر عليه. ثم قال (ولو قاتلكم الذين كفروا)  
يعني من قريش يا معشر المؤمنين (لولوا الادبار) منهزمين بخذلانه إياهم ونصرة الله إياكم،  
ومعونته لكم - في قول قتادة - (ثم لا يجدون) يعني الكفار (وليا)  
يواليهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم.

وقوله (سنة الله التي قد خلت من قبل) معناه سنة الله جارية في خذلانه أهل الكفر ونصرة أهل  
الايمان في ما مضى من الامم السالفة، ونصره هو أمره بالقتال (ولن تجد) يا محمد " لسنة الله  
تبديلا " أي لن تجد لسنة الله ما يدفعها فالسنة الطريقة المستمرة في معنى ومن ذلك قوله (صلى  
الله عليه وآله) (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها. ومن سن سنة سيئة فعليه  
اثمها واثم من عمل بها) والتبديل رفع احد الشيين وجعل الآخر مكانه، في ما حكم أن يستمر  
على ما هو به ولو رفع الله حكما يأتي بخلافه لم يكن تبديلا لحكمه لانه لا يرفع شيئا إلا في  
الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه، وقال ابن عباس: كان المشركون بعثوا أربعين رجلا  
ليصيبوا من المسلمين، فأتى بهم رسول الله، فخلى سبيلهم، وهو المراد بقوله " وهو الذي كف  
أيديهم عنك " بالرعب " وأيديكم عنهم " بالنهي نزلت في أهل الحديبية وأهل مكة، لا في أهل  
خير. وقيل لهم ينهوا عن قتالهم، لانهم لا يستحقون القتل بكفرهم وصددهم لكن للبقاء على  
المؤمنين الذين في ايديهم " ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم " يعني فتح مكة " وكان الله  
بما تعملون بصيرا " يدبركم بحسب ما تقتضيه مصالحكم وقوله " هم الذين كفروا " أي  
بوحداية الله، وهم كفار قريش " وصدوكم

=====

( ٣٣٢ )

عن المسجد الحرام " في الحديبية، وصدوكم أن تعتمروا وتطوفوا بالبيت " والهدي معكوبا أن  
يبلغ محله " أي المحل الذي يحل نحره فيه. والمعكوف المحبوس أي منعوا الهدى أيضا ليذبح  
بمكة، لان هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما لا يذبح هدي الحج إلا بمنى، ثم قال " ولولا  
رجال مؤمنون " بالله ومصدقون بالنبي " ونساء مؤمنات " مثل ذلك بمكة - في قول قتادة -

لم تعلموهم " أي لم تعلموا بإيمانهم " أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم " أي ينالكم أثم لاجلهم من غير علم منكم بذلك - في قول ابن زيد - وقال قوم: معناه عنت. وقال ابن اسحاق: هو غرم الدية في كفارة قتل الخطأ عتق رقبة مؤمنة ومن لم يطق فصيام شهرين، وهو كفارة قتل الخطأ في الحرب. وجواب لولا محذوف، وتقديره ولولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لو طئتم رقاب المشركين بنصرنا إياكم. والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالاقامة في مكانه، ومنه الاعتكاف، وهو الاقامة في المسجد للعبادة، وعكف على هذا الامر يعكف عكوفاً إذا اقام عليه. وقوله " ليدخل الله في رحمته من يشاء لو نزلوا " أي لو تميز المؤمنون منهم، وقيل لو تفرقوا والمعنى واحد " لعذبنا الذين كفروا منهم " يعني من أهل مكة " عذاباً أليماً " بالسيف والقتل والاليم المؤلم، وكان النبي (صلى الله عليه وآله): ساق سبعين بدنة في عام الحديبية، ودخل في العام المقبل لعمرة القضاء في الشهر الذي صد فيه ونزل قوله " الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص " (١) ذكره قتادة. قوله تعالى:

(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٩٤ (\*)

(٣٣٣)

الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً (٢٦) لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مطلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً (٢٧) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً (٢٨) محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) (٢٩) أربع آيات. قرأ ابن كثير إلا ابن فليح " شطاه " بفتح الطاء ومثله ابن ذكوان. الباقرن باسكانها. وقرأ أهل الشام " فازره " مقصور، الباقرن بالمد، وهما لغتان من فعل الشيء وفعله غيره نحو كسبت مالا وكسبني غيري، ونزحت البئر ونزحتها ويقال: أزر النبات وأزره غيره. وقوله " إذ جعل " متعلق بقوله " لعذبنا الذين



=====

( ٣٣٤ )

كفروا منهم عذابا أليما إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية " يعني الانفة. ثم فسر تلك الانفة، فقال " حمية الجاهلية " الاولى يعني عصبتهم لآلهتهم من أن يعبدوا غيرها. وقال الزهري: هي انفتهم من الاقرار لمحمد بالرسالة. والاستفتاح ب (بسم الله الرحمن الرحيم) على عادته في الفاتحة، حيث أراد ان يكتب كتاب العهد بينهم. ودخلهم مكة لاداء العمرة. ثم قال تعالى " فأنزل الله سكينته على رسوله " أي فعل به (صلى الله عليه وآله) من اللطف والنعمة ما سكنت اليه نفسه وصبر على الدخول تحت ما أرادوه منه " وعلى المؤمنين " أي ومثل ذلك فعل بالمؤمنين " وألزمهم كلمة التقوى " قال ابن عباس وقتادة: كلمة التقوى قول: لا إلا إلا الله محمد رسول الله. وقال مجاهد: هي كلمة الاخلاص " وكانوا أحق بها وأهلها " يعني المؤمنين كانوا أهلها واحق بها. قال الفراء: ورأيتها في مصحف الحارث بن سويد التميمي من أصحاب عبدالله (وكانوا أهلها واحق بها) وهو تقديم وتأخير، وكان مصحفه دفن أيام الحجاج. وقيل:

ان التقدير كانوا أحق بنزول السكينة عليهم وأهلها. وقيل: المعنى فكانوا أحق بمكة أن يدخلوها وأهلها. وإنما قال " أحق " لانه قد يكون حق أحق من حق غيره، لان الحق الذي هو طاعة يستحق به المدح أحق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك " وكان الله بكل شئ عليما " لما ذم الكفار تعالى بحمية الجاهلية ومدح المؤمنين بالسكينة والزوم الكلمة الصادقة بين علمه ببواطن أمورهم وما تتطوي عليه ضمائرهم إذ هو العالم بكل شئ من المعلومات. وقوله " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام " قسم من الله تعالى ان النبي (صلى الله عليه وآله) صادق في قوله انه رأى في المنام انه يدخل هو والمؤمنون المسجد الحرام، وانه لا بد من كون ذلك. وقوله " إن شاء الله آمين " قال قوم

=====

( ٣٣٥ )

تقييد لدخول الجميع او البعض. وقال قوم: ليس ذلك شرطا لانه بشارة بالرؤيا التي رآها النبي (صلى الله عليه وآله) وطالبه الصحابة بتأويلها وحققها. قوله " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " ثم استؤنف على طريق الشرح والتأكيد " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله " على الفاظ الدين، كأنه قيل بمشيئة الله، وليس ينكر أن يخرج مخرج الشرط ما ليس فيه معنى الشرط، كما يخرج مخرج الامر ما ليس في معنى الامر لقرينة تصحب الكلام. وقال البلخي: معنى "

إن شاء الله " أي أمركم الله بها، لأن مشيئة الله تعالى بفعل عباده هو أمره به. وقال قوم: هو تأديب لنا، كما قال " ولا تقولن لشيء.. " (١) الآية.

وقوله " آمنين " أي بلا خلاف عليكم " محلقين رؤسكم ومقصرين " أي منكم من يحلق رأسه ومنكم من يقصر " لا تخافون " احدا في ذلك، وكذلك جرى الأمر في عمرة القضاء وفي السنة الثانية للحديبية، وروي أن عمر قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قاضا أهل مكة يوم الحديبية، وهم بالرجوع إلى المدينة: أليس وعدتنا يا رسول الله أن تدخل المسجد الحرام محلقين ومقصرين، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) (قلت لكم إنا ندخلها العلم)؟! ! فقال: لا، فقال (صلى الله عليه وآله) (فانكم تدخلونها إن شاء الله) فلما كان في القابل في ذي القعدة خرج النبي (صلى الله عليه وآله) لعمرة القضاء، ودخل مكة مع أصحابه في ذي القعدة واعتمروا، وقام بمكة ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة.

ثم قال " فاعلم " يعني علم الله " وما لم تعلموا " انتم من المصلحة في المقاضاة وإجابتهم إلى ذلك. وقيل المعنى فاعلم النبي (صلى الله عليه وآله) من دخولهم إلى سنة ما لم تعلموا معاشر المؤمنين. وقيل: فاعلم ان بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٢٤ (\*)

=====

(٣٣٦)

" فجعل من دون ذلك فتحا قريبا " قال ابن زيد: يعني بذلك فتح خيبر. وقال الزهري: هو فتح الحديبية.

ثم قال تعالى " هو الذي ارسل رسوله " يعني محمدا (صلى الله عليه وآله) " بالهدى يعني الدليل الواضح، والحجة البينة " ودين الحق " يعني الاسلام وإخلاص العبادة " ليظهره على الدين كله " قيل بالحج والبراهين. وقيل: لان الاسلام ظاهر على الاديان كلها. وقيل: إنه إذا خرج المهدي صار الاسلام في جميع البشر، وتبطل الاديان كلها.

ثم قال (وكفى بالله شهيدا) بذلك من إظهار دين الحق على جميع الاديان.

ثم اخبر تعالى فقال (محمد رسول الله) (صلى الله عليه وآله) ارسله إلى خلقه (والذين معه) من المؤمنين يعني المصدقين بوحدانية الله المعترفين بنبوته الناصرين له (اشداء على الكفار) لانهم يقاتلونهم ويجاهدونهم بنية صادقة (رحماء بينهم) أي يرحم بعضهم بعضا ويتحنن بعضهم على بعض (تراهم ركعا سجدا) لقيامهم بالصلاة والاتيان بها، فهم بنى راع وساجد (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اي يلتمسون بذلك زيادة نعيمهم من الله ويطلبون مرضاته

من طاعة وترك معصية (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) قال ابن عباس: اثر صلاتهم يظهر في وجوههم.

وقال الحسن. هو السميت الحسن. وقال قوم: هو ما يظهر في وجوههم من السهر بالليل. وقال مجاهد: معناه علامتهم في الدنيا من اثر الخشوع. وقيل:

علامة نور يجعلها الله في وجوههم يوم القيامة - في قول الحسن وابن عباس وقتادة وعطية - و (ذلك مثلهم في التوراة) اي وصفهم، كأنه مثلهم في التوراة (ومثلهم في الانجيل) اي وصفهم الله في الانجيل (كمثل زرع اخرج شطأه)

يشبههم بالزرع الذي ينبت في حوايه بنات ويلحق به، فالشطأ فراخ الزرع الذي

=====

(٣٣٧)

ينبت في جوانبه ومنه شاطئ النهر جانبه، يقال أشطأ الزرع، فهو مشطئ إذا أفرخ في جوانبه " فازره " أي عاونه فشد فراخ الزرع لاصول النبت وقواها يقال أزرت النبت وأزره غيره بالمد، ويقال أزر النبت وأزرته مثل رجع ورجعته وقال ابوالحسن: هما لغتان. وقال ابو عبيدة: أزره ساواه فصار مثل الام، وفاعل (أزر) الشطأ أي أزر الشطأ الزرع، فصار في طوله " فاستغلظ " أي صار غليظا باجتماع الفراخ مع الاصول " فاستوى " معه أي صار مثل الام " على سوقه " وهو جمع ساق وساق الشجرة حاملة الشجر، وهو عوده الذي يقوم عليه، وهو قصبته. ومثله قوى المحبة بما يخرج منها، كما قوي النبي (صلى الله عليه وآله) باصحابه.

وقوله " يعجب الزراع " يعني الذين زرعوا ذلك " ليغيظ بهم الكفار " قيل: معناه ليغيظ بالنبي وأصحابه الكفار المشركين. ووجه ضرب هذا المثل بالزرع الذي أخرج شطأه هو ان النبي (صلى الله عليه وآله) حين ناداهم إلى دينه كان ضعيفا فأجابه الواحد بعد الواحد حتى كثر جمعه وقوي أمره كالزرع يبدا بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وفراخه، وكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان وقال البلخي: هو كقوله " كمثّل غيث أعجب الكفار نباته " (١) يريد بالكفار - ههنا - الزراع واحدهم كافر، لانه يغطي البذر، وكل شئ غطيته فقد كفرته.

ومنه قولهم: تكفر بالسلاح. وقيل: ليل كافر لانه يستر بظلمته كل شئ قال الشاعر:

في ليلة كفر النجوم غمامها (٢)

أي غطاها. ثم قال " وعد الله الذين آمنوا " يعني من عرف الله ووحده

---

(١) سورة ٥٧ الحديد آية ٢٠ (٢) مر في ١ / ٦٠ (ج ٩ م ٤٣ من التبيان)

## (٣٣٨)

وأخلص العبادة له وآمن بالنبى (صلى الله عليه وآله) وصدقته " وعملوا " مع ذلك الاعمال " الصالحات منهم " قيل: انه بيان يخصصهم بالوعد دون غيرهم. وقيل يجوز ان يكون ذلك شرطا فيمن أقام على ذلك منهم، لان من خرج عن هذه الاوصاف بالمعاصي فلا يتناوله هذا الوعد " مغفرة " أي سترا على ذنوبهم الماضية " وأجرا " أي ثوابا " عظيما " يوم القيامة. وقرأ ابن كثير وحده " على سؤقه " بالهمزة. الباقر بلا همزة، وهو الاصح. قال ابو علي: من همز فعلى قولهم (أحب المؤفدين إلى موسى) واستعمال السوق في الزرع مجاز.

## (٣٣٩)

٤٩ - سورة الحجرات مدينة إلا آية واحدة وهي قوله تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم.. " إلى آخرها. وقال قوم: كلها مدينة، وهي ثمان عشر آية بلا خلاف. بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤) ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) (٥) خمس آيات. قرأ يعقوب " لا تقدموا " بفتح التاء والذال. الباقر بضم التاء وكسر الذال

## (٣٤٠)

من التقديم. وقيل: انهما لغتان. قدم وتقدم مثل عجل وتعجل وقال ابن عباس والحسن: الآية " لا تقدموا " في الحكم أو في الامر قبل كلامه (صلى الله عليه وآله) - بفتح الذال والتاء - وقال الحسن: ذبح قوم قبل صلاة العيد يوم النحر، فأمروا باعادة ذبيحة اخرى. وقال الزجاج: المعنى لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر الله والنبي (صلى الله عليه وآله) به حتى قيل لا يجوز تقدم الزكاة قبل وقتها. وقال قوم:

كانوا إذا سألوا عن شئ قالوا فيه قبل النبي (صلى الله عليه وآله) نهوا عن ذلك، والاولى حمل الآية على عمومها فيقال: كل شئ إذا فعل كان خلافا لله ورسوله فهو تقدم بين أيديهما فيجب المنع من جميع ذلك.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين اعترفوا بتوحيده وإخلاص عبادته وأقروا بنبوة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) ينهاهم أن يتقدموا بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) بأن يفعلوا خلاف ما أمر به أو يقولوا في الاحكام قبل ان يقول أو يخالفوا أوقات العبادة، فان جميع ذلك تقدم بين يديه، وأمرهم ان يتقوا الله بأن يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته " إن الله سميع " لما يقولونه " عليم " بما ينطون عليه ويضمرونه. ثم أمرهم ثانيا بأن قال " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي " على وجه الاستخفاف به (صلى الله عليه وآله)، فان مجاهد وقتادة قالوا: جاء أعراب اجلاف من بني تميم، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات: يا محمد إخرج إلينا، ولو أن إنسانا رفع صوته على صوت النبي (صلى الله عليه وآله) على وجه التعظيم له والاجابة لقوله لم يكن مأنورا. وقد فسر ذلك بقوله " ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض " فان العادة جارية أن من كلم غيره ورفع صوته فوق صوته أن ذلك على وجه الاستخفاف به، فلذلك نهاهم عنه. وجهر الصوت اشد من الهمس، ويكون شديدا وضعيفا ووسطا. والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد، ومنه الجهارة في المنطق. ويقال: نهارا جهارا، وجاهر

=====

(٣٤١)

بالامر مجاهرة. ونقيض الجهر الهمس.

ثم بين تعالى انهم متى فعلوا ذلك بان يرفعوا الصوت على صوت النبي (صلى الله عليه وآله) على الوجه الذي قلناه أن يحبط اعمالهم، والتقدير لا ترفعوا أصواتكم لان لا تحبط قال الزجاج: ويكون اللام لام العاقبة، والمعنى يحبط ثواب ذلك العمل، لانهم لو أوقعوه على وجه الاستحقاق لاستحقوا به الثواب، فلما فعلوه على خلاف ذلك استحقوا عليه العقاب، وفاتهم ذلك الثواب فذاك إحباط أعمالهم، فلا يمكن أن يستدل بذلك على صحة الاحباط في الآية على ما يقوله أصحاب الوعيد، ولانه تعالى علق الاحباط في الآية بنفس العمل، وأكثر من خالفنا يعلقه بالمستحق على الاعمال، وذلك خلاف الظاهر.

ثم مدح تعالى من كان بخلاف من يرفع الصوت بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال " إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله " اعظاما للنبي وإجلالا له، والغض الحط من منزلة على وجه التصغير له بحالة، يقال: غض فلان عن فلان إذا ضعف حاله عن حال من هو

أرفع منه، و غص بصره إذا ضعف عن حدة النظر، و غص صوته إذا ضعف عن الجهر،  
وقال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير \* فلا كعبا بلغت ولا كلابا (١)

ثم قال " أولئك " يعني الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله هم " الذين امتحن الله قلوبهم  
للتقوى " أي لا خلاص التقوى فعاملهم معاملة المختبر كما يمتحن الذهب لا خلاص جوده.  
وقيل " امتحن الله قلوبهم للتقوى " اخلصها - في قول مجاهد وقتادة - وقال قوم: معناه أولئك  
الذين علم الله التقوى في قلوبهم، لان الامتحان يراد به العلم، فعبر عن العلم بالامتحان.

(١) ديوانه والطبري ٢٦ / ٦٩ (\*)

=====

(٣٤٢)

ثم قال تعالى " لهم مغفرة " من الله لذنوبهم " وأجر عظيم " على افعالهم وطاعاتهم ثم خاطب  
النبي (صلى الله عليه وآله) على وجه الذم لمن يرفع صوته من اجلاف الاعراب على النبي (صلى  
الله عليه وآله) " إن الذين ينادونك " يا محمد " من وراء الحجرات " وهي جمع حجرة وكل  
(فعللة) بضم الفاء يجمع بالالف والتاء، لانه ليس بجمع سلامة محضة إذ ما يعقل من الذكر  
ألق به، لانه اشرف المعنيين، فهو احق بالتفصيل، قال الشاعر:

اما كان عباد كفيًا لدارم \* بلى ولابيات بها الحجرات (١)

أي بلى ولبنى هاشم. وقرأ ابو جعفر الحجرات بفتح الجيم. قال المبرد:

أبدل من الضمة الفتحة الستتقالا لتوالي الضمتين، ومنهم من أسكن مثل (عضد وعضد) وقال  
ابوعبيدة: جمع حجرة وغرفة يقال: حجرات وغرفات.

ثم قال " اكثرهم لا يعقلون " لانهم بمنزلة البهائم لا يعرفون مقدار النبي (صلى الله عليه وآله) وما  
يستحقه من التوقير والتعظيم. وقيل: إن الذين رفعوا أصواتهم على النبي (صلى الله عليه وآله)  
قوم من بني تميم. وفي قراءة ابن مسعود (اكترهم بنو تميم لا يعقلون).

ثم قال " ولو أنهم صبروا " فلم ينادوك " حتى تخرج اليهم " من منزلك " لكان خيرا لهم " من  
أن ينادونك من وراء الحجرات (والله غفور رحيم) أي سائر لذنوبهم إن تابوا منها لان ذلك  
كفر لا يغفره الله إلى بالتوبة.

قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم  
نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن

(٣٤٣)

الله حبيب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأفسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) خمس آيات.

قوله (يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) خطاب من الله - عزوجل - للمؤمنين بأنه (إذا جاءكم فاسق) وهو الخارج من طاعة الله إلى معصيته (بنبأ)

أي بخبر عظيم الشأن (فتبينوا) صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بمتضمنه (أن تصيبوا قوما بجهالة) لأنه ربما كان كاذبا وخبره كذبا، فيعمل به فلا يؤمن بذلك وقال ابن عباس ومجاهد ويزيد بن رومان وقتادة وابن أبي ليلا: نزلت الآية في الوليد ابن عقبة بن أبي معيط، لما بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صدقات بني المصطلق خرجوا يتلقونه فرحا به وإكراما له، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: انهم منعوا صدقاتهم، وكان الامر بخلافه.

وفي الآية دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل، لان المعنى إن جاءكم فاسق بالخبر الذي لا تأمنون أن يكون كذبا فتوقفوا فيه، وهذا التعليل موجود في خبر العدل، لان العدل على الظاهر يجوز أن يكون كاذبا في خبره،

(٣٤٤)

فالامان غير حاصل في العمل بخبره. وفي الناس من استدل به على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان راويه عدلا، من حيث انه اوجب تعالى التوقف في خبر الفاسق، فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه. وهذا الذي ذكره غير صحيح، لانه استدلال بدليل الخطاب ودليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور العلماء. ولو كان صحيحا فليست الآية بأن يستدل بدليلها على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا بأولى من ان يستدل بتعليلها في دفع الامان من أن يصاب بجهالة إذا عمل بها على ان خبر العدل مثله، على أنه لا يجب العمل بخبر الواحد، وإن كان راويه عدلا.

فان قيل: هذا يؤدي إلى أن لا فائدة في إيجاب التوقف في خبر الفاسق إذا كان خير العدل مثله في الفائدة.

قلنا: والقول بوجوب العمل بخبر الواحد يوجب أنه لا فائدة في تحليل الآية في خبر الفاسق الذي يشاركه العدل فيه، فاذا تقابلا سقط الاستدلال بها على كل حال وبقي الاصل في انه لا يجوز المل بخبر الواحد إلا بدليل.

ومن قرأ (تبيينوا) أراد تعرفوا صحة متضمن الخبر الذي يحتاج إلى العمل عليه، ولا تقدموا عليه من غير دليل، يقال: تبين الامر إذا ظهر، وتبين هو نفسه بمعنى واحد، ويقال ايضا: تبينته إذا عرفته. ومن قرأ (فتثبتوا) - بالتاء والتاء - أراد توقفوا فيه حتى يتبين لكم صحته. وقوله (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) معناه حتى عملتم بخبر الواحد وبان لكم كذب رايه أصبحتم نادمين على ما فعلتموه.

ثم خاطبهم يعني المؤمنين فقال (واعلموا) معاشر المؤمنين (أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) ومعناه لو فعل ما تريدونه في كثير من

=====

(٣٤٥)

الامور (لعنتم) أي اصابكم عنت ومكروه، يقال: أعنت الرجل إذا حملت عليه عامدا لما يكره، يقال: اعنته فعنت، وسمي موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا لان الطاعة يراعى فيها الرتبة، فلا يكون المطيع مطيعا لمن دونه، وإنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما أمره به، ألا ترى انه لا يقال في الله تعالى: إنه مطيع لنا إذا فعل ما أردناه. ويقال فينا إذا فعلنا ما أرداه الله: انه مطيع. والنبي (صلى الله عليه وآله) فوقنا فلا يكون مطيعا لنا، فاطلاق ذلك مجاز.

وقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) بما وعد من استحقاق الثواب عليه (وزينه في قلوبكم) بنصب الأدلة على صحته (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) بما وصفه من العقاب عليه - وهو قول الحسن - وفي الآية دلالة على أن اضرار الايمان ثلاثة كفر وفسوق وعصيان.

ثم قال (أولئك) يعني الذين وصفهم الله بالايمان، وزين الايمان في قلوبهم وانه كره اليهم الفسوق وغيره (هم الراشدون) أي المهتدون إلى طريق الحق الذين أصابوا الرشد.

ثم قال (فصلا من الله ونعمة) أي فعل الله ذلك بهم فضلا منه على خلقه ونعمة مجددة، وهو نصب على المفعول له - في قول الزجاج - (والله عليهم) بالاشياء كلها (حكيم) في جميع أفعاله.

ثم قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) يقتل بعضهم بعضا (فأصلحوا بينهما) حتى يصطلحا، وقرأ يعقوب (بين أخوتكم) حملة على أنه جمع (أخ)



أخوة لان الطائفة جمع. ومن قرأ على التنثية رده إلى لفظ الطائفتين، وقرأ زيد ابن ثابت وابن سيرين وعاصم الجحدري (بين اخويكم) والمعاني متقاربة.  
(ج ٩ م ٤٤ من التبيان)

=====

(٣٤٦)

وقوله (وإن طائفتان من المؤمنين) لا يدل على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الايمان، ويطلق عليهما هذا الاسم، بل لا يمتنع ان يفسق احد الطائفتين او يفسقا جميعا، وجرى ذلك مجرى ان تقول: وإن طائفة من المؤمنين ارتدت عن الاسلام فاقتلوهما. ثم قال (فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء)

أي فان بغت إحدى الطائفتين على الاخرى بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقابل الاخرى ظالمة لها متعدية عليها (فقاتلوا التي تبغي) لانها هي الظالمة المتعدية دون الاخرى (حتى تفيء إلى أمر الله) أي حتى ترجع إلى أمر الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة. ثم قال (فان فاءت) أي رجعت وتابت وأقلعت وأنابت إلى طاعة الله (فأصلحوا بينهما) يعني بينها وبين الطائفة التي كانت على الايمان ولم تخرج عنه بالقول، فلا تميلوا على واحدة منهما (وأقسطوا) أي اعدلوا (إن الله يحب المقسطين) يعني العادلين، يقال: أقسط إذا عدل، وقسط إذا جار. قال الله تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) (١).

وقيل: إن الآية نزلت في قبيلتين من الانصار وقع بينهما حرب وقتال - ذكره الطبري - . ثم اخبر تعالى (إنما المؤمنون) الذين يوحدون الله تعالى ويعملون بطاعته ويقرون بنبوة نبيه ويعملون بما جاء به (أخوة) يلزمهم نصرة بعضهم بعضا (فأصلحوا بين اخويكم) يعني إذا رجعا جميعا إلى الحق وما أمر الله به (وأتقوا الله) أي اجتنبوا معاصيه وافعلوا طاعته واتقوه في مخالفتمكم (لعلكم ترحمون) معناه لكي ترحمون لان (لعل) بمعنى الشك والشك لا يجوز على الله تعالى، قال الزجاج: سموا المؤمنين إذا كانوا متفقين في دينهم بأنهم أخوة، لا تفاقهم في الدين ورجوعهم إلى اصل النسب

---

(١) سورة ٧٢ الجن آية ١٥ (\*)

=====

(٣٤٧)

لانهم لأدم وحواء.  
قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الاعراب أمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (١٤) خمس آيات.

=====

(٣٤٨)

قرا اهل البصرة (لا يألنكم) بالهمزة. الباقون (لا يلتكم) بلا همزة، وهما لغتان، يقال: ألت يألن إذا أنقص، ولات يليت مثل ذلك. وفي المصحف بلا الف وقال الشاعر:  
وليلة ذات ندى سریت \* ولم يلتني عن سراها لیت (١)  
ومعنى الآية لا ينقصكم من أعمالكم شيئا، ومنه قوله (وما ألتناهم من عملهم من شيء) (٢) أي ما نقصناهم. وقرأ يعقوب (ميتا) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. والتشديد الاصل، وهو مثل سيد وسيد.

يقول الله مخاطبا للمؤمنين الذين وحدوده وأخلصوا العبادة له وصدقوا نبيه وقبلوا ما دعاهم الله اليه (لا يسخر قوم من قوم) ومعناه لا يهزأ به ويتلهى منه، وقال مجاهد: لا يسخر غني من فقير لفقره بمعنى لا يهزأ به، والسخرية بالاستهزاء ولو سخر المؤمن من الكافر احتقارا له لم يكن بذلك مأثوما، فأما في صفات الله، فلا يقال إلا مجازا كقوله (فانا نسخر منكم كما تسخرون) (٣) معناه إنا نجازيكم جزاء السخرية.

ثم قال (عسى أن يكونوا خيرا منهم) لانه ربما كان الفقير المهين في ظاهر الحال خيرا عند الله وأجل منزلة وأكثر ثوابا من الغني الحسن الحال. وقال الجبائي: يجوز ان يكونوا خيرا منهم في منافع الدنيا، وكثرة الانتفاع بهم. وقوله (ولا نساء من نساء) أي ولا يسخر نساء من نساء على هذا المعنى (عسى أن يكن خيرا منهن) ويقال: هذا خير من هذا بمعنى أنفع منه في ما يقتضيه العقل، وكذلك كان نسب رسول الله (صلى الله عليه وآله) خير من نسب غيره، ثم قال (ولا تلمزوا أنفسكم)

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ٨٢ وقد مر في ٦ / ٤٤٥ (٢) سورة ٥٢ الطور آية ٢١ (٣) سورة ١١ هود آية ٣٨  
(\*)

=====

(٣٤٩)

فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره، وهو المنهي عنه، فأما ذكر عيبيه، فليس بلمز، وروي انه (صلى الله عليه وآله) قال (قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس) وقال الحسن: في صفة الحجاج أخرج الينا نباتا قصيرا قل ما عرفت فيها إلا عنه في سبيل الله ثم جعل يطبب بشعيرات له، ويقول: يابا سعيد. ولو كان مؤمنا لما قال فيه ذلك. وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يطعن بعضكم على بعض كما قال (ولا تقتلوا أنفسكم) (١) لان المؤمنين كنفس واحدة، فكأنه يقتله اخاه قاتل نفسه.

وقوله (ولا تتابزوا باللقاب) قال ابو عبيدة: الانباز والالقاب واحد فالنيز القذف باللقب، نهاهم الله أن يلقب بعضهم بعضا. وقال الضحاك: معناه كل اسم او صفة يكرة الانسان أن يدعى به، فلا يدع به. وإنما يدعى بأحب اسمائه اليه. وقوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) لا يدل على ان المؤمن لا يكون فاسقا لان الايمان والفسق لا يجتمعان، لان ذلك يجري مجرى ان يقال: بئس الحال الفسوق مع الشيب على ان الظاهر يقتضي ان الفسوق الذي يتعقب الايمان بئس الاسم، وذلك لا يكون إلا كفرا، وهو بئس الاسم.

ثم قال (ومن لم يتب) يعني من معاصيه ويرجع إلى طاعة الله ومات مصرا (فاولئك هم الظالمون) الذين ظلموا نفوسهم بأن فعلوا ما يستحقون به العقاب.

ثم خاطبهم ايضا فقال (يا ايها الذين آمنوا) أي صدقوا بوجدانيتها (اجتنبوا كثيرا من الظن) وإنما قال (كثيرا) لان في جملته ما يجب العمل عليه، ولا يجوز مخالفته. وقوله (ان بعض الظن اثم) فالظن الذي يكون إثما

(١) سورة ٤ النساء آية ٢٨ (\*)

=====

(٣٥٠)

إنما هو ما يفعله صاحبه وله طريق إلى العلم بدلا منه مما يعمل عليه، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله، فأما مالا سبيل له إلى دفعه بالعلم بدلا منه، فليس باثم، فلذلك كان بعض الظن اثم،

دون جميعه، والظن المحمود قد بينه الله ودل عليه في قوله (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) (١): يلزم المؤمن أن يحسن الظن به ولا يسيئ الظن في شئ يجد له تأويله جميلا، وإن كان ظاهره القبيح. ومتى فعل ذلك كان ظنه قبيحا.

وقوله (ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عثرات المؤمن - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة - وقال ابو عبيدة التجسس والتجسس واحد وهو التبعث يقال:

رجل جاسوس، والجاسوس والناموس واحد. وقيل للمؤمن حق على المؤمن ينافي التجسس عن مساوئه. وقيل: يجب على المؤمن أن يتجنب ذكره المستور عند الناس بقبيح، لأن عليهم أن يكذبوه ويردوا عليه، وإن كان صادقا عند الله، لأن الله ستره عن الناس، وإنما دعى الله تعالى المؤمن إلى حسن الظن في بعضهم ببعض للالفة والتناصر على الحق، ونهوا عن سوء الظن لما في ذلك من النقاطع والتدابير.

وقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) فالغيبية ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه. ويروى في الخبر إذا ذكرت المؤمن بما فيه مما يكرهه الله، فقد اغتبتته وإذا ذكرته بما ليس فيه، فقد بهتته.

وقوله (ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) معناه ان من دعي إلى اكل لحم أخيه فعافته نفسه، فكرهته من جهة طبعه، فانه ينبغي إذا دعي إلى عيب أخيه فعافته نفسه من جهة عقله، فينبغي أن يكرهه، لأن داعي العقل أحق بأن يتبع من داعي الطبع لأن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير، وكلاهما

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ١٢ (\*)

=====

(٣٥١)

في صفة الناصح، وهذا من أحسن ما يدل على ما ينبغي ان يجتنب من الكلام. وفي الكلام حذف، وتقديره أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فيقولون: لا، بل عافته نفوسنا، فقيل لكم فكرهتموه، فحذف لدلالة الكلام عليه. وقال الحسن:

معناه فكما كرهتم لحمه ميتا فأكرهوا غيبته حيا، فهذا هو تقدير الكلام.

وقوله (واتقوا الله) معطوف على هذا الفعل المقدر، ومثله (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك) (١) والمعنى ألم نشرح، قد شرحنا فحمل الثاني على معنى الاول، لانه لا يجوز ان يقول ألم وضعنا عنك.

ثم قال (واتقوا الله) باجتتاب معاصيه وفعل طاعاته (ان الله تواب)

أي قابل لتوبة من يتوب اليه (رحيم) بهم.

ثم قال (قالت الاعراب أَمَا) قال قتادة: نزلت الآية في اعراب مخصوصين انهم قالوا (أَمَا) أي صدقنا بالله وأقرنا بنبوتك يا محمد، وكانوا بخلاف ذلك في بواطنهم، فقال الله تعالى لنبيه (قل) لهم (لن تؤمنوا) على الحقيقة في الباطن (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا خوفا من السبي والقتل - وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد - ثم بين فقال (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) بل أنتم كفار في الباطن. ثم قال لهم (وإن تطيعوا الله ورسوله) وترجعوا إلى ما يأمرانكم به من طاعة الله والانتهاة عن معاصيه (لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) أي لا ينقصكم من جزاء أعمالكم شيئاً (إن الله غفور رحيم) أي سائر لذنوبهم إذا تابوا رحيم بهم في قبول توبتهم. ثم وصف المؤمن على الحقيقة فقال (إنما المؤمنون) على الحقيقة (الذين آمنوا بالله) وصدقوا وأخلصوا بتوحيده (ورسوله) أي واقروا بنبوة نبيه

(١) سورة ٩٤ الانشراح آية ١ - ٢ (\*)

=====

(٣٥٢)

(ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في شئ من أقوالهما (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) ثم قال (اولئك هم الصادقون) في أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه. وقوله " يا ايها الناس " خطاب للخلق كافة من ولد آدم يقول لهم " إنا خلقناكم " باجمعكم " من ذكر وانثى " يعني آدم وحواء (عليهما السلام) وقال مجاهد:

خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة بدلالة الآية " وجعلناكم شعوبا وقبائل " فالشعوب النسب الابعد، والقبائل الاقرب - في قول مجاهد وقاتادة - وقيل الشعوب أعم، والقبائل اخص. وقال قوم: الشعوب الافخاذ والقبائل اكثر منهم. والشعوب جمع شعب، وهو الحي العظيم، والقبائل مأخوذ من قبائل الرأس، وقبائل الحقة التي يضم بعضها إلى بعض، فاما الحي العظيم المستقر بنفسه فهو شعب، قال ابن احمر:

من شعب همدان او سعد العشيرة او \* خولان او مذحج جواله طربا (٢)

والقبائل جمع قبيلة، وقوله " لتعارفوا " معناه جعلكم كذلك لتعارفوا، فيعرف بعضكم بعضا. ومن قرأ بالياء مشددة، أدغم أحدهما في الاخرى، ومن خفف حذف أحدهما. ثم قال " إن اكرمكم عند الله أتقاكم " لمعاصيه، واعلمكم بطاعته قال البلخي: اختلف الناس في فضيلة النسب، فانكرها قوم، واثبتها آخرون والقول عندنا في ذلك انه ليس احد أفضل من مؤمن تقي، فان الحسب والنسب والشرف لا يغنيان في الدين شيئاً، لان لهما فضلا كفضل الخبز على

الكرباس والكتان على البهاري وكفضل الشيخ على الشاب. فان الطباع مبنية والاجماع واقع على بأن شيئا وشابا لو باستويا في الفضل في الدين لقدم الشيخ على الشاب

(١) الطبرى ٢٦ / ٨٠ نسبة إلى ابن عمر الباهلي وروايته (هاجر له)

بدل (جواله)

(\*)

=====

(٣٥٣)

وزيد في تعظيمه وتبجيله، وكذلك الاب والابن لو استويا في الفضل في الدين لقدم الاب، وكذلك السيد وعبد. وهذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء، وكذلك لو أن رجلين استويا في الدين ثم كان احدهما له قرابة برسول الله أو بالخيار الصالحين لوجب أن يقدم المتصل برسول الله وبالصالح، ويزاد إكرامه في تعظيمه وتبجيله، وكذلك إذا استويا وكان في آباء احدهما أنبياء ثلاثة وأربعة، وكان في آباء الآخر نبي واحد كان الاول مستحقا للتقديم، وكذلك لو كان لاحدهم أب نبي إلا انه من الانبياء المتقدمين، وكان ابو الآخر هو النبي الذي بعث الينا كان الثاني اعظم حقا وأحق بالتقديم، وكذلك لو كان احدهما له آباء معروفون بالفضل والاخلاق الجميلة والافعال الشريفة وبالوقار وبالنجدة والادب والعلم كانت الطبايع مبنية على تقديمه على الآخر. فان قيل: الطباع مبنية على تقديم ذوي المال فيجب ان يكون الغنى وكثرة المال شرفا. قلنا: كذلك هو لا ننكر هذا ولا ندفعه. فان قيل:

إذا كان لاحدهما مال لا يبذل، والآخر قليل المال يبذل قدر ما يملكه من الحقوق ويضعه في مواضعه؟ قلنا البازل أفضل من الذي لا يبذل. وإنما تكلمنا في الرجلين إذا استويا في خصالهما وفضل أحدهما كثرة المال وكان واضعا له في موضعه باذلاله في حقوقه وكذلك لو أن رجلا كان ذا حسب وشرف في آبائه إلا انه كان فاسقا او سخيفا او وضيعا في نفسه كان الذي لا حسب له وهو عفيف نبيل افضل منه بالاولصاف التي لا تخفى. وكان حسب ذلك السخيف مما يزيده وبالآ، ومعنى الحسب أنه يحسب لنفسه آباء أشرافا فضلا، وعمومة وأخوة - انتهى كلام البلخي -.

وقوله " إن الله عليم خبير " يعني بمن يعمل طاعاته ويتقي معاصيه " خبير " (ج ٩ م ٤٥ من التبيان)

=====

(٣٥٤)

بذلك لا يخفى عليه شئ من ذلك. ثم وصف المؤمنين الذين تقدم ذكرهم فقال " اولئك هم الصادقون " على الحقيقة الذين يستحقون ثواب الله تعالى.  
قوله تعالى:

(قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم (١٦)  
يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هديكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) (١٨) ثلاث آيات.

قرأ ابن كثير وحده " بما يعملون " بالياء على الغيبة. الباقي بالتاء على الخطاب.  
يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) " قل " لهؤلاء الكفار " أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم " فالتعليم تعريض من لا يعلم حتى يعلم بافهام المعنى او خلق العلم له في قلبه، فعلى هذا لا يجوز ان يعلم العالم لنفسه الذي يعلم المعلومات كلها بنفسه، ولا يحتاج إلى من يعلمه ولا إلى علم يعلم به، كما انه من يكون قديما بنفسه استغنى عن موجد يوجده، وإنما يحتاج إلى التعليم من يجوز أن يعلم وألا يعلم، ومن يخفى عليه شئ دون شئ، ففي الآية دلالة على ان العالم بكل وجه لا يجوز ان يعلم. والمعنى بالآية هم الذين ذكرهم في الآية الاولى وبين أنهم منافقون لقول الله لهم " أتعلمون الله بدينكم " إنا آما بالله وبرسوله، وهو تعالى يعلم منكم خلاف ذلك من الكفر والنفاق، فلفظه لفظ الاستفهام والمراد

=====

(٣٥٥)

به الانكار.

ثم خاطب نبيه (صلى الله عليه وآله) فقال " يمنون عليك أن أسلموا " فالمن القطع بايصال النفع الموجب للحق، ومنه قوله " فلهم اجر غير ممنون " (١) أي غير مقطوع، ومنه قولهم: المنة تكدر الصنيعة وقيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة. ومن لا أحد إلا وهو محتاج اليه، فليس في منه تكدير النعمة، لان الحاجة لازمة لامتناع أن يستغنى عنه بغيره. واكثر المفسرين على ان الآية نزلت في المنافقين. وقال الحسن: نزلت في قوم من المسلمين قالوا: أسلمنا يا رسول الله قبل ان يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك بني فلان. وقال الفراء: نزلت في اعراب من بني أسد قدموا على النبي (صلى الله عليه وآله) بعيالاتهم طمعا في الصدقة، وكانوا يقولون أعطنا، فانا أتيناك بالعيال والاثقال وجاءتك العرب على ظهور رواحلها، فأنزل الله فيهم الآية. ثم قال " بل

الله يمن عليكم " بانواع نعمه و " بأن هداكم للإيمان " وارشدكم اليه بما نصب لكم من الأدلة عليه و رغبتكم فيه " إن كنتم صادقين " في إيمانكم الذي تدعونه.  
ومتى كنتم صادقين يجب أن تعلموا ان المنة الله عليكم في إيمانكم، لا لكم على الله ورسوله.  
وموضع " أن اسلموا " نصب ب " يمنوا " وهو مفعول به. وقيل: موضعه الجر، لان تقديره بأن اسلموا. ثم قال إن الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما يعملون من طاعة ومعصية وإيمان وكفر في باطن او ظاهر لا يخفى عليه شئ من ذلك.

(١) سورة ٩٥ التين آية ٦ (\*)

=====

(٣٥٦)

٥٠ - سورة ق مكية بلا خلاف: وهي خمس وأربعون آية بلا خلاف.  
بسم الله الرحمن الرحيم (ق) والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب (٢) إذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ (٤) بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥)  
لم يعد أحد (ق) آية، وكذلك نظائره مثل (ن) و(صلى الله عليه وآله) لانه من المفرد، وكل مفرد فانه لا يعد لعبد عن شبه الجملة. وأما المركب فما اشبه الجملة ووافق رؤس الآي، فانه يعد مثل (طه) و (حم) و (الم) وما أشبه ذلك.  
و (قاف) قيل هو اسم للجبل المحيط بالارض. وقيل: هو اسم من اسماء السورة ومفتاحها على ما بيناه في حروف المعجم. وهو الاقوى. وقيل: (ق) من قضى الامر و (حم) من حم أي دنا.  
وقوله " والقرآن " قسم من الله تعالى بالقرآن. وجواب القسم محذوف، وتقديره لحق الامر الذي وعدتم به انكم لمبعوثون، تعجبوا فقالوا " أنذا متنا

=====

(٣٥٧)

وكنا ترابا " ! وقيل: تقديره، ورب القرآن. واستدل بذلك على حدوثه، وهو خلاف الظاهر. والمجيد العظيم الكرم. ووصف القرآن وبعثه بأنه مجيد معناه انه عظيم القدر عالي الذكر. ويقال مجد الرجل ومجد مجدا وهما لغتان إذا عظم كرمه وأمجد كرمته، والمجيد في اسم الله تعالى العظيم الكرم، ومجده خلقه: عظموه بكرمه، ورجل ماجد عظيم الكرم. وتماجد



القوم تماجدا، وذلك إذا تفاخروا باظهار مجدهم. والمجد مأخوذ من قولهم: مجدت الابل مجودا، وذلك إذا عظمت بطونها لكثرة أكلها من كلا الربيع. وأمدد القوم ابلهم وذلك في الربيع، كأنهم أصابوا أكلا عظيما كريما قال الشاعر:

رفعت مجد تميم باهلل لها \* رفع الطرف على العلياء بالعمد (١)

وقوله " بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب " اخبار منه تعالى عن حال الكافرين الذين بعث الله اليهم النبي (صلى الله عليه وآله) من كفار قريش وغيرهم مخوفا لهم من معاصيه وترك طاعاته باستحقاق العقاب على ذلك وانه تعالى سيبعثهم ويجازيهم على ذلك بعد الموت، فقال الكافرون جوابا لهذا القول:

هذا شيء عجيب، والتعجب بثير النفس تعظيم الامر الخارج عن العادة الذي لا يقع بسببه معرفة، يقال عجب عجا وتعجب تعجبا، فالذي يتعجب منه عجب.

وقيل: العجب هو كل مالا يعرف علتة ولا سببه، وأفحش العجب التعجب مما ليس بعجب على طريق الإنكار للحق، لانه يجتمع فيه سببا القبيح، فهؤلاء تعجبوا من مجئ النذير من الله تعالى اليهم فقد فحشوا غاية التفحش، مع انه مما يعظم ضرر الجهل به. ثم قالوا أيضا في الجواب عن ذلك ائذا متنا وخرجنا من كوننا أحياء وكنا ترابا يبعثنا الله؟! وحذف لدلالة الكلام عليه. ثم قالوا " ذلك رجع بعيد "

(١) مر في ٦ / ٣٤ (\*)

=====

(٣٥٨)

أي يبعد عندنا أن نبعث بعد الموت، لان ذلك غير ممكن، فقال الله تعالى " قد علمنا ما تنقص الارض منهم " أي علمنا الذي تأكل الارض من لحومهم، لا يخفى علينا شيء منه " وعندنا كتاب حفيظ " أي ممتنع الذهاب بالبلى والدروس، كل ذلك ثابت فيه ولا يخفى منه شيء وهو اللوح المحفوظ ثم قال " بل كذبوا بالحق لما جاءهم " يعني بالنبي والقرآن الذي جاء به دالا على صدقه، وبالبعث والنشور، الذي أنذرهم به فهم في أمر مريخ أي مختلط ملتبس واصله ارسال الشيء مع غيره في المرج من قولهم: مرج الخيل الذكور مع الاناث وهو مرج بالخيال أي المسرح الذي يمرج فيه، و " مرج البحرين " ارسلهما في مرج " يلتقيان " ولا يختلطان. قوله " من مارج من نار " أي مرسل الشعاع بانتشاره. قال ابو ذؤيب فحالت فالتمست به حشاها \* فخر كانه غصن مريخ (١)

أي قد التبس بكثرة تشعبه ومرجت عهدهم وأمرجوها أي خلطوها، ولم يفوا بها. وقال ابو عبدة: مرج أمر الناس إذا اختلط، قال ابو ذؤيب (فخر كأنه خوط مريج) أي سهم مختلط الامر باضطرابه، فهو لاء الكفار حصلوا في أمر مختلط ملتبس من أمر النبي (صلى الله عليه وآله)، فقالوا تارة هو مجنون وأخرى هو كاهن وأخرى هو شاعر، فلم يثبتوا على شيء واحد، فلذلك كانوا في أمر مريج.

قوله تعالى:

(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج (٦) والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد

---

(١) الطبري ٢٦ / ٨٦ وروايته (فحط كأنه حوط مريج)

(\*)

=====

(٣٥٩)

منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١) ست آيات. لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم كذبوا بالحق الذي هو القرآن وجدوا البعث والنشور والثواب والعقاب، وتعجبوا من ذلك نبههم الله تعالى على ذلك وبين لهم الطريق الذي إذا نظروا فيه علموا صحته، فقال " أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها " ومعناه أفلم يفكروا في بناء هذه السماء وعظمتها، وحسن تزيينها فيعلموا أن لها بانيا بناها وصالعا صنعها وانه لا بد أن يكون قادرا عليها، وانه لا يعجزه شيء، لانه لا يقدر على مثل ذلك إلا القادر لنفسه الذي لا يجوز عليه العجز ويعلمه، لانه عالم بما يرون من إحكام الصنعة فيها وانه الذي لا يخفى عليه خافية وقوله " وزيناها " يعني حسنا صورتها بما خلقنا فيها من النجوم الثاقبة والشمس والقمر، وانه " مالها من فروج " أي ليس فيها فتوق يمكن السلوك فيها وإنما يسلكها الملائكة بأن يفتح لها أبواب السماء إذا عرجت اليها. ثم قال " والارض مددناها " أي بسطناها، وتقديره ومددنا الارض مددناها، كما قال " والقمر قدرناه " (١) فيمن نصب ولو رفع كان جائزا، والنصب أحسن - ههنا - لكونه معطوفا على بنيناها، فعطف الفعل على الفعل احسن.

ثم قال " والقينا فيها رواسي " أي طرحنا جبالا تمنعها من الحركة ليتمكن استقرار الحيوان عليها " وانبتنا فيها من كل زوج بهيج " قال ابن زيد: البهيج الحسن المنظر والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية، كالزهرة والاشجار الملتفة

(١) سورة ٣٦ يس آية ٣٩ (\*)

=====

(٣٦٠)

والرياض الخضرة في الانواع المتشاكلة والمباري المصطفة خلالها الانهار الجارية. وقوله " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " أي فعلنا ذلك وخلقناه على ما وصفناه ليتبصر به ويتفكر به كل مكلف كامل العقل يريد الرجوع إلى الله والانابة اليه. ثم قال " ونزلنا من السماء ماء مباركا " يعني مطرا وغيثا " فانبتنا به " بذلك الماء " جنات " أي بساتين فيها أشجار تجنها " وحب الحصيد " يعني البر والشعير، وكل ما يحصد - في قول قتادة - لان من شأنه ان يحصد، والحب هو الحصيد، وإنما أضافه إلى نفسه، كما قال " لحق اليقين " (١) وكما قالوا: مسجد الجامع وغير ذلك. وقوله " والنخل " عطف على (جنات) فلذلك نصبه و " باسقات " أي عاليات يقال: بسقت النخلة بسوقا قال ابن نوفل لابن هبيرة: يابن الذين بفضلهم \* بسقت على قيس فزاره (٢)

وقال ابن عباس " باسقات " طوال النخل، وبه قال مجاهد وقتادة " لها طلع نضيد " أي لهذه النخل التي وصفها بالعلو " طلع نضيد " نضد بعضه على بعض - في قول مجاهد وقتادة - وقوله " رزقا للعباد " أي خلقنا ما ذكرنا من حب الحصيد والطلع النضيد رزقا للعباد وغذاء لهم، وهو نصب على المصدر أي رزقناهم رزقا، ويجوز أن يكون مفعولا له أي لرزق العباد والرزق هو ما للحي الانتفاع به على وجه ليس لغيره منعه منه، والحرام ليس برزق، لان الله تعالى منع منه بالنهي والحظر وكل رزق فهو من الله تعالى إما بأن يفعله او يفعل سببه، لانه مما يريد. وقد يرزق الواحد منا غيره، كما يقال: رزق السلطان الجند. وقوله " واحيينا به بلدة ميتا " أي احيينا بذلك الماء الذي انزلنا من السماء

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٥١ (٢) تفسير الطبري ٢٦ / ٨٧ (\*)

=====

(٣٦١)

بلدة ميتا أي جدبا قحطا، لا تنبت شيئا، فأنبئت وعاشت ثم قال " كذلك الخروج " أي مثل ما أحيينا هذه الارض الميتة بالماء، مثل ذلك نحى الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم لان من قدر على أحدهما قدر على الآخر، وإنما دخلت على القوم شبهة من حيث انهم رأوا العادة جارية باحياء الارض الموات بنزول المطر عليها، ولم يروا إحياء الاموات، فظنوا انه يخالف ذلك، ولو انعموا النظر لعلموا ان القادر على احدهما قادر على الآخر.  
قوله تعالى:

(كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢)

وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الايكة وقوم اتبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) (١٥) أربع آيات.  
يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) تسليية له عن كفر قومه وتركهم الايمان به مهديا لكفار قومه أنه كما كذبوك يا محمد هؤلاء وجدوا نبوتك مثل ذلك كذب قبلهم من الامم الماضية قوم نوح فأهلكهم الله واغرقهم واصحاب الرس وهم اصحاب البئر الذين قتلوا نبيهم ورسوه فيها - في قول عكرمة - وقال الضحاك: الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين. وقيل: الرس بئر لم يطو بحجر ولا غيره. قال الجعدي:  
تتابلة يحفرون الرساسا (١)

---

(١) مر في ٧ / ٤٩٠ (ج ٩ م ٤٦ من التبيان)

(\*)

=====

(٣٦٢)

و " ثمود " هم قوم صالح حيث كذبوه ونحروا ناقة الله التي اخرجها آية له من الجبل " وعاد " وهم قوم هود، فكذبوه فأهلكهم الله " وفرعون واخوان لوط " أي كذب فرعون موسى، وقوم لوط لوطا، وسماهم اخوته لكونهم من نسبه " واصحاب الايكة " وهم قوم شعيب، والايكة الغيظة " وقوم تبع " روي في الحديث لا تلعنوا تبعا، فانه كان اسلم، وإنما ذم الله قومه.  
ثم اخبر تعالى عنهم كلهم فقال " كل كذب الرسل " المبعوثة اليهم، وجدوا نبوتهم " فحق وعيد " فاستحقوا بما وعدهم به من العقاب، فاذا كانت منازل الامم الخيالية إذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار، وأنتم معاشر الكفار قد سلكتم مسلكهم في التكذيب فحالكم كحالهم في استحقاق مثل ذلك.

ثم قال الله تعالى على وجه الإنكار عليهم، بلفظ الاستفهام " أفعبينا بالخلق الاول " قال الحسن الخلق الاول آدم وقد يكون ذلك المراد لاقرارهم به وأنهم ولده يقال: عييت بالامر إذا لم يعرف وجهه واعييت إذا تعبت، وكل ذلك من التعب في الطلب. والمعنى إنا كما لم نعي بالخلق الاول لا نعيًا بخلقهم على وجه الاعادة، والعى عجز بانقلاب المعنى على النفس، ثم قال " بل هم في لبس من خلق " فاللبس منع من إدراك المعنى بما هو كالستر له " من خلق جديد " وهو القريب الانشاء، يقال: بناء جديد وثوب جديد، وخلق جديد وأصله القريب العهد، بالقطع للبس لانه من جدته أجده جدا إذا قطعتة فهو كفرت العهد بالقطع للبس. قوله تعالى:

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقين عن اليمين

=====

(٣٦٣)

وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) (٢٠) خمس آيات. يقول الله تعالى مقسما إنه خلق الانسان أي اخترعه وانشأه مقدرًا. والخلق الفعل الواقع على تقدير وترتيب. والمعنى إنه يوجد على ما تقتضيه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان. وأخبر انه يعلم ما يوسوس به صدر الانسان. فالوسوسة حديث النفس بالشئ في خفى، ومنه قوله " فوسوس اليه الشيطان " (١) ومنه الواسوس كثرة حديث النفس بالشئ من غير تحصيل قال رؤبة:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق (٢)

ثم اخبر تعالى انه اقرب إلى الانسان من حبل الوريد. قال ابن عباس ومجاهد: الوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق: من عن يمين وشمال، وكأنه العرق الذي يرد اليه ما ينصب من الرأس، فسبحان الله الخلاق العليم الذي احسن الخلق والتدبير، وجعل حبل الوريد العاتق، وهو يتصل من الحلق إلى العاتق هذا العرق الممتد للانسان من ناحيتي حلقه إلى عاتقه، وهو الموضع الذي يقع الرداء عليه لانه يطلق الرداء من موضعه. قال رؤبة: كان وريديه رشاخلب أي ليف. وقال الحسن: الوريد الوتين: وهو عرق معلق به القلب، فانه تعالى أقرب إلى المرء من قلبه. وقيل: المعنى ونحن أقرب اليه ممن كان بمنزلة حبل

=====

(٣٦٤)

الوريد في القرب في أني أعلم به. وقيل: معناه اقرب اليه بما يدركه من حبل الوريد لو كان مدركا. وقيل: ونحن أملك به من حبل الوريد في الاستيلاء عليه، وذلك أن حبل الوريد في حيز غير حيزه. والله تعالى مدرك له بنفسه ومالك له بنفسه.

وقوله " إذ يتلقى المتلقيان " (إذ) متعلقة بقوله " ونحن اقرب اليه " حين يتلقى المتلقيان، يعني الملكين الموكلين بالانسان " عن اليمين وعن الشمال قعيد " أي عن يمينه وعن شماله. وإنما وحد " قعيد " لآحد وجهين:

أحدهما - إنه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه، كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وانت بما \* عندك راض والرأى مختلف (١)

أي نحن بما عندنا راضون، فتقدير الآية عن اليمين قعيد، وعن السماء قعيد الثاني - إنه يكون القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للثنتين والجمع كالرسول لأنه من صفات المبالغة، وفيه معنى المصدر، كأنه قيل: ذو المراقبة. وقال مجاهد:

القعيد الرصيد. وقيل: عن اليمين ملك يكتب الحسنات، وعن الشمال ملك يكتب السيئات - في قول الحسن ومجاهد - وقال الحسن: حتى إذا مات طويت صحيفة عمله وقيل له يوم القيامة " إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (٢) فقد عدل - والله - عليه من جعله حسيب نفسه. وقال الحسن: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار وملك بالليل.

وقوله " ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد " أي لا يتكلم بشئ من القول إلا وعنده حافظ يحفظ عليه، فالرقيب الحافظ والعتيد المعد المزوم الامر.

وقوله " وجاءت سكرة الموت بالحق " قيل في معناه قولان:

أحدهما - جاءت السكرة بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر اليه

---

(١) مرفي ١ / ١٧٢، ٢٠٣، ٢٦٣، ٢٤٦، ٢٨٩ و ٨ / ٤٥٧ (٢) سورة ١٧ الاسرى آية ١٤ (\*)

=====

(٣٦٥)

والآخر - وجاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت. وروي ان أبا بكر وابن مسعود كانا يقرآن " وجاءت سكرة الحق بالموت " وهي قراءة اهل البيت (عليهم السلام) و (سكرة الموت) غمرة الموت التي تأخذه عند نزع روحه فيصير بمنزلة السكران.

وقوله " ذلك ما كنت منه تحيد " أي يقال له عند ذلك هذا الذي كنت منه تعرب وتروغ. وقوله " ونفخ في الصور " قيل فيه وجهان:

أحدهما - إنه جمع صورة ينفخ الله في الصور بأن يحييها يوم القيامة.

الثاني - أن الصور قرن ينفخ اسرافيل فيه النفخة الأولى فيموت الخلق، والنفخة الثانية فيحيون يوم القيامة، وهو يوم الوعيد الذي وعد الله أن يعاقب فيه من يكفر به ويعصى أمره، ويثيب من يؤمن به ويمتثل.

قوله تعالى:

وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد (٢٤) مناع للخير معتد مريب (٢٥) خمس آيات.

يقول الله تعالى إن يوم الوعيد الذي بينه تجئ كل نفس من المكلفين " معها سائق " يسوقها " وشهيد " يشهد عليها، وهما ملكان أحدهما يسوقه ويحثه على السير، والآخر يشهد عليه بما يعلمه من حاله ويشاهده منه وكتبه عليه، فهو يشهد بذلك على ما بينه الله ودبره.

=====

(٣٦٦)

وقوله " لقد كنت في غفلة " أي يقال له " لقد كنت في غفلة " أي في سهو ونسيان " من هذا " اليوم، فالغفلة ذهاب المعنى عن النفس، وضده اليقظة.

وقوله " فكشفنا عنك غطاءك " أي أزلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الأمر، وإنما تظهر الأمور في الآخرة بما يخلق الله فيهم من العلوم الضرورية، فيصير بمنزلة كشف الغطاء عما يرى، والمراد به جميع المكلفين: برهم وفاجرهم، لأن معارب الجميع ضرورية، وقوله " فبصرك اليوم جديد " معناه إن عينك حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة. وقيل: المعنى فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ليس يراد به بصر العين، كما يقال: فلان بصير بالأنحو أو بالفقه. وقال الرماني:

حديد مشتق من الحد، ومعناه منيع من الإدخال في الشيء ما ليس منه والإخراج عنه ما هو منه، وذلك في صفة رؤيته للأشياء في الآخرة، وقوله " وقال قرينه " قال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني الملك الشهيد عليه. وقال بعضهم: قرينه من الشياطين. والاول الوجه " هذا مالدي عتيد " أي معد محفوظ " ألقيا في جهنم كل كفار عنيد " إنما قيل: ألقيا، لأن المأمور به إلقاء كل

كافر في النار إثنان من الملائكة. وقيل: يجوز ان يكون على لفظ الاثنتين والمأمور واحد، لانه بمنزلة إلقاء اثنين في شدته، كما قال الشاعر:

فان تزجراني يابن عفان انزجر \* وإن تدعاني احم عرضا ممنعا (١)

والاول اظهر، وحكى الزجاج عن بعض النحويين: ان العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنتين تقول: قوما، واقعدا، قال الحجاج: (يا حرسى إضربا عنقه)

وإنما قالوا ذلك، لان اكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمر به بلفظ الاثنتين نحو، خيلى مرابى على أم جندب (٢)

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٦ (٢) قائله امرؤ القيس ديوانه ٢٧ القصيدة ٢ (\*)

=====

(٣٦٧)

وقوله: قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل (١)

وقال المبرد هذا فعل مبني للتأكيد، كأنه قال: ألق ألق، والعنيد الذهاب عن الحق وسبيل الرشد " مناع للخير " الذي أمر الله به من بذل المال في وجوهه من الزكاة وغيرها، لانه صفة ذم تعم منع الخير الذي يجب بذله. ويدخل فيه الاول على وجهه التبع " معتد " أي متجاوز للحق في قوله وفعله (مريب) أي آت من المنكر بما يشكك في أمره.

قوله تعالى:

(ألذي جعل مع الله إلهها آخر فألقياه في العذاب الشديد (٢٦) قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨)

ما يبديل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (٢٩) يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد) (٣٠) خمس آيات.

قرأ نافع وابوبكر عن عاصم (يوم يقول) بالياء بمعنى يقول الله تعالى (لجهنم) الباقر بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه و (يوم) متعلق بقوله (ما يبديل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وقيل: إنه متعلق بمحذوف بتقدير (إذكر) يا محمد يوم، وقوله (الذي جعل) موضعه الجر، لانه من صفة (كفار عنيد مناع للخير معتد مريب.. الذي جعل مع الله إلهها آخر) أي اتخذ مع الله معبودا آخر من الاصنام والوثان، ووجه قرباته اليه. والجعل تكوين الشيء على

---

(١) قائله امرؤ القيس ديوانه ٤٣، قصيدة ٥٣ (\*)



=====

(٣٦٨)

غير ما كان بقادر عليه فمن جعل مع الله إله آخر فقد صير ذلك الشئ على غير ما كان عليه باعتقاده انه إله آخر مع الله وذلك جعل منه عظيم وذهاب عن الصواب بعيد، فيقول الله للملكين الموكلين به يوم القيامة (ألقياه) أى الرحاه (في العذاب الشديد) واللقاء الرمي بالشئ إلى جهة السفلى، وقولهم: ألقى عليه مسألة بمعنى طرحها عليه مثبه بذلك. واصل اللقاء المماسة، والالتقاء من هذا ففي الالتقاء طلب مماسة الشئ الارض بالرمي (قال قرينه ربنا ما اطغيتاه) قال ابن عباس: قرينه - ههنا - شيطانه. وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك. وسمي قرينه لانه يقرب به في العذاب، وهو غير قرينه الذى معه يشهد عليه، والقرين نظير الشئ من جهة مصيره بازائه.

حكى الله عن شيطانه الذي أغواه انه يقول " ماأطغيتاه " فالاطغاء الاخراج إلى الطغيان، وهو تجاوز الحد في الفساد أطغاء وطغى يطغى طغيانا، فهو طاغ.

والاول مطغى. وقال الحسن: ما اطغيتاه باستكراه، وهو من دعاه إلى الطغيان.

والمعنى لم أجعله طاغيا " ولكن كان " هو بسوء اختياره " في ضلال " عن الايمان " بعيد " عن إتباعه. ومثله قوله " وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لي " (١) فيقول الله تعالى لهم " لا تختصموا لدي " أي لا يخاصم بعضكم بعضا عندي (وقد قدمت اليكم بالوعيد) في دار التكيف، فلم تنزجروا وخالفتم امري (ما يبذل القول لدي) معناه إن الذي قدمته اليكم في الدنيا من أني أعاقب من جحدني وكذب برسلي وخالفني في أمري لا يبذل بغيره، ولا يكون خلافه (وما أنا بظلام للعبيد) أي لست بظالم لاحد في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكاب المعاصي التي استحق بها ذلك. وإنما قال: بظلام للعبيد على وجه المبالغة ردا لقول من أضاف جميع الظلم اليه - تعالى الله عن ذلك -.

---

(١) سورة ١٤ ابراهيم آية ٢٢ (\*)

=====

(٣٦٩)

وقوله (يوم نقول لجهنم) من قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من الله عن نفسه. ومن قرأ - بالياء - وهو نافع وابوبكر، فعلى تقدير يقول الله لجهنم (هل امتلات) من كثرة من ألقى فيك من العصاة (فتقول) جهنم (هل من مزيد)

أي ما من مزيد؟ أي ليس يسعني أكثر من ذلك. وقال قوم: هذا خطاب من الله لخزنة جهنم على وجه التقريع والتقريع لهم هل امتلات جهنم، فتقول الخزنة هل من مزيد؟ وقال قوم: وهو الاظهر إن الكلام خرج مخرج المثل أي ان جهنم من سعتها وعظمتها في ما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة التي إذا قيل لها هل امتلات فنقول هل من مزيد أي لم امتلئ اي في سعة كثرة، ومثله قول الشاعر:

امتلا الحوض وقال قطني \* مهلا رويدا قد ملات بطني (١)

والحوض لم يقل شيئاً، وإنما أخبر عن امتلائها وانها لو كانت ممن تنطق لقاتل قطني مهلا رويدا قد ملات بطني. وكذلك القول في الآية. وقال الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء: معنى هل من مزيد ما من مزيد، وانه بمعنى لا مزيد وانكروا أن يكون طلبا للزيادة، لقوله (لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) (٢) وقال بعضهم: هذا ليس بمنكر من وجهين: احدهما - أن يكون ذلك حكاية عن الحال التي قبل دخول جميع اهل النار فيها ولم تمتلا بعد وان امتلات في ما بعد.

والآخر - ان يكون طلب الزيادة بشرط ان يزداد في سعتها. وقال قوم:

هل من مزيد بمنزلة قول النبي (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة وقد قيل له ألا تنزل دارك، فقال (وهل ترك لنا عقيل من ربع) لانه كل قد باع دور بني هاشم لما خرجوا

---

(١) مر في ١ / ٤٣١ و ٨ / ٨٥، ٣٦٩، ٤٧١ (٢) سورة (١١) هود آية ١١٩ (ج ٩ م ٤٧ من التبيان)

(\*)

=====

### (٣٧٠)

إلى المدينة، وإنما أراد ان يقول: لم يترك لنا دارا. وقال انس بن مالك: هل من مزيد طلبا للزيادة. وقال مجاهد: هو بمعنى الكفاية. قوله تعالى:

(وَأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ (٣٢) من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) (٣٥) خمس آيات.

لما حكى الله تعالى ما أعده للكافرين والعصاة من جهنم وعظم موضعها وسعتها أخبر عما أعده للمتقين المجتنبين لمعاصيه الفاعلين لطاعاته فقال (وَأزلفت الجنة للمتقين) والازلاف التقريب إلى الخير، ومنه الزلفة، والزلفى. ويقولون:

أزدلف إليه أي اقترب والمزدلفة قريب من الموقف. وهو المشعر وجمع، ومنه قول الراجز:  
ناج طواه الاين مما وجفا \* طي الليالي زلفا فلزلفا سماؤه الهلال حتى احقوقفا (١)  
والجنة التي وعد الله المتقين بها هي البستان الذي يجمع من اللذة ارفع كل نوع في الزينة من  
الابنية الفاخرة بالياقوت والزمرد وفاخر الجواهر، ومن الانهار والاشجار وطيب الثمار ومن  
الازواج الكرام والهور الحسان وكريم الخدم من الولدان الذين هم زينة لكل ناظر ومتعة لكل  
مبصر، قد أمن اهلها العلة وانواع

(١) مرفي ٦ / ٧٩ و ٨ / ٢٩ (\*)

=====

(٣٧١)

الاذى من فضول الاطعمة والاشربة، نسال الله حسن الاستعداد لها بالعمل الصالح المقرب  
منها الموجب لرضوان مالکها.

وقوله (غير بعيد) أي ليس ببعيد مجئ ذلك، لان كل آت قريب، ولذلك قال الحسن: كأنك  
بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تنزل.

ثم قال (هذا ما توعدون) من قرأ بالتاء فعلى الخطاب أي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من  
الثواب (لكل أواب) أي رجاع إلى الله تائب إليه (حفيظ) لما أمر الله به يتحفظ من الخروج إلى  
مالا يجوز من سيئة تدنسه او خطيئة تحط منه وتشينه. وقال ابن زيد: الاواب التواب، وهو  
من آب يؤب اوبا إذا رجع.

وقوله (من خشى الرحمن بالغيب) فالخشية انزعاج القلب عند ذكر السيئة وداعي الشهوة حتى  
يكون في اعظم حال من طلبه سبع يفترسه او عدو يأتي على نفسه او طعام مسموم يدعى إلى  
اكله هذه خشية الرحمن التي تنفعه والتي دعا إليها ربه ومعنى (بالغيب) أي في باطنه  
وسريرته (وجاء بقلب منيب) أي راجع إلى الله من اناب ينيب إنابة، وموضع (من) يحتلم  
وجهين من الاعراب:

احدهما - الجر على البدن من (كل) كأنه قيل لمن خشى.

والثاني - الرفع على الاستئناف كأنه قال (من خشى الرحمن بالغيب) يقال لهم (ادخلوها  
بسلام) أي بأمان من كل مكروه ويحيون بذلك على وجه الاكرام.

وقوله (ذلك يوم الخلود) أي الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية.

وقوله (لهم ما يشاؤون فيها) أي ما يريدونه ويشتهونه يجعل لهم فيها (ولدينا مزيد) من نعم الله  
الذي يعطيهم زيادة على مقدار استحقاقهم بعملهم.

قوله تعالى:

(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤٠) خمس آيات قرأ (وإدبار) بكسر الالف ابن كثير ونافع واهل الحجاز وحمزة على المصدر من أدبر إدبارا، وتقديره وقت إدبار السجود. والمصادر تجعل ظرفا على إرادة اضافة اسماء الزمان اليها وحذفها، كقولهم جئتكم مقدم الحاج وخلق النجم ونحو ذلك يريدون في ذلك كله وقت كذا وكذا فحذفوه. الباقيون بفتح الالف على انه جمع (دبر):

يقول الله تعالى مخبرا (وكم أهلكنا) ومعناه وكثيرا أهلكنا وذلك أن (كم) تكون إستفهاما تارة في معنى الخبر للتكثير وإنما خرجت عن الاستفهام إلى التكثير لتكون نقيضة (رب) في التقليل وكانت احق به، لأنها (اسم) مع إتمالها للتقليل، فأما رب في الكلام، فهي حرف يجري مجرى حرف النفي، لان التقليل أقرب إلى النفي، وإنما وجب ل (كم) صدر الكلام في الخبر إعلاما بأنها خرجت عن الاستفهام مع انها نقيضة (رب) التي هي بمنزلة حروف النفي، ودخلت (من) على مفسر (كم) في الخبر بمنزلة عدد يفسر بالمضاف كقولك عشر أثواب، وعشرة من الاثواب. فجاز حرف الاضافة

كما جازت الاضافة، وليس كذلك عشرون درهما، وجاز ان يفسر في الخبر بالواحد وبالجمع: والقرن المقدار من الزمان الذي يقتررون بالبقاء فيه أهله على مجرى العادة. وقال قوم: هو مئة وعشرون سنة. وقيل: ثمانون سنة وقال آخرون:

هو سبعون سنة. وقال قوم: أربعون سنة. وقيل ثلاثون سنة. وقيل: عشر سنين " هم اشد منهم بطشا " أى الذين أهلكناهم مثل هؤلاء الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء واكثر عدة كقوم عاد وغيرهم فلم يتعذر علينا ذلك، فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك.

وقوله (فنقبوا في البلاد) أى فتحوا مسالك في البلاد بشدة بطشهم فالتنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك من نقض البنية، ومنه النقب الفتح الذى يصلح للمسلك وقد يفتح الله على العباد في الرزق بأن يوسع عليهم في رزقهم، ولا يصلح فيه النقب. وكل نقب فتح. وليس كل فتح نقبا،

فالنقبة نقض موضع بما يصلح للسلوك. وقال مجاهد: نقبوا في البلاد أى ضربوا في الارض ضرب جاعل المسالك بالنقبة، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الافاق حتى \* رضيت من الغنيمة بالآياب (١)

وقوله (هل من محيص) أى هل من محيد، وهو الذهاب في ناحية عن الامر للهرب منه، حاص يحيص حيصا فهو حايص مثل حاد يحيد حيدا فهو حايد والمعنى إن أولئك الكفار الذى وصفهم بشدة البطش لما نزل بهم عذاب الله لم يكن لهم مهرب ولا محيص عنه. وقيل هل من محيد من الموت، ومنجا من الهلاك.

قال الزجاج: هؤلاء الكفار طوفوا في البلاد، فلم يجدوا مخلصا من الموت. وقوله (إن في ذلك لذكرى) يعني في ما أخبرته وقصصته لك لذكرى أى

---

(١) ديوانه ٤٨ ومجاز القرآن ٢ / ٢٢٤ الشاهد ٨٣٦ (\*)

=====

(٣٧٤)

ما يتفكر فيه ويعتبر به (لمن كان له قلب) قيل معنى القلب - ههنا - العقل من قولهم اين ذهب قلبك، وفلان ذاهب القلب، وفلان قلبه معه، وإنما قال (لمن كان له قلب) لان من لا يعيى الذكر لا يعتد بماله من القلب.

وقوله (او القى السمع وهو شهيد) قال ابن عباس: معناه استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع، فهو شهيد لما يسمع ويفقهه غير غافل عنه، وهو قول مجاهد والضحاك وسفيان، يقال ألق إلي سمعك أى استمع. وقال قتادة: وهو شهيد على صفة النبي (صلى الله عليه وآله) في الكتب السالفة، وهذا في أهل الكتاب. والاول اظهر.

ثم أقسم الله تعالى فقال (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) وقد مضى تفسير مثله في غير موضع (١) (وما مسنا من لغوب) أى من نصب وتعب - في قول ابن عباس ومجاهد - واللغوب الاعياء. قال قتادة: أكذب الله تعالى بذلك اليهود، فانهم قالوا: استراح الله يوم السبت، فهو عندهم يوم الراحة.

وقيل: إنما خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام مع قدرته على ان يخلفهما في وقت، لان في ذلك لطفًا للملائكة حين شاهدهن يظهر حالًا بعد حال وقيل: لان في الخبر بذلك لطفًا للمكلفين في ما بعد إذا تصوروا أن ذلك يوجد شيئًا بعد شئ مع أدب النفس به في ترك الاستعجال إذا جرى في فعل الله لضروب من التدبير.

ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) (فاصير) يامحمد (على ما يقولون) من قولهم: هو ساحر، وكذاب، ومجنون، واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج (وسبح بحمد ربك) أى نزهه عما لا يليق به (قبل طلوع الشمس) صلاة الفجر (وقبل الغروب) صلاة العصر - في قول قتادة وابن زيد - (ومن الليل) يعني صلاة الليل يدخل

(١) انظر ٤ / ٤٥١ و ٥ / ٣٨٥، ٥١٧ و ٧ / ٥٠٠ و ٨ / ٢٩٣ و ٩ / ١٩ (\*)

=====

(٣٧٥)

فيه صلاة المغرب والعتمة. وقال ابن زيد: هو صلاة العتمة (وأدبار السجود) الركعتان بعد المغرب - في قول الحسن بن علي (عليهما السلام) ومجاهد والشعبي وابراهيم. وقال الحسن (وقبل الغروب) صلاة الظهر والعصر. وقال الركعتان بعد المغرب تطوعا. وقيل: التسبيح بعد الصلاة - عن ابن عباس ومجاهد - وقيل: النوافل - عن ابن زيد - وأصل التسبيح التنزيه لله عن كل ما لا يجوز في صفة، وسميت الصلاة تسبيحا لما فيها من التسبيح، يقال: سبحان ربي العظيم، وروي أيضا أراد ب (ادبار السجود) الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل طلوع الفجر. وروي في الشواذ عن أبي عمر وأنه قرأ " فنقبوا " بتخفيف القاف، وهي لغة في التشديد. ورجل نقاب أى حاذق فظن عالم كان ابن عباس نقابا، والنقبة الحرب ونقب خف البعير إذا انتقب وقرئ على لفظ الامر وهو شاذ. قوله تعالى:

(واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (٤٣) يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير (٤٤) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) (٤٥) خمس آيات.

قرأ ابن كثير (يوم تشقق) مشددة الشين على معنى تتشقق وحذف احدى التائين: والتشقق التقطير. يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع المكلفين (واستمع) أي اصغ إلى النداء وتوقعه (يوم ينادي المنادي) فالنداء الدعاء بطريقة

=====

(٣٧٦)

يا فلان، وكأن الناس يدعون فيقال لهم: يا معشر الناس قوموا إلى الموقف للجزاء والحساب، وقيل: ينادي المنادي من الصخرة التي في بيت المقدس، فلذلك قال (من مكان قريب) فيقول: يا أيها العظام البالية قومي لفصل القضاء وما اعد من الجزاء - في قول قتادة - (من مكان قريب) أي يسمع الخلق كلهم على حد واحد، فلا يخفى على احد لا قريب ولا بعيد وقوله (يوم يسمعون الصيحة بالحق) فالصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد ونقيضها الخدة تقول صاح يصيح صياحا وصيحة، فهو صائح، وتصايح وتصايحوا في الامر تصايحا، وصيح تصايحا وصايحه مصايحة، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية للحشر إلى أرض الموقف (ذلك يوم الخروج).

وقوله (إنا نحن نحيا ونميت والينا المصير) اخبار منه تعالى عن نفسه بأنه هو الذي يحيي الخلق بعد ان كانوا جمادا أمواتا. ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة وإلى الله يصيرون ويرجعون يوم القيامة (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أي الينا المصير في اليوم الذي تشقق الارض عن الاموات (سراعا) أي بسرعة لا تأخير فيها ثم قال (ذلك حشر علينا يسير) أي سهل علينا غير شاق. والحشر الجمع بالسوق من كل جهة.

ثم قال (نحن اعلم بما يقولون) يعني هؤلاء الكفار من حجدهم نبوتك وإنكارهم البعث والنشور، لا يخفى علينا من أمرهم شئ (وما أنت عليهم) يامحمد (بجبار) قال الحسن: ما أنت عليهم برب تجازيهم بأعمالهم. وإنما أنا المجازي لهم. وقيل: وما أنت عليهم بفظ في دعائهم إلى توحيد الله وإخلاص عبادته.

والجبار العالي السلطان بأنه قادر على اذلال جميع العصاة بحسب الاستحقاق وهذه الصفة لا تصح إلا لله تعالى وحده، فان وصف بها الانسان كان ذمًا، لانه جعل

=====

(٣٧٧)

لنفسه من المقدره ما ليس لها، وانشد الفضل:

عصينا حرمة الجبار حتى \* صبحنا الخوف الفا معلمينا (١)

وقيل (وما أنت بجبار) أي لا تتجبر عليهم، قال الفراء: يجوز ان يكون لا يجبرهم على الاسلام يقال: جبرته على الامر واجبرته بمعنى واحد. وقال غيره:

لم يسمع (فعال) من (أفعلت) إلا (دراك) من (أدركت) ويكون الجبار العالي السلطان على كل سلطان باستحقاق، ويكون العالي السلطان بادعاء. ا ثم قال (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

إنما خص بالتذكير من يخاف وعيد الله، لانه الذي ينتفع به وإن كان تذكيره متوجها إلى جميع المكلفين. قال الزجاج:

إنما قال الله للنبي (صلى الله عليه وآله) ذلك قبل ان يأمره بالقتال.

---

(١) تفسير الطبرى ٢٦ / ١٠٣ (ج ٩ م ٤٨ من التبيان)

(\*)

=====

(٣٧٨)

٥١ - سورة الذاريات مكية بلا خلاف. وهي ستون آية بلا خلاف.

بسم الله الرحمن الرحيم (وَالذَّارِيَاتُ ذُرَّوۡا۟ (١) فَالْحَامِلَاتُ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتُ يُسْرَا (٣) فَالْمَقْسَمَاتُ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) وَإِنِ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالْمَسَاءَ ذَاتِ الْحَبْكَ (٧) إِنكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ (٨) يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْأَفْئِكِ (٩) قَتْلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فَتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) (١٤) أربع عشر آية.

روى عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وابن عباس (رحمة الله عليه) ومجاهد ان (الذاريات) الرياح يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذروا، وهي ذارية إذا طيرته وأذرت تذري إذراء بمعنى واحد وسأل ابن الكوا أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يخطب على المنبر (ما الذاريات ذروا) قال: الرياح، قال ما

=====

(٣٧٩)

(الحاملات وقرا) فقال السحاب. فقال ما (الجاريات يسرا) قال السفن.

والمعنى إنها تجري سهلا، فقال ما (المقسمات أمرا) قال الملائكة. وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن، وهذا قسم من الله تعالى بهذه الاشياء. وقال قوم: التقدير القسم برب هذه الاشياء لانه لا يجوز القسم إلا بالله. وقد روي عن أبي جعفر وابي عبدالله (عليهما السلام) أنه لا يجوز القسم إلا بالله. والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه.

وقيل: الوجه في القسم بالذاريات تعظيم ما فيها من العبرة في هبوبها تارة وسكونها اخرى، وذلك يقتضي مسكنا لها ومحركا لا يشبه الاجسام، وفي مجيئها وقت الحاجة لتنشئة السحاب



وتذرية الطعام ما يقتضي مصرفا لها قادرا عليها، وما في عصفها تارة ولينها أخرى ما يقتضي قاهرا لها ولكل شئ سواها.

والوجه في القسم بالحاملات وقراء، ما فيه من الآيات الدلالة على محمل حملها الماء وأمسكه من غير عماد واغاث بمطره العباد واحيي البلاد وصرفه في وقت الغنى عنه بما لو دام لصاروا إلى الهلاك، ولو انقطع اصلا، لا ضربهم جميعا. والوجه في القسم بالجاريات يسرا ما فيها من الدلائل وبتسخير البحر الملح والعذب بجريانها وتقدير الريح لها بما لو زاد لغرق ولو ركذ لاهلك، وبما في هداية النفوس إلى تدبير مصالحها وما في عظم النفع بها في ما ينقل من بلد إلى بلد بها.

والوجه في القسم بالملائكة ما فيها من اللطف وعظم الفائدة وجلالة المنزلة بتقسيم الامور بأمر الله تعالى من دفع الآفة عن ذا واسلام ذلك ومن كتب حسنات ذا وسيئات ذلك، ومن قبض روح ذا وتأخير ذلك. ومن الدعاء للمؤمنين ولعن الكافرين، ومن استدعائهم إلى طريق الهدى وطلب ما هو أولى بصد داعي الشيطان والهوى عدو الانسان.

=====

(٣٨٠)

وقوله (إن ما توعدون لصادق) جواب القسم. ومعناه إن الذي وعدتم به من الثواب والعقاب والجنة والنار وعد صدق لابد من كونه (وإن الدين لواقع)

معناه إن الجزاء لكائن يوم القيامة، وهذا يفيد ان من استحق عقابا، فانه يجازى به ويدخل في ذلك كل مستحق للعقاب، كأنه قال: إن جميع الجزاء واقع بأهله يوم القيامة في الآخرة. ثم استأنف قسما آخر فقال (والسما ذات الحبك)

فالحبك الطرائق التي تجري على الشئ كالطرائق التي ترى في السماء. وترى في الماء الصافي إذا مرت عليه الريح، وهو تكسر جار فيه. ويقال للشعر الجعد حبك والوحد حبيك وحبيكة، والحبك أثر الصنعة في الشئ واستوائه، حبكه يحبكه ويحبكه حبكا " والسما ذات الحبك " أي ذات حسن الطرائق، وحبك الماء طرائقه قال زهير:

مكلل باصول النجم تتسجه \* ريح خريق لصافي مائه حبك (١)

وتحبكت المرأة بنطاقها إذا شدته في وسطها، وذلك زينة لها، وحبك السيف إذا قطع اللحم دون العظم وقال الحسن وسعيد بن جبير: ذات الحبك ذات الزينة بالنجوم والصنعة وللطرائق الحسنة. وقيل: الحبك النسج الحسن، يقال:

ثوب محبوبك. وقوله (إنكم لفي قول مختلف) معناه إنكم في الحق لفي قول مختلف، لا يصح إلا واحد منه، وهو أمر النبي (صلى الله عليه وآله) وما دعا اليه، وهو تكذيب فريق به وتصديق

فريق. ودليل الحق ظاهر، وفائدته أن احد الفريقين في هذا الاختلاف مبطل، لانه اختلاف تناقض فاطلبوا الحق منه بدليله وإلا هلكتم. وقوله (يؤفك عنه من أفك) معناه يصرف عنه من صرف، ومنه قوله (أجئتنا لتأفكنا عن آهتنا) (٢) أي لتصرفنا، وتصدنا. وإنما قيل (يؤفك) عن الحق

(١) ديوانه ١٧٦ ومجاز القرآن ٢ / ٢٢٥ والقرطبي ١٧ / ٣٢ (٢) سورة ٤٦ الاحقاف آية ٢٢ (\*)

=====

(٣٨١)

لانه يمكن فيه ذلك من غيره، ولا يمكن من نفسه، لان الحق يدعو إلى نفسه ولا يصرف عنها إلى خلافه.

وقوله ((قتل الخراصون) معناه لعن الكذابين، ومثله (قتل الانسان ما اكفره) (١) والخراص الكذاب. وأصله الخرص وهو القطع من قولهم: خرص فلان كلامه واخترصه إذا افتراه، لانه اقتطعه من غير أصل. والخرص جريد يشقق ويتخذ منه الحصر قال الشاعر:

ترى قصد المران فيهم كأنه \* تذرع خرصان بأيدي شواطب (٢)

والخرص حلقة القرط المنقطعة عن ملاصقة الاذن، والخريص الخليج من من البحر، والخرص الخرز من العدد والكيل، ومنه خارص النخل، وهو خارزه وجمعه خراص. وقوله (الذين هم في غمرة ساهون) صفة للخراصين وموضعه رفع وتقديره في غمرة ساهون عن الحق كقوله (طبع الله على قلوبهم) (٣) والغمرة المرة من علو الشئ على ما هو فائض فيه، غمره الماء يغمره غمرا وغمرة، فهو غامر له، والانسان مغمور، ويقال: غمره الشغل وغمره الموت وغمره الحياء وغمره الجهل وأصل الغمرة من الغمر وهو السيد الكثير العطاء، لانه يغمر بعطائه، والغمر الفرس الكثير الجري، لانه يغمر بحريه، والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الحقد والغمرة رائحة الزهومة في اليد، وغمار الناس مجتمعهم، وغمرة المرأة ما تطلّى به من الطيب وغيره مما يحسن اللون. والغمر القدح الصغير، والغمر النبات الصغار، لانه تغمره الكبار والمعنى ان هؤلاء الكفار لجهلهم بما يجب عليهم معرفته ساهون عما يلزمهم العلم به أي غافلون عن الحق متعامون عنه (يسألون أيان يوم الدين) يعني يسأل

(١) سورة ٨٠ عبس آية ٧ (٢) مر في ٤ / ٢٦٩ مع اختلاف يسير (٣) سورة ٩ التوبة آية ٩٤ وسورة ١٦ النحل آية ١٠٨ وسورة ٤٧ محمد آية ١٦ (\*)

=====

## (٣٨٢)

هؤلاء الكفار الذين وصفهم بالجهل والغمرة: متى يوم الجزاء؟! على وجه الإنكار لذلك لا على وجه الاستفادة لمعرفة، فاجيبوا بما يسوءهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقبل (يوم هم على النار يفتنون) أي يحرقون بالنار ويعذبون فيها وأصل الفتنة تخليص الذهب باحراق الغش الذي فيه، فهؤلاء يفتنون بالاحراق كما يفتن الذهب. ومنه قوله (وفتناك فتونا) (١) أي أخلصناك للحق، ورجل مفتون بالمرءة أي مخلص بحبها، وهي صفة ذم، (وفتناهم) أي اختبرناهم بما يطلب به خلاصهم للحق. وقيل: يفتنون أي يحرقون، كما يفتن الذهب في النار - في قول مجاهد والضحاك - وقوله (يوم هم) يصلح أن يكون في موضع رفع، لأنك أضفته إلى شيئين، ويصلح فيه النصب على الظرف والبناء، وكله على جواب (أيان) وقوله (ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون) معناه انه يقال للكفار الذين يعذبون بها هذا الذي كنتم به تستعجلون في دار التكليف إستبعادا له، فقد حصلتم الآن فيه وعرفتم صحته. قوله تعالى:

(إن المتقين في جنات وعيون (١٥) آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين (١٦) كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (١٧) وبالاسحار هم يستغفرون (١٨) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الارض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢))

(١) سورة ٢٠ طه آية ٤٠ (\*)

## (٣٨٣)

فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (٢٣) تسع آيات. قرأ حمزة والكسائي وابوبكر عن عاصم (لحق مثل) بالرفع على أنه صفة للحق الباقون بالنصب، ويحتمل نصبه وجهين: أحدهما - قول الجرمي أن يكون نصبا على الحال، كأنه قيل: حق مشبها لنطقكم في الثبوت. الثاني - قال المازني إن (مثل) مبني، لانه مبهم أضيف إلى مبني، كما قال الشاعر: لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت \* حمامة في غصون ذات او قال (١) وقال: فجعل (مثل) مع (ما) كالامر الواحد، كما قال (لاريب فيه) (٢)

وقولهم: خمسة عشر، فيكون على هذا (ما) زائدة وأضاف (مثل) إلى (إنكم تتطقون) فبناه على الفتح حين أضافه إلى المبني، ولو كان مضافا إلى معرب لم يجز البناء نحو: مثل زيد. وقيل: يجوز أن يكون نصبا على المصدر، وكأنه قال إنه لحق حقا كنطقكم.

لما حكى الله تعالى حكم الكفار وما أعده لهم انواع العذاب، أخبر بما أعده للمؤمنين المطيعين الذين يتقون معاصي الله خوفا من عقابه، ويفعلون ما أوجبه عليهم فقال (إن المتقين في جنات وعيون) أي في بساتين تجنبا للاشجار (وعيون) ماء تجري لهم في جنة الخلد، فهؤلاء ينعمون وأولئك يعذبون (آخذين ما آتاهم ربهم)

من كرامته وثوابه بمعنى آخذين ما أعطاهم الله من ذلك ونصب (آخذين) على الحال (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) يفعلون الطاعات وينعمون على غيرهم

(١) مر في ٤ / ٤٧٩ (٢) سورة ٢ البقرة آية ١ (\*)

=====

(٣٨٤)

بضروب الاحسان، ثم وصفهم فقال (كانوا) يعني المتقين الذين وعدهم بالجنات (قليلًا من الليل ما يهجعون) في دار التكليف أي كان هجوعهم قليلا - في قول الزهري وإبراهيم - وقال الحسن: (ما) صلة وتقديره كانوا قليلا يهجعون، وقال قتادة: لا ينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها، كأنه قيل هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة والعبادة. وقال الضحاك: تقديره كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا، ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون) وتكون (ما) بمعنى النفي والمعنى إنهم كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك. ولا يجوز ان تكون (ما) جدا لانه لا يقدم عليها معمولها. والهجوع النوم - في قول قتادة وابن عباس وإبراهيم والضحاك (وبالاسحارهم يستغفرون) أي يطلبون من الله المغفرة والستر لذنوبهم في قول الحسن وابن زيد - وقال مجاهد: معناه يصلون في السحر.

وقوله (وفي أموالهم حق) وهو ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك أو ما التزموه من مكارم الاخلاق، فهو الذي رغب الله فيه بقوله (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) فالسائل هو الذي يسأل الناس، والمحروم هو المحارف - في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك - وقال قتادة والزهري: المحروم هو المتعفف الذي لا يسأل. وقال إبراهيم: المحروم الذي لا سهم له في الغنيمة. وقيل: المحروم الممنوع الرزق بترك السؤال أو إذهب مال أو سقوط سهم أو خراب ضيعة إذا صار فقيرا من هذه الجهة. وقال الشعبي: اعيناني أن أعلم ما المحروم. وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء، وقد

يحرم نفسه بترك السؤال، فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال، وإنما حرمه الغير، وإذا لم يسأل فقد حرم نفسه وحرمه الناس.

وقوله (وفى الارض آيات) أي دلالات واضحات وحجج نيرات (للموقنين)

=====

(٣٨٥)

الذين يتحققون بتوحيد الله، وإنما أضافها إلى الموقنين، لانهم الذين نظروا فيها وحصل لهم العلم بموجبها وآيات الارض جبالها ونباتها ومعادنها وبحارها، ووقوفها بلا عمد لتصرف الخلق عليها.

وقوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) معناه وفى أنفسكم أفلا تتفكرون بأن تروها مصرفة من حال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى أخرى، فكنتم نطفا فصرتم أحياء ثم كنتم أطفالا فصرتم شبابا، ثم صرتم كهولا وكنتم ضعفاء فصرتم أقوياء، فهلا دلکم ذلك على ان لها صانعا صنعها ومدبرا دبرها يصرفها على ما تقتضيه الحكمة ويدبرها بحسب ما توجبه المصلحة. وقيل: المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه.

وقوله (وفى السماء رزقكم) ينزله الله اليكم بأن يرسل عليكم الغيث والمطر فيخرج به من الارض أنواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتتنعفون به (وما توعدون) به من العذاب ينزله الله عليكم إذا استحققتموه، وقال الضحاك: وفى السماء رزقكم يعني المطر الذي هو سبب كل خير وهو من الرزق الذي قسمه الله وكتبه للعبد في السماء. وقال مجاهد: وما توعدون يعني من خير او شر، وقيل وما توعدون الجنة، لأنها في السماء الرابعة.

ثم قال تعالى (فو رب السماء والارض) قسما منه تعالى (إنه لحق) ومعناه إن ما وعدتكم به من الثواب والعقاب والجنة والنار لابد من كونه " مثل ما تنطقون " أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون في ما تنطقون، فكذلك لا تشكوا في حصول ما وعدتكم به. وقيل الفرق بين قوله " حق مثل ما إنكم تنطقون " وبين ما تنطقون مثل الفرق بين أحق منطقتك وبين أحق إنك تنطق أي أحق إنك ممن (ج ٩ من ٤٩ من التبيان)

=====

(٣٨٦)

ينطق، ولم يثبت له نطقا. والاول قد أثبتته إلا أنه قال: أحق هو أم باطل، ذكره الفراء. ومعنى الآية أن هذا القرآن وأمر محمد (صلى الله عليه وآله) وما توعدون به من أرزاقكم حق ككلامكم، كقول القائل: إنه لحق مثل ما أنت ههنا أي كما أنت ههنا. وقال الفراء: وإنما جمع بين (ما) و

(إن) مع انه يكتفى باحدهما، كما يجمع بين اللائي والذين، وأحدهما يجزي عن الآخر قال الشاعر:

من نفر اللائي والذين إذاهم \* يهاب اللئام حلقة الباب فقعقوا (١)

فجمع بين اللائي والذين، ولو أفرد ب (ما) لكان المنطق في نفسه حقا، ولم يرد ذلك، وإنما أراد أنه لحق كما حق أن الأدمي ناطق، ألا ترى ان قولك أحق منطقك معناه أحق هو أم كذب، وقولك أحق إنك تنطق معناه إن للانسان النطق لا لغيره، فادخلت (أن) ليفرق بين المعنيين. قال وهذا أعجب الوجهين إلي قوله تعالى:

(١) هل أتيتك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم

منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧)

فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨)

فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩)

قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣٠) سبع آيات.

يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) " هل أتاك " يامحمد " حديث ضيف إبراهيم

(١) تفسير الطبرى ٢٦ / ١١٣ (\*)

=====

(٣٨٧)

المكرمين " قال الحسن: يعني المكرمين عندالله. وقيل: اكرمهم إبراهيم برفع مجالسهم في الاكرام والاعظام الذي يسر بالاحسان. والاجلال هو الاعظام بالاحسان، وكذلك يلزم اعظام الله وإجلاله في جميع صفاته، ولا يجوز مثل ذلك في الاكرام، ولكن الله يكرم أنبياءه والمؤمنين على طاعتهم.

وقوله " إذ دخلوا عليه " يعني حين دخلوا على إبراهيم " فقالوا " له " سلاما " على وجه التحية له أي اسلم سلاما " فقال " لهم جوابا عن ذلك " سلام " وقرئ سلم، فلما ارتاب (عليه السلام) بهم قال " قوم منكرون " أي انتم قوم منكرون، والانكار بنفي صحة الامن ونقيضه الاقرار، ومثله الاعتراف. وإنما قال: منكرون، لانه لم يكن يعرف مثلهم في أضيافه، وسماهم الله أضيافيا، لانهم جاؤه في صفة الاضياف وعلى وجه مجيئهم. ومعنى (سلاما) أي اسلم سلاما، وقوله " قال سلام " أي سلام لنا. وقوله " فراغ إلى أهله " أي ذهب اليهم خفيا، فالروغ الذهاب في خفى، راغ يروغ روغا وروغانا، وراوغة مرواغة ورواغا، وأراغه على كذا إذا أراده عليه في خفى أنفا من رده. وقوله " فجاء بعجل سمين " فالعجل واحد البقر الصغير مأخوذ من

تعجيل أمره بقرب ميلاده، وسمي عجولا وجمعه عجائيل. وقال قتادة: كان عامة مال نبي الله إبراهيم (عليه السلام) البقر. والسمين الكثير الشحم على اللحم، سمن يسمن سمنا، وسمنه تسمينا واسمه اسمانا وتسمن تسمنا، ونقيض السمن الهزال. وقوله " فقربه اليهم " أي ادناه لهم وقدمه بين أيديهم وقال لهم: كلوه، فلما رأهم لا يأكلون عرض عليهم ف " قال ألا تأكلون " وفي الكلام حذف، لان تقديره فقدمه اليهم فأمسكوا عن الاكل فقال ألا تأكلون فلما أمتنعوا من الاكل " أوجس منهم خيفة " أي خاف منهم وظن أنهم يريدون به سوء، فالإيجاس الاحساس بالشئ خفيا، أوجس يوجس إيجاسا وتوجس توجسا.

=====

(٣٨٨)

ومنه قوله " فاجس في نفسه خيفة موسى " (١) فقالت حينئذ له الملائكة " لا تخف " يا إبراهيم فانا رسل الله وملائكته أرسلنا الله إلى قوم لوط لنهلكهم. وقيل: إنهم دعوا الله فأحيا العجل له فعلم إبراهيم عند ذلك انهم من الملائكة (عليهم السلام) " وبشروه " عند ذلك " بسلام عليم " أي يكون عالما إذا كبر وبلغ. قال مجاهد: المبشر به إسماعيل. وقال غيره: هو اسحاق، لانه من سارة، وهذه القصة لها لا لهاجر، سمعت البشارة امرأته سارة " فأقبلت في صرة " يعني في صيحة - في قول ابن عباس ومجاهد وسفيان - وقال مجاهد وسفيان أيضا في رنة " فصكت وجهها " قال ابن عباس لظمت وجهها. وقال السدي: ضربت وجهها تعجبا، وهو قول مجاهد وسفيان، فالصك الضرب باعتماد شديد " وقالت عجوز عقيم " فالتقدير أنا عجوز عقيم كيف ألد؟ ! والعقيم الممتعة من الولادة لكبر او آفة. وقال الحسن: العقيم العاقر. وأصل العقم الشدة مما جاء في الحديث (يعقم أصلاب المشركين) أي يشد، فلا يستطيعون السجود، وداء مقام إذا أعيا، أي اشدت حتى أياس ان يبرأ، ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها إلى بعض، والعقم والعقة ثياب معلمة أي شدت بها الاعلام، وعقت المرأة، فهي معقومة وعقيم، وقالوا عقت أيضا ورجل عقيم مثل المرأة من قوم عقيمين والريح العقيم التي لا تنشئ السحاب للمطر، والملك عقيم يقطع الولاء لان الابن يقتل أباه على الملك، فقالت الملائكة عند ذلك لها " كذلك " أي مثل ما بشرناك به " قال ربك " ما بشرناك به فلا تشك فيه " إنه هو الحكيم " في أفعاله " العليم " بخفايا الامور لا يخفى عليه خافية والمعنى كما ان إخبارنا وبشارتنا لاشك فيه، كذلك قال الله ما بشرناك به.

قوله تعالى:

(قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥)

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) (٣٧) سبع آيات.

لما سمع إبراهيم (عليه السلام) بشرى الملائكة له بالغلام العليم، وعلم أنهم ليسوا ببشر ولا أضياف " قال " لهم " فما خطبكم أيها المرسلون " أي ما شأنكم. والخطب هو الأمر الجليل، فكأنه قال قد بعثتم لأمر جليل، فما هو؟ ومنه الخطبة، لأنها كلام بليغ لعقد أمر جليل تستفتح بالتحميد والتمجيد. والخطاب أجل من الإبلاغ.

وقوله " أيها " لا يثنى ولا يجمع لانه مبهم يقتضي البيان عنه ما بعده من غير أن يلزم ما قبله، كما يلزم (الذي وهذا) كقولك مررت بالرجلين هذين، فتبعه في تثنيته، كما تبعه في اعرابه.

فاجابته الملائكة فقالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين " عاصين لله كافرين لنعمه أستحقوا العقاب والهلاك " لنرسل عليهم حجارة من طين مسمومة عند ربك للمسرفين " فالمسرف المكثر من المعاصي، وهو صفة ذم، لانه خروج عن الحق.

ونقيض الاسراف الاقتار، وهو التصير عن بلوغ الحق. وليس في الاكثار من طاعة الله سرف، ولا في نعمه اقتار، لانه سائغ على مقتضى الحكمة، وإرسال الرسول إطلاقه بالأمر إلى المصير إلى من أرسل اليه، فالملائكة أمروا بالمصير إلى



(٣٩٠)

قوم لوط لاهلاكهم وإرسال الحجارة إطلاقها. وليست برسل ولكن مرسله. والمسومة المعلمة بعلامات ظاهرة للحاسة، لان التسويم كالسيما في انه يرجع إلى العلامة الظاهرة من قولهم: عليه سيماء الخير. ومنه قوله " يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين " والمجرم القاطع للواجب بالباطل، فهؤلاء أجرموا بقطع الايمان بالكفر. وأصل الصفة القطع. وقال ابن عباس: التسويم نقطة في الحجر الاسود بيضاء، او نقطة سوداء في الحجر الابيض. وقيل: كان عليها أمثال الخواتيم وقوله " حجارة من طين " أي أصلها الطين لا حجارة البرد التي أصلها الماء.

والمسومة هي المعلمة بعلامة يعرفها بها الملائكة أنها مما ينبغي أن يرمى بها الكفرة عند أمر الله بذلك. وقيل: حجارة من طين كأنها آجر - في قول ابن عباس - وقال الحسن: مسومة بأنها من حجارة العذاب. وقيل: مسومة بأن جعل على كل حجر اسم من يهلك به. وقوله " فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين " أي اخرجنا من كان في قرية لوط من المؤمنين، نحو لوط وأهله وخلصناهم من العذاب والاهلاك. وقوله " فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين " يدل على ان الاسلام هو الايمان والايمان هو التصديق بجميع ما اوجب الله التصديق به. والاسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي اوجبه الله والزمه. والمسلم هو المخلص لعمل الفرض على ما أمر الله به، لان صفة (مسلم) كصفة مؤمن في انها مدح. والبيت الذي وجدته في تلك القرية من المؤمنين هم أتباع لوط ووجدان الضالة هو إدراكها بعد طلبها، ووجدت الموحدة إدراك ما يوجب العتاب والائمة في القلب، ووجدت المال أجده أدركت ملكا لي كثيرا، ووجدت زيدا الصالح بمعنى علمته، ووجدت الضالة وجدانا. والبيت هو البناء المهيا للايواء اليه والمبيت فيه.

=====

(٣٩١)

وقوله " وتركنا فيها آية " فالترك في الاصل ضد الفعل ينافي الاخذ في محل القدرة عليه، والقدرة عليه قدرة على الاخذ. والمعنى في الآية أبقينا فيها آية، ومثله قوله " وتركهم في ظلمات " (١) بمعنى لم ينفها مع انه قادر على نفيها، وفلان ترك السوق أي قطعها بأن صار لا يمضي اليها. ومعنى " تركنا فيها آية " بمنزلة ما فعل ضدما تنافيه الآية. وقيل: إن الآية اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى وقوله " للذين يخافون العذاب الاليم " إنما خص الخائفين من العذاب الاليم بالآية لانهم الذين يعتبرون بها وينتفعون بها. قوله تعالى:

(وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين (٣٨)  
فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبدناهم في اليم وهو مليم (٤٠)  
وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١) ما تذر من شئ أنت عليه إلا جعلته كالرميم  
(٤٢)  
وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم  
ينظرون (٤٤) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين) (٤٥) ثمان آيات.  
قرأ الكسائي " الصعقة " الباقون " الصاعقة " ، فالصعقة مصدر صعق يصعق صعقا وصعقة  
واحدة. والصاعقة الاسم تقول: صاعقة وصاعقة مقدما ومؤخرا،

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٧ (\*)

=====

(٣٩٢)

وصواعق وصواعق، وقيل: هما اغتان.  
قوله " وفي موسى " عطف على قوله " وتركنا فيها آية " فكأنه قال:  
وتركنا في موسى آية حين أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين أي بحجة ظاهرة " فتولى بركنه  
" قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: معناه بقوته. وقيل: معناه تولى بما كان يتقوى به من جنده  
وملكه. والركن الجانب الذي يعتمد عليه. والمعنى ان فرعون أعرض عن حجة موسى ولم  
ينظر فيها بقوته في نفسه " وقال ساحر " أي هو ساحر " او مجنون " فالسحر حيلة توهم  
المعجزة بحال خفية. واصله خفاء الامر فمنه السحر الوقت الذي يخفى فيه الشخص. والسحر  
الرئة لخفاء سببها في الترويح عن القلب بها. والسحارة لخفاء السبب في تلون خيوطها.  
والمجنون الذي أصابته جنة فذهب عقله. وقال الزجاج (او) ههنا بمعنى الواو، والتقدير ساحر  
ومجنون. وقال غيره: في ذلك دلالة على عظم جهل فرعون، لان الساحر هو اللطيف الحيلة  
وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل، فكيف يوسف شخص واحد بهاتين الصفتين فقال الله  
تعالى مخبرا عن نفسه " فأخذناه وجنوده فنبدناهم " يعني إنا نبذنا فرعون وجنوده " في اليم " أي  
طرحناه في البحر كما يلقي الشئ في البر " وهو مليم " أي أت بما يلام عليه من الكفر  
والجود والعتو والتجبر والتكبر واحد. والملوم الذي وقع به اللوم، والمليم الذي أتى بما يلام  
عليه.

وقوله " وفي عاد " عطف ايضا على قوله " وتركنا فيها " أي وتركنا في عاد ايضا آية أي  
دلالة فيها عظة " إذ أرسلنا " أي اطلقنا " عليهم الريح العقيم " وهي التي عقت عن ان تأتي

بخير من تنشئة سحب او تلقيح شجرة او تذرية طعام او نفع حيوان، فهي كالممنوعة من الولادة. وجمع الريح أرواح ورياح، ومنه راح الرجل إلى منزله أي رجع كالريح، والراحة قطع العمل المتعب. وقال ابن عباس:

=====

(٣٩٣)

الريح العقيم التي لا تلقح الشجر ولا تنشئ السحاب. وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور).

وقوله " ما تذر من شئ أنت عليه " أي لم تترك هذه الريح شيئاً تمر عليه " إلا جعلته كالريم " وهو السحيق الذي انتفى رمه بانتفاء ملاءمة بعضه لبعض، وأما رمه يرمه رما فهو رام له والشئ مرموم فهو المصلح بملاءمة بعضه لبعض، وهو اصل الرميم الذي رمه بنقصه. وقيل: الرميم الذي ديس من يابس النبات.

وقيل: الرميم العظم البالي المنسحق.

وقوله " وفي ثمود إذ قيل لهم " أيضا عطف على قوله " وتركنا فيها آية..

وفي ثمود " وهم قوم صالح لما كفروا وجدوا نبوة صالح وعقروا ناقة الله واستحقوا الاهلاك " قيل لهم تمتعوا حتى حين " أي انتفعوا في اسباب اللذات من المناظر الحسنة والروائح الطيبة والاصواب السجية وكل ما فيه منفعة على هذه الصفة " حتى حين " أي إلى حين قدر الله ابقاءكم اليه. وقيل: إلى حين آجالكم إن اطعتم الله - في قول الحسن - " فاعتوا عن أمر ربهم " فالعتوا الامتناع عن الحق، وهو الجفاء عنه ترفعا عن إتباع الداعي اليه " فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون " أي ارسل الله اليهم الصاعقة التي أهلكتهم واحرقتهم وهم يبصرونها " فما استطاعوا من قيام " أي لم يقدرُوا على النهوض به " وما كانوا منتصرين " أي طالبين ناصرا يمنعهم من عذاب الله - عزوجل - وقرأ الكسائي " الصعقة " بغير الف. وقد بيناه.

قوله تعالى:

(وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦)

(ج ٩ م ٥٠ من التبيان)

=====

(٣٩٤)

والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون (٤٧) والارض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩) ففروا إلى الله إنني لكم منه نذير مبين (٥٠)

ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١) كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢)

أتوا صوابه بل هم قوم طاعون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)  
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥) عشر آيات.

قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي " وقوم نوح " جراً عطفاً على قوله " وفي عاد " وتقديره وفي قوم نوح آية. الباقيون بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح، ويحتمل ان يكون على تقدير فأخذت صاعقه العذاب قوم نوح، إذ العرب تسمى كل عذاب مهلك صاعقة. الثالث على تقدير: واذكر قوم نوح، كقوله " وإبراهيم الذي وفي " (١) والقوم الجماعة الذين من شأنهم أن يقوموا بالامر، وضافتهم اليه تقتضي انه منهم في النسب. ولم يفرّد ل (قوم) واحد. ثم بين لما أهلكهم فقال " إنهم كانوا قوماً فاسقين " خارجين من طاعة الله - عزوجل - إلى الكفر بالله فاستحقوا لذلك الأهلاك.

وقوله " والسماء بنيناها بأيدٍ " معناه بقوة - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد - والأيدي القوة، ووجه اتصال قوله " والسماء بنيناها بأيدٍ " بما قبله

---

(١) سورة ٥٣ النجم آية ٣٧ (\*)

=====

(٣٩٥)

وهو ان في قوم نوح آية وفي السماء ايضاً آية فهو متصل به في المعنى.  
وقوله " وإنا لموسعون " قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها - قال الحسن: التوسعة في الرزق بالمطر. الثاني - قال ابن زيد: بقوة وإنا لموسعون السماء. الثالث - انا لقادرون على الاتساع باكثر من اتساع السماء.

والاتساع الاكثر من إذهاب الشئ في الجهات بما يمكن أن يكون اكثر مما في غيره يقال أوسع يوسع ايساعاً، فهو موسع. والله تعالى قد أوسع السماء بما لابناء أوسع منه وايساع الرحمة هو الاكثر منها بما يعم.

وقوله " والارض فرشناها " عطف على قوله " والسماء بنيناها " وتقديره وبنينا السماء بنيناها وفرشنا الارض فرشناها أي بسطانها " فنعم الماهدون " والماهد الموطئ للشئ المهئ لما يصلح الاستقرار عليه، مهد يمهد مهداً، فهو ماهد، ومهد تمهيداً، مثل وطأ توطئة.

وقوله " ومن كل شئ خلقنا زوجين " معناه خلقنا من كل شئ اثنين مثل الليل والنهار، والشمس والقمر والارض والسماء، والجن والانس - في قول الحسن ومجاهد - وقال ابن زيد

" خلقنا زوجين " الذكر والانثى. وفى ذلك تذكير بالعبرة فى تصريف الخلق والنعمة فى المنفعة والمصلحة " لعلكم تذكرون " معناه لتتذكروا وتفكروا فيه وتعتبروا به. وقوله " ففروا إلى الله " أي فاهربوا إلى الله من عقابه إلى رحمته باخلاص العبادة له. وقيل: معناه ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما أمركم به " انى لكم منه نذير " مخوف من عقابه " مبين " عما اوجب عليكم من طاعته. ثم نهاهم فقال " ولا تجعلوا مع الله الها آخر " أي لا تعبدوا معه معبودا

=====

( ٣٩٦ )

آخر من الاصنام والاوثنان " انى لكم منه نذير مبين " أي من الله مخوف من عقابه مظهر ما اوجب عليكم وأمركم به. وقيل: الوجه فى تكرار (انى لكم منه نذير مبين) هو ان الثاني منعقد بغير ما انعقد به الاول اذ تقديره انى لكم منه نذير مبين فى الامتناع من جعل اله آخر معه، وتقدير الاول انى لكم منه نذير مبين فى ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك: انذرك أن تكفر بالله انذرك ان تتعرض لسخط الله، ويجوز أن يقول الله ولا تجعلوا مع الله قديما آخر، كما قال (ولا تجعلوا مع الله الها) لان جعلهم ذلك باعقادهم الها معه او اظهارهم انه مذهب لهم. ولا يجوز ان يقول: لا تكونوا قديما مع الله لانه نهى عما لا يمكن، وهو محال، وكذلك لا يجوز ان يقول لا تصيروا قديما ولا آلهة، لانه محال.

والنذير هو المخبر بما يحذر منه ويصرف عنه وهو يقتضى المبالغة. والمنذر صفة جارية على الفعل تقول: انذر ينذر انذارا، فهو منذر، ونذره أي علم به واستعد له والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل.

ثم قال مثل ما أتى هؤلاء الكفار نبي فكذبوه (كذلك ما أتى الذين من قبلهم) من الامم (رسول إلا قالوا) هو (ساحر او مجنون) فالساحر هو الذي يحتال بالحيل اللطيفة. والمجنون الذي به جنون. وإنما قال الجهال ذلك فى الرسل لان الاقدام عندهم على إنكار عبادة الاوثنان لا يكفى فيه الشبهة دون الجنة، فالمجنون المغطى على عقله بما لا يتوجه للادراك به، فكذلك شبه حال قريش فى التكذيب بحال. الامم حتى قالوا: سحر او مجنون. وإنما جاز منهم الاتفاق على تكذيب الرسل من غير تواصل ولا تلاق، لان الشبهة الداعية اليه واحدة.

وقوله (اتوا صوا) فالتواصي هو إيحاء بعض القوم إلى بعض بوصية، والوصية التقدمة فى الامر بالاشياء المهمة مع النهي عن المخالفة، كالوصية بقضاء الدين ورد

=====

(٣٩٧)

الوديعة والحج والصدقة وغير ذلك، فكأن هؤلاء الجهال قد تواصلوا بعبادة الاوثان بما هم عليه من الملازمة وشدة المحافظة وصورة الكلام صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ. وقوله (بل هم قوم طاغون) معناه لم يتواصلوا بذلك لكنهم طاغون طغوا في معصية الله وخرجوا عن الحد.

ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله) (فتول عنهم) أي اعرض عنهم يا محمد - في قول مجاهد - (فما أنت بملوم) في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم اليه، وليس المراد أعرض عن تذكيرهم ووعظهم، وإنما أراد أعرض عن مكافأتهم ومقابلتهم ومباراتهم وما أنت في ذلك بملوم (وذكر) بالموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) الذين يتعظون بمواعظ الله ويستدلون بآياته. قال حسين بن صمصم.

أما بنو عيس فان هجينهم \* ولي فوارسه وافلت اعورا (١)  
قوله تعالى:

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) (٦٠) خمس آيات.

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٢٨ (\*)

(٣٩٨)

هذا اخبار من الله تعالى أنه لم يخلق الجن والانس إلا لعبادته، فاذا عبده أستحقوا الثواب، واللام لام الغرض ولا يجوز أن يكون لام العاقبة لحصول العلم بأن كثيرا من الخلق لا يعبدون الله. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبره القائلين: بأن الله خلق كثيرا من خلقه للكفر به والضلال عن دينه وخلقهم ليعاقبهم بالنيران، لانه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى تناقض، ولا إختلاف وقوله (ولقد ذرانا لجهنم) (١) قد بينا في ما مضى أن اللام لام العاقبة. والمعنى إنه خلق الخلق كلهم لعبادته وتصير عاقبة كثير منهم إلى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر بالله وإرتكاب معاصيه.

فان قيل: أليس قد خلق الله كثيرا من خلقه لطفا لغيرهم، فكيف يكون خلقهم لعبادته؟! .!

قلنا: ما خلقه الله تعالى على ضربين: مكلف، وغير مكلف، فما ليس بمكلف خلقه للطف المكلفين، جمادا كان او حيوانا. وما هو مكلف خلقه لعبادته وإن كان في خلقه أيضا لطف

للغير، وكأنه يكون خلقه للامرئين ويكون بمنزلة ما خلقته إلا ليعبد مع عبادة غيره لان عبادة غيره مما هو غرض في خلقه، ولولا ذلك لم يكن في خلق النبي عليه لطف لغيره، فالتقدير ما خلقته إلا لعبادته مع عبادة غيره به، وهو بمنزلة قول القائل ما أدبت ولدي إلا ليصلح جميعهم أي بتأديبي له مع تأديب غيره الذي يدعوه إلى خلافه، وليس المعنى ما خلقت كل مكلف إلا ليعبد هو فقط.

وفى الآية دلالة على انه تعالى لا يريد المباح، لانه ليس من العبادة. وقوله (ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون) معناه نفي الايهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لفائدة تقع وتعود عليه تعالى، فبين انه لفائدة (١) سورة ٧ الاعراف آية ١٧٨

=====

(٣٩٩)

النفع العائد على الخلق دونه تعالى لا استحالة النفع عليه ودفع المضار، لانه غني بنفسه لا يحتاج إلى غيره، وكل الناس محتاجون اليه. ومن زعم ان التأويل ما اريد ان يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم، فقد ترك الظاهر من غير ضرورة. وقال ابن عباس: معنى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الا ليتقربوا لي بالعبودية طوعا وكرها.

ثم بين تعالى انه - عزوجل - هو الرزاق لعباده فقال (ان الله هو الرزاق) والخلق له يرزقونه (ذو القوة) صاحب القدرة (المتين) ومعناه انه القوي الذي يستحيل عليه العجز والضعف، لانه ليس بقادر بقدرة، بل هو قادر لنفسه، ولانه ليس بجسم، والجسم هو الذي يحلقة ضعف. ومن خفض (المتين) - وهو يحيى ابن وثاب - جعله صفة للقوة، وذكره لانه ذهب إلى الحبل والشئ المفتون يريد القوة، قال الشاعر:

لكل دهر قد لبست أثوبا \* من ربطة واليمينية المعصبا (١)

فذكر لان اليمينية ضرب من الثياب وصنف منها، ومن فسر (المتين) بالشديد فقد غلط، لان الشديد هو الملتف بما يصعب معه تفكيكه. ووصف القوة بأنها أشد يؤذن بالمجاز، وانه بمعنى أعظم.

ثم اخبر تعالى بأن (للذين ظلموا) نفوسهم بارتكاب المعاصي (ذنوبا)

أي نصيبا وأصله الدلو الممتلئ ماء، كما قال الراجز:

لنا ذنوب ولكم ذنوب \* فان ابيتم فلنا القليب (٢)

وقال علقمة:

---

(١) اللسان (ثوب) وتفسير القرطبي ١٧ / ٥٧ (٢) مر في ٢ / ٤٠٥ (\*)

=====

(٤٠٠)

وفي كل حي قد خبطت بنعمة \* فحق لشاش من نذاك ذنوب (١)  
أي نصيب، وإنما قيل الدلو: ذنوب، لأنها في طرف الحبل، كأنها في الذنب. وقيل: معناه لهم  
بلاء وويل. والذنوب الدلو العظيمة يؤنث ويذكر، وقوله (مثل ذنوب أصحابهم) أي مثل نصيب  
أصحابهم من الكفار الذين تقدموهم (فلا تستعجلون) قل لهم لا تستعجلون بانزال العذاب عليهم،  
فإنهم لا يفوتون.

ثم قال (فويل للذين كفروا) وحدانيتي وجدوا نبوة رسولي (من يومهم الذي يوعدون) فيه  
بانزال العذاب بالعصاة وهو يوم القيامة، والويل كلمه تقولها العرب لكل من وقع في مهلكة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ٥٧ (\*)

=====

(٤٠١)

٥٢ - سورة الطور مكية بلا خلاف وهي تسع وأربعون آية في الكوفي، وثمان في البصري،  
وسبع في المدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم (الطور (١) وكتاب مسطور (٢) في رق منشور (٣)  
والبيت المعمور (٤) والسقف المرفوع (٥) والبحر المسجور (٦)  
إن عذاب ربك لواقع (٧) ما له من دافع (٨).

سبع آيات حجازي وثمان في ما عداه، عد الكوفيون والشاميون (والطور)  
ولم يعده الحجازيون.

الوجه في القسم بالطور هو ما قدمناه في قوله (والذاريات) وغير ذلك، وهو أن الله تعالى له  
أن يقسم بما يشاء من خلقه، وليس للعباد أن يقسموا إلا به. وقيل: الطور هو الجبل الذي كلم  
الله عليه موسى. وقال مجاهد: الطور جبل. وقال المبرد: يقال لكل جبل طور. فاذا ادخلت  
عليه الالف واللام كان (ج ٩ م ٥١ من التبيان)

=====

(٤٠٢)



معرفة لشيء بعينه. ومنه قوله (ورفعنا فوقهم الطور) (١) وقيل: إنه سرياني (وكتاب مسطور)  
أي مكتوب - في قول قتادة والضحاك - قال رؤية:

إني واسطار سطرن سطرًا (٢)

وقيل: الكتاب المسطور: هو الذي كتبه الله على خلقه من الملائكة في السماء يقرؤون فيه ما  
كان ويكون. وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، وهو الرق المنشور. وقال  
الفراء: الكتاب المسطور صحائف الاعمال فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ كتابه بشماله.  
والسطر ترتيب الحروف. والمسطور المرتب الحروف على وجه مخصوص، سطرته أسطره  
سطرا، فأنا ساطر وذلك مسطور (في رق منشور) فالرق جلد رقيق يصلح للكتابة. وقال  
ابوعبيدة:

الرق هو الورق. وقيل: إنما ذكر الرق، لانه من أحسن ما يكتب عليه، فذكر لهذه العلة، فاذا  
كتبت الحكمة في ما هو على هذه الصفة كان أبهى وأولى. والمنثور المبسوط. وإنما قيل:  
منثور، لانه أبهى في العيون.

وقوله (والبيت المعمور) قيل: هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بما  
يكون منها فيه من العبادة. وروي ذلك عن علي (عليه السلام) وابن عباس ومجاهد. قال علي  
(عليه السلام) يدخل كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون فيه.

وقال الحسن البيت المعمور: البيت الحرام. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ومجاهد وقاتدة  
وابن زيد (السقف المرفوع) هو السماء. وقوله (والبحر المسجور) فالبحر المجري الواسع  
العظيم من مجاري الماء، وأصله الاتساع. والبحيرة الناقاة التي يوسع شق أذنها وتخلي في  
المرع. وتبحر فلان في العلم إذا اتسع فيه، والمسجور المملؤ.  
ومنه سجرت التنور إذا ملأته نارا. وعين سجرا ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦٣، ٩٣ (٢) مر في ٤ / ١١٠ (\*)

### (٤٠٣)

مما هو لها كسجار التنور. وقال مجاهد وابن زيد: البحر المسجور الموقد. وقال قتادة: هو  
المملوء قال أبيد:

فتوسطا عرض السري وصدعا \* مسجورة متجاوز أقدامها (١)

وروي في الحديث ان البحر يسجر، فيكون نارا في جهنم.

وقوله (إن عذاب ربك لواقع) جواب القسم، أقسم الله تعالى بالاشياء التي تقدم ذكرها ليتحقق عند العباد أن عذابه واقع لا محالة لمن وافى على الصفة التي يستحق بها العقوبة، وأن لا يطمع أن ينفعه سؤال حميم او قريب منه قال النمر ابن تولب العكلي: شاهدا في المسجور: إذا شاء طالع مسجورة \* ترى حولها النبع والسما سما (٢) وإنما هي بقعة مملوءة شجرا. قوله تعالى:

(يوم تمور السماء مورا (٩) وتسير الجبال سيرا (١٠) فويل يومئذ للمكذبين (١١) الذين هم في خوض يلعبون (١٢) يوم يدعون إلى نار جهنم دعا (١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (١٤) أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون (١٥) إصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون) (١٦).

ثمان آيات كوفي وشامي، وسبع في ما عداهما، عد الكوفيون والشاميون

---

(١) مر في ٧ / ١١٨ (٢) تفسير القرطبي ١٧ / ٦١ ومجاز القرآن ٢ / ٢٣٠ (\*)

=====

(٤٠٤)

(دعا) ولم يعده الباقر.

قوله (يوم تمور السماء مورا) يعني يوم القيامة، وهو متعلق بقوله (إن عذاب ربك لواقع.. يوم تمور السماء مورا) والمور تردد الشئ بالذهاب والمجئ كما يتردد الدخان ثم يضمحل، مار يemor مورا فهو مائر. وقيل: يemor مورا بمعنى يدور دورا - في قول مجاهد - وقال الضحاك: معناه يموج موجا قال الاعشى انشده أبو عبيدة:

كان مشيتها من بيت جارتها \* مور السحابة لا ريث ولا عجل (١)

ورواه غيره مر السحابة (وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين)

الذين ينكرون اخبار الله تعالى فهؤلاء الجهال أنكروا ما اخبر به الانبياء بأن نسبوه إلى الكذب (الذين هم في خوض يلعبون) فالخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في الامر بالقول، يقال خاض يخوض خوضا، فهو خائض.

وخوضه في الشراب تخويضا، ومنه المخوض. واللعب طلب الفرح بمثل حال الصبي في إنتفاء العمل على مقتضى العقل، لعب لعبا فهو لاعب، ودخلت الفاء في (فويل) لما فيه من معنى الجزاء، لان تقديره إذا كان كذا وكذا فويل، ومعنى الآية إني سأعلمهم بكفرهم وتصير عاقبتهم العذاب.

وقوله (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) معناه يوم يدعون إلى نار جهنم للعذاب فيها، دعه يدعه دعا إذا دفعه. ومثله صكه يصكه صكا، والداع الدافع وقيل: الدع الدفع بانزعاج وإرهاق - في قول قتادة والضحاك -.

وقوله (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم على وجه التوبيخ: هذه النار التي كنتم تكذبون بها في دار التكليف حين جددتم الثواب والعقاب

---

(١) ديوان الاعشى ١٤٤ ومجاز القرآن ٢ / ٢٣١ (\*)

=====

(٤٠٥)

والنشور. ويقال لهم على وجه الانكار عليهم (أفسح هذا) قد غطى على ابصاركم (أم انتم لا تبصرون) ثم يقال لهم (اصلوها) يعني النار (فاصبروا او لا تصبروا) سواء عليكم) كونكم في العقاب صبرتم أو لم تصبروا، فانه لا يحيف عليكم (إنما تجزون ما كنتم) أي جزاء ما كنتم (تعملون) في الدنيا من المعاصي والصلي لزوم النار المعذب بها صلي يصلي صليا، ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها، ومنه:

صلى على دنها وارنسم (١)

أي لزم، والمصلي الذي يجيء في اثر السابق على لزوم أثره والاصل لزوم الشيء، والصبر حبس النفس على الامر بالعمل فكأنه قال: احبسوا أنفسكم على النار لتعاملوا بالحق او لا تحبسوا سواء عليكم في ان الجزاء لا محالة واقع بكم ولا حق لكم. والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه في العقل من خير او شر. والسواء والاستواء والاعتدال بمعنى واحد. والاستواء إمتناع كل واحد من المقدارين من ان يكون زائدا على الآخر او ناقصا عنه، فالصبر وترك الصبر لا ينفع واحد منهما في رفع العذاب عن أهل النار.

قوله تعالى:

(إن المتقين في جنات ونعيم (١٧) فاكهين بما أتتهم ربهم ووقيه ربهم عذاب الجحيم (١٨) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (١٩) متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) (٢٠) أربع آيات بلا خلاف.

---

(١) مر في ١ / ٥٦، ١٩٣ و ٢ / ٤١ و ٥ / ٣٢٧ (\*)

=====

## (٤٠٦)

لما اخبر الله تعالى عن حال الكفار وما أعد لهم من أليم العقاب، اخبر أيضا بما أعدده للمؤمنين المتقين من أنواع الثواب فقال (إن المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله خوفا من عقابه (في جنات) أي بساتين تجنبا للأشجار (ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم) أي؟؟ بما أعطاهم ربهم من أنواع النعم وقال الزجاج:

معنى (فاكهين) معجبين بما آتاهم. وقال الفراء: مثل ذلك (وقاهم ربهم) أي منع عنهم عذاب الجحيم. والفاكه الكثير الفاكهة، كقولهم لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر. والفكه المسرور بأحواله اكسرور آكل الفاكهة بفاكهته.

وقوله (متكئين على سرر مصفوفة) قيل متكئين على النمارق وهي الوسائد إلا انه حذف ذكرها. والمعنى (عليه)، لانه أصل الاتكاء، وتقديره متكئين على النمارق الموضوعه على السرر، وهو جمع سرير. وقوله (مصفوفة) أي مصطفة.

وقوله (وزوجناهم بحور عين) فالحور البيض النقيات البيضاء في حسن وكمال، والعين الواسعة الاعين في صفاء وبهاء، والمعنى قرنا هؤلاء المتقين بالحور العين على وجه التنعيم لهم والتمتع.

قوله تعالى:

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين (٢١) وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون فيها كأسالا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣) ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون (٢٤) وأقبل بعضهم على بعض

=====

## (٤٠٧)

يتساءلون) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة (واتبعتهم) بالتاء (ذريتهم) على واحدة (بهم ذريتهم) على واحدة أيضا. وقرأ نافع (واتبعتهم) بالتاء (ذريتهم) على واحدة (بهم ذرياتهم) على الجمع. وقرأ ابن عامر (واتبعتهم ذرياتهم) بالتاء على الجمع (بهم ذرياتهم) جماعة أيضا. وقرأ ابوعمر (أتبعناهم) بالنون (ذرياتهم)

جماعة (ألحقنا بهم ذرياتهم) جماعة أيضا. وقرأ ابن كثير وحده (وما ألتناهم)

بفتح الالف وكسر اللام. الباقون - بفتح الالف واللام - وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا لغوا فيها ولا تأثيم) نصبا. الباقون بالرفع والتنوين. قال الزجاج: فمن رفع فعلى ضربين: أحدهما - على الابتداء و (فيها) الخبر، والثاني - أن تكون (لا) بمعنى ليس رافعة وانشد سيبويه:

من فرعن نيرانها \* فأنا ابن قيس لأبراح (١)

ومن نصب بنى كقوله (لا ريب فيه) (٢) والاختيار عند النحويين إذا كررت (لا) الرفع. والنصب جائز حسن.

يقول الله تعالى (والذين آمنوا) بالله وأقروا بتوحيده وصدقوا رسله (وأتبعتم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) من قرأ بالنون معناه، وألحقنا بهم ذرياتهم أي ألحق الله بهم ذرياتهم يعني حكم لهم بذلك. ومن قرأ (واتبعتم)

نسب الاتباع إلى الذرية. والمعنى إنهم آمنوا كما آمنوا، فمن جمعه فلا اختلاف اجناس الذرية، ومن وحد، فلانه يقع على القليل والكثير، وإنما قرأ أبو عمرو

---

(١) اللسان (برج) وسيبويه ١ / ٢٨ ، ٣٥٤ (٢) سورة ٢ البقرة آية ٢ (\*)

#### (٤٠٨)

(أتبعناهم) بالنون لقوله بعد ذلك (ألحقنا) وقال البلخي: معنى الآية إن ثواب الذرية إذا عملوا مثل أعمال الآباء يثابون مثل ثواب الآباء، لأن الثواب على قدر الأعمال. ولما قال (واتبعناهم ذرياتهم) بين أن ذلك يفعل بهم من غير أن ينقص من أجورهم، لئلا يتوهم انه يلحقهم نقص أجر. وقال الزجاج: معنى الآية إن الآباء إذا كانوا مؤمنين فكانت مراتب آبائهم في الجنة أعلا من مراتبهم ألحق الآباء بالآباء، ولم ينقص الآباء من أعمالهم، وكذلك إن كان أعمال الآباء انقص ألحق الآباء بالآباء. والاتباع إلحاق الثاني بالاول في معنى عليه الاول، لانه لو ألحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن إتباعا، وكان إلحاقا.

وإذا قيل: اتبعه بصره فهو الإدراك، وإذا قيل: تبعه فهو يصرف البصر بتصرفه.

وقوله (ألحقنا بهم ذرياتهم) قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: الحقوا الاولاد بالآباء إذا آمنوا من أجل إيمان الآباء. وفي رواية أخرى عن ابن عباس:

أن التابعين الحقوا بدرجة آبائهم، وإن قصرت أعمالهم تكرمه لأبائهم والاول هو الوجه. وإنما وجب بالإيمان إلحاق الذرية بهم مع أنهم قد يكون ليس لهم ذرية لانه إنما يستحق ذلك السرور على ما يصح ويجوز مع أنه إذا اتبع الذرية على ما أمر الله به استحق الجزاء فيه، فان أبطلته

الذرية عند البلوغ بسوء عمل، وفي سروره في أمر آخر كما أن أهل الجنة من سرورهم ما ينزل باعدائهم في النار، فلو عفى عنهم لوفوا سرورهم بأمر آخر. وقوله (وما ألتاهم) معناه ما نقصناهم يقال: ألتته يألته ألتا، وألاته يלתه إلاتة، ولاته يليته ثلاث لغات - ذكرها ابو عبيدة: إذا نقصه، فبين - عزوجل - أنه لا يجوز عليه نقصان شئ من جزاء عمله، لأنه لا يجوز عليه الظلم لا قليله ولا كثيره ولا صغيره ولا كبيره، وقال ابن عباس ومجاهد والربيع (وما ألتاهم) ما نقصناهم

=====

(٤٠٩)

قال الشاعر:

ابلع بني ثعل عني مغلظة \* جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا (١)  
وقوله (كل امرئ بما كسب رهين) أي كل إنسان يعامل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعة أثبت عليها وإن عمل معصية عوقب بها لا يؤاخذ احد بذنب غيره. والرهين والمرهون والمرتهن هو المحتبس على أمر يؤدي عنه بحسب ما يجب فيه، فلما كان كل مكلف محتسبا على عمله، فان صح له ادائه على الواجب فيه تخلص، وإلا هلك، فلماذا قال (كل امرئ بما كسب رهين).

قوله (وامدداهم بفاكهة) فالامداد هو الاتيان بالشئ بعد الشئ يقال: مد الجرح وأمد النهر، والفاكهة هي الثمار (ولحم مما يشتهون) أي وامدداهم ايضا بلحم من الجنس الذي يشتهونه.

وقوله (يتنازعون فيها كأسا) أي يتعاطون كأس الخمر، قال الاخطل: نازعتهم طيب الراح الشمول وقد \* صاح الدجاج وحانت وقعة الساري (٢)  
والكأس الاناء المملوء بالشراب، فان كان فارغا فلا يسمى كأسا - ذكره الفراء - وقوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) معناه لا يجري بينهم باطل ولا ما يلغى فيه ولا ما فيه أثم كما يجري في الدنيا عند شرب الخمر. وقوله (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) يعني في صفائه وبياضه وحسن منظره، والمكنون المصون. وقيل: ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة، بل لهم في ذلك لذة، لأنه ليس هناك دار محنة. وقوله (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا عن حاله، وما هو فيه من انواع النعيم فيسرون بذلك ويزداد فرحهم

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ١٥ (٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٦ والقرطبي ١٧ / ٦٨ (ج ٩ م ٥٢ من التبيان)

## (٤١٠)

وقيل: يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه في دار الدنيا مما استحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان بدلالة قوله (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين).

قوله تعالى:

(قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا ووقينا عذاب السموم (٢٧) إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم (٢٨) فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون (٢٩) أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (٣٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ نافع والكسائي (ندعوه أنه) بفتح الحزمة على تقدير أنه أو لانه. الباقون بكسر الهمزة على الاستئناف.

لما حكى الله تعالى ان اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض ويسأل بعضهم بعضا عن احوالهم ذكر ما يقولونه فانهم يقولون (إنا كنا) في دار الدنيا (في أهلنا مشفقين) أي خائفين رقيقي القلب، فالاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء، والشفقة نقيض الغلظة. واصله الضعف من قولهم: ثوب شفق أي ضعيف النسج رديئه، ومنه الشفق، وهو الحمرة التي تكون عند غروب الشمس إلى العشاء الآخرة، لانها حمرة ضعيفة. والاهل هو المختص بغيره من جهة ما هو اولى به، وكلما كان اولى به فهو احق بأنه أهله، فمن ذلك اهل الجنة وأهل النار. ومن ذلك اهل الجود والكرم، وفلان من اهل القرآن، ومن اهل العلم، ومن اهل الكوفة. ومن هذا قيل: لزوجة الرجل: أهله، لانها مختصة به من جهة هي اولى

## (٤١١)

به من غيره.

فقوله (في أهلنا مشفقين) اي من يختص به ممن هو اولى بنا.

وقوله (فمن الله علينا) فالمن القطع عن المكاره إلى المحاب، يقال: من على الاسير يمن منا إذا اطلقه واحسن اليه، وامتن عليه بصنيعه أي اقتطعه عن شكره بتذكير نعمته والمنية قاطعة عن تصرف الحي (وأجر غير ممنون) (١) أي غير مقطوع.

وقوله (ووقانا عذاب السموم) الوقا: منع الشيء من المخوف بما يحول بينه وبينه، ومنه الوقاية، ووقاه بقيه وقاء فهو واق، ووقاه توقية قال الراجز:

إذا الموقى مثل ما وقيت عذاب السموم فالسموم الحر الذي يدخل في مسام البدن بما يوجد أمه، ومنه ریح السموم، ومسام البدن الخروق الدقاق.

ثم قالوا (إنا كنا من قبل ندعوه) يعني في دار التكليف ندعوه (أنه هو البر الرحيم) أي ندعوه بهذا، فيمن فتح الهمزة، ومن كسرهما أراد إنا كنا ندعوه ونتضرع إليه، ثم ابتداءً فقال (إنه هو البر الرحيم) قال ابن عباس:

البر هو اللطيف وأصل الباب اللطف مع عظم الشأن، ومنه البر للطفها مع عظم النفع بها، ومنه البر لانه لطف النفع به مع عظم الشأن، ومنه البرية للطف مسالكها مع عظم شأنها، والبر بالكسر الفاره، والبر بر الوالدين، وقولهم: فلان لا يعرف هره من بره قيل في معناه ثلاثة اشياء:

احدها - لا يعرف السنور من الفاره.

الثاني - لا يعرف من يبره ممن يكرهه.

---

(١) سورة ٩٥ التين آية ٦ (\*)

=====

(٤١٢)

الثالث - لا يعرف دعاء الغنم وهو برها من سوقها.

ثم قال تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله) (فذكر) يا محمد أي اعظ هؤلاء المكلفين (فما أنت بنعمة ربك) قسم من الله تعالى بنعمته (بكاهن ولا مجنون) على ما يرمونك به. وقال البلخي: معناه ما أنت بنعمة الله عليك بكاهن، ولا يلزم ان يكون الله تعالى لم ينعم على الكاهن، لان الله تعالى قد عم على جميع خلقه بالنعم وإن كان ما انعم به على النبي اكثر، وقد مكن الله الكاهن وسائر الكفار من الايمان به، وذلك نعمة عليه. فالكاهن الذي يذكر انه يخبر عن الجن على طريق العزائم، والكهانة صنعة الكاهن، والكاهن الموهوم انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن والمجنون المؤلف بما يغطي على عقله حتى لا يدرك به في حال يقظة، وقد علموا أنه ليس بشاعر، كما علموا أنه ليس بمجنون، لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذب على أعدائهم.

ثم قال (أم) ومعناه بل (يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) قال مجاهد: ريب المنون حوادث الدهر. وقال ابن عباس وقتادة: الموت، والمنون المنية، وريبها الحوادث التي تريب عند مجيئها وقال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها \* سيهلك عنها بعلها وشحيح (١)



قوله تعالى:

(قل تربصوا فاني معكم من المتربصين (٣١) أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون  
(٣٢) أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون (٣٣) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين (٣٤) أم

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ١٧ (\*)

=====

(٤١٣)

خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون (٣٦) أم  
عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون (٣٧) أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان  
مبين (٣٨) أم له البنات ولكم البنون (٣٩) لم تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون (٤٠) عشرة  
آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا في النبي (صلى الله عليه وآله) أنه كاهن ومجنون، وأنه  
شاعر تتربص به ريب المنون أي نتوقع فيه حوادث الدهر والهلاك، قال الله تعالى لنبيه صلى  
الله عليه واهل (قل) لهم يا محمد (تربصوا فاني معكم من المتربصين) فالتربص هو الانتظار  
بالشئ إنقلاب حال إلى خلافها. والمعنى إنكم إن تربصتم بي حوادث الدهر والهلاك، فاني  
معكم من المنتظرين لمثل ذلك، فتربص الكفار بالنبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين قبائح،  
وتربص النبي والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن، وقوله (فتربصوا) وإن كان بصيغة  
الامر فالمراد به التهديد.

وقوله (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) على طريق الانكار عليهم ان هذا الذي يقولونه ويتربصون  
بك من الهلاك. أحلامهم أي عقولهم تأمرهم به، وتدعوهم اليه والاحلام جمع الحلم، وهو  
الامهال الذي يدعو إليه العقل والحكمة، فالله تعالى حلیم كريم، لانه يمهل العصاة بما تدعو اليه  
الحكمة، ويقال: هذه أحلام قريش أي عقولهم. ثم قال تعالى ليس الامر على ذلك (بل هم قوم  
طاغون) والطاغي هو الطالب للارتفاع بالظلم لمن كان من العباد، ومنه قوله (انا لما طغى  
الماء) (١) لانه

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ١١ (\*)

=====

(٤١٤)

طلب الارتفاع كطلب الظالم للعباد في الشدة، فحسن على جهة الاستعارة.

وقوله (أم يقولون تقوله) معناه بل يقولون أفتراه واخترعه وافتعله، لأن التقول لا يكون إلا كذبا، لأنه دخله معنى تكلف القول من غير حقيقة معنى يرجع اليه، وكذلك كل من تكلف أمرا من غير اقتضاء العقل أن له فعله فهو باطل. ثم قال (بل) هؤلاء الكفار (لا يصدقون) بنبوتك ولا بأن القرآن انزل من عند الله. والآية ينبغي ان تكون خاصة فيمن علم الله انه لا يؤمن. ثم قال على وجه التحدي لهم (فليأتوا بحديث مثله) يعني مثل القرآن وما يقاربه (إن كانوا صادقين) في انه شاعر وكاهن ومجنون وتقوله، لانه لا يتعذر عليهم مثله. وقيل المثل الذي وقع التحدي به هو ما كان مثله في أعلا طبقة البلاغة من الكلام الذي ليس بشعر. واعلا طبقات البلاغة كلام قد جمع خمسة أوجه:

تعديل الحروف في المخارج، وتعديل الحروف في التجانس وتشاكل المقاطع مما تقتضيه المعاني وتهذيب البيان بالايجاز في موضعه والاطناب في موضعه، والاستعارة في موضعها والحقيقة في موضعها. واجراء جميع ذلك في الحكم العقلية بالترغيب في ما ينبغي ان يرغب فيه. والترهيب مما ينبغي ان يرهب منه، والحجة التي يميز بها الحق من الباطل. والموعظة التي تليق للعمل بالحق.

وقوله (أم خلقوا من غير شئ) معناه أخلقوا من غير خالق (أم هم الخالقون) لنفوسهم فلا يأترون لا مرالله ولا ينتهون عما نهاهم عنه. وقيل: معنى (أخلقوا من غير شئ) أخلقوا لغير شئ أي أخلقوا باطلا لا لغرض. وقيل: المعنى أخلقوا من غير أب ولا أم فلا يهلكون، كما أن السموات والارض خلقتا من غير شئ، فاذا هم أضعف من السماء الذي خلق لامن شئ، فاذا كان ما خلق لامن شئ يهلك فما كان دونه بذلك أولى. وقوله (أم خلقوا السموات

=====

## (٤١٥)

والارض) واخترعوها فلذلك لا يقرون بالله أنه خالقهم. ثم قال تعالى (بل لا يوقنون) بان لهم إليها يستحق العبادة وحده ولا يقرون بانك نبي من جهة الله. وقوله (أم عندهم خزائن ربك) معناه عندهم خزائن نعمة ربك وخزائن الله مقدوراته، لانه يقدر من كل جنس على ما لا نهاية له فثبته ذلك بالخزائن التي تجمع اشياء مختلفة. والمعنى كأنه قال: عندهم خزائن رحمة ربك فقد أمنوا أن تجئ الامور على خلاف ما يحبون " أم هم المسيطرون " على الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم، فالمسيطر الملزم غيره امرا من الامور قهرا، وهو مأخوذ من السطر يقال: سيطر يسيطر سيطرة، وهو (فيعل) من السيطرة، ونظيره بيطر ببطرة.

وقيل: المسيطر الملك القاهر. وقيل: هو الجبار المتسلط، ومنه قوله " لست عليهم بمسيطر " (١) يقولون: سيطر علي أي اتخذني خولا، وقال ابو عبيدة: المسيطرون الارباب، والمسيطر والمبيقر والمبيطر والمهيمن والكميت اسماء جاءت مصغرة لا نظير لها. وقرأ قتادة " بمسيطر " بفتح الطاء، بمعنى لست عليهم بمسلط. وقرأ ابن كثير وابوعمر و ابن عامر والكسائي " المسيطرون " بالسين. الباقر بالصاد إلا ان حمزة يشم الصاد زايًا. وقوله " أم لهم سلم يستمعون فيه " فالسلم مرتقى إلى العلو من مشيد الدرجة مرتقى إلى علو من بناء مصمت. ويقال: جعلت فلانا سلما لحاجتي أي سببا. وقال ابن مقبل:

لا يحرز المروء احجاء البلاد ولا \* تبنى له في السموات السلايم (٢)  
فكأنه قيل أم يستمعون الوحي من السماء، فقد وثقوا بما هو عليه وردوا

(١) سورة ٨٨ الغاشية آية ٢٢ (٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٩ ومجاز القرآن ٢ / ٢٣٤ (\*)

=====

(٤١٦)

ماسواه " فليأت مستمعهم بسطان مبين " أي بحجه يظهر صحة قولهم. والاستماع الاصغاء إلى الصوت، وإنما قيل لهم ذلك، لان كل من ادعى ما لم يعلم ببداهة العقول فعليه إقامة الحجة.

وقوله " ألّه البنات ولكم البنون " معناه ألكم البنون والله البنات، فصاحب البنين أعلى كلمة من صاحب البنات، وهذا غاية التجهيل لهم والفضيحة عليهم. وقيل: لو جاز اتخاذ الاولاد عليه لم يكن يختار على البنين البنات فدل بذلك على افراط جهلهم في ما وصفوا الله تعالى به من اتخاذ الملائكة بنات.

وقوله " أم تسألهم اجرا " أي ثوابا على اداء الرسالة اليهم بدعائك إياهم إلى الله " فهم من مغرم مثقلون " فالمغرم إلزام الغرم - في المال - على طريق الابدال، والمغرم انفاق المال من غير إبدال. واصله المطالبة بالحاح فمنه الغريم، لانه يطالب بالدين بالحاح، ومنه " ان عذابها كان غراما " (١) أي ملحا دائما.

والمغرم لانه يلزم من جهة المطالبة بالحاح لا يمكن دفعه. والمتقل المحمول عليه ما يشق حمله لتقله.

قوله تعالى:

أم عندهم الغيب فهم يكتبون (٤١) أم يريدون كيذا فالذين كفروا هم المكيدون (٤٢) أم لم إليه غير الله سبحانه الله عما يشركون (٤٣) وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم (٤٤) فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٥ (\*)

=====

(٤١٧)

يصعقون (٤٥) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون (٤٦)  
وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٧)  
واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم (٤٨) ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) (٤٩) تسع آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم وابن عامر (يصعقون) بضم الياء - على ما لم يسم فاعله - الباقون بفتح الياء على اضافة الفعل اليهم، وهما لغتان. يقال: صعق فلان فهو مصعوق وصعق فهو صاعق. وروي عن عاصم أيضا " يصعقون " بضم الياء وكسر العين بمعنى يحصلون في الصاعقة. وقيل: الصعق الهلاك بصيحة تصدع القلب. وقيل:

الصعق عند النفخة الاولى. قال قوم: إن قوله " أم عندهم الغيب فهم يكتبون " جواب لقولهم ان ان امر الآخرة على ما تدعون حقا فلنا الجنة كقولهم " ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى " (١) ذكره الحسن. والغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو مالم يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة. والله تعالى عالم به، لانه يعلمه لنفسه، والعالم لنفسه لا يخفى عليه شئ من وجهه من الوجوه.

وقوله " أم يريدون كيذا فالذين كفروا هم المكيدون " فالكيد هو المكر. وقيل: هو فعل ما يوجب الغيظ في خفي يقال: كاده يكيد كيدا، فهو كائد، والمفعول مكيد وكايد مكايذة مثل غايذة مغايذة. والكيد من الله هو التدبير الذي

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٥٠ ج ٩ م ٥٣ من التبيان

(\*)

=====

(٤١٨)

يدبره لاوليائه على اعدائه ليقهروهم ويستعلوا عليهم بالقتل والاسر. وقال الزجاج: معناه أيريدون بكفرهم وطغيانهم كيدا، فالله تعالى يكيدهم بالعذاب في الدنيا والآخرة. وقوله " أم لهم إله غير الله " أي على حقيقة معنى الالهية وهو القادر على ما تحقق به العبادة فلذلك عبوده؟! فانهم لا يقدرّون على دعوى ذلك. ثم نزه نفسه فقال " سبحان الله عما يشركون " من ادعاء آلهة معه من الاصنام والاوثان.

وقوله " وإن يروا كسفا من السماء ساقطا " فالكسف جمع كسفة كقولك:

سدر وسدرة، وهو جواب قولهم " او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا " (١)

فقال الله تعالى لو سقط عليهم ما آمنوا وقالوا (سحاب مركوم) والكسف القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس. والكسف من السماء القطعة منها. والسحاب الغيم سمي بذلك لا نسحابة في السماء، والمركوم الموضوع بعضه على بعض. وكل الامور المذكورة بعد (أم) إلزامات لعبدة الاوثان على مخالفة القرآن، ثم قال تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله) " فذرهم " أي اتركهم " حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون " أي يهلكون فيه بوقوع الصاعقة عليهم. وقيل: الصعقة هي النفخة الاولى التي يهلك عندها جميع الخلائق، ثم وصف ذلك اليوم بأن قال " يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا " أي لا ينفعهم كيدهم وحيلتهم ولا تدفع عنهم شيئا، لان جميعه يبطل " وهم لا ينصرون " بالدفاع عنهم. والفرق بين الغنى بالشئ والغنى عنه أن الغنى عنه يوجب أن وجوده وعدمه سواء في أن الموصوف غني، وليس كذلك الغنى به، لانه يبطل ان يكون الموصوف غنيا. والغنى هو الحي الذي ليس بمحتاج، وليس بهذه الصفة إلا الله تعالى. ومعنى " لا يغني عنهم " أي لا يصرف عنهم شيئا من

---

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٩٢ (\*)

=====

(٤١٩)

الضرر الذي يقع إلى نفع يصير بمنزلة الغنى لهم.

وقوله " وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك " قال ابن عباس: هو عذاب القبر، وبه قال البراء وقال مجاهد: هو الجوع في الدنيا. وقال ابن زيد: هو مصائب الدنيا. وقال قوم: هو عموم جميع ذلك.

ثم قال " ولكن اكثرهم لا يعلمون " ومعناه إن اكثر هؤلاء الكفار لا يعلمون صحة ما أمرناهم وأمرناك به لجدتهم نبوتك.

ثم قال تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله) " واصبر " يا محمد " لحكم ربك " الذي حكم به وألزمك التسليم له " فانك باعيننا " أي بمرئى منا ندرتك، ولا يخفى علينا شئ من أمرك، نحفظك لئلا يصلوا إلى شئ من مكروهك. وأمره بالنتزيه له عما لا يليق به فقال " وسبح محمد ربك حين تقوم " قال ابوالاحوص: معناه حين تقوم من نومك. وقال الضحاك: معناه إذا قمت إلى الصلاة المفروضة، فقل سبحانك اللهم وبحمدك. وقال ابن زيد: معناه صل بحمد ربك حين تقوم من نوم القائلة إلى صلاة الظهر. ثم قال " ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم " معناه من الليل يعني من المغرب والعشاء الآخرة " وإدبار النجوم " قال الضحاك وابن زيد: هو صلاة الفجر قال ابن عباس وقتادة. هما الركعتان قبل صلاة الفجر، وقال الحسن: هما الركعتان قبل صلاة الفجر تطوعا، والنجوم هي الكواكب واحدها نجم، ويقال: نجم النبت ونجم القرن والسن إلا انه إذا اطلق أفاد الكواكب. وقرأ " وإدبار النجوم " بفتح الهمزة زيد عن يعقوب على انه جمع. الباقر - بكسرها - على المصدر.

=====

(٤٢٠)

٥٣ - سورة النجم هي مكية، وهي اثنتان وستون آية في الكوفي وستون في البصري والمدنيين.

بسم الله الرحمن الرحيم (والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤) علمه شديد القوى (٥) ذومرة فاستوى (٦) وهو بالافق الاعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى) (١٠) عشر آيات بلا خلاف.

قوله " والنجم " قسم من الله تعالى. وقد بينا أن الله تعالى له أن يقسم بما يشاء من خلقه، وليس للعباد أن يحلفوا إلا به. وقال قوم: معناه ورب النجم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وفي معنى " النجم " ههنا ثلاثة أقوال:

أحدها - قال مجاهد: المراد به الثريا إذا سقطت مع الفجر.

الثاني - في رواية أخرى عن مجاهد أن المراد به القرآن إذا نزل.

الثالث - قال الحسن: معناه جماعة النجوم. " إذا هوى " أي إذا سقط يوم

=====

(٤٢١)

القيامة كقوله - عز وجل - " وإذا الكواكب انتثرت " (١) وقيل: النجم على طريق الجنس، كما قال الراعي:

وباتت تعد النجم في مستحيرة \* سريع بأيدي الآكلين جمودها (٢)

(مستحيرة) شحمة مذابة صافية في إهالة، لأنها من شحم سمين.

وقوله " إذا هوى " قيل: معناه إذا هوى للمغيب ودل على ما فيه من العبرة بتصريف من يملك طلوعه وغروبه، ولا يملك ذلك إلا الله تعالى. وقيل:

كان القرآن ينزل نجوما، وبين أول نزوله وآخره عشرون سنة - ذكره الفراء وغيره - والنجم هو الخارج عن الشئ بخروج المنتشئ عنه. والهوى ميل الطباع إلى ما فيه الاستمتاع، وهو مقصور وجمعه أهواء، والهواء الذي هو الجو ممدود وجمعه أهوية.

وقوله " ما ضل صاحبكم " يعني النبي (صلى الله عليه وآله) ما ضل عن الحق " وما غوى " أي وما خاب عن إصابة الرشد، يقال: غوى يغوي غيا إذا خاب، وقال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره \* ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (٣)

أي من يخب " وما ينطق عن الهوى " أي ليس ينطق عن الهوى أي بالهوى، يقال: رميت بالقوس وعن القوس. والمعنى إنه لا يتكلم في القرآن وما يؤديه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع " إن هو إلا وحي يوحى " معناه ليس الذي يتلوه عليكم من القرآن إلا وحي أوحاه الله إليه، فالوحي القاء المعنى إلى النفس في خفى إلا أنه صار كالعلم في ما يلقيه الملك إلا النبي (صلى الله عليه وآله) من البشر

---

(١) سورة ٨٢ الانفطار آية ٢ (٢) مجاز القرآن ٢ / ٢٣٥ واللسان (نجم)

(٣) مر في ٨ / ٣٦، ٤٩٣ وهو في القرطبي ١٧ / ٨٤ (\*)

=====

## (٤٢٢)

عن الله تعالى، ومنه قوله " فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعيشا " (١) وقوله " وأوحى ربك إلى النحل " (٢) أي ألهمها مرادها، وهو راجع إلى ما قلناه من إلقاء المعنى إلى النفس في خفى.

وقوله " علمه شديد القوى " في نفسه وعلمه. والقوة هي القدرة. وقد تستعمل القوة بمعنى الشدة التي هي صلابة العقد كقوى الحبل.

وقوله " ذو مرة " صفة لجبرائيل (عليه السلام) أي صاحب مرة، وهي القوة.

واصل المرة شدة الفتل، وهو ظاهر في الحبل الذي يستمر به الفتل حتى ينتهي إلى ما يصعب به الحل. ثم تجري المرة على القدرة، لأنه يتمكن بها من الفعل، كما يتمكن من الفعل بالآلة، فالمرة والقوة والشدة نظائر. وقوله " فاستوى " معناه استولى بعظم القوة، فكأنه استوت له الامور بالقوة على التدبير. ومنه قوله " استوى على العرش " (٣) أي استولى عليه بالسلطان والقهر. وقال ابن عباس وقتادة: معنى " ذو مرة " ذو صحة بخلق حسن. وقال مجاهد وسفيان وابن زيد والربيع: ذو قوة، وهو جبرائيل. والمرة واحدة المرر، ومنه قوله (عليه السلام) (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي) وقيل " فاستوى " جبرائيل ومحمد (عليهما السلام) " بالافق الاعلى " أي سماء الدنيا عند المعراج. وقيل في " هو " قولان: احدهما - انه مبتدأ وخبره في موضع الحال، وتقديره ذو مرة فاستوى في حال كونه بالافق الاعلى.

الثاني - إنه معطوف على الضمير في (استوى) وحسن ذلك كي لا يتكرر

---

(١) سورة ١٩ مريم آية ١٠ (٢) سورة ١٦ النحل آية ٦٨ (٣) سورة ٧ الاعراف آية ٥٣ وسورة ١٠ يونس آية ٣ وسورة ١٣ الرعد آية ٢ وسورة ٢٥ الفرقان ٥٩ وسورة ٣٢ الم السجدة آية ٤ وسورة ٥٧ الحديد آية ٤ (\*)

=====

(٤٢٣)

(هو) وانشد الفراء:

ألم تر ان النبع تصلب عوده \* ولا يستوي والخروج المتقصف (١)  
وقال الزجاج: لا يجوز عطف (هو) على الضمير من غير تأكيد إلا في الشعر وقال تعالى " أنذا كنا ترابا وأبأؤنا " (٢) فرد الآباء على المضمرة. وقال الربيع:  
واستوى يعني جبرائيل (عليه السلام) (وهو) كناية عنه على هذا. وفي الوجه الاول (هو) كناية عن النبي (صلى الله عليه وآله). وقال قتادة: الافق الاعلى الذي يأتي منه النهار.  
وقيل: هو مطلع الشمس " شديد القوى " في أمر الله " ذو مرة " أي ذو قوة في جسمه. وقيل: فاستوى جبرائيل على صورته التي خلقه الله، لأن جبرائيل كان يظهر قبل ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله) في صورة رجل.

وقوله " ثم دنا فتدلى " قال الحسن وقتادة والربيع: يعني جبرائيل (عليه السلام) وفيه تقديم وتأخير والتقدير ثم تدلى فدنا. وقال الزجاج: معنى دنا وتدلى واحد، لأن المعنى إنه قرب وتدلى زاد في القرب، كما يقال: دنا فلان وقرب. والمعنى ثم دنا جبرائيل إلى محمد (صلى الله عليه وآله)، فتدلى اليه من السماء " فكان قاب قوسين أو أدنى " معناه كان بينه وبين جبرائيل مقدار قاب



قوسين من القسي العربية أو أقرب بل أقرب منه. وقيل: معنى (او) في الآية معنى (الواو) كقوله " وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون " (٣) ومعناه ويزيدون. وقيل: إنه رأى جبرائيل **(عليه السلام)** في صورته له ستمائة جناح - في قول ابن مسعود - ومعنى " قاب قوسين " قدر الوتر من القوس مرتين " أو أدنى " منه وأقرب. وقوله " فأوحى إلى عبده ما أوحى " قيل أوحى جبرائيل إلى عبدالله محمد

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ٢٣ والقرطبي ١٧ / ٨٥ (٢) سورة ٢٧ النحل آية ٦٧ (٣) سورة ٣٧ الصافات آية ١٤٧  
(\*)

=====

(٤٢٤)

ما أوحى. وقيل أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى. ويحتمل ان تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر والتقدير فأوحى إلى عبده وحيا. ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وتقديره فأوحى إلى عبده الذي أوحى اليه. والمعنى أوحى جبرائيل إلى محمد ما أوحى اليه ربه - وهو قول ابن زيد - وقوله " ما كذب الفؤاد ما رأى " قال ابن عباس رأى ربه بقلبه وهو معنى قوله " علمه " وإنما علم ذلك بالآيات التي رآها. وقال ابن مسعود وعائشة وقتادة: رأى محمد جبرائيل على صورته. وقال الحسن: يعني ما رأى من مقدرات الله تعالى وملكوته. وقال الحسن: عرج بروح محمد **(صلى الله عليه وآله)** إلى السماء وجسده في الأرض. وقال أكثر المفسرين - وهو الظاهر من مذهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم - أن الله تعالى صعد بجسمه حيا سليما حتى رأى - ملكوت السموات وما ذكره الله - بعيني رأسه، ولم يكن ذلك في المنام بل كان في اليقظة. وقد بيناه في سورة بني إسرائيل. قوله تعالى:

(ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على ما يرى (١٢)  
ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) أفرايتم اللات والعزى (١٩) ومنوة الثالثة الاخرى) (٢٠) عشر آيات بلا خلاف.  
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما ويعقوب " افتمرونه " بمعنى افتجدونه، وهو

=====

(٤٢٥)

قول إبراهيم. وقرأ الباقر " افتمارونه " بمعنى افتجادلونه في انه رأى ربه بقلبه أو آيات الله ومعجزاته. وقرأ ابن عامر - في رواية هشام - وأبي جعفر " ما كذب " مشددة الدال الباقر بالتخفيف. وقرأ ابن كثير والاعشى إلا ابن غالب " ومناة " مهموزة ممدودة. الباقر " ومناة " مقصورة، وهما لغتان.

يقول الله تعالى إنه لم يكذب فواد محمد ما رآه بعينه يعني لم يكذب محمد بذلك بل صدق به والفؤاد القلب. وقال ابن عباس: يعني ما رأى بقلبه. وقال الحسن: إنه رأى ربه بقلبه. وهذا يرجع إلى معنى العلم. ومعنى " ما كذب الفؤاد " أي ما توهم أنه يرى شيئاً وهو لا يراه من جهة تخيله لمعناه، كالرائي للسراب بتوهمه ماء ويرى الماء من بعيد فيتوهمه سرايا. ومن شدد أراد لم يكذب فؤاد محمد ما رأت عيناه من الآيات الباهرات فعداه. ومن خفف فلان في العرب من يعدي هذه اللفظة مخففة، فيقولون صدقني زيد وكذبني خفيفاً، وصدقني وكذبني ثقيلًا وانشد:

وكذبتي وصدقتي \* والمرؤ ينفعه كذابه (١)

والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام أن رؤية الشيء في اليقظة إدراكه بالبصر على الحقيقة، ورؤيته في المنام لصورة في القلب على توهم الإدراك بحاسة البصر من غير ان يكون كذلك.

وقوله " افتمارونه " فمن قرأ " افتمرونه " أراد أفتجدونه. ومن قرأ " أفتمارونه " أراد أفتجادلونه وتخاصمونه مأخوذ من المراء وهو المجادلة (على ما يرى) يعني على الشيء الذي يراه.

---

(١) مر في ٨ / ٣٩٠ (ج ٩ م ٥٤ من التبيان)

(\*)

=====

### (٤٢٦)

وقوله (ولقد رآه نزلة أخرى) قال عبدالله بن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع: رأى محمد (صلى الله عليه وآله) جبرائيل (عليه السلام) دفعة أخرى. وروي أنه رآه في صورته التي خلقه الله عليها مرتين. وقوله (عند سدره المنتهى) قيل: هي شجرة النبق وقيل لها: سدرة المنتهى في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء - في قول ابن مسعود والضحاك - وقيل: لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء. وقوله (عندها جنة المأوى) معناه عند سدرة المنتهى جنة

المقام وهي جنة الخلد، وهي في السماء السابعة. وقيل: إنه يجتمع إليها أرواح الشهداء. وقال الحسن: جنة المأوى هي التي يصير إليها أهل الجنة.

وقوله (إذ يغشى السدره ما يغشى) معناه يغشى السدره من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الابصار ما ليس لوصفه منتهى. وقال ابن مسعود ومجاهد - وروي ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه غشى السدره فراش الذهب. وقال الربيع: غشيتها من النور نور الملائكة. وقوله (ما يغشى) أبلغ لفظ في هذا المعنى والغشيان لباس الشئ مما يعمه، يقال غشيه يغشاه غشيانا.

وقوله " ما زاغ البصر " اي ما ذهب عن الحق المطلوب، والزيغ الذهاب عن الحق المطلوب، يقال: زاغ بصره وقلبه يزيغ زيغا، ومنه قوله " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " (١) ومنه قوله " فلما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه " (٢) والزيغ الميل عن الحق " وما طغى " معناه ما طغى البصر أي ما ذهب يمينا وشمالا. وقيل: ما ارتفع كارتفاع الظالم عن الحق لمن يريده، والطاغي الذي لا يلوي على شئ. والطغيان طلب الارتفاع بظلم العباد: طغى يطغي طغيانا.

والطاغي والباغي نظائر. وهم الطغاة والبلغاة، والمعنى ما زاغ بصر محمد وما طغى

---

(١) سورة ٦١ الصف آية ٥ (٢) سورة ٣ آل عمران آية ٧ (\*)

=====

(٤٢٧)

أي ما جاوز القصد ولا عدل في رؤية جبرائيل، وقد ملا الافق. وقوله " لقد رأى من آيات ربه الكبرى " قسم من الله تعالى ان النبي (صلى الله عليه وآله) رأى من آيات الله ودلائله أكبرها جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل: إنه يجتمع فيها أرواح الشهداء وهي الكبرى التي تصغر عندها الآيات في معنى صفتها. والاكبر هو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته. وقيل رأى رفرفا أخضر من رفراف الجنة قد سد الافق - في قول ابن مسعود -.

وقوله (أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) اسماء أصنام كانت العرب تعبدها، والعزى كانت تعبدها غطفان، وهي شجرة سمرة عظيمة، واللات صنم كانت تقيف تعبدها، ومناة كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها فليل لهم: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله، فوبخهم الله تعالى فقال

(أفرايتم) هذه (اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله هل لها من هذه الآيات والصفات شئ.  
قوله تعالى:

(الكم الذكر وله الانثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢)

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣) أم للانسان ما تمنى (٢٤) فله الآخرة والاولى) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

=====

(٤٢٨)

قرأ أهل مكة (ضئزى) مهموز إلا ابن فليح. الباقر بلا همز.

يقول الله تعالى على وجه الإنكار على كفار قريش الذين أضافوا إلى الله تعالى الملائكة بأنهم بنات الله، فقال لهم: كيف يكون ذلك وانتم لو خيرتم لا خترتم الذكر على الانثى، فكيف تضيفون إليه تعالى ما لا ترضون لانفسكم، فقد أخطأتم في ذلك من وجهين: احدهما - أنكم أضفتم اليه ما يستحيل عليه ولا يليق به، فهو قسم فاسد غير جائز. الثاني - أنكم أضفتم اليه ما لا ترضون لانفسكم، فكيف

ترضونه لله تعالى. وقيل: إنما فضل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح لما لا تصلح له الانثى. وينتفع به في ما لا ينتفع فيه بالانثى، ولهذا لم يبعث الله نبيا من الاناث.

وقوله (تلك إذا قسمة ضيزى) أي تلك قسمة فاسدة غير جائزة بأن تجعلوا لانفسكم الافضل ولربكم الادون، ولو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الادون على الافضل، كما قال (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لا صطفى مما يخلق ما يشاء) (١) فهذا على تقدير الجواز لا على صحة الجواز. والضيعة الجائرة الفاسدة ووزنه (فعلى) إلا أنه كسر أوله لتصح الياء من قبل انه ليس في كلام العرب (فعلى) صفة، وصفة (فعلى) نحو (حبلى) يحمل على ماله نظير. وأما الاسم فانه يجيئ على (فعلى) كقوله (فان الذكرى) (٢) وتقول العرب ضزته حقه أضيژه وضأزته - لغتان - إذا أنقضته حقه ومنعته، ومنهم من يقول: ضزته - بضم الضاد - أضوزه، وانشد ابو عبيدة والاخفش:

فان تتأعنا ننتقصك وان تغب \* فسهمك مضوز وانفك راغم (٣)

ومنهم من يقول: ضيزى - بفتح الضاد - ومنه من يقول - ضأزى بالفتح

=====

### (٤٢٩)

والهمز، ومنهم من يقول: ضؤزى - بضم الضاد والهمزة - وقال ابن عباس وقتادة (قسمه  
ضيؤزى) جائرة. وقال سفيان: منقوصة.

ثم قال ان تسميتكم لهذه الاصنام بأنها آلهة وللملائكة بأنها بنات الله (ماهي إلا اسماء سميتوها  
أنتم واباؤكم) بذلك (ما أنزل الله بها من سلطان) يعني من حجة ولا برهان إن يتبعون أي ليس  
يتبعون في ذلك (إلا الظن) الذي ليس بعلم (وما تهوى الانفس) أي وما تميل اليه نفوسكم (ولقد  
جاءهم من ربهم الهدى) عدل عن خطابهم إلى الاخبار عنهم بأنهم قد جاءهم الهدى يعني  
الدلالة على الحق.

وقوله (أم للانسان ما تمنى) قيل معناه: بل لمحمد (صلى الله عليه وآله) ما تمنى من النبوة  
والكرامة. وقيل التقدير للانسان ما تمنى؟! من غير جزاء. لا: ليس الامر كذلك، (فقاله  
الآخرة والاولى) يعطي من يشاء ويمنع من يشاء. وقال الجبائي معناه ليس للانسان ما تمنى  
من نعيم الآخرة ونعيم الدنيا، وإنما المالك لذلك الله تعالى المالك للسموات والارض، لا يعطي  
الكفار ما يتمنونه، وإنما يعطي الثواب من يستحقه.  
قوله تعالى:

(وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى  
(٢٦) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملئكة تسمية الانثى (٢٧) وما لهم به من علم إن  
يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً (٢٨)

=====

### (٤٣٠)

فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا (٢٩)

ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) (٣٠)  
خمس آيات كوفي وأربع في ما عداه، عد الشاميون (فأعرض عن من تولى) ولم يعده الباقون.  
وعد الكوفيون (من الحق شيئاً) ولم يعده الباقون وعد الكل (الحياة الدنيا) إلا الشاميون، فإنهم  
عدوا آخر الآية (اهتدى).

يقول الله تعالى مخبراً بان كثيراً من ملائكة السموات (لا تغني شفاعتهم) أي لا تتفع شفاعتهم  
في غيرهم باسقاط العقاب عنهم (شيئاً إلا من بعد أن باذن الله لمن يشاء)

ان يشفعوا فيه ويطلق لهم ذلك (ويرضى) ذلك، وقيل: إن الغرض بذلك الإنكار على عبدة الاوثان وقولهم: إنها تشفع لان الملك إذا لم تغن شفاعته شيئاً فشفاعة من دونه أبعد من ذلك. وفي ذلك التحذير من الاتكال على الشفاعة، لانه إذا لم يغن شفاعاة الملائكة كان شفاعاة غيرهم أبعد من ذلك. ولا ينافي ما نذهب اليه من أن النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة والمؤمنين يشفعون في كثير من أصحاب المعاصي، فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لان هؤلاء - عندنا - لا يشفعون إلا باذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن لا يشفعوا فيه فالزجر واقع موقعه. ثم أخبر الله تعالى (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب (يسمون الملائكة تسمية الانثى) قال الحسن كانوا يسمون الملائكة بنات الله. ثم قال (ومالهم به من علم) أي بما يقولونه ويسمونه (من علم) أي ليسوا عالمين بذلك (إن يتبعون إلا الظن) أي ليس يتبعون في قولهم ذلك إلا الظن الذي يجوز أن يخطئ ويصيب، وليس معهم شئ من العلم.

=====

(٤٣١)

وقوله (إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) معناه إن الظن لا يغني من العلم لانه لا بد من علم يحسن الفعل حتى يجوز أن يفعل، وإن كان الظن في بعض الاشياء علامة للحسن، فما أغنى عن العلم.

ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله) (فاعرض) يا محمد (عن تولى عن ذكرنا) ولم يقر بتوحيدنا وجدد نبوتك ومال إلى الدنيا ومنافعها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) والتمتع فيها أي لا تقابلهم على أفعالهم واحتملهم، ولم ينهه عن تذكيرهم ووعظهم. ثم قال (ذلك مبلغهم من العلم) ومعناه إن علمهم انتهى إلى نفع الدنيا دون نفع الآخرة، وهو صغير حقير في نفع الآخرة، فطلبوا هذا وتركوا ذلك جهلاً به.

ثم قال (إن ربك) يا محمد (هو أعلم) منك ومن جميع الخلق (بمن ضل عن سبيله) أي بمن جار وعدل عن طريق الحق الذي هو سبيله (وهو أعلم بمن اهتدى) اليها فيجازي كل واحد على حسب ذلك إن عملوا طاعة أثابهم عليها وإن عملوا معصية عاقبهم عليها. قوله تعالى:

(ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (٣١) الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٣٢) أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلاً وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب

=====

(٤٣٢)

فهو يرى) (٣٥) خمس آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصما (كبير الاثم) على لفظ الواحد. الباقون بلفظ الجمع (كبائر) وقد بيناه في سورة (حم عسق).

هذا اخبار من الله بأن له ملك (ما في السموات) وملك (ما في الارض)

من جميع الاجناس بالحق (ليجزى الذين اسوأ) أي يعاقبهم (بما عملوا)

من المعاصي (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) أي يثيبهم على طاعاتهم بنعيم الجنة والخلود

فيها. ثم وصف الذين احسنوا فقال هم (الذين يجتنبون كبائر الاثم) أي عظام الذنوب

(والفواحش). والمعاصي - عندنا - كلها كبائر غير ان بعضها اكبر من بعض، فقد تكون

المعصية كبيرة بالاضافة إلى مادونها، وقد تكون صغيرة بالاضافة إلى ما هو اكبر منها.

والفواحش جمع فاحشة وهي أفبح الذنوب وأفحشها، والاساءة مضره يستحق بها الذم، ولا

يستحق الذم إلا مسيء، وذنم من ليس بمسئ قبيح، كذم المحسن بالقبيح، والاحسان فعل ما هو

نفع في نفسه أو هو سبب للنفع ليستحق به الحمد، ولا يستحق الحمد إلا محسن. والكبير من

الذنوب هو الذي يعظم به الزجر إلى حد لا يكفره إلا التوبة منه - عند من لم يحسن إسقاط

العقاب تفضلا - والصغير هو الذي يخف فيه الزجر إلى حد يصح تكفيره من غير توبة -

عند من قال بالصغائر - وقوله (إلا اللمم) قال قوم: هو الهم بالمعصية من جهة مقاربتها في

حديث النفس بها من غير مواقعتها ولا عزم عليها، لان العزم على الكبير كبيرة.

ولكن يقرب من مكانها لشهوته لها غير عازم عليها. وقال قوم (إلا اللمم) استثناء منقطع، لانه

ليس من الكبائر ولا الفواحش، كما قال الشاعر:

وبلدة ليس بها أنيس \* إلا اليعافير وإلا العيس (١)

---

(١) مرفي ١ / ١٥١ و ٣ / ٣٢٧ و ٥ / ٤٩٨ و ٧ / ٥٠١ (\*)

=====

(٤٣٣)

واليعفور من الطباء الاحمر والاعيس الابيض. وقيل (اللمم) مقارنة الشئ من غير دخول فيه،

يقال: ألم بالشئ يلم إماما إذا قاربه. وقيل (اللمم)

الصغير من الذنوب، كما قال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (١)

ذهب اليه ابن عباس وابن مسعود. وقيل (اللمم) اتيان الشئ من غير اقامة عليه قال الحسن: هو إصابة الفاحشة من غير إقامة للمبادرة بالتوبة.

ثم أخبر عن نفسه تعالى بأنه واسع المغفرة للمذنبين بقوله (إن ربك) يامحمد (واسع المغفرة هم اعلم بكم إذ أنشأكم من الارض) يعني أنشأ أبائكم آدم من أديم الارض. وقال البلخي: يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق، من حيث خلقهم الله تعالى من الطبائع الاربعه على حسب ما أجرى العادة من خلق الاشياء عند ضرب من تركيبها، وخلق الحيوان عند تناول أغذية مخصوصة خلقها الله من الارض، فكأنه تعالى أنشأهم منها. وقوله (وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) أي هو أعلم بكم في هذه الاحوال كلها لم يخف عليه من أحوالكم شئ منها.

ثم نهاهم تعالى فقال (فلا تزكوا أنفسكم) أي لا تعظموها ولا تمدخوها بما ليس لها، فاني أعلم بها (هو اعلم بمن اتقى) معاصيه وفعل طاعاته والفرق بينه وبين من خالفه. وقال قوم: نهاهم أن يزكوا انفسهم بفعل الواجبات، وفعل المندوبات، وترك القبائح لانه اقرب إلى النسك والخشوع. والاجنة جمع جنين.

وهو الدفين في الشئ قال الحارث:

ولا شمطاء لم تترك شفاها \* لها من تسعة إلا جنينا (٢)

---

(١) سورة ٤ النساء آية ٣٠ (٢) اللسان (جنن)

(ج ٩ م ٥٥ من التبيان)

(\*)

=====

(٤٣٤)

أي إلا دفينا في قبره، ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله) (أفرايت الذي تولى وأعطى قليلا واكدي) قال مجاهد: نزلت في الوليد ابن المغيرة وكان أعطى قليلا من ماله لمن يتحمل عنه العذاب في الآخرة. ثم منع ما ضمن له. وقيل: إن (الذي أعطى قليلا واكدي) هو المنافق الذي يعطي قليلا في المعونة على الجهاد ثم يمنع وقال ابن عباس ومجاهد: معنى (واكدي) قطع العطاء، كما يقطع البئر الماء واشتقاق (اكدي) من كدية الركبة، وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر إليها يئس من الماء، فيقول بلغنا كديتها أي صلابتها التي تويئس من الماء، يقال: اكدي يكدي إكداء إذا منع الخير، وكديت اظفاره إذا غلظت، وكديت أصابعه إذا كلت، فلم تعمل شيئا، وكدي النبت إذا قل ريعه، والاصل واحد. وقيل:



الكديّة صخرة يبلغ إليها حافر البئر فلا يمكنه الحفر .  
وقوله (اعنده علم الغيب فهوى يرى) إنكار على من ذكره، وهو الذي تولى واعطى قليلا من  
ماله ليتحمل عنه خطأه، فقال (اعنده علم الغيب فهوى يرى)  
أي يعلم صدق الذي وعده ليتحمل خطاياها؟ ! قوله تعالى:  
(أم لم ينبأ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم الذي وفى (٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى  
(٣٨) وأن ليس للانسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزيه الجزاء  
الافى (٤١) وأن إلى ربك المنتهى (٤٢) وأنه هو أضحك وبكى (٤٣) وأنه هو أمات وأحيا  
(٤٤) وأنه خلق الزوجين الذكر

### (٤٣٥)

والانثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى) (٤٦) احدى عشرة آية بلا خلاف.  
لما وبخ الله تعالى الذي أعطى قليلا واكدى، وبين أنه ليس عنده علم الغيب فيصدق من قال إنه  
يتحمل خطاياها، بين ان الذى وعده بذلك (أم لم ينبأ) أى لم يخبر بما في صحف الانبياء ولم  
يعلم ذلك ف (أم) بمعنى (بل) وتقديره بل لم ينبأ بما في صحف موسى والصحف جمع صحيفة  
والمراد - ههنا - مكتوب الحكمة، لانها كتب الله.  
وقوله (وابراهيم) أى ولا في صحف ابراهيم (الذى وفى) أى وفى بما يجب عليه الله -  
عزوجل - واستحق أن يمدح بهذا المدح. وقال مجاهد (وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة  
وزر اخرى) وقيل في رسالة ربه في هذا أو في غيره - ذكره سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد  
- وهو أليق بالعموم. وقوله (الذى وفى) قيل: استحق المدح بذبح ولده وإلقائه في النار وتكذيبه  
في الدعاء إلى الله فوفى ما عليه في جميع ذلك. وقوله (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي بين  
الله تعالى في صحف ابراهيم وموسى أن لا تزر وازرة وزر أخرى، ومعناه أنه لا يؤخذ احد  
بذنب غيره، يقال: وزر يزر إذا كسب وزرا، وهو الاثم، فهو وازر.  
وقوله (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) معناه ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمل دون ما  
عمله غيره، ومتى دعا إلى الايمان من أجاب اليه فهو محمود عليه على طريق التبع كأنه من  
أجل عمله صار له الحمد على هذا، ولو لم يعمل شيئا ما استحق شيئا لا ثوابا ولا عقابا.  
وقوله (وأن سعيه سوف يرى) معناه إن ما يفعله الانسان ويسعى فيه لا بد أن يرى في ما بعد  
بمعنى أنه يجازى عليه من ثواب او عقاب، وبين ذلك بقوله

## (٤٣٦)

(ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أي يجازى على اعماله الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم، والهاء في (يجزاه) عائدة على السعي.

وقوله (وان إلى ربك المنتهى) معناه وأن إلى ثواب ربك وعقابه آخر الامور، والمنتهى هو المصير إلى وقت بعد الحال الاولى عن حال مثلها، فالتكليف منتهى، وليس للجزاء في دار الآخرة منتهى. والمنتهى قطع العمل إلى حال أخرى والمنتهى والآخر واحد. وقوله (وأنة هو اضحك وأبكى) قيل اضحك بأن فعل سبب ذلك من السرور والحزن، كما يقال أضحكني فلان وأبكاني اذا كان سبب ذلك بما يقع عنده ضحكي وبكائي، فعلى هذا الضحك والبكاء من فعل الانسان. وقد قال الله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) (١) ولو لم يكن من فعلنا لما حسن ذلك. وقال تعالى (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) (٢) وقال (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) (٣) فنسب الضحك اليهم. وقال الحسن: الله تعالى هو الخالق للضحك والبكاء، والضحك تفتح اسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب، فاذا هجم على الانسان منه مالا يمكنه دفعه فهو من فعل الله الذي أضحك وأبكى. والبكاء جريان الدموع على الخد عن غم في القلب، وإنما يبكى الانسان عن فرح يمازجه تذكر حزن، فكأنه عن رقة في القلب يغلب عليها الغم.

وقوله (إنه امات واحيا) معناه انه تعالى الذي يخلق الموت فيميت به الاحياء لا يقدر على الموت غيره، لانه لو قدر على الموت غيره لقدر على الحياة، لان القادر على الشئ قادر على ضده، ولا احد يقدر على الحياة إلا الله.

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٣ (٢) سورة ٥٣ النجم آية ٦٠ (٣) سورة ٨٣ المطففين آية ٣٤ (\*)

## (٤٣٧)

وقوله (وأحيا) أي هو الذي يقدر على الحياة التي يحيي بها الحيوان لا يقدر عليها غيره من جميع المحدثات.

ثم بين ايضا (أنه) الذي (خلق الزوجين الذكر) منهما (والانثى من نطفة) أي خلق الذكر والانثى من النطفة، وهي ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد (إذا تمنى) يعني إذا خرج المنى منهما وجعل في الرحم خلق الله تعالى منها الولد إما ذكرا وإما انثى، ومعنى تمنى أي تلقى على تقدير في رحم الانثى، واصله التقدير يقولون: منى يماني فهو مان إذا قدر قال الشاعر:

حتى تقلابي ما يمني لك الماني (١)  
أى يقدرو منه التمني تقدير المعنى للاستمتاع به.  
قوله تعالى:

(وأن عليه النشأة الاخرى (٤٧) وانه هو اغنى واقنى (٤٨)  
وأنه هو رب الشعري (٤٩) وأنه أهلك عادا الاولى (٥٠) وثمرود فما أبقي (٥١) وقوم نوح من  
قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى (٥٢)  
والمؤتفة أهوى (٥٣) فغشيها ما غشى (٥٤) فبأي آلاء ربك تتمازي (٥٥) تسع آيات بلا  
خلاف.

قرأ أهل البصرة غير سهل (عاد الولي) مدغمة بلا همز، وعن نافع خلاف فانه ادغم وترك  
الهزة إلا قالون، فانه همز، الباقرن بالهمز والاظهار. من أدغم القى حركة الهمزة على اللام،  
فانضمت ثم سكنها وحذف همزة الوصل، ولقيتها

---

(١) مر في ١ / ٣١٩ وهو في القرطبي ١٧ / ١١٨ (\*)

=====

(٤٣٨)

النون فأدغمت في اللام، ونظير ذلك قول العرب: قم الان عنا، يريدون ثم الآن عنا. وقولهم:  
صم الثنين أى صم الاثنين. الباقرن تركوه على حاله. وقرأ حمزة وحفص عن عاصم (وثمرود)  
بلا تنوين. الباقرن بتنوين. قال الفراء: وقوله (وآتينا ثمود الناقة) (١) ترك صرفها لانه ليس  
فيها الف.

لما بين الله تعالى انه هو الذى يخلق الذكر والانثى من النطفة إذا تمنى ذكر (وان عليه النشأة  
الاخرى) وهي البعثة يوم القيامة، والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المسببة، وهما نشأتان:  
الاولى في الدنيا، والثانية في الآخرة.

ثم قال " وانه هو اغنى واقنى " ومعناه أغنى بالمال واقنى باصول الاموال. وقال مجاهد: اقنى  
أى اخدم. وقال الزجاج: ومعناه اغنى بعد الفقر واقنى بالمال الذى يقنتى. وقيل: معنى (اقنى)  
انه جعل له اصل مال، وهو القنية التي جعلها الله للعبد، فاما (اغنى) فقد يكون بالعافية والقوة  
والمعرفة قال الاعشى:

فاقنيت قوما واعمرتهم \* واخربت من ارض قوم ديارا (٢)

اي جعل لهم قنية. واصل (اقنى) الاقتناء، وهو جعل الشئ للنفس على اللزوم، فمنه القناة، لانها مما يقتنى ومن ذلك اقنى الانف، لانه كالقناة في ارتفاع وسطه ودقة طريقه. والقنو العذق قبل ان يبلغ لانه كالذى يقتنى في اللزوم حتى يبلغ، والمقناة المشاكلة في اللون. وقوله (وأنه هو رب الشعري) معناه وان الله الذى خلق الشعري واخترعها. والشعري النجم الذى خلف الجوزاء وهو احد كوكبي نراع الاسد وقم المرزم، وكانوا يعبدونهما في الجاهلية - في قول مجاهد وقتادة - ثم قال " وانه اهلك عادا الاولى " قيل هو عاد بن ارم، وهم الذين اهلكهم الله بريح صرصر عاتية. وعاد

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٥٩ (٢) ديوانه (دار بيروت) ٨٢ وروايته (فأقلت) (\*)

(٤٣٩)

الآخرة أهلكوا يبغى بعضهم على بعض، فتقاتوا بالقتل - ذكره ابن اسحاق - وقال الحسن: الاولى أي قبلكم، وإنما فتحت (أن) في المواضع كلها، لانها عطف على قوله " أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزرر وازرة وزر أخرى " وبكذا وكذا، فلما حذف الباء نصبه. وقوله " وثمرود فما ابقى " نصب ب (اهلك) الذي قبله، وتقديره وأهلك ثمودا فما ابقى، ولا يجوز أن يكون منصوبا بقوله " فما أبقى " لان (ما) لا يعمل ما بعدها في ما قبلها، لا تقول:

زيدا ما ضربت، لانها من الحروف التي لها صدر الكلام، كألف الاستفهام.

وقوله " وقوم نوح من قبل " معناه وأهلكنا قوم نوح من قبل قوم صالح " إنهم كانوا هم اظلم وأطغى " فالاظلم الاعظم ظلما، والاطغى الاعظم طغيانا، فالظلم يتعاضم كما يتعاضم الضرر، وعظم الظلم بحسب عظم الزاجر عنه. وقيل:

مكث نوح في قومه يدعوهم إلى الله وكلما دعاهم فما يزدادون إلا تتابعا في الضلال وتواصيا بالتكذيب لامر الله - في قول قتادة - وقوله " والمؤتفة " يعني المنقلبة، وهي التي صار اعلاها أسفلها، واسفلها اعلاها انتفكت بهم تؤتفك انتفاكا، ومنه الافك الكذب، لانه قلب المعنى عن وجهه. ومعنى " اهوى " نزل بها في الهوى، ومنه الهوى: أهوى بيده ليأخذ كذا، وهوى هواء إذا نزل في الهواء، فأما إذا نزل في سلم أو درجة، فلا يقال:

أهوى، ولا هوى. وقيل: قرية سدوم، قوم لوط، رفعها جبرائيل إلى السماء ثم أهوى بها قالبا لها - في قول مجاهد وقتادة - وقوله " فغشاها ما غشى " يعني من الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء - في قول قتادة وابن زيد - والمعنى فجلبها من العذاب ما يعمها حتى

أتى عليها (ما غشى) وفيه تفخيم شأن العذاب الذي رماها به ونالها من جهة إيهامه في قوله " ما غشى " كأنه قد جل الامر عن أن يحتاج

=====

(٤٤٠)

إلى تفصيل وصفه.

وقوله " فبأي آلاء ربك تتمارى " معناه بأي نعم ربك ترتاب يا بن آدم ! - ذكره قتادة - وإنما قيل بعد تعديد النعم " فبأي آلاء ربك تتمارى " لان النقم التي عدت على من ذكر نعم من الله علينا لما لنا في ذلك من اللطف في الانزجار عن القبيح مع أنه نالهم ما نالهم بكفرهم فبأي نعم ربك أيها المخاطب تتمارى حتى تكون مقارنا لهم في سلوك بعض مسالكهم، أي فما بقيت لك شبهة بعد تلك الاهوال في جحد نعمه.

قوله تعالى:

(هذا نذير من النذر الاولى (٥٦) أزفت الآزفة (٥٧)

ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨) أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سامدون (٦١) فاسجدوا لله واعبدوا (٦٢) سبع آيات بلا خلاف.

قوله " هذا نذير " إشارة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) - في قول قتادة - وقال ابومالك: هو إشارة إلى القرآن " من النذر الاولى " في صحف إبراهيم وموسى.

يقول الله تعالى " هذا " يعني محمدا " نذير " أي مبين لما ينبغي أن يحاذر منه وما ينبغي ان يرغب فيه بأحسن البيان، وهذه صفة رسل الله (عليهم السلام).

والنبي أحسن الناس انذارا وأكرمهم إبلاغا لما امر الله بتبليغه إلى أمته. وقوله " من النذر الاولى " من جملة الرسل الذين بعثهم الله، وإن كان هو آخرهم، كما تقول: هو من بني آدم، وإن كان أحدهم.

وقوله " ازفت الآزفة " معناه دنت القيامة، وهي الدانية. قال النابغة الذبياني

=====

(٤٤١)

ازف الترحل غير ان ركابنا \* لما نزل برحالنا وكأن قد (١)

وقال كعب بن زهير:

بان الشباب وامسى الشيب قد أرفا \* ولا ارى لشباب ذاهب خلفا (٢)

وإنما سميت القيامة أزفة، وهي الدانية، لان كل آت قريب، فالقيامة قد قربت بالإضافة إلى ما مضى من المدة من لدن خلق الله الدنيا. وقوله " ليس لها من دون الله كاشفة " معناه لا يقدر أن يقيمها إلا الله وحده، وليس يجلي عنها ويكشف عنها سواه. وقيل كاشفة أي جامعة كاشفة أي نفس كاشفة، ويجوز ان يكون مصدرا مثل العافية والعاقبة والواقية، فيكون المعنى ليس لها من دون الله كشف أي زهاب أي لا يقدر أحد غير الله على ردها. وقال الحسن: هو مثل قوله " لا يجليها لوقتها إلا هو " (٣) وقيل: كاشفة بمعنى الانكشاف كقوله " ليس لوقعتها كاذبة " (٤)

ومثله " ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم " (٥) أي خيانة. والسامد اللاهي، يقال دع عنك سمودك أي امرك، وكأنه المستمر في اللهو، يقال: سمد يسمد سمودا فهو سامد، وقال الشاعر:

قيل قم فانظر اليهم \* ثم دع عنك السمودا (٦)

ويقال للجارية: اسمدي لنا أي غني. وقوله " فاسجدوا لله واعبدوا " أمر من الله تعالى بالسجود له والصلاة وان يعبدوه خالصا مخلصا لا يشركون به احدا في العبادة، فتعالى الله عن ذلك، وفي الآية دلالة على ان السجود - ههنا - فرض على ما يذهب اليه اصحابنا لان الامر يقتضي الوجوب.

---

(١) القرطبي ١٧ / ١٢٢ والطبري ٢٧ / ٤٣ (٢) تفسير الطبري ٢٧ / ٤٣ (٣) سورة ٧ الاعراف آية ١٨٦ (٤) سورة ٥٦ الواقعة آية ٢ (٥) سورة ٥ المائدة آية ١٤ (٦) اللسان (سمد)  
(\* )

=====

(٤٤٢)

مكية بلا خلاف. وهي خمس وخمسون آية بلا خلاف. بسم الله الرحمن الرحيم (إقتربت الساعة وانشق القمر (١) وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢) وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (٣) ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه مزدجر (٤) حكمة بالغة فما تغن النذر) (٥) خمس آيات.

قرأ أبو جعفر " وكل امر مستقر " بالجر صفة ل (أمر). الباقون بالرفع على انه خبر (كل). هذا اخبار من الله تعالى بدنو الساعة وقرب أوانها، فقوله " اقتربت " أي دنت وقربت وفي (اقتربت) مبالغة، كما أن في (اقتدر) مبالغة على القدرة، لان اصل (افتعل) طلب اعداد المعنى بالمبالغة نحو (اشتوى) إذا أخذ شوى في المبالغة في اتخاذه، وكذلك (اتخذ) من (اخذ). والساعة القيامة. وقال الطبري:

تقديره اقتربت الساعة التي يكون فيها القيامة. وجعل الله تعالى من علامات دنوها انشقاق القمر المذكور معها، وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديره انشق القمر واقتربت

### (٤٤٣)

الساعة. ومن أنكر إنشقاق القمر وأنه كان، وحمل الآية على كونه في ما بعد - كالحسن البصري وغيره، واختارة البلخي - فقد ترك ظاهر القرآن، لان قوله " انشق " يفيد الماضي، وحمله على الاستقبال مجاز. وقد روى إنشقاق القمر عبدالله بن مسعود وانس ابن مالك وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم ومجاهد وإبراهيم، وقد أجمع المسلمون عليه ولا يعتد بخلاف من خالف فيه لشذوذه، لان القول به أشتهر بين الصحابة فلم ينكره أحد، فدل على صحته، وأنهم اجمعوا عليه فخلاف من خالف في ما بعد لا يلتفت اليه. ومن طعن في إنشقاق القمر بأنه لو كان لم يخف على أهل الافطار فقد أبعد لانه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم، ولانه كان ليلا فيجوز ان يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا به، لانه لم يستمر لزمان طويل بل رجع فالتأم في الحال، فالمعجزة تمت بذلك.

وقوله " وإن يروا آية " احتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى عن عناد كفار قريش بأنهم متى رأوا معجزة باهرة وحجة واضحة أعرضوا عن تأملها والانقياد لصحتها عنادا وحسدا، وقالوا هو " سحر مستمر " أي يشبه بعضه بعضا. وقيل " سحر مستمر " من الارض إلى السماء. وقال مجاهد وقتادة معناه ذاهب مضمحل وقال قوم: معناه شديد من أمرار الحبل، وهو شده فنتله.

وقوله " وكذبوا " يعني بالآية التي شاهدها ولم يعترفوا بصحتها ولا تصديق من ظهرت على يده " واتبعوا " في ذلك " أهواءهم " يعني ما تميل طبائعهم اليه، فالهوى رقة القلب بميل الطباع كرقعة هواء الجو، تقول: هوى هوي هوا، فهو هلو إذا ما طبعه إلى الشيء، وهو هوى النفس مقصور، فأما هواء الجو فممدود ويجمع على أهوية. وهوى يهوي إذا انحدر في الهواء، والمصدر الهوى. والاسم الهاوي.

### (٤٤٤)

وقوله " وكل أمر مستقر " معناه كل أمر من خير او شر مستقر ثابت حتى يجازى به إما الجنة او النار - ذكره قتادة - ثم قال " ولقد جاءهم " يعني هؤلاء الكفار " من الانبياء " يعني

الايخبار العظيمة بكفر من تقدم من الامم وإهلاكنا إياهم التي يتعظ بها " مافيه مزدجر " يعني متعظ، وهو مفتعل من الزجر إلا ان التاء ابدلت دالا لتوافق الراء بالجهر مع الدال لتعديل الحروف فيتلاءم ولا يتنافر.

وقوله " حكمة بالغة " معناه نهاية في الصواب، وغاية في الزجر بهؤلاء الكفار وقوله " فما تغنى النذر " يجوز في (ما) وجهان:

احدهما - الجحد، ويكون التقدير: لا يغني التخويف.

والثاني - ان تكون بمعنى (أي) وتقديره أى شئ يغني الانذار. والنذر جمع نذير. وقال الجبائي: معناه إن الانبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون عنهم شيئاً من عذاب الآخرة الذي استحقوه بكفرهم، لانهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم.

قوله تعالى:

(قتول عنهم يوم يدع الداع إلى شئ نكر (٦) خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر (٧) مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر (٨) كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (٩) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) (١٠) خمس آيات.

قرأ " خشعا " على الجمع أهل العراق إلا عاصما، الباقون " خاشعا " على وزن (فاعل) ونصبوه على الحال. ومن قرأ " خاشعا " بلفظ الواحد، فلتقدم

=====

(٤٤٥)

الفعل على الفاعل. وقرأ ابن كثير وحده (نكر) بسكون الكاف. الباقون بالنتقيل وهما لغتان. وقال ابو علي النحوي: النكر أحد الحروف التي جاءت على (فعل، وفعل) وهو صفة. وعلى ذلك حملة سيبويه وأستشهد بالآية. ومثله ناقة أهدومشية سجح. ومن خفف جعله مثل رسل رسل وكتب وكتب، والضمة في تقدير الثبات.

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنه ليس ينفع في وعظهم وزجرهم الحكمة البالغة، ولا يغني النذر أمر النبي بالاعراض عنهم وترك مقابلتهم على سفهمهم. فقال " فتولى عنهم " أي اعرض عنهم " يوم يدع الداعي إلى شئ نكر " قيل في معناه أقوال:

احدها - قال الحسن فتولى عنهم إلى يوم يدعو الداعي.

والثاني - فتول عنهم وأذكر يوم يدع الداعي إلى شئ نكر، يعني لم يروا مثله قط فينكرونه استعظاما له.

الثالث - ان المعنى فتول عنهم، فانهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدعو الداعي وهو يوم القيامة، فحذف الفاء من جواب الامر. والداعي هو الذي يطلب من غيره فعلا. ونقيضه



الصارف، وهو الطالب من غيره أن لا يفعل بمنزلة الناطق بأن لا يفعل، تقول: دعا يدعو دعاء فهو داع وذاك مدعو. والنكر: هو الذي تأباه من جهة نفور الطبع، وهو صفة على وزن فعل، ونظيره رجل جنب وارض جرز، وهو من الانكار نقيض الاقرار، لان النفس لا تقر بقبوله، وإنما وصف بأنه نكر لغظه على النفس، وإنهم لم يروا مثله شدة وهؤلاء كأنهم ينكرونه لما قبح في عقولهم.

وقوله " خاشعا أبصارهم " فمعنى الخاشع الخاضع، خشع يخشع خشوعا، فهو خاشع، والجمع خشع، ويخشع الرجل إذا نسك، وخاشعا حال مقدمة. والعامل فيها (يخرجون) وقيل " خاشعا أبصارهم " لتقدم الصفة على الاسم، كما قال الشاعر:

=====

(٤٤٦)

وشباب حسن أوجههم \* من ايادين نزارين معد (١)  
وقال آخر:

ترى الفجاج بها الركبان معترضا \* أعناق أبزلها مرخى لها الجدل (٢)  
والجديل هو الزمام، ولم يقل مرخيات ولا معترضات " يخرجون من الاجداث " يعني من القبور واجدها جدث وحذف أيضا لغة، واللحد جانب القبر وأصله الميل عن الاستواء " كأنهم جراد منتشر " أي من جراد منتشر من كثرتهم وقوله " مهطعين إلى الداعي " قال الفراء وابوعبيدة: مسرعين. وقال قتادة: معناه عامدين بالاهطاع والاهطاع الاسراع في المشي، يقال: اهطع يهطع إهطاعا، فهو مهطع، فهؤلاء الكفار يهطعون إلى الداعي بالالغاء والاكراه والاذلال ووصفت الابصار بالخشوع، لان ذلة الذليل وعزة العزيز تتبين في نظره " يقول الكافرون هذا يوم عسر " حكاية ما يقوله الكفار يوم القيامة بأنه يوم عسر شديد عليهم ثم قال مثل ما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجدوا نبوتك " كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا " يعني نوحا (عليه السلام) " وقالوا مجنون " أي هو مجنون قد غطي على عقله فزال بأفة تعتريه " وازدجر " قال ابن زيد: معناه زجر بالثتم والرمي بالقبيح. وقال غيره: ازدجر بالوعيد، لانهم توعدوه بالقتل في قوله " لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين " (٣) " فدعا " عند ذلك " ربه " فقال يا رب " اني مغلوب " قد غلبنى هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة " فانتصر " منهم بالاهلاك والدمار نصره لدينك ونبيك. وقال مجاهد: معنى (ازدجر) استطار واستفز جنونا.

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٢٩ والطبري ٢٧ / ٤٨ (٢) الطبري ٢٧ / ٤٨ (٣) سورة ٢٦ الشعراء آية ١١٦ (\*)

قوله تعالى:

(ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر (١٠) وحملناه على ذات ألواح ودسر (١٣) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤) ولقد تركناها آيةً فهل مدكر (١٥) فكيف كان عذابي ونذر) (١٦) ست آيات.

قرأ ابن عامر " ففتحنا " بالتشديد أي مرة بعد مرة وشيئاً بعد شيء، لأنه أكثر ودام لما فار التتور وانهمرت الأرض والسماء بالماء. الباقيون بالتخفيف لأنه يأتي على القليل والكثير، وفي الكلام حذف، وتقديره ان نوحاً (عليه السلام) لما دعا ربه فقال إني مغلوب فانتصر يارب وأهلكهم فأجاب الله دعاءه وفتح أبواب السماء بالماء، ومعناه أجرى الماء من السماء، فجريانه إنما فتح عنه باب كان مانعاً له، وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه. وجاء ذلك على طريق البلاغة. والماء المنهمر هو المنصب الكثير قال امرؤ القيس:

راح تمر به الصبا ثم انتحى \* فيه شؤبوب جنوب منهمر (١)

أي منصب مندفق، انهمر ينهمر إنهمارا، وفلان ينهمر في كلامه، كأنه يتدفع فيه مع كثرتة. وقوله " وفجرنا الأرض عيوناً " فالتفجير تشقيق الأرض عن الماء، ومنه انفجر العرق وأنفجر السكر، ومنه قوله " وفجرنا خلالهما نهراً " (٢) وعيون الماء

(١) الطبرى ٢٧ / ٤٩ والقرطبي ١٧ / ١٣٢ (٢) سورة ١٨ الكهف آية ٣٤ (\*)

واحدها عين، وهو ماء يفور من الأرض مستدير كاستدارة عين الحيوان، والعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الميزان وعين الذهب وعين السحابة وعين الركبة " فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر " معناه إن المياه كانت تجري من السماء ومن الأرض على ما أمر الله به وأراده وقدره. وإنما قال " فالتقى الماء " والمراد به ماء السماء وماء الأرض، ولم يثن، لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير " على أمرٍ قد قدر " فيه هلاك القوم في اللوح المحفوظ. وقيل: معناه إنه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الأرض.

ثم قال تعالى " وحملناه " يعني نوحاً " على ذات ألواح ودسر " يعني السفينة ذات ألواح مركبة بعضها إلى بعض، والدسر هي المسامير التي تشد بها السفينة - في قول ابن عباس وقتادة

وابن زيد - واحدها دسار وديسير، وديسرت السفينة ادسرها دسييرا إذا شددتها بالمسامير او نحوها. وقيل: الدسر صدر السفينة تدر به الماء أي تدفع - عن الحسن - وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة. وقال الضحاك: الدسر طرفاها وأصلها. وقال الزجاج: الدسر المسامير والشرط التي تشد بها الالواح.

وقوله " تجري باعيننا " معناه تجري السفينة بمر أي منا، ونحن نذكرها. وقيل: أعين الماء التي أنبعناها. وقيل: تجري بأعين أوليائنا والموكلين بها من الملائكة. وقوله " جزاء لمن كان كفر " أي كفر به وهو نحوه أي لكفرهم به، كأنه قال غرقناهم لاجل كفرهم بنوح. وقيل: جزاء لنوح واصحابه أي نجيناها ومن آمن معه لما صنع به، وكفر فيه بالله.

وقوله " ولقد تركناها آية " يعني السفينة تركناها دلالة باهرة " فهل من مدكر " بها ومتعظ بسببها فيعلم أن الذي قدر على ذلك لا يكون من قبيل الاجسام وانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شئ. وقال قتادة: أبقي الله تعالى سفينة نوح حتى

## (٤٤٩)

ادركها أوائل هذه الامة، فكان ذلك آية (ومدكر) أصله متذكر، فقلبت التاء دالا لتواخي الدال بالجره. ثم أدغمت الذال فيها. وقيل: وجه كونها آية انها كانت تجري بين ما الارض وما السماء، وكان قد غطاها على ماء أمره الله تعالى به. وقوله " فهل من مدكر " قد بينا معناه. وقال قتادة: معناه فهل من طالب علم فيعان عليه.

وقوله " فكيف كان عذابي ونذر " تهديد للكفار وتنبية لهم على عظم ما فعله بأمتالهم من الكفار الجاحدين لتوحيده. وإنما كرر " فكيف كان عذابي ونذر " لانه لما ذكر أنواع الانذار والعذاب انعقد التذكير لشيء منه على التفصيل، والنذر جمع نذير - في قول الحسن - قال: وتكذيب بعضهم تكذيب لجميعهم. وقال الفراء: هو مصدر، ومنه " عذرا او نذرا " (١) مخففة ومثقلة و " إلى شيء نكر " ويقال: أنذره نذرا بمعنى إنذارا مثل أنزله نزلا بمعنى إنزالا. قوله تعالى:

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧) كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٨) إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر (٢٠) فكيف كان عذابي ونذر) (٢١) خمس آيات.

أقسم الله تعالى بأنه يسر القرآن للذكر، والتيسير للشيء هو تسهيله، وأخذه بما ليس فيه كثير مشقة على النفس، فمن سهل له طريق العلم فهو حقيق بالخط الجزيل

---

(١) سورة ٧٧ المراسلات آية ٦ (ج ٩ م ٥٧ من التبيان \*)

=====

## (٤٥٠)

منه، لان التيسير أكبر داع اليه، وتسهيل القرآن للذكر خفة ذلك على النفس لحسن البيان وظهر البرهان في الحكم السنوية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من الله تعالى، وإنما صار الذكر من اجل ما يدعى اليه ويحث عليه، لانه طريق العلم، لان الساهي عن الشيء او عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال شهوة، فاذا تذكر الدلائل عليه والطريق المؤدية اليه فقد تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له.

وقوله " فهل من مدكر " معناه فهل من متعظ معتبر بذلك ناظر فيه.

ثم قال (كذبت عاد) يعني بالرسول الذي بعثه اليهم، وهو هود (عليه السلام) فاستحقوا الهلاك فاهلكهم الله (فكيف كان عذابي) لهم و (نذر) أي وإنذاري إياهم. ثم بين كيفية إهلاكهم فقال (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) وهي الشديدة الهبوب حتى يسمع في صوتها صرير، وهو

مضاعف صر مثل كب وككب ونهه ونهنهه، وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: كانت ريحا باردة. وقال ابن زيد وسفيان: كانت شديدة.

وقوله (في يوم نحس) يعني يوم شؤم - في قول قتادة - (مستمر) أى استمر بهم العذاب إلى نار جهنم - في قول قتادة - وقوله (تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر) معناه تقتلع هذه الرياح الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيصيرون كأنهم أعجاز نخل، لان رؤسهم سقطت عن أبدانهم - في قول مجاهد - وقيل: استمرت بهم الرياح سبع ليال وثمانية أيام حتى انت عليهم شيئا بعد شئ. وقيل (تنزع الناس) من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح. وقال الحسن: فيه اضممار تقديره تنزع أرواح الناس، واعجاز النخل أسافله. والنخل يذكر ويؤنث، والمنقعر المنقلع من أصله، لان قعر الشئ قراره المستقل منه، فلهذا قيل للمنقطع من أصله: منقعر، يقال: انعقر إنعقارا، وقعره تقعيرا، وتقعر - في

=====

#### (٤٥١)

كلامه (تقعرا إذا تعمق. فكيف كان عذابي ونذر) تعظيم للعذاب النازل بهم. والانداز في الآية هو الذى تقدم اليهم به. وفائدة الآية التحذير من مثل سببه لئلا يقع بالمحذر مثل موجبه. قوله تعالى:

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٢٢) كذبت ثمود بالنذر (٢٣) فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر (٢٤) ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر (٢٥) سيعلمون غدا من الكذاب الاشر (٢٦) إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتعبهم واصطبر (٢٧) ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر (٢٨) فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر (٢٩) فكيف كان عذابي ونذر) (٣٠) تسع آيات.

قرأ " ستعلمون " بالتاء اهل الشام وحمزة، على الخطاب، الباقرن بالياء على الغيبة، اللام في قوله (ولقد) جواب القسم فانه تعالى أقسم بأنه يسر القرآن للذكر، وقد بينا معناه. وقيل: الوجوه التي يسر الله بها القرآن هو أنه ابان عن الحكم الذي يعمل عليه، والمواعظ التي يرتدع بها، والمعاني التي يحتاج إلى التنبيه عليها والحجج التي تميز بها الحق من الباطل. وإنما أعيد ذكر التيسير لينبئ عن انه يسر بهذا الوجه من الوجوه كما يسر بالوجه الاول. وقد يسر بحسن التأليف للحفظ كما يسر بحسن البيان عما يخاف للوعظ. وقال الزجاج: إن كتب الانبياء كانوا يقرؤونها نظرا ولم يحفظونها، والقرآن سهل الله تعالى عليهم حفظه فيحفظه الخلق الكثير، والتيسير

=====

(٤٥٢)

التمكين التام لانه قد يمكن العمل بمشقه وبغير شقة، فالذي تنتقى عنه المشقة للتمكين التام هو المسهل. وفائدة الآية تبين ما ينبغي أن يطلب العلم من جهته. وإنما كرر لانه حث على ذلك بعد حث، وأنه ميسر بضروب التيسير.

وقوله (كذبت ثمود بالنذر) إخبار من الله تعالى أن ثمود، وهم قوم صالح كذبت بالانذار. ومن قال: النذر جمع نذير قال لان تكذيب واحد من الرسل في إخلص توحيد الله كتكذيب جميعهم، لانهم متفقون في ذلك وإن اختلفت شرائعهم.

وفائدة الآية التحذير من مثل حالهم.

ثم حكى ما قالته ثمود فانهم (قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه) والمعنى أنتبع بشرا منا واحدا انتبعه؟! ودخلت عليهم الشبهة، فظنوا أن الانبياء ينبغي أن يكونوا جماعة، لان الاشياء ذوا نظائر تجري على حكم واحد، وتركوا النظر في أنه يجوز ان يصلح واحد من الخلق لتحمل النبوة وإن لم يصلح له غيره، فصار بمنزلة مدع لا دليل معه على صحة دعواه عندهم. وفائدة الآية تبيان شبهتهم الخسيسة الضعيفة وانهم حملوا أنفسهم على تكذيب الرسل لاجلها. وجوابهم أن يقال لهم:

لانه لا يصلح له سواه من جهة معرفته بربه وقيامه باداء رسالته وسلامة ظاهره وباطنه. وقوله (إنا إذا لفي ضلال) معناه إن اتبعناه مع انه واحد منا إنا إذا لفي ضلال عن الصواب (وسعر) أي وعناء - في قول قتادة - والسعر جمع سعيير كأنهم في ضلال وعذاب كعذاب السعيير. وقال قوم: معناه وسعر جنون. واصله التهاب الشئ وهو شدة انتشاره، يقال: ناقة مسعورة إذا كان لها جنون. وقال الزجاج:

يجوز أن يكون المراد وعذاب، ويجوز جنون.

وقوله (ألقي الذكر عليه من بيننا) استفهام من قوم صالح على وجه الانكار والجحود والتعجب، ومعنى (ألقي الذكر) يعني الوحي (من بيننا) لما رأوا

=====

(٤٥٣)

أستواء حال الناس في الظاهر لم يكن بعضهم أحق عندهم بانزال الوحي عليه من بعض. وقد وصفوا أنفسهم أن حاله مساوية لاحوالهم فجاء من هذا ألا يكون أحق بالوحي الذي ينزل عليه منهم، واغفلوا أن الله اعلم بمصالح عباده ومن يصلح للقيام برسالته ممن لا يصلح.

ثم حكى ما قالوه في صالح، فانهم قالوا (بل هو كذاب) في دعواه أنه نبي أوحى الله اليه (أشر) أي بطر، فالأشر البطر الذي لا يبالي ما قال. وقيل: هو المرح الطالب للفخر وعظم الشأن، يقال: أشر يأشر أشرا كقولك: بطر يبطر بطرا وأشر وأشر مثل حذر وحذر، وعجل وعجل وفتن وفتن ونحس ونحس. فقال:

الله تعالى على وجه التهديد لهم (ستعلمون غدا من الكذاب الأشر) وقرأ ابوقلابة (الكذاب الأشر) وهذا ضعيف، لانهم يقولون: هذا خير من ذا وشر من ذا، ولا يقال: أشر، ولا أخير إلا في لغة ردية. ومن قرأ (ستعلمون) بالتاء على وجه الخطاب اليهم أي قل لهم، وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم. ومن قرأ بالياء فعلى وجه الاخبار عن الغائب وهي قراءة الباقيين، لان الكذاب الأشر يوم القيامة يعاقبه الله بعذاب النار، فيعلم حينئذ أي الفريقين هم.

وقرب الله تعالى القيامة كقرب غد من اليوم. والفرق بين قوله (ستعلمون غدا من الكذاب) وبين قوله لو قال (ستعلمون غدا الكذاب الأشر) أن الاول يفيد فريقين التبس الكذب بكل واحد منهما فيأتي العلم مزيلا لذلك الالتباس وليس كذلك الثاني.

ثم بين تعالى أنه ارسل الناقة وبعثها بأن أنشأها معجزا لصالح، لانه أخرجها من الجبل الاصم يتبعها ولدها. وقوله (فتنة لهم) نصب (فتنة) على انه مفعول له. ومعنى ذلك إبتلاهم ومحنة، لانه تعالى نهاهم ان ينالوها بسوء مع تضيق الشرب

=====

(٤٥٤)

عليهم بأن لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر. والشرب - بكسر الشين - الحظ من الماء - وبضم الشين - فعل الشارب.

ثم حكى تعالى ما قال لصالح فانه تعالى قال له (واصطبر) أي أصبر على أذاهم (ونبئهم) أي اخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) يوم للناقة ويوم لهم (كل شرب محتضر) أي كل قسم يحضره من هو له. وقيل المعنى نبئهم أي يوم لهم وأي يوم لها إلا أنه غلب من يعقل، فقال نبئهم. وقيل: كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة ويشربونه وإذا حضرت أحضروا اللبن وتركوا الماء لها - ذكره مجاهد - وقيل: كانت الناقة تحضر شربها وتغيب وقت شربهم. وكل فريق يحضر وقت شربه.

وقوله (فنادوا صاحبهم) يعني الذي وافقوه على عقر الناقة، وهو أحمر ثمود، والعرب تغلط فنقول: أحمر عاد. ويريدون بذلك ضرب المثل في الشؤم، وإنما هو أحمر ثمود - ذكره الزجاج - وقال قوم: اسمه قدار بن سالف.

وقوله (فتعاطى فعقر) قال ابن عباس تعاطى تناول الناقة بيده فعقرها، وقال معناه تعاطى عقرها فعقرها فأهلكهم الله تعالى عقوبة على ذلك (فيكيف كان عذابي ونذر).  
قوله تعالى:

(إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة كانوا كهشيم المحتظر (٣١)  
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٣٢) كذبت قوم لوط بالنذر (٣٣) إنا أرسلنا عليهم  
حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر (٣٤) نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر (٣٥) ولقد

=====

(٤٥٥)

أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر (٣٦) ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي  
ونذر (٣٧) ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر (٣٨) فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) ولقد يسرنا  
القرآن للذكر فهل من مدكر (٤٠) عشر آيات.

لما اخبر الله تعالى عن قوم صالح أنهم عقروا الناقة وأنه تعالى أهلكهم بين كيف أهلكهم فقال  
(إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) وهي المرة من الصوت بشدة عظيمة هلكوا كلهم بها، يقال:  
صاح يصيح صياحا وصايحة ومصايحة وصيح به تصيحا وإنها صيحة تخلع القلوب وتهدم  
الابدان لعظمتها وقوله (فكانوا كهشيم المحتظر) أي صاروا كالهشيم، وهو المنقطع بالتكسير  
والترضيض، هشم أنفه يهشمه إذا كسره ومنه الهاشمة وهي شجة مخصوصة. والهشم - ههنا  
- يبس الشجر المتفتت الذي يجمعه صاحب الحظيرة و (المحتظر) المبتتي حظيرة على بستانه  
أو غيره، تقول احتظر احتظارا، وهو من الحظر، وهو المنع من الفعل بحايط أو غيره، وقد  
يكون الحظر بالنهي. وقرأ بفتح الظاء وهو المكان الذي يحتظر فيه الهشيم. وقيل:

هشيم المحتظر قال الضحاك: هو الحظيرة تتخذ للغنم يبس فتصير رميما. وقيل:  
الهشيم حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيه. وقيل: الهشيم اليبس من الشجر أجمع  
الذي يفتت. وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

قد فسرناه وقال قتادة: فهل من طالب علم يتعلم؟ وفيها دلالة على بطلان قول المجبرة، لانه  
ذكر انه يسر القرآن ليتذكر العباد به، ولو كان الامر على ما يقولون لكان ليتذكر القليل منهم  
دون سائرهم.

=====

(٤٥٦)



وقوله (كذبت قوم لوط بالنذر) اخبار منه تعالى أن قوم لوط كذبوا الرسل بالانذار على ما فسرناه. وفائدة ذكر التحذير على ما بيناه من فعل مثله لئلا ينزل بهم مثل ما نزل بآولئك، وفي الكلام حذف وتقديره فأهلكناهم. ثم بين كيف أهلكهم فقال (إنا أرسلنا عليهم حاصبا) والحاصب الحجارة التي يرمى بها القوم، حصبوا بها إذا رموا، ومنه الحصباء الارض ذات الحصى، لانه يحصب بها وقيل: الحاصب سحاب رماهم بالحجارة وحصبهم بها قال الفرزدق:

مستقبلين رياح الشام تضربنا \* بحاصب كنديف القطن منثور (١)

ثم استثنى آل لوط، وتقديره إنا أرسلنا عليهم حاصبا أهلكناهم به (إلا آل لوط) فانا (نجيناهم) وخلصناهم من العذاب (بسحر) أي بليل لا سحرا بعينه، لان سحرا إذا اردت به سحر يومك لم تصرفه، وإذا أردت به سحرا من الاسحار صرفته.

وقوله (نعمة من عندنا) قال الزجاج نصبه على انه مفعول له، ويجوز ان يكون على المصدر، وتقديره أنعمنا بها عليهم نعمة. ثم قال (كذلك نجزي من شكر)

أي مثل ما فعلنا بهم نفعل بمن يشكر الله على نعمه، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم للمنعم، ونقيضه كفر النعمة، ومثله الحمد على النعمة.

ثم اخبر تعالى عن لوط بأنه أنذر قومه بطشة الله وهي الاخذ بالعذاب بشدة فكذلك أخذ الله - عزوجل - آل لوط باشد العذاب بالاتفاك ورمي الاحجار من السماء.

وقوله (فتماروا بالنذر) أي تدافعوا على وجه الجدال بالباطل، يقال: تمارى القوم تماريا وماراه مما راة ومراء، ومراه يمرية مريا إذا أستخرج ما عنده من العلم بالمري.

---

(١) مرفي ٥٠٢ / ٦ و ٢٠٩ / ٨ (\*)

=====

(٤٥٧)

وقوله (ولقد راودوه عن ضيفه) إخبار منه تعالى بأن قوم لوط حاولوا ضيفه وراودوه على الفساد، فالمراد المحاولة، فكأن قوم لوط طالبوه بأن يخلي بينهم وبين ضيفه لما يروته من الفاحشة. والضيف المنضم إلى غيره على طلب القرى، إذ كانوا أنوا لوطا على هذه الصفة إلى ان تبين أمرهم وانهم ملائكة الله أرسلهم لاهلاكهم وقوله (فطمسنا أعينهم) فاطمس محو الاثر بما يبطل معه إدراكه، طمس يطمس طمسا وطمس الكتاب تطميسا وطمست الريح الاثار إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب، قال كعب بن زهير:

من كل نضاخة الذفري إذا عرفت \* عرضتها طامس الاعلام مجهول (١)

وقال الحسن وقتادة: عميت أبصارهم. وقال الضحاك: إنهم دخلوا البيت على لوط، فلما لم يروه سألوا عنهم وإنصرفوا.

وقوله (فذوقوا عذابي ونذر) معناه قالت لهم الملائكة ذوقوا عذاب الله ونذره أي وما خوفكم به من عذابه.

ثم قال تعالى (ولقد صبحهم) يعني قوم لوط (بكرة) نصبه على الظرف فاذا أردت بكرة يومك لم تصرفه. وإذا أردت بكرة من البكرات صرفته. ومثله غدوة وغدواة. وقوله (عذاب مستقر) أي استقر بهم حتى هلكوا جميعا. وقوله (فذوقوا عذابي ونذر) قيل: قالت لهم الملائكة ذلك. وقال قوم: القائل هو الله تعالى قال لهم في تلك الحال يعني عند طمس أعينهم. والانتفاك بهم ورميهم بالحجارة (ذوقوا عذابي ونذر). ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقد فسرناه وبيننا الوجه فيه.

---

(١) مر في ٢ / ٢٢٦ و ٣ / ٢١٦ (ج ٩ م ٥٨ من التبيان)

(\*)

=====

(٤٥٨)

قوله تعالى:

(ولقد جاء آل فرعون النذر (٤١) كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر (٤٢) أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر (٤٣) أم يقولون نحن جميع منتصر (٤٤) سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) (٤٦) ست آيات. قرأ روح وزيد (سنهزم) بالنون على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه الباقون بالياء على ما لم يسم فاعله.

اخبر الله تعالى عن آل فرعون انه جاءهم النذر. ويحتمل ان يكون جمع نذير، وهو الرسول المخوف. ويحتمل ان يكون المراد به الانذار على ما بيناه ومعناه إنه جاءهم التخويف من معاصي الله والوعيد عليها.

ثم اخبر تعالى عنهم بأنهم (كذبوا بآياتنا) يعني حججنا وبراهيننا (كلها)

وآل فرعون خاصته الذين كانوا ينضافون اليه بالقرابة. والموافقة في المذهب، ويقال: آل القرآن آل الله، لانهم بمنزلة الآل في الخاصة والاضافة. والانذار الاعلام بموقع المخافة

ليبقى. والنذر والانذار مثل النكر والانكار. وهو جمع نذير وهم الرسل. والداعي إلى تكذيب الرسل الشبهة الداخلة على العقلاء والتقليد والعادة السيئة وغير ذلك. ثم اخبر تعالى انه اخذهم بالعذاب والاهلاك (أخذ عزيز مقتدر) وهو القاهر الذي لا يقهر ولا ينال، مقتدر على جميع ما يريد له لكثرة مقدوراته.

=====

(٤٥٩)

ثم قال (اكفاركم) يعني قريش وأهل مكة (خير من اولئكم) الكفار، والمعنى إنهم ليسوا بخير من كفار قوم نوح وعاد وثمود. وقوله (أم لكم براءة في الزبر) معناه ألكم براءة في الكتب المنزلة من عذاب الله.

وقوله (أم يقولون نحن جميع منتصر) قال الزجاج: معناه يقولون ذلك إدلالاً بقوتهم. ويحتمل أن يكون أرادوا نحن جميع أي يد واحدة على قتاله وخصومته (منتصر) أي ندفعه عنا وينصر بعضنا بعضاً فقال الله تعال مكذباً لظنونهم (سيهزم الجمع) معناه إن جميعهم سيهزمون (ويولون الدبر) ولا يثبتون لقتالك، وكان كذلك فكان موافقته لما أخبر به معجزاً له لأنه إخبار بالغيب قبل كونه، وانهزم المشركون يوم بدر وقتلوا وسبوا على ما هو معروف.

ثم قال (بل الساعة) يعني القيامة (موعدهم) للجزاء لهم بأنواع العقاب والنيران وقوله (والساعة أدهى وأمر) فالأدهى الأعظم في الدهاء. والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية وجمعه دواه، والداهية البلية التي ليس في إزالتها حيلة، والمراد ما يجري عليهم من القتل والاسر عاجلاً لا يخلصهم من عذاب الآخرة بل عذاب الآخرة أدهى وأمر. والامر الأشد في المرارة، وهي ضرب من الطعم به يكون الشئ مرا. ويحتمل الامر الأشد في استمرار البلاء، لان الاصل التمر. وقيل مرارة لشدة مرورها وطلبها الخروج بحدة. وقيل:

الامر الأشد مرارة من القتل والاسر.

قوله تعالى:

(إن المجرمين في ضلال وسعر) (٤٧) يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر (٤٨) إنا كل شئ خلقناه

=====

(٤٦٠)

بقدر (٤٩) وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٥٠) ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مذكر (٥١)  
وكل شئ فعلوه في الزبر (٥٢)

وكل صغير وكبير مستطر (٥٣) إن المتقين في جنات ونهر (٥٤)  
في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥) تسع آيات بلا خلاف.

هذا إخبار من الله تعالى بأن المجرمين الذين ارتكبوا معاصي الله وتركوا طاعاته في ضلال وسعر، ومعناه في ضلال عن الحق وعدول عنه (وفي سعر) يعني في عذاب النار تسعرهم ومعناه إنهم يصيرون إليه، وإنما جمع بين الضلال والسعر، لأنه لازم لهم ومنعقد بحالهم وإن كان الضلال بعصيانهم والسعر بالعقاب على الضلال، وكأنهم قد حصلوا فيه بحصولهم في سببه الذي يستحق به. وقيل معنى في ضلال يعني في ذهاب عن طريق الجنة والآخرة في نار مسعرة.

وقوله (يوم يسحبون) أي يوم يجرون في النار على وجوههم (ذوقوا مس سقر) أي يقال لهم مع ذلك ذوقوا مس سقر، وهو كقولهم وجدت مس الحمى وكيف ذقت طعم للضرب. وقيل: إن سقر جهنم وقيل: هو باب من ابوابها، ولم يصرف للتعريف والتأنيث. ولما وصف العقاب قال (إنا كل شئ خلقناه بقدر) أي العقاب على مقدار الاستحقاق الذي تقتضيه الحكمة وكذلك غيره في كل خصلة. وفي نصب (كل) ثلاثة أوجه:

أحدها - على تقدير إنا خلقنا كل شئ خلقناه بقدر.

الثاني - انه جاء على زيदा ضربته.

الثالث - على البذل الذي يشتمل عليه، كأنه قال (إن كل شئ خلقناه بقدر) أي هو مقدر في اللوح المحفوظ. وقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح

=====

(٤٦١)

بالبصر) فاللمح خطف البصر، والمعنى وما أمرنا إذا أردنا ان يكون شيئاً إلا مرة واحدة إنما نقول له كن فيكون أي هذه منزلته في سرعته وإنطباعه.

ثم قال تعالى مخاطباً لكفار قريش وغيرهم " ولقد أهلكنا أشياعكم " يعني اتباع مذهبكم في كفرهم بعبادة الاوثان تتابعوا قرناً بعد قرن في الاهلاك بعذاب الاستئصال. والشيعه أتباع القائد إلى أمر. وقيل: المعنى ولقد أهلكنا اشياعكم ممن هو منكم كما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) فهي لكل أمة فهل من متعظ. وقال الحسن:

هو على الامم السالفة " فهل من مذكر " معناه فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الاهلاك.

وقوله (وكل شئ فعلوه في الزبر) يعني في الكتب التي كتبتها الحفظة.  
وقال ابن زيد في الكتاب. وقال الضحاك في الكتب وقوله (وكل صغير، وكبير مستطر) قال  
ابن عباس معناه إن جميع ذلك مكتوب مسطور في الكتاب المحفوظ، لأنه من أعظم العبرة في  
علم ما يكون قبل أن يكون على التفصيل، وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.  
ثم قال تعالى (إن المتقين) يعني الذين اتقوا معاصيه وفعلوا واجباته (في جنات) يعني بساتين  
تجنها الأشجار (ونهر) أي انهار، فوضع نهرا في موضع أنهار، لأنه اسم جنس يقع على  
القليل والكثير، والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء، وهو خلاف الجدول، لأنه المجرى  
الصغير الشديد الجرى من مجاري الماء (في مقعد صدق) معناه في مجلس حق لا لغو فيه ولا  
تأثيم (عند ملك مقتدر) أي بالمكان الذي كرمه لاوليائه الملك المقندر. وقيل: في مقعد صدق  
عند الملك المقندر بما هو عليه من صدق دوام النعيم به. وقال الفراء: معنى (في جنات  
ونهر) أي في ضياء وسعة، ويقال: أنهر دمه إذا سال وانهر بطنه إذا جاء بطنه مثل جرى  
النهر.

=====

(٤٦٢)

٥٥ - سورة الرحمن قال قوم: هي مكية. وقال آخرون هي مدنية: وهي ثمان وسبعون آية في  
الكوفي والشامي وسبع وسبعون عند الحجازيين وست وسبعون في البصري.  
بسم الله الرحمن الرحيم (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣)  
علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها  
ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩)  
والارض وضعها للانام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام (١١) والحب ذو العصف  
والريحان (١٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣).  
ثلاث عشرة آية كوفي وشامي، وإثنتا عشرة آية بصري وإحدى عشرة آية في ما عداه، عد  
الكوفي والشامي (الرحمن) ولم يعده الباكون، وعدوا (خلق الانسان) إلا أهل المدينة فانهم عدوا  
(البيان) آخر الآية. وقرأ (الحب ذا العصف) بالنصب شامي (والريحان) خفض كوفي غير  
عاصم، وعد الكوفيون

=====

(٤٦٣)

(الرحمن) آية مع أنه ليس بجلمة، لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة وهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله (سورة أنزلناها) (١) أي هذه أنزلناها، ومعنى (الرحمن) هو الذي وسعت رحمته كل شيء، فلذلك لا يجوز أن يوصف به إلا الله تعالى، فأما (راحم ورحيم) فيجوز أن يوصف به العباد.

وقوله (علم القرآن) فالتعليم تبين ما به يصير من لم يعلم عالما. والاعلام إيجاد ما به يصير عالما، وفي قوله (الرحمن علم القرآن) تذكير بالنعمة في ما علم من الحكم بالقرآن التي يحتاج إليها الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم وينالوا الفضل بطاعة ربهم ويستوجبوا به الثواب وينالوا الرضوان.

وقوله (خلق الانسان) معناه إنه الذي اخترع الانسان وأخرجه من العدم إلى الوجود، وقيل: المراد بالانسان - ههنا - آدم (عليه السلام). وقيل: محمد (صلى الله عليه وآله) وقيل: جميع الناس وهو الظاهر وهو الاعم في الجميع. وقوله (علمه البيان) أي خلق فيه التمييز الذي بان به من سائر الحيوان. وقيل: معناه علمه الكلام الذى يبين به عن مراده ويتميز به عن سائر الحيوان، فالبيان هو الادلة الموصلة إلى العلم. وقيل: البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس، ومعنى قادر من معنى عاجز، ومعنى عام من معنى خاص، ومعنى شئ من معنى هذا بعينه، وفيه تنبيه على أنه تعالى خلق الانسان غير عالم، ثم علمه البيان، خلافا لقول من يقول من الجهال: إن الانسان لم يزل عالما بالاشياء، وإنما يحتاج فيه إلى تذكير، فكيف يكون عالما من لم يخلق بعد لولا الغباوة وقلة التحصيل.

وقوله (والشمس والقمر بحسبان) أي يجريان بحسبان فاضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه، فيكون إرتفاع الشمس بالفعل المقدر. وقال قوم:

إرتفعا بتقديرهما بحسبان أي بحساب، والمعنى علمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ١ (\*)

=====  
(٤٦٤)

وقيل: المعنى أن أمرهما يجري في الادوار على مقدار من الحساب على ما وضعه حكيم عليم بتدبير صحيح، قد كان يمكن وضعهما على خلافه غير انه اختار ذلك لاستغناء العباد بها في وجوه المنافع وما في ذلك من المصالح. وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد: بحسبان، ومنازل يجريان فيها ولا يعدوانها. وقيل: إن القمر يقطع بروج السماء في ثمانية وعشرين يوما، والشمس تقطع ذلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وشئ. وقوله (بحسبان) خبر الشمس

والقمر على قول من رفعهما بالابتداء (وحسبان) مصدر حسبته أحسبه حسبانا نحو السكران والكفران. وقيل: هو جمع حساب كشهاب وشهبان.

وقوله (والنجم والشجر يسجدان) فالنجم من النبات ما طلع، يقال:

نجم ينجم إذا طلع، ونجم القرن والنبات إذا طلعا، وبه سمي نجم السماء، وهو الكوكب لطلوعه. والنجم - ههنا - النبت الطالع من الارض، وهو النبات الذي ليس له ساق - في قول ابن عباس وسعيد وسفيان - وقال مجاهد: هو نجم السماء، وبه قال قتادة، والاول أقوى لمصاحبة الشجر. والشجر عند أهل اللغة النبات الذي له ساق وورق وأغصان يبقى ساقه على دور الحول من الرمان واكثره مما له ثمار تجنى على ما دبرها صانعها من الاتيان بها في أبنائها.

وقوله (يسجدان) إخبار من الله تعالى بانهما يسجدان، وسجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثهما وعلى وجوب الخضوع لله تعالى والتذلل له لما خلق فيها من الاقوات المختلفة في النبات للناس وغيرهم من الحيوان والاستمتاع بأصناف الثمار والفواكه والرياض اللذيذة، فلا شئ أدعى إلى الخضوع والعبادة لمن أنعم بهذه النعمة الجليلة مما فيه مثل الذي ذكرنا في النجم والشجر. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: سجودهما ظلالهما الذي يلقيانه بكرة وعشيا، فكل جسم له ظل

=====

(٤٦٥)

فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث الذي لا يقدر عليه إلا قادر لا يعجزه شئ. وقوله (والسما رفعها) أي رفع السماء رفعها فوق الارض للاعتبار بها والتفكر فيها، وأنه لا يقدر على رفعها غير القادر لنفسه الذي لا يعجزه شئ ولا يماثله موجود.

وقوله " ووضع الميزان " فالميزان آلة التعديل في النقصان والرجحان، والوزن يعدل في ذلك، ولو لا الميزان لتعذر الوصول إلى كثير من الحقوق، فلذلك نبه على النعمة فيه والهداية اليه.

وقوله " إلا تطغوا في الميزان " نهى كأنه قال أي لا تطغوا، لان (أن)

تكون بمعنى أي ويجوز ان تكون علة، وتقديره ووضع الميزان لان لا تطغوا، وإنما أعاد ذكر الميزان من غير أضمار لئلا يكون الثاني مضمنا بالاول، وليكون قائما بنفسه في النهي عنه إذا قيل ألا تطغوا في الميزان. وقيل: لانه نزل في وقتين. والاول أحسن. وقيل: المراد بالميزان العدل لان المعادلة موازنة الاسباب، والطغيان الافراط في مجاوزة الحد في العدل. وقيل: لا تطغوا فيه لان مالا يضبط في الوزن موضوع عنهم. وقال الزجاج: تقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا. ويحتمل ان يكون نهيا مفردا. ويجوز أن يكون بمعنى (أي) مفسرة وقوله "

واقيموا الوزن بالقسط " أمر من الله تعالى أن يقيموا الوزن إذا أرادوا الأخذ أو الإعطاء "   
بالقسط " أي بالعدل " ولا تخسروا الميزان " بمعنى لا تنقصوه.   
والخسران نقصان أصل المال، وهو ذهاب ما كان من رأس المال: خسر يخسر خسرا   
وخسرانا، وخسره تخسيرا، فهو خاسر ومخسر. قال الزجاج: قولهم:   
(ج ٩ م ٥٩ من التبيان)

=====

### (٤٦٦)

أخسرت الميزان وخسرت، فعلى خسرت " لا تخسر " بفتح التاء، وقد قرأ به بعض المتقدمين   
شاذًا لا يؤخذ به.

وقوله " والارض وضعها للانام " ليستقروا عليها. وقال ابن عباس: الانام كل شئ فيه روح.   
وقال الحسن: الانام الانس والجن. وقال قتادة: الانام الخلق. ويجوز أن يكون الانام من ونم   
الذباب إذا صوت من نفسه، ويسمى كل ما يصوت من نفسه أناما. وقلبت الواو من ونام همزة   
كقولهم: أناة من (وناة).

ثم بين وجه المنافع للخلق فوضع الارض " فيها فاكهة " وهي أنواع الثمار التي تؤخذ من   
الشجر فيها أنواع الملاذ وفنون الامتاع، فسبحان الذي خلقه لعباده وأجرى فيه ضروب الطعوم   
بلطفه، وكله يسقى بماء واحد في ارض واحدة من شجرة يابسة تتقلب إلى حال الغضاضة   
والنضرة، ثم تحمل الثمرة الكريمة، وكل ذلك بعين المعبر وعلم المفكر.

وقوله " والنخل ذات الاكمام " اسم جنس يقع على القليل والكثير وواحدة نخلة، وهو يذكر   
ويؤنث، والاكمام جمع (كم) وهو وعاء ثمر النخل، تكمم في وعائه إذا اشتمل عليه. وقيل:   
الاكمام ليف النخلة التي تكمم فيه - في قول الحسن وقاتدة - وقال ابن زيد: الاكمام الطلع   
الذي فيه ثمر النخلة. وقال الزجاج: كم القميص من هذا، لانه يغطي اليد.

وقوله " والحب ذو العصف والريحان " قال ابن عباس وقاتدة وابن زيد:   
العصف التبن. لان الرياح تعصفه أي تطيره بشدة هبوبها ومنه الريح العاصف، قال علقمة بن   
عبدة:

تسفي مذائب قد مالت عصيفتها \* حدورها من أني الماء مطموم (١)

---

(١) ديوانه ١١١ واللسان (عصف) ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٢ (\*)

=====



## (٤٦٧)

وهو دقاق الزرع إذا يبس عصفته الريح. وقيل: العصف التبن. ويقال: له العصيفة. والحب حب الحنطة والشعير ونحوهما، والريحان الرزق - في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك - وقال الحسن وابن زيد: الريحان هو الذي يشم. وفي رواية أخرى عن ابن عباس والضحاك: إن الريحان الحب. والعرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله أى رزقه ويقال: سبحانك وريحانك أى رزقك، قال النمر بن تولب سماء الاله وريحانه \* وجنته وسماء درد (١)

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " والريحان " جرا على تقدير، وذو الريحان. الباقر بالرفع عطفا على (الحب) وقرأ ابن عامر وحده " والحب ذا العصف والريحان " بالنصب فيها كلها على تقدير، وخلق الحب ذا العصف وخلق الريحان الباقر بالرفع على تقدير فيها الحب ذو العصف وفيها الريحان. وقوله " فبأى آلاء ربكما تكذبان " قال ابن عباس والحسن وقتادة: معناه فبأى نعمة من نعمه يا معشر الجن والانس تكذبان؟! وريحان أصله ريحان، فخفف. وتلخيصه ريوحان على وزن فيعلان، فلما التقت الواو والياء والثاني ساكن قلبوا الواو ياء وأدغموا ثم خففوا كراهية التشديد كما قالوا: هين لين. قوله تعالى:

(خلق الانسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق الجان من مارج من نار (١٥) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأى آلاء ربكما تكذبان (١٨)

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٤٣ واللسان (روح)

(\*)

## (٤٦٨)

مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٢١) ثمان آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى إنه " خلق الانسان " وأنشأته ويعني به آدم (عليه السلام) " من صلصال " وهو الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة - في قول قتادة - " كالفخار " أي مثل الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفا " وخلق الجان من مارج من نار " فالمارج هو المختلط الاجزاء، قال الحسن أبلّيس ابوالجن، وهو مخلوق من لهب النار، كما أن آدم ابوالبشر مخلوق من طين.

وصف الله تعالى الانسان الذي هو آدم ابوالبشر انه خلقه من صلصال. وفي موضع آخر " من طين لازب " (١)

وفي موضع آخر " من حمأ مسنون " (٢) وفي موضع آخر " خلقه من تراب " (٣) وإختلاف هذه الالفاظ لا تتناقض فيها، لانها ترجع إلى أصل واحد وهو التراب، فجعله طينا. ثم صار كالحمأ المسنون. ثم يبس فصار صلصالا كالفخار.

وقوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " معناه فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والانس تكذبان؟! وإنما كررت هذه الآية، لانه تقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة. كأنه قيل بأي هذه الآلاء تكذبان. ثم ذكرت آلاء أخر فاقترضت من التذكير والتقدير بها ما اقتضت الاولى ليتأمل كل واحد في نفسها وفي ما تقتضيه صفتها من حقيقتها التي تتفصل بها من غيرها. وقوله " رب المشرقين ورب المغربين " تقديره هو رب المشرقين، فهو خبر ابتداء، ولو قرئ بالخفض ردا على قوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " لكان جائزا غير انه

---

(١) سورة ٢٧ السافات آية ١١ (٢) سورة ١٥ الحجر آية ٢٦، ٢٨، ٣٣ (٣) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩ (\*)

=====

(٤٦٩)

لم يقرأ به أحد. والمعنى انه الخالق المشرق الشتاء ومشرق الصيف، وهو عند غاية طول النهار في الصيف وغاية قصره في الشتاء " ورب المغربين " مثل ذلك - وهو قول مجاهد وقتادة وابن زيد - والمشرق موضع شروق الشمس، وهو طلوعها تقول: شرقت الشمس تشرق شروقا إذا طلعت وشرقت إذا أضائت وصفت.

والمغرب موضع غروب الشمس. والغروب مصيرها في حد الغروب وهو المغيب، غربت تغرب غروبا، ومنه الغريب وهو الصابر في حد الغائب عن النفس وأصله الحد ومنه الغروب مجاري الدموع لزوالها من حدها إلى الحد الآخر. وقوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " أي فبأي نعمة ربكما معاشر الجن والانس تكذبان. وقد بينا الوجه في تكراره. وواحد الآلاء ألى على وزن (معا) و (ألا) على وزن (قفا) عن أبي عبيدة.

وقوله " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " معنى مرج أرسل - في قول ابن عباس. وقال الحسن وقتادة و (البحران) بحر فارس والروم. وقال ابن عباس في رواية أخرى هما بحر السماء وبحر الارض " يلتقيان " في كل عام.

وقيل البحرين الملح والعذب. وقيل: مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتها " لا يبغيان " أي لا يبغي أحدهما على الآخر بأن يقلبه إلى مثل حاله في الملوحة

والعذوبة. ومرج معناه أرسل باذهب الشيبين فصاعدا في الارض، فمرج البحرين أرسلهما بالاجراء في الارض يلتقيان، ولا يختلطان، ذلك تقدير العزيز العليم. والبرزخ الحاجز بين الشيبين، ومنه البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة. وقال قتادة: البرزخ الحاجز أن يبغى الملح على العذب أو العذب على الملح. وقال مجاهد: معناه لا يبغيان لا يختلطان ومعناه لا يبغيان على الناس.

والنعمة بتسخير الشمس أنها تجري دائبة بمنافع الخلق في الدنيا والدين، فبأي آلاء

=====

(٤٧٠)

ربكما تكذبان معاشر الجن والانس.

قوله تعالى:

(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٣) وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام (٢٤)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٥) كل من عليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام (٢٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٨)

يسئله من في السموات والارض كل يوم هوفي شأن (٢٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٠) تسع آيات بلا خلاف.

قرأ " المنشآت " بالكسر حمزة، ويحيى وقرأ " يخرج " بفتح الياء أهل الكوفة، وابن كثير وابن عامر أسندوا الفعل إلى اللؤلؤ والمرجان. الباقر، على ما لم يسم فاعله. وإنما أجازوا اسناد الفعل إلى الجوار واللؤلؤ والمرجان، كما قالوا مات زيد ومرض عمرو وما أشبه ذلك في ما يضاف الفعل إليه إذا وجد منه.

وإن كان في الحقيقة لغيره، وكان المعنى المنشآت السير فحذف المفعول وأضاف السير اليه إتساعا، لان سيرها إنما يكون بهبوب الريح. وقال الزجاج: من فتح الشين أراد المرفوعات الشرع، وبالكسر الحاملات الرافعات الشرع.

لما ذكر الله تعالى النعمة على الخلق بمرج البحرين اللذين يلتقيان، وإنهما مع ذلك لا يبغيان، بين أيضا ما فيهما من النعمة، فقال يخرج منهما يعني من البحرين اللؤلؤ والمرجان. فاللؤلؤ معروف، ويقع على الصغار والكبار. والمرجان ضرب من الجواهر كالقضببان يخرج من البحر. وقال ابن عباس: اللؤلؤ كبار الدر والمرجان

=====

(٤٧١)

صغاره. وبه قال الحسن وقتادة والضحاك، وسمي المرجان بذلك لانه حب من الجوهر كبير مختلط به مرجت أي خلطت. وإنما جاز أن يقول يخرج منهما، وهو يخرج من الملح دون العذب، لان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كالقلاح للملح، كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى، وإنما تلده الانثى. وقال قوم:

لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه العذب والملح، وذلك معروف عند الغواصين. وقال الزجاج: لانه إذا أخرجه من أحدهما فقد أخرجه من الآخر، لانه داخل فيهما وقال ابن عباس: إذا جاء القطر من السماء تفتحت الاصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ. وقال قوم المعنى من جهتهما ولا يجب إنه من كل واحد منهما، والاول وجه التأويل.

وقوله " وله الجوار المنشآت " والجوار جمع جارية وهي السفينة لانها تجري في الماء بأمر الله تعالى. والجارية المرأة الشابة، لانه يجري فيها ماء الشباب، والمنشآت المبتدآت للسير برفع القلاع. وقال مجاهد: ما رفع له القلاع، فهو منشأ وما لم يرفع قلاعه فليس بمنشأ، فجعل الانشاء برفع القلاع. والاعلام الجبال واحدها علم سمي بذلك لارتفاعه كارتفاع الاعلام المعروفة. وقال جرير:

إذا قطعن علما بعد علم \* حتى تناهين بنا إلى حكم (١)

وقيل كالأعلام في العظم. وقوله " كل من عليها فان " إخبار من الله تعالى أن جميع من على وجه الارض من العقلاء يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم. وإذا ثبت ذلك وكانت الجواهر لا تفنى إلا بفناء يصادها على الوجود، فاذا وجد الفناء أنتفت الجواهر كلها، لانها إختصاص له بجوهر دون جوهر، فالآية دالة على عدم جميع الاجسام على ما قلناه، لانه إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ والقرطبي ١٧ / ١٦٤ (\*)

=====

(٤٧٢)

عدم غيرهم، لانه لا يفرق من الامة أحد بين الموضعين. وقوله " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام " معناه ويبقى ربك الظاهر بأدلته كظهور الانسان بوجهه فالوجه يذكر على وجهين:  
احدهما - بعض الشئ كوجه الانسان.

الثاني - بمعنى الشئ المعظم في الذكر كقولهم: هذا وجه الرأى، وهذا وجه التدبير أي هو التدبير، وهو الرأى. والاكرام والاعظام بالاحسان، فانه تعالى يستحق الاعظام بالاحسان الذي هو في أعلى مراتب الاحسان. ومعنى ذو الجلال ذو العظمة بالاحسان. وقوله " يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن " معناه يسأل الله تعالى من في السموات والارض من العقلاء حوائجهم، ويضرعون اليه. ثم قال " كل يوم هو في شأن " فالشأن معنى له عظم، وكذلك قال كل يوم هو في شأن، ويقال: لا يشغله شأن عن شأن. والمعنى إن كل يوم اله تعالى في شأن من احياء قوم وإماتة آخرين، وعافية قوم ومرضى غيرهم، ونجاة واهلاك ورزق وحرمان وغير ذلك من الامور والنعمة. وقوله " كل من عليها فان " في التسوية بين الخلق في الفناء " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قد فسرناه. قوله تعالى:

(سنفرغ لكم آية الثقلان (٣١) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٢) يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان (٣٣) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٤) يرسل عليكم شواظ من نار

=====

(٤٧٣)

ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٦). سبع آيات حجازى وست في ما عداه، عد الحجازيون " من نار " ولم يعده الباقون. قرأ " شواظ " - بكسر الشين - أهل مكة. الباقون بضمها، وهما لغتان مثل صوار وصوار. وقرأ " نحاس " بالجر أهل مكة والبصرة، غير يعقوب عطفًا على (نار). الباقون بالرفع عطفًا على " شواظ " وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " سيفرغ " على تقدير سيفرغ الله لكم. الباقون - بالنون - على وجه الاخبار من الله عن نفسه يعني قوله " سنفرغ لكم " من أبلغ الوعيد وأعظم التهديد. وقيل في معناه قولان: أحدهما - سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي ويأتيكم المتوعد به فشبه ذلك بمن فرغ من شئ وأخذ في غيره.

الثاني - إنا نستعمل عمل من يتفرغ للعمل لتجويده من غير تضجيع فيه كما يقول: القائل: سأفرغ لك. والله تعالى لا يشغله شئ عن شئ، لانه من صفات الاجسام، وهو من أبلغ الوعيد لانه يقتضي أن يجازى بصغير ذنبه وكبيره إذا كان مستحقا لسخط الله. والفراغ انتفاع القاطع عنه من القادر عليه. والشغل والفراغ من صفات الاجسام التي تحلها الاعراض، وشغلها عن الاضداد في تلك الحال ولذلك وجب ان يكون في صفة القديم تعالى مجازا.

وقوله " أيها الثقلان " خطاب للجن والانس، وإنما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الارض من غيرهما، فهما أثقل وزنا لعظم الشأن بالعقل والتمكين (ج ٩ م ٦٠ من التبيان

#### (٤٧٤)

والتكليف لاداء الواجب في الحقوق، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وآله) (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) يريد عظيمي المقدار، فلذلك وصفهما بأنهما ثقلان. وقوله " إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض " قال الضحاك: ان استطعتم أن تنفذوها ربين من العذاب يقال: لهم ذلك يوم القيامة. وقال قوم: معناه إن استطعتم أن تنفذوها ربين من الموت فاهربوا فانه حيث كنتم أدركم الموت. وقال ابن عباس: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا أنه لا يمكنكم ذلك.

وقوله " لا تنفذون إلا بسلطان " معناه إلا بحجة وبيان. وقيل معناه: إلا بملك وقهر، وليس لكم ذلك. وقال الزجاج: المعنى " فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان " أي حيثما كنتم شاهدين. ثم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده وواحد الاقطار قطر وهي الاطراف - في قول سفيان - فانفذوا في صورة الامر والمراد به التحدي. ثم قال " لا تنفذون إلا بسلطان " وهو القوة التي يتسلط بها على الامر " فبأي آلاء ربكما تكذبان " وقد فسرناه. وفائدة الآية أن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الاقطار، وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه، فليُنظر امرء ما يختار لنفسه مما يجازى به. وقوله " يرسل عليكم شواظ من نار " فالشواظ لهب النار - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة - ومنه قول رؤية:

إن لهم من وقعنا أيقاظا \* ونار حرب تسعر الشواظا (١)  
والنحاس الصفر المذاب للعذاب - في قول ابن عباس ومجاهد وسفيان وقتادة - وفي رواية أخرى عن ابن عباس وسعيد: النحاس الدخان قال النابغة الجعدي:

(١) اللسان (شوظ) ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٤ والطبري ٢٧ / ٢٣ (\*)

#### (٤٧٥)

يضئ كضوء سراج السليط \* السليط لم يجعل الله فيها نحاسا (١)

أي دخانا. والسليط دهن السمسم. وقال قوم: هو دهن السنام. وقال الفراء: هو دهن الزيت. وقوله " فلا تنتصران " أي لا تقدران على دفع ذلك عنكما، ووجه النعمة في إرسال الشواظ من النار والنحاس على الثقليين هو ما لهم في ذلك من الزجر في دار التكليف عن موقعة القبيح، وذلك نعمة جزيلة، فلذلك قال " فبأي آلاء ربكما " معاشر الجن والانس " تكذبان ". قوله تعالى:

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٨) فيومئذ لا يسئَل عن ذنبه إنس ولا جان (٣٩)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٠) يعرف المجرمون بسيميم فيؤخذ بالنواصي والاقدام (٤١) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٢) هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم أن (٤٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٥).

ثمان آيات بصرى وتسع في ما عداه، عد الكل " يكذب بها المجرمين " ولم يعده البصريون. يقول الله تعالى " فاذا انشقت السماء " ومعناه إن ينفك بعضها عن بعض، فالسما تنشق يومئذ وتصير حمراء كالورد. ثم تجرى كالدهان قال الفراء: الورد

(١) ديوانه ٧٥ ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٥ (\*)

=====

(٤٧٦)

الفرس الوردية. وقال الزجاج: يتلون كما يتلون الدهان المختلفة أي فكان كلون فرس ورده، وهو الكميت فيتلون في الشتاء لونه بخلاف لونه في الصيف، وكذلك في الفصول فسبحان خالقها والمصرف لها كما يشاء. والوردية واحدة الورد، وإنما تصير السماء كالوردية في الاحمرار ثم تجري كالدهان، وهو جمع دهن كقولك قرط وقراط عند انقضاء الامر وتناهي المدة. وقال الحسن: هي كالدهان أي كالدهن الذي يصب بعضه على بعض بألوان مختلفة. وقيل: تمر كالدهن صافية. وقال قتادة:

لونها حينئذ الحمرة كالدهان في صفاء الدهن وإشراقه. وقال قوم: إن السماء تذوب يوم القيامة من حر نار جهنم فتصير حمراء ذائبة كالدهن. قال الجبائي:

وروي أن السماء الدنيا من حديد وليس في الآية ما يدل ما قاله، لاحتمال ذلك ما قاله المفسرون. والاقوال التي ذكرناها. وقال الفراء: الدهان الاديم الاحمر ووجه النعمة في إنشقاق السماء حتى وقع التقرير بها في قوله " فبأي آلاء ربكما تكذبان " هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف بانشقاق السماء فوق في السبب ولا يصلح في المسبب أن يكون منفعة،

ولكن لسبب النفع الذى هو الزجر في دار الدنيا، فلذلك وقع التقرير بقوله " فبأى آلاء ربكما تكذبان " .

وقوله " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان " معناه لا يسأل في ذلك الموطن لما يلحقه من الدهش والذهول الذى تحار له العقول، وإن وقعت المسألة في وقت غيره بدلالة قوله " وقفوهم إنهم مسئولون " (١) وقال قتادة: يكون المسئلة قبل ثم يختم على الافواه عند الجحد فتتطق الجوارح. وقيل: معناه إن يومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان ليعرف المذنب من المؤمن المخلص، لان الله تعالى قد جعل عليهم علامة كسواد الوجوه وقبح الخلق ولم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة للتوبيخ

---

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ٢٤ (\*)

=====

(٤٧٧)

والتفريع، لانه تعالى قال " وقفوهم إنهم مسئولون " وتقدير الاية فيومئذ لا يسأل أنس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه. وقيل: يجوز أن يكون المراد أنه لا يسأل احد من انس ولا جان عن ذنب غيره، وإنما يسأل هو سؤال توبيخ عن فعل نفسه.

وقوله " يعرف المجرمون بسيماهم " معناه إن الله تعالى جعل للكفار والعصاة علامات تعرفهم بها الملائكة والسيماء العلامة. ومنه قوله " سيماهم في وجوههم من اثر السجود " (١) وهو مشتق من السوم وهو رفع الثمن عن مقداره، ومنه " مسومين " (٢) أي معلمين بعلامة والعلامة يرفع باظهارها لتقع المعرفة بها والمعرفة هي العلم عند المتكلمين. وقال بعض النحويين: إن متعلق المعرفة المفرد ومتعلق العلم الجملة كقولهم عرفت زيدا وعلمت زيد قائما ولو جئت بقائم في عرفت لكان حالا ولم يخرج عن معرفة زيد.

وقوله " فيؤخذ بالنواصي والاقدام " قال الحسن: يجمع بين ناصيته وقدمه بالغل فيسحب إلى النار. والناصية شعر مقدم الرأس، ومنه ناصية الفرس ومنه قوله تعالى " لنسفعا بالناصية " (٣) أي ليقترن بها ما سحقته النار إذلالا لها وأصله الاتصال من قول الشاعر:

في ناصيتها بلادقى أي يتصل بها فالناصية متصلة بالرأس و (الاقدام) جمع قدم وهو العضو الذي يقدمه صاحبه للوطئ به على الارض. وقيل: يأخذهم الزبانية بنواصيهم وأقدامهم فتسحبهم إلى النار أي تأخذهم تارة بذا، وتارة بذا. وقال الحسن وقاتدة يعرفون بأنهم سود الوجوه زرق العيون، كما قال تعالى " يوم تبيض وجوه وتسود

---



(١) سورة ٤٨ الفتح آية ٢٩ (٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٢٥ (٣) سورة ٩٦ العلق آية ١٥ (\*)

=====

(٤٧٨)

وجوه " (١) " فبأى آلاء ربكما تكذبان " وجه النعمة بذلك ما فيه من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات وذلك نعمة من الله على العباد في الدين. وقوله " هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون " معناه يقال لهم يوم القيامة إذا شاهدوا جهنم " هذه جهنم " ويحتمل أن يكون المراد هذه جهنم التي وصفتها هي التي يكذب بها المجرمون الكفار بنعم الله " يطوفون بينها وبين حميم أن " قيل: يطوفون بين أطباقها في عذاب النار، وبين الحميم أن. والحميم الماء الحار. والآن الذي بلغ نهايته. والمراد - ههنا - هو الذي قد بلغ نهاية حره من أنى يأتى إنيا فهو أن، ومنه قوله " غير ناظرين إناه " (٢) يعني نضاجه وبلوغه غايته " فبأى آلاء ربكما تكذبان " والآخر بذلك لطف وزجر عن المعاصي فلذلك كانت نعمة اعتد بها وقرر بها. قوله تعالى:

(ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٧) ذواتا أفنان (٤٨) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٤٩) فيهما عينان تجريان (٥٠) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥١) فيهما من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥٣) متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان (٥٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٥٥) عشر آيات بلا خالف. لما وصف الله تعالى ما أعد للكفار من أنواع العذاب، بين بعد ذلك ما أعد

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٠٦ (٢) سورة ٣٣ الاحزاب آية ٥٣ (\*)

=====

(٤٧٩)

للمؤمنين والمتقين، فقال " ولمن خاف مقام ربه جنتان " والمعنى ولمن خاف المقام الذي يقفه فيه ربه للمسائلة عما عمل في ما يجب عليه مما أمره به أو نهاه عنه، فيكفه ذلك عما يدعوه هواه اليه يصبر صبر مؤثر للهدى على طريق الردى. والمقام الموضع الذي يصلح للقيام فيه وبضم الميم الموضع الذي يصلح للاقامة فيه. والجنتان اللتان وعد الله من وصفه بهما قيل هما

جنتان: إحداهما داخل قصره والاخرى خارج قصره على ما طبع الله تعالى العباد عليه من شهوة ذلك وجلالته فشوقوا إلى ما في طباعهم شهوة مثله.

ثم وصف الجنتين فقال " ذواتا أفنان " والافنان جمع (فن) وهو الغصن الفصن الورق، ومنه قولهم: له فنون، وهذا فن آخر أي نوع آخر أي ضرب آخر، وفيه فنون أي ضروب مختلفة، ويجوز أن يكون جمع فن. وقال ابن عباس:

معناه ذواتا ألوان. وقال عكرمة. ظل الاغصان على الحيطان. وقال الضحاك:

ذواتا ألوان يفضل بها على ما سواها " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قد بيناه.

وقوله " فيهما عينان تجريان " اخبار منه تعالى أن في الجنتين اللتين وعدتهما المؤمنين عينين من الماء تجريان بين أشجارها، فالجاري هو الذاهب ذهاب الماء المنحدر، فكل ذاهب على هذه الصفة فهو جار، وصفت بالعين لصفائها أو بأنها جارية لأنه أمتع لها " فبأي آلاء ربكما تكذبان " قد فسرناه.

وقوله " فيهما من كل فاكهة زوجان " معناه إن في تلك الجنتين من كل ثمرة نوعين وضربين متشاكلين كتشاكل الذكر والانثى، فلذلك سماهما (زوجين)

وذلك بالرطب واليابس من العنب والزبيب والتين والرطب واليابس، فكذاك

سائر الانواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفصل والطيب إلا أنه أمتع وأعذب بأن يكون على هذا المنهاج. وقيل: فيهما من كل نوع من الفواكه ضربان ضرب

=====

(٤٨٠)

معروف وضرب من شكله غريب، وكل ذلك للاطراف والامتع " فبأي آلاء ربكما تكذبان. منكئين على فرش بطائنها من استبرق " فالاتكاء الاستناد للتكريمة والامتع والتمتكي هو ما يطرح للانسان في مجالس الملوك للاكرام والاجلال إتكا يتكي إتكاء، فهو متمكي، ومنه وكاء السقاء إذا شددته، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله) (العين وكاء الجسد) والاتكاء شدة التقوية للاكرام والامتع. وهو نصب على الحال (على فرش) وهو جمع فراش وهو الموطأ الممهد للنم عليه بطائنها، وهو جمع بطانة وهي باطن الظهر، فالبطانة من اسفله والظاهرة من أعلاه.

وقوله (وجنا الجنتين دان) فالجنى الثمرة التي قد أدركت في الشجرة وصلح أن تحبى غضه قال الشاعر:

هذا جناي وضياره فيه \* إذ كل جان يده إلى فيه (١)

والاستبرق الغليظ من الديباج - في قول عكرمة وابن اسحاق - وقيل:

ان ثمارها دانية لا يرد يده عنها بعد، ولا شوك - في قول قتادة - وقيل: الظاهر من سندس وهو الديباج الرقيق، والبطين من أستبرق وهو الديباج الغليظ. وقيل: الاستبرق المتاع الصيني من الحرير، وهو بين الغليظ والرقيق. وقال الفراء: الاستبرق غليظ الديباج. وقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد تكرر تفسيره. قوله تعالى:

(فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الاحسان إلا

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ١٨٠ (\*)

=====

(٤٨١)

الاحسان (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١) ومن دونهما جنتان (٦٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدها متان (٦٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٥) عشر آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائي (لم يطمثهن) بكسر إحداهما وضم الأخرى الباقرن بكسرهما وهما لغتان، يقال: طمّثت المرأة تطمّث وتطمّثت إذا حاضت. قال الزجاج وغيره:

في الآية دلالة على أن الجن تتكح. وقال الفراء: لم ينكحهن إنس ولا جان نكاح تدمية أي لم يقتضهن، والطمث الدم. والضحير في قوله (فيهن قاصرات الطرف)

عائد على الفرش التي بطائنها من استبرق، لأنه قد تقدم ذكره، وكان أولى بالعود عليه، ولو لم يتقدم هذا الذكر لجاز أن يرجع إلى الجنان وإلى الجننتين المذكورتين وغيرهما من الجنان لأنه معلوم، لكن المذكور أولى، لان اقتضائه له أشد، والقاصر المانع من ذهاب الشيء إلى جهة من الجهات، فالحور قاصرات الطرف عن غير أزواجهن إلى أزواجهن. والطرف جفن العين، لأنه طرف لها، فيطبق عليها تارة وينفتح تارة، ومنه الاطراف بالامر لأنه كالطرف الذي يليك بحدوثه لك.

وقوله (لم يطمثهن) قيل في معناه قولان:

أحدهما - قال مجاهد وابن زيد وعكرمة: لم يمسهن بجماع من قولهم: ما طمّث هذا البعير جمل قط أي ما مسه جمل.

الثاني - قال ابن عباس: لم يدمهن بنكاح من قولهم: امرأة طامث أي حائض كأنه قال هن أباكار لم يقتضهن أحد قبلهم. والاصل المس، كأنه ما مسها دم الحيض. وقيل: إنما نفى الجان، لان للمؤمنين منهم لهم أزواجا من الحور، (ج ٩ م ٦١ من التبيان)

=====

(٤٨٢)

وهو قول ضمرة بن حبيب، قال البلخي: المعنى إن ما يهب الله لمؤمني الجن من الحور العين لم يطمثهن جان، وما يهب الله لمؤمني الانس لم يطمثهن إنس قبلهم، على أن هذا مبالغة. وقال ضمرة بن حبيب في: الآية دلالة على أن للجن ثوابا فالانسيات للانس والجنيات للجن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى تفسيره.

وقوله (كأنهن الياقوت والمرجان) قال الحسن: هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان. وقيل: كالياقوت في الحسن والصفاء والنور. وقال الحسن:

المرجان أشد اللؤلؤ بياضيا وهو صغاره (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد بيناه.

وقوله (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) معناه ليس جزاء من فعل الاعمال الحسنة وأنعم على غيره إلا أن ينعم عليه بالثواب ويحسن اليه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى بيانه.

وقوله (ومن دونهما جنتان) معناه إن من دون الجنيتين اللتين ذكرنا (لمن خاف مقام ربه) جنتين أخرتين دون الاولتين، وإنهما أقرب إلى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى جنة على ما هو معروف في طبع البشرية من شهوة مثل ذلك. ومعنى (دون) مكان قريب من الشئ بالاضافة إلى غيره، مما ليس له مثل قريبه، وهو ظرف مكان، وإنما كان التنقل من جهة إلى جهة أنفع، لانه أبعد من الملل على ما طبع عليه البشر، لان من الاشياء ما لا يمل لغلبة محبته على النفس بالامر اللازم، ومنها ما يمل لتطلع النفس إلى غيره، ثم الرجوع اليه.

وقوله (مدها متان) معناه خضراوتان تضرب خضرتهما إلى السواد من الري على أتم ما يكون من الحسن، لان الله شوق اليهما ووعد المطيعين في خوف مقامه بها، فناهيك بحسن صفتها وما يقتضيه ذكرهما في موضعهما. وقال ابن عباس

=====

(٤٨٣)

وابن الزبير وعطية وأبو صالح وقتادة: هما خضراوان من الري. وقال قوم:

الجنان الرابع (لمن خاف مقام ربه) ذهب اليه ابن عباس: وقال الحسن: إلا وليان للسابقين  
والاخيرتان للتابعين.

قوله تعالى:

(فيهما عينان نضاختان (٦٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧)

فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٩) فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأي  
آلاء ربكما تكذبان (٧١) حور مقصورات في الخيام (٧٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم  
يطمئنن إنس قبلهم ولا جان (٧٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٥)

متكئين على رفرف خضر وعقري حسان (٧٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٧) تبارك اسم  
ربك ذي الجلال والاکرام) (٧٨)

ثلاث عشرة آية.

قرأ أهل الشام (ذوالجلال) على الرفع، على أنه نعت ل (إسم). الباقون - بالخفض - على أنه  
نعت ل (ربك).

وقوله (فيهما) يعني الجنتين اللتين وصفهما بأنهما (مدها متان) (عينان نضاختان) فعين الماء  
المكان الذي ينبع منه الماء، ومعنى (نضاختان) فوارتان بالماء. وقيل: نضاختان بكل خير.  
والنضخ - بالخاء - أكثر من النضح - بالحاء - لأن النضح غير المعجمة الرش وبالخاء  
كالبرك والفوارة التي ترمى بالماء سعداء،

=====

(٤٨٤)

نضخ ينضخ نضخاً فهو ناضخ. وفي نضاخة مبالغة، ووجه الحكمة في العين النضاخة أن  
النفس إذا رأت الماء يفور كان أمتع، وذلك على ما جرت به العادة (فبأي آلاء ربكما تكذبان).  
وقوله (فيهما فاكهة ونخل ورمان) أخبار منه تعالى أن في الجنتين المتقدم وصفهما (فاكهة)  
وهي الثمار (ونخل ورمان) وإنما افرد ذكر النخل والرمان من الفاكهة، وإن كان من جملتها  
تتبيها على فضلها وجلالة النعمة بهما، كما أفرد ذكر جبرائيل وميكائيل في قوله (من كان  
عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) (١) وقال قوم: ليسا من  
الفاكهة بدلاً الآية. وليس له في ذلك حجة، لاحتمال ما قلناه. قال يونس النحوي: النخل  
والرمان من أفضل الفاكهة، وإنما فضلاً لفضلهما، والنخل شجر الرطب والتمر. والرمان  
مشتق من رم يرم رماً، لأن من شأنه أن يرم الفؤاد بجلاته له (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد  
مضى بيانه.

وقوله (فيهن خيرات حسان) قال ابو عبيدة: امرأة خيرة ورجل خير، والجمع خيرات. والرجال أخيار قال الشاعر:

ولقد طعنت مجامع الربلات \* ربلات هند خيرة الملكات (٢)

وقال الزجاج: أصل (خيرات) خيرات، وخفف. وفي الخبر المرفوع إن المعنى (خيرات الاخلاق حسان الوجوه) وإنما قيل للمرأة في الجنة: خيرة، لأنها مما ينبغي أن تختار لفضلها في أخلاقها وأفعالها، وهي مع ذلك حسنة الصورة، فقد جمعت الاحوال التي تجل بها النعمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد بينا معناه.

وقوله (حور مقصورات في الخيام) فالحور البيض الحسان البياض، ومنه

(١) سورة ٢ البقرة آية ٩٨ (٢) مر في ٥ / ٣١٩ وهو في مجاز القرآن شاهد ٢٩٨ (\*)

#### (٤٨٥)

الدقيق الحواري لشدة بياضه، والعين الحورا اذا كانت شديدة بياض البياض، وشديدة سواد، السواد، وبذلك يتم حسن العين. وقال ابن عباس والحسن ومجاهد:

الحور: البيض. وقوله (مقصورات) أي قصرن على أزواجهن، فلا بردن بدلا منهم - في قول مجاهد والربيع - وقيل: معناه محبوسات في الحجال - في قول ابن عباس وأبي العاليلة ومحمد بن كعب والضحاك والحسن، وعلى وجه الصيانة لهن والتكرمة لهن عن البذلة. وقال ابو عبيدة: مقصورات أي مخدرات و (الخيام)

جمع خيمة وهو بيت من الثياب على الاعمدة، والاوئاد مما يتخذ للاصحار، فاذا اصحر هؤلاء الحور، كانت لهن الخيام في تلك الحال وغيرها مما ينفى الابتذال.

وقال الزجاج: يقال للهوارج الخيام وقال عبدالله: الخيام در مجوف على هيئة البيت وقال ابن عباس: بيوت اللؤلؤ. وقيل: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى بيانه.

وقوله (لم يطمئنن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان) قد مضى تفسيره. قال البلخي في الآية دلالة على قول الحسن البصري: أن الحور العين هو أزواجهن في الدنيا إذا كن مؤمنات مطيعات لان الله قال (لم يطمئنن أنس قبلهم ولا جان) وقال: من نصر الحسن أن المراد لم يطمئنن بعد النشأة الثانية إنس قبلهم ولا جان. وإنما كرر قوله (لم يطمئنن) في الآية للبيان على أن صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف مع تمكين التشويق بهذه الحال الجليلة التي رغب فيها كل نفس سليمة.

وقوله (متكئين على رفر ف خضر وعبقرى حسان) (متكئين) نصب على الحال، وقد فسرنا معناه. والرفارف جمع رفر ف، وهى المجالس - فى قول ابن عباس وقتادة والضحاك - وقيل: الرفرف هى فصول المجالس للفرش. وقال

=====

(٤٨٦)

الحسن: هى المرافق، وقيل: الرفارف الوسائد. وقيل: الرفرفة الروضة. وأصله من رف النبات يرف إذا صاد غضا نضرا. وقيل: لما فى الاطراف رفر ف، لانه كالتبت الغض الذى يرف من غضاضته. والخضر جمع أخضر (والعبقرى) الزرابى - فى قول ابن عباس وسعيد بن جبىر وقتادة - وهى الطنافس. وقال مجاهد: هـ الديقاج: وقال الحسن: هـ البسط. وقيل (عبقر) اسم بلد ينسج به ضرور من الوشى الحسن، قال زهير:

بخيل عليها جبة عبقرى \* جد يرون يوما ان يبالوا ويستعلوا (١)

وقيل: الموشى من الديقاج عبقرى تشبىها بذلك، ومن قرأ (عبقرى)

فقط غلط لانه لا يكون بعد الف الجمع أربعة احرف ولا ثلاثة إلا أن يكون الثانى حرف لىن نحو (قنادىل).

وقوله (تبارك اسم ربك) معناه تعظيم وتعالى اسم ربك، لانه يستحق أن يوصف بما لا يوصف به أحد من كونه قديما وإلها، وقادرا لنفسه وعالما حيا لنفسه وغير ذلك.

وقوله (ذى الجلال والاكرام) خفض، لانه بدل من قوله (ربك)

ومعنى الجلال العظمة والاكرام الاعظام بالاحسان والانعام. وقال الحسن: الاكرام الذى يكرم به أهل دىنه وولاىته. ومن قرأ (ذو الجلال) بالرفع أراد ان اسم الله فىه البركة، وإذا قرئ بالخفض دل على أن اسم الله غير الله، لانه لو كان اسمه هـ الله لجرى مجرى ذكر وجهه إلا ترى أنه لما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ورفع، لانه أراد الله تعالى وههنا بخلافه.

---

(١) ديوانه ١٠٣ ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٦ واللسان (عبقر)

(\*)

=====

(٤٨٧)

٥٦ - سورة الواقعة هي مكية بلا خلاف وهي تسع وتسعون آية حجازي وشامي، وسبع وتسعون بصرى، وست وتسعون كوفي، وسبع وتسعون في المدنيين. وروي عن مسروق أنه قال من أراد أن يعلم نبأ الاولين ونبأ الآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة، فليقرأ الواقعة.

بسم الله الرحمن الرحيم (إذا وقعت الواقعة (١) ليس لواقعها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣) إذا رجت الارض رجا (٤) وبست الجبال بسا (٥)  
فكانت هباء منبثا (٦) وكنتم أزواجا ثلاثة (٧) فأصحاب الميمنة \* ما أصحاب الميمنة (٨)  
وأصحاب المشئمة \* ما أصحاب المشئمة (٩)  
والسابقون السابقون (١٠) أولئك المقربون (١١) في جنات النعيم (١٢)  
ثلة من الاولين (١٣) وقليل من الاخرين (١٤) على سرر موضونة (١٥) متكئين عليها متقابلين) (١٦).

ست عشرة آية كوفي، وسبع عشرة آية بصرى وشامي، وثمان عشرة آية

=====

(٤٨٨)

حجازي، عد الكل (وأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة) ولم يعده الكوفيون.

وعد الحجازيون والكوفيون (موضونة) ولم يعده الباقون.

(إذا) متعلقة بمحذوف، وتقديره إذكروا (إذا وقعت الواقعة) قال المبرد: إذا وقعت معناه إذا تقع، وإنما وقع الماضي - ههنا - لان (إذا) للاستقبال ومعناه إذا ظهرت القيامة وحدثت. والوقوع ظهور الشيء بالحدوث، وقع يقع وقوعا فهو واقع، والانثى واقعة (وإذا) تقع للجزاء (ليس لواقعها كاذبة) معناه قال الفراء ليس لها مردودة ولا رد. وقيل: ليس لواقعها قضية كاذبة فيها، لاخبار الله تعالى بها ودلالة العقل عليها، وقال قوم: معناه ليس لها نفس كاذبة في الخبر بها. وقيل:

الكاذبة - ههنا - مصدر مثل العاقبة والعافية. وقال الضحاك: القيامة تقع بصيحة عند النفخة الثانية.

وقوله (خافضة رافعة) قيل: تخفيض قوما بالمعصية وترفع قوما بالطاعة، لانها إنما وقعت للمجازاة، فانه تعالى يرفع أهل الثواب ويخفض أهل العقاب، فهو مضاف إلى الواقعة على هذا المعنى. وقال الحسن: تخفض أقواما إلى النار، وترفع أقواما إلى الجنة. والقراء: كلهم على رفع خافضة بتقدير هي خافضة رافعة. وقرأه الترمذي في اختياره بالنصب على الحال، وتقديره إذا وقعت الواقعة تقع خافضة رافعة على الحال.



وقوله (إذا رجت الارض رجا) معناه زلزلت الارض زلزالا - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة - والزلزلة الحركة باضطراب وإهتزاز، ومنه قولهم:  
ارتج السهم عند خروجه عن القوس. وقيل: ترتج الارض بمعنى أنه ينهدم كل بناء على الارض.

وقوله (وبست الجبال بسا) معناه فتت فتا - في قول ابن عباس ومجاهد

=====

(٤٨٩)

وابي صالح والسدى - وهو كما يبس السويق أى يلت. والبسيس السويق او الدقيق يلت ويتخذ زادا. وقال لص من غطفان:

لا تخبزا خبزا وبسا بسا \* ولا تطيلا مناخ حبسا (١)

وقال الزجاج: يجوز أن يكون معنى بست سيفت وأنشد:

وانبس حيات الكيثب الاهيل (٢)

وقوله " فكانت هباء منبثا " فالهباء غبار كالشعاع في الرقة، وكثيرا ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة، فسبحان الله القادر على أن يجعل الجبال بهذه الصفة. والانبثات افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة، فكل أجزاء أنفرشت بالتفرق في الجهات فهي منبثاة، وفي تفرق الجبال على هذه الصفة عبرة ومعجزة لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

وقوله " وكنتم أزواجا ثلاثة " معناه كنتم أصنافا ثلاثة، كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة، ولذلك قيل على هذه المزوجة: قد زواج بين الكلامين أي شاكل بينهما.

وقوله " فاصحب الميمنة " يعني أصحاب اليمن والبركة والثواب من الله تعالى. وقوله " ما أصحاب الميمنة " بصورة الاستفهام، والمراد تعظيم شأنهم في الخبر عن حالهم " واصحاب المشئمة " معناه الشؤم والنكد وعقاب الابد. وقوله " ما أصحاب المشأمة " على تعظيم شأنهم في الشر وسوء الحال. وقيل: أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وخبر (أصحاب الميمنة) ما أصحاب الميمنة، كأنه قيل: أي

---

(١، ٢) الصحاح واللسان (بسس) والقرطبي ١٧ / ١٩٦ (ج ٩ م ٦٢ من التبيان)

(\*)

=====

(٤٩٠)

شئ هم؟ وفيه تعجيب عن حالهم. وقيل: أصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وأصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.

وقوله " والسابقون السابقون " معناه الذين سبقوا إلى اتباع الانبياء فصاروا أئمة الهدى. وقيل: السابقون إلى طاعة الله السابقون إلى رحمته، والسابقون إلى الخير إنما كانوا أفضل لانهم يقتدى بهم في الخير ويسبقوا إلى أعلى المراتب قبل من يجيئ بعدهم فلهذا تميزوا من التابعين بما لا يلحقونهم به ولو اجتهدوا كل الاجتهاد والسابقون الثاني يصلح أن يكون خبرا عن الاول، كأنه قال: والسابقون الاولون في الخير، ويصلح أن يكون " أولئك المقربون " وقوله " أولئك المقربون " معناه الذين قربوا من جزيل ثواب الله وعظيم كرامته بالامر الاكثر الذي لا يبلغه من دونهم في الفضل. والسابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمة الله في أعلا المراتب وأقربها إلى مجالس كرامته بما يظهر لاهل المعرفة منزلة صاحبه في جلالة ويصل بذلك السرور إلى قلبه، وإنما قال " في جنات النعيم " مع أنه معلوم من صفة المقربين، لئلا يتوهم أن التقريب يخرجهم إلى دار أخرى، وإنما هم مقربون من كرامة الله في الجنة لانها درجات ومنازل بعضها أرفع من بعض. والفرق بين النعيم والنعمة أن النعمة تقتضي شكر المنعم من أنعم عليه نعمة وانعاما، والنعيم من نعم نعيما كقولك أنتفع انتفاعا.

وقوله " ثلة من الاولين " فالثلة الجماعة. وأصله القطعة من قولهم: ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره. والثلة القطعة من الناس، وقال الزجاج: الثل القطع، والثلة كالفرقة والقطعة. وهو خبر ابتداء محذوف، وتقديره: هم ثلة من الاولين، وهم قليل من الاخرين. وقوله " وقليل من الآخرين " إنما قال ذلك لان الذين سبقوا إلى إجابة النبي (صلى الله عليه وآله) قليل من كثير ممن سبق إلى النبيين.

=====

(٤٩١)

وقوله " على سرر موضونة " فالموضونة المنسوجة المداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الاعشى:

ومن نسج داود موضونة \* تساق إلى الحي عيرا فعيرا (١)

ومنه (وضين الناقة) وهي البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا وقيل: موضونة مشبكة بالذهب والجوهر، وقال ابن عباس ومجاهد: موضونة بالذهب وقال عكرمة: مشبكة بالدر، وقال ابن عباس - في رواية أخرى - موضونة معناه مظفورة، والوضين حبل منسوج من سيور.

وقوله " متكئين عليها متقابلين " معناه مستنديين متحاذيين كل واحد بازاء الآخر، وذلك أعظم في باب السرور. والتقابل والتحاذي والتواجه واحد.  
والمعنى إن بعضهم ينظر إلى بعض وينظر إلى وجه بعض لا ينظر في قفاه، من حسن عشرته وتهذيب أخلاقه.  
قوله تعالى:

(يطوف عليهم ولدان مخلدون (١٧) بأكواب وأباريق وكأن من معين (١٨) لا يصدعون عنها ولا ينزفون (١٩) وفاكهة مما يتخيرون (٢٠) ولحم طير مما يشتهون (٢١) وحرور عين (٢٢) كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤)  
لا يسمعون فيها لغوا ولا تائثما (٢٥) إلا قبيلا سلاما سلاما (٢٦)  
عشر آيات كوفى ومدني الاخير، وتسع فيما عداه، عد المكي واسماعيل

(١) ديوانه ٧١ واللسان (ضمن) ومجاز القرآن ٢ / ٢٤٨ (\*)

=====

(٤٩٢)

" وأباريق " ولم يعده الباقر. وعد المدني والكوفى " وحرور عين " ولم يعده الباقر.  
قرأ ابوجعفر وأهل الكوفة إلا عاصما وخلفا " وحرور عين " خفضا. الباقر بالرفع. فمن رفع حملة على: ولهم حرور عين. واختاروا الرفع لان الحور العين لا يطاف بهن، وإنما يطاف بالكأس، وعلى هذا يلزم أن يقرأ " وفاكهة " رفعا وكذلك " ولحم طير " بالرفع لانهما لا يطاف بهما، فما اعتذروا في ذلك فهو عذر من قرأ بالخفض. ومن خفض عطف على الاول لتشاكل الكلام من غير اخلال بالمعنى إذ هو مفهوم. وقال الزجاج: ويكون تقديره ينعمون بكذا وحرور عين. وقال ابوعلی تقديره وفي مجاورة حور عين أو معانقة حور عين، لان الكلام الاول يدل عليه وقال الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوما \* وزججن الحواجب والعيونا (١)

والمعنى وكحلن العيون فرده على قوله (وزججن) ومثله:

(متقلدا سيفا ورمحا) (٢)

اي وحاملا رمحا. وكان يجوز النصب على تقدير ويعطون حورا عينا كما قال الشاعر:

جنني بمثل بني بدر لقومهم \* او مثل اخوة منظور بن سيار (٣)

لما كان معنى جنني هات عطف او مثل على المعنى وقال الحسن الحور البيض. وقال مجاهد يحار فيهن البصر.

لما ذكر الله تعالى ان السابقين إلى الخيرات والطاعات هم المقربون إلى نعيم

(١) القرطبي ١٧ / ٢٠٥ (٢) مرفي ٤ / ٢٣٢ (٣) مرفي ٣ / ٤٥٥ و ٦ / ٣٠ (\*)

(٤٩٣)

الجنة وثوابها، فانهم على سرر موضونة متقابلين، اخبر انه " يطوف عليهم ولدان " يعني صبيان " مخلدون " فالطوف الزور بالتنقل في المكان، ومنه الطائف الذي يطوف بالبلد على وجه الحرس. والولدان جمع وليد. ومخلدون قال مجاهد معناه باقون لهم لا يموتون. وقال الحسن: معناه انهم على حالة واحد لا يهرمون، يقال: رجل مخلد اي باق زمانا أسود اللحية لا يشيب وقال الفراء: معناه مقرطون والخلد القرط. والاكواب جمع كوب وهي اباريق واسعة الرؤوس بلا خراطيم - في قول قتادة - قال الاعشى:

صليفيه طيبا طعمها \* لها زبد بين كوب وذن (١)

والاباريق التي لها عرى وخراطيم واحدها ابريق و " كأس من معين " اي يطوفون عليهم ايضا بكأس من خمر معين ظاهر للعيون جار " لا يصدعون عنها " اي لا يلحقهم الصداع من شربها " ولا ينزفون " اي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر - في قول مجاهد و قتادة والضحاك - ومن قرأ " ينزفون " بالكسر، وهو حمزة والكسائي وخلف، حمله على أنه لا تقنى خمرهم قال الابررد:

لعمرى لئن أنزفتم او صحتم \* لبئس الندامى كنتم آل أبجرا (٢)

وقوله " وفاكهة مما يتخيرون " أي ويطاف عليهم بفاكهة مما يختارونه ومما يشتهونه، وينعمون بفاكهة مما يشتهونه. وقوله " ولحم طير مما يشتهون " أي ويطاف عليهم او ينعمون بلحم طير مما يشتهون. وقوله " وهور عين " من رفعه حمله على معنى ولهم فيها حور عين، لانهن لا يطاف بهن وإنما يطاف بالكأس. ومن جر فعلى معنى وينعمون بحور عين او يحصلون في معانقة حور عين. والحور جمع حوراء والحور نقاء البياض من كل شائب يجري مجرى الوسخ. وقوله " كأمثال اللؤلؤ "

(١) مرفي ٩ / ٢١٦ (٢) مرفي ٨ / ٤٩٦ (\*)

(٤٩٤)

أي مثل هؤلاء الحور في البياض والنقاء مثل اللؤلؤ " المكنون " يعني الدر المصون عما يلحق به من دنس كأنه مأخوذ من أن الدرة تبقى على حسنها أكثر مما يبقى غيرها لطبعها وصيانة الناس لها قال عمر بن أبي ربيعة:

وهي زهراء مثل لؤلؤ الغواص \* ميزت من جوهر مكنون  
" جزاء " أي يفعل ذلك بهم جزاء ومكافأة على ما عملوه في دار الدنيا من الطاعات وأجتناب المعاصي ثم قال " لا يسمعون فيها لغوا " أي لا يسمع المثابون في الجنة لغوا يعني مالا فائدة فيه من الكلام، لان كل ما يتكلمون به فيه فائدة (ولا تأثيما)

ولا يجري فيها ما يؤثم فيه قائله من قبيح القول (إلا قليلا سلاما سلاما) يعني لكن يسمعون قول بعضهم لبعض على وجه التحية " سلاما سلاما " إنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الاخلاق الذي يوجب التواد، لان طباعهم قد هذبت على أتم الكمال. ونصب (سلاما) على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة وحال الغبطة، وجاز ان يعمل فيه سلام، لانه يدل عليه، كما يدل على قوله " والله أنبتكم من الارض نباتا " (١) ويصلح أن يكون سلاما نعتا لقوله " قिला " ويصلح أن ينتصب ب (قيل) فالجوه الثلاثة محتملة. وقيل " إلا قليلا سلاما سلاما " أي قولاً يؤدي إلى السلامة.

قوله تعالى:

(وأصحاب اليمين \* ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩)  
وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١)  
وفاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤)

---

(١) سورة ٧١ نوح آية ١٧ (\*)

=====

(٤٩٥)

إنا أنشأناهم إنشاء (٣٥) فجعلناهم أبقارا (٣٦) عربا أترابا (٣٧)  
لأصحاب اليمين (٣٨) ثلثة من الاولين (٣٩) وثلثة من الآخرين (٤٠)  
أربع عشرة آية كوفى وعدد اسماعيل وبصري، وخمس عشرة آية فيما عداه عد المدني والمكي والبصري " وأصحاب اليمين " ولم يعده الباقون. وعد المدنيان والمكي والكوفى والشامي " انشاء " ولم يعده الباقون.

قرأ اسماعيل وحمزة وخلف ويحيى " عربا " مخففة. الباقون مثقلة، وهما لغتان. وروي عن علي (عليه السلام) انه قرأ " وطلع منضود " بالعين. والقراء على الحاء وقال علي (عليه السلام):

هو كقوله " ونخل طلعتها هضيم " (١) وقال كالمتعجب: وما هو شأن الطلع؟ ! فقيل: له ألا تغيره؟ قال: القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول.  
 وقوله " وأصحاب اليمين " قيل في معناه ثلاثة أقوال:  
 أولها - الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.  
 الثاني - الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة.  
 الثالث - اصحاب اليمين والبركة. وقوله " ما اصحاب اليمين " معنا ومعنى " ما أصحاب اليمين " سواء وقد فسرناه.  
 وقوله " في سدر مخضود " فالسدر شجر النبق، والمخضود هو الذي لا شوك فيه وخضد بكثرة جملته وذهاب شوكه - في قول ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك - وأصل الخضد عطف العود اللين. فمن ههنا قيل: لا شوك فيه، لان الغالب على الرطب اللين أنه لا شوك له.  
 وقوله " وطلح منضود " قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد:

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٤٨ (\*)

=====

(٤٩٦)

الطلح شجر الموز. وقال ابو عبيدة: الطلح كل شجر عظيم كثير الشوك، وقال الحارثي: بشرها دليلها وقالوا \* غدا ترين الطلح والجبالا (١)  
 وقال الزجاج: الطلح شجر أم غيلان. وقد يكون على أحسن حال، والمنضود هو الذي نضد بعضه على بعض من الموز - ذكره ابن عباس - وهو من نضدت المتاع إذا عبيت بعضه على بعض. قيل: فقتوا الموز منضود بعضه على بعض " وظل ممدود " معناه دائم لا تتسخره الشمس قال لبيد:  
 غلب البقاء وكننت غير مغلب \* دهر طويل دائم ممدود (٢)  
 وروي في الخبر أن (في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة).  
 وقوله " وماء مسكوب " أي مصبوب على الخمر يشرب بالمزاج. وقال قوم: يعني مصبوب يشرب على ما يرى من حسنه وصفائه، ولا يحتاجون إلى تعب في استنائه.  
 وقوله " وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة " أي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة. وقيل الوجه في تكرار ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت اولاً بأنها مما يتخيرون، وذكرت - ههنا - بأنها كثيرة وبأنها لا مقطوعة ولا ممنوعة. ومعناه لا مقطوعة كما تنقطع

فواكه الدنيا في الشتاء في اوقات مخصوصة، ولا ممنوع بتعذر تناول او شوك يؤذي كما يكون ذلك في الدنيا.

وقوله " وفرش مرفوعة " أي عالية يقال: بناء مرفوع أي عال. وقيل: معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن. وقال الحسن: فرش

---

(١) القرطبي ١٧ / ٢٠٨ ومجاز القرآن ٢ / ٢٥٠ (٢) القرطبي ١٧ / ٢٠٩ والطبري ٢٧ / ٩٤ (\*)

=====

(٤٩٧)

مرفوعة بعضها فوق بعض، والفرش المهاد المهيأ للاضطجاع، فرش يفرش فرشاً فهو فارش والشئ مفروش، ومنه قوله " الذي جعل لكم الارض فراشا " (١) لانها تصلح للاستقرار عليها.

وقوله " انا انشأناهن انشاء " معناه ان اخترعنا أزواجهم اختراعاً، وهذا يقوي قول من حمل الفرش على النساء. وقيل: المعنى انا أنشأناهن من البنية " فجعلناهن أباراً " والبكر التي لم يفتضها الرجل، ولم تقتض وهي على خلقتها الاولى من حال الانشاء. واصله الاول، ومنه بكرة أول النهار. والابتكار عمل الشئ اولاً.

والباكورة أول ما يأتي من الفاكهة. والبكر من الابل الفتى في اول أمره وحادثة سنه. وقال الضحاك: اباراً عذارى. وفي الخبر المرفوع (انهن كن عجائز رمضا في الدنيا). وقوله " عرباً أتراباً " فالعرب العواشق لازواجهن المنجبات اليهم - في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة - وقال لييد:

وفي الحدوج عروب غير فاحشة \* ربا الروادف يعشى دونها البصر (٢)  
والعرب جمع عروب على وزن (رسول، ورسول) وهي اللعوب مع زوجها انسا به راغبة فيه، كأنس العربي بكلام العرب، فكأن لها فطنة العرب والفهم وعهدهم. والاتراب جمع ترب وهو الوليدة التي تنشأ مع مثلها في حال الصبى، وهو مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب أي هم كالصبيان الذين على سن واحد. قال عمر ابن ابي ربيعة:

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢ (٢) مجاز القرآن ٢ / ٢٥١ والقرطبي ١٧ / ٢١١ (ج ٩ م ٦٣ من التبيان)

(\*)

=====

(٤٩٨)

ابرزوها مثل المهاة تهادي \* بين عشر كواعب أتراب (١)  
وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك: الاتراب المستويات على سن واحد. وقوله " لأصحاب اليمين " أي جميع ما تقدم ذكره لهم جزاء وثوابا على طاعتهم. وقوله " ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين " فالثلثة القطعة من الجماعة، فكأنه قال جماعة من الاولين وجماعة من الآخرين. وإذا ذكر بالتركيز كان على معنى البعض من الجملة، كما تقول رجال من جملة الرجال. وفائدة الآية أنه ليس هذا لجميع الاولين والآخرين. وإنما هو لجماعة منهم. وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال (إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة) ثم تلا قوله " ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين " وقال الحسن: سابقوا من مضى أكثر من سابقينا، فلذلك قيل " وقليل من الآخرين " وفي التابعين وثلثة من الآخرين.  
قوله تعالى:

(وأصحاب الشمال \* ما أصحاب الشمال (٤١) في سموم وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون (٤٧) أو آباؤنا الاولون (٤٨) قل إن الاولين والآخرين (٤٩) لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم (٥٠).  
عشر آيات كوفي عند جميعهم. وأحدى عشر آية في المدني الاول. عد

(١) مر في ٨ / ٥٧٣ (\*)

(٤٩٩)

الكل " وأصحاب الشمال " ولم يعده الكوفيون. وعد الكل " في سموم وحميم " ولم يعده الكوفيون، وعد " المكنون " و " كانوا يقولون " ولم يعده الباقون. وعد الكل إلا اسماعيل والشاميين " الاولين والآخرين " وعد اسماعيل والشاميون " لمجموعون " ولم يعده الباقون.  
قيل في معنى قوله " وأصحاب الشمال " ثلاثة اقوال:  
أحدها - إنهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم.  
الثاني - هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.  
الثالث - الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد. وكل هذا من أوصافهم.  
وقوله " ما أصحاب الشمال " معناه معنى قوله " واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة " وقد فسرناه.



وقوله " في سموم وحميم " فالسموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، ومسام البدن خروقه، ومنه أخذ السم، لانه يسري في المسام. والحميم الحار الشديد الحرارة من الماء، ومنه قوله " يصب من فوق رؤسهم الحميم " (١) وحم ذلك أي ادناه كأنه حرر أمره حتى دنا. وقيل: في سمون جهنم وحميمها.

وقوله " وظل من يحموم " فاليحموم الاسود الشديد السواد باحترق النار، وهو (يفعول) من الحم، وهو الشحم المسود باحترق النار. وأسود يحموم أي شديد السواد " وظل من يحموم " أي دخان شديد السواد - في قول ابن عباس وابي مالك ومجاهد وقتادة وابن زيد - وقوله " لا بارد ولا كريم " معناه لا بارد كبرد ظلال الشمس، لانه دخان جهنم، ولا كريم، لان كل ما انتقى عنه الخير، فليس بكريم. وقال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم المنظر.

---

(١) سورة ٢٢ الحج آية ١٩ (\*)

=====

(٥٠٠)

وقوله " إنهم كانوا قبل ذلك مترفين " قال ابن عباس: معناه إنهم كانوا في الدنيا متغممين. وقوله " وكانوا يصرون على الحنث العظيم " قال قتادة ومجاهد كانوا يقيمون على الذنب العظيم، ولا يتوبون منه، ولا يقلعون عنه. وقال الحسن والضحاك وابن زيد: كانوا يقيمون على الشرك العظيم. وقيل: اصرارهم على الحنث هو ما بينه الله تعالى في قوله " واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت " (١)

والاصرار الاقامة على الامر من جهة العزم على فعله، فالاصرار على الذنب نقيض التوبة منه، والحنث نقض العهد المؤكد بالحلف، فهؤلاء ينقضون العهود التي يلزمهم الوفاء بها، ويقمون على ذلك غير تائبين منه، ووصف الذنب بأنه عظيم أنه اكبر من غيره مما هو أصغر منه من الذنوب.

وقوله " وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون "؟ ! حكاية من الله تعالى عما كان يقول هؤلاء الكفار من انكارهم البعث والنشور والثواب والعقاب وأنهم كانوا يقولون مستبشرين منكبين: أنذا متنا وخرجنا عن كوننا أحياء وصرنا ترابا وعظاما بالية أننا لمبعوثون؟ ! ولم يجمع ابن عامر بين الاستفهامين إلا ههنا، أو يبعث واحد من آباؤنا الذين تقدموا قبلنا ويحشرون ويردون

إلى كونهم أحياء إن هذا لبعيد. والواو في قوله (أو آباؤنا) متحركة، لانها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) (قل إن الاولين والآخرين

لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي قل لهم يا محمد إن تقدمكم من آبائكم أو غير آبائكم،  
والآخرين الذين يتأخرون عن زمانكم يجمعهم الله ويبعثهم ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم  
عند الله، وهو يوم القيامة

(١) سورة ١٦ النحل آية ٣٨ (\*)

=====

(٥٠١)

قوله تعالى:

ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لآكلون من شجر من زقوم (٥٢) فمالؤن منها البطون  
(٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦)  
نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) أفأرأيتم ما تمنون (٥٨) ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون  
(٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا  
تعلمون) (٦١) احدى عشرة آية بلا خلاف قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة وسهل (شرب  
الهيم) بضم الشين.

الباقون بالفتح، وهما لغتان. وقرأ (نحن قدرنا) خفيفة ابن كثير. الباقون بالتحديد وهما لغتان.  
يقال قدرت، وقدرت، وقد فرق بينهما فيما ذكره.

لما امر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يقول لمن انكر البعث والنشور قل لهم إنكم ومن  
تقدمكم وتأخر عنكم مبعوثون ومحشورون إلى يوم القيامة بين مالهم في ذلك اليوم فقال (ثم  
أنكم أيها الضالون المكذبون) يعني الذين ضللتهم عن الدين وعن طريق الحق وحرمتهم عن  
إتباع الصحيح المكذبون الذين كذبتم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وجحدتم نبوة نبيه (لا  
كلون) يوم القيامة (من شجر من زقوم) فالزقوم ما يبتلع بتصعب، يقال: تزقم هذا الطعام تزقما  
إذا ابتلعه بتصعب. وقيل: هو طعام خشن مركبه يعسر نزوله في الحلق.  
وقوله (فما لئون منها البطون) أي تملئون بطونكم من أكل هذا الزقوم

=====

(٥٠٢)

والشجر يؤنث ويذكر، فلذلك قال (منها) وكذلك الثمر يذكر ويؤنث، فالتذكير على الجنس،  
والتأنيث على المبالغة. والبطون جمع بطن وهو خلاف الظهر، وهو داخل الوعاء وخارجه  
ظهر، وبطن الامر إذا غمض، ومنه الظهارة والبطانة، وبطن الانسان، وبطن الارض، وبطن  
الكتاب.

وقوله (فشاربون عليه من الحميم) معناه إنكم تشربون على هذا الزقوم الذي ملاتم بطونكم منه (من الحميم) وهو الماء الحار الشديد الحرارة (فشاربون شرب الهيم) أي تشربون مثل ما تشرب الهيم، فمن فتح الشين أراد المصدر ومن ضمه أراد الاسم، وقيل هما لغتان. وروى جعفر بن محمد أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بلالا أن ينادي بمنى إنها أيام أكل وشرب - بفتح الشين - و (الهيم) الابل التي لا تروى من الماء لداء يصيبها، واحدا (أهيم) والانتى (هيما) ومن العرب من يقول:

هايم وهايمة، وتجمعه على هيم كغايط وغيط. وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة: معناه شرب الابل العطاشى التي لا تروى. وقيل: هو داء الهيام. وحكى الفراء: إن الهيم الرجل الذي لا يروى من الماء يشرب ما يحصل فيه.

وقوله (هذا نزلهم يوم الدين) فالنزل الامر الذي ينزل عليه صاحبه، ومنه النزل وهو الجاري للإنسان من الخير، وأهل الضلال قد نزلوا على أنواع العذاب في النار، وكل ما فصله الله تعالى من ذلك ففيه أتم الزجر واعظم الردع. وقيل:

معنى الآية هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء.

وقوله (نحن خلقناكم) أي نحن انشأناكم وابتدأناكم في النشأة الاولى (فهلا تصدقون) أنكم تبعثون. ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ما ذكرناه فقال (أفأرأيتم ما تمنون) ومعناه الذي يخرج منكم من المني عند الجماع، ويخلق منه الولد (أنتم تخلقونه) وتنشئونه (أم نحن الخالقون) فهم لا يمكنهم ادعاء إضافة ذلك

=====

(٥٠٣)

إلى نفوسهم لعجزهم عن ذلك، فلا بد من الاعتراف بأن الله هو الخالق لذلك، وإذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب أن يكون قادرا على اعادته بعد موته لانه مثله، وليس بأبعد منه، يقال: أمني يماني، ومنى يماني، بمعنى واحد، وكذلك أمذى، ومذى - في قول الفراء.

وقوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) فالتقدير ترتيب الامور على مقدار فالله تعالى أجرى الموت بين العباد على مقدار ما تقتضيه الحكمة، فانما أجراه الحكيم على ذلك المقدار.

وقوله (وما نحن بمسبوقين) أي لسنا بمسبوقين في تدبيرنا، لان الامور كلها في مقدور الله وسلطانه على ما يصح ويجوز فيما مكن منه أو اعجز عنه. وقال مجاهد: تقدير الموت بالتعجيل لقوم والتأخير لغيرهم. وقيل (نحن قدرنا بينكم الموت) بأن كتبناه على مقدار، لا زيادة فيه ولا نقصان. ويقال: قدرت الشيء مخففا، وقدرته متقلا بمعنى واحد.

وقوله (على ان نبدل امثالكم) فالتبديل جعل الشئ موضع غيره، فتبديل الحكمة بالحكمة صواب وتبديل الحكمة بخلافها خطأ وسفه، فعلى هذا ينشئ الله قوما بعد قوم، لان المصلحة تقتضي ذلك، والحكمة توجب إنشاءهم في وقت وإماتتهم في وقت آخر. وانشاؤهم بعد ذلك للحساب والثواب والعقاب. وقيل: إن معنى (على أن نبدل) التبديل أي لنبدل أمثالكم، وبين (على) و (اللام) فرق، لانه يجوز أن يقال: عمله على قبحه، ولا يجوز عمله لقبحه. وتعليم الاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الثانية فيه تعليم القياس.

وقوله (وننشئكم فيما لا تعلمون) معناه فيما لا تعلمون من الهيآت والصور المختلفة، لان المؤمن يخلق على أحسن صورة، والكافر على أقبح صورة. وقيل:

=====

#### (٥٠٤)

هذا على النشأة الثانية يكونها الله في وقت لا يعلمه العباد، ولا يعلمون كيفيته، كما علموا الانشاء الاول من جهة التنازل. وقيل: معناه لو أردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم يعيينا ذلك، ولا سبقنا اليه سابق. ويجوز أن يقال: أمثال متفقة، ولا يجوز أن يقال اجناس متفقة، لان المثل ينفصل بالصورة كما ينفصل رجل عن رجل بالصورة، وما انفصل بالصورة يجوز جمعه، لان الصورة قد منعت أن تجري على الكثير منه صفة التوحيد، فلا يجوز أن يقال هؤلاء الرجال كلهم رجال واحد ويجوز هذا الماء كله ماء واحد، وهذه المذاهب كلها مذهب واحد، ولا يجوز هؤلاء الامثال كلهم أمثال واحد، لانهم ينفصلون بالصورة. وجرى مجرى المختلفة في انه لا يقع على صفة التوحيد.

قوله تعالى:

(ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون (٦٢) أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أنتم تزرعون أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت تفكهن (٦٥) إنا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) (٧١) تسع آيات بلا خلاف.

قرأ ابوبكر " إنا لمغرمون " على الاستفهام. الباقر على الخبر.

يقول الله تعالى مخاطبا للكفار الذين أنكروا النشأة الثانية، ومنبها لهم على قدرته عليها، فقال (ولقد علمتم النشأة الاولى فهلا تذكرون) وتفكرون وتعتبرون

=====

#### (٥٠٥)

بأن من قدر عليها قدر على النشأة الثانية. والنشأة المرة من الانشاء، كالضربة من الضرب، والانشاء إيجاد الشيء من غير سبب يولده، ومثله الاختراع والابتداع.

ثم نبههم على طريق غيره فقال (أفرايتم ما تحرثون) من الزرع (أنتم تزرعونه) أي أنتم تنبتونه وتجعلونه رزقا (أم نحن الزارعون) فان من قدر على إنبات الزرع من الحبة الحقيرة وجعلها حبوبا كثيرة قدر على إعادة الخلق إلى ما كانوا عليه. وقوله (لو نشاء لجعلناه) يعني ذات الزرع (حطاما) أي هشيم لا ينتفع به في مطعم ولا غداء لفلاننا. وقوله (فظلتم تفكهنون) معناه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة - في رواية عنه - تعجبون. وقال الحسن وقتادة - في رواية - فظلتم تدمون أي لو جعلناه حطاما لظلمت تدمون. والمعنى إنكم كنتم تتروحون إلى التندم، كما تتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم، وأصله التفكه تناول ضروب الفاكهة للاكل، وقوله (إنا لمغرمون) المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض عنه. وأصله ذهاب المال بغير عوض، فمنه الغريم لذهاب ماله بالاحتباس على المدين من غير عوض منه في الاحتباس، والغارم الذي عليه الدين الذي يطالبه به الغريم. ومنه قوله (ان عذابها كان غراما) (١) أي ملحا دائما كالحاح الغريم. وقال الحسن: هو من الغرم. وقال قتادة معنى (لمغرمون) لمعذبون، قال الاعشى:

إن يعاقب يكن غراما وإن يعد \*؟ جزيلا فانه لا يبالي (٢)

أي يكن عقابه عذابا ملحا كالحاح الغريم. وقال الراجز:

يوم النصار ويوم الجفار \* كانا عذابا وكانا غراما (٣).

أي ملحا كالحاح الغريم، وحذف يقولون إنا لمغرمون، لدلالة الحكاية.

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٥ (٢، ٣) مر في ٧ / ٥٠٥ (ج ٩ م ٦٤ من التبيان)

(\*)

## (٥٠٦)

وقال: معنى لغرمون محدودون عن الخط. وقال قتادة محارفون. وقال مجاهد - في رواية

أخرى - إنا لمولع بنا. وفي رواية غيره عنه معناه إنا لملقون في الشر.

ومن قرأ (إنا لمغرمون) على الاستفهام حمل على أنهم يقرعون ويقولون منكرين.

إنا لمغرمون؟! ومن قرأ على الخبر حمله على أنهم مخبرون بذلك عن انفسهم. ثم يستدركون

فيقولون لا (بل نحن محرومون) مبخوسون بحظوظنا محارفون بهلاك زرعنا.

ثم قال لهم منيها على دلالة اخرى فقال (افرأيتم الماء الذي تشربون أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) والمعنى إنه تعالى امتن عليهم بما انعم عليهم من انزال الماء العذب (من المزن) يعني السحاب ليشربوه وينتفعوا به، فقال لهم (أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) له عليكم نعمة منا عليكم ورحمة بكم. ثم قال (لو نشاء جعلناه اجاجا) قال الفراء: الاجاج المر الشديد المرارة من الماء. وقال قوم: الاجاج الذي اشتدت ملوحته (فلو لا تشكرون) أي فهلا تشكرون على هذه النعمة التي لا يقدر عليها غير الله، وعلمتم بذلك ان من قدر على ذلك قدر على النشأة الاخرى فانها لا تتعذر عليه كما لا يتعذر عليه هذه النعم. قوله تعالى:

(أفرأيتم النار التي تورون (٧١) أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون (٧٢) نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين (٧٣)  
فسبح باسم ربك العظيم (٧٤) فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥)  
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) إنه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب مكنون (٧٨) لا يمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العالمين (٨٠)

=====

## (٥٠٧)

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلا عاصما (بموقع) على التوحيد. الباقر (بمواقع)  
على الجمع.

هذا تنبيه آخر من الله تعالى على قدرته على النشأة الثانية، وعلى وجه الدلالة على ذلك وعلى اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره، لانه قال (افرأيتم)  
معاشر العقلاء (النار التي تورون) فالنار مأخوذ من النور، ومنه قول الحارث ابن حلزة:  
فتتورت نارها من بعيد \* بخزازي هيهات منك الصلاء (١)  
وجمع النور انوار، وجمع النار نيران، والنار على ضربين: نار محرقة، ونار غير محرقة.  
فالتى لا تحرق النار الكامنة بما هي مغمورة به كنار الشجر ونار الحجر ونار الكيد. والتي تحرق هي النار الظاهرة فيما هي مجاورة له مما من شأنه الاشتعال، وهي معروفة. ومعنى "تورون" تظهرون النار، ولا يجوز الهمزة، لانه من اورى يورى ايراء إذا قدح، فمعنى تورون تقدحون. وورى الزند يورى، فهو وار إذا.

أنقذت منه النار، ووريت بك زنادي إذا اصابك أمرى كما يضيئ القدح بالزناد ثم قال " أنتم أنشأتم شجرتها " يعني الشجرة التي تنقذ منها النار أي انتم انبتموها وابتدأتموها " أم نحن

المنشئون " لها، فلا يمكن أحد ان يدعي ان الذي أنشأها غير الله تعالى والعرب تقدر بالزند  
والزندة، وهو خشب معروف يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار - ذكره الزجاج وغيره -  
وفي المثل (كل شجرة فيها نار واستمجد المرخ والعفرار) فان قيل: لم لا يكون نار الشجر بطبع  
الشجر لا من

---

(١) اللسان (نور)

(\*)

=====

(٥٠٨)

قادر عليه. قيل: الطبع غير معقول، فلا يجوز أن يسند اليه الافعال، ولو جاز ذلك للزم في  
جميع افعال الله، وذلك باطل ولو كان معقولا لكان ذلك الطبع لابد ان يكون في الشجر والله  
تعالى الذي أنشأ الشجرة وما فيها، فقد رجع إلى قادر عليه وإن كان بواسطة، ولو جاز ان  
تكون النار من غير قادر عليها لجاز أن يكون من عاجز، لانه إذا امتنع الفعل ممن ليس بقادر  
عليه منا، لانه فعل، وكل فعل ممتنع ممن ليس بقادر عليه.

وقوله " نحن جعلناها " يعني تلك النار " تذكرة ومتاعا للمقوين " أي جعلنا النار تذكرة للنار  
الكبرى، وهي نار جهنم، فيكون ذلك زجرا عن المعاصي التي يستحق بها النار - في قول  
مجاهد وقتادة - ويجوز ان يكون المراد تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها ويعتبر بها، فيعلم انه  
تعالى قادر على النشأة الثانية، كما قدر على إخراج النار من الشجر الرطب. وقوله " ومتاعا  
للمقوين " يعني ينتفع بها المسافرون الذين نزلوا الارض القي وهي القفر، قال الراجز:

قي يناصرها بلاد قي (١)

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: للمقوين المسافرين، وقيل: هو من أقوت الدار إذا  
خلت من أهلها قال الشاعر:

أقوى واقفر من نعم وغيرها \* هوج الرياح بها في الترب موار (٢)

وقد يكون المقوي الذي قويت خيله ونعمه في هذا الموضع.

ثم أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع المكلفين بأن " سبح بحمد ربك  
العظيم " أي نزه الله تعالى عما لا يليق به وأدعه باسمه العظيم.

وقوله " فلا اقسم بمواقع النجوم " قال سعيد به جبير: (لا) صلة والتقدير

---

(١) اللسان (قوا) (٢) تفسير الطبري ٢٧ / ١٠٤ (\*)

=====

(٥٠٩)

أقسم. وقال الفراء: هي نفي بمعنى ليس الامر كما تقولون. ثم استؤنف " اقسام " وقيل (لا) تزداد قبل القسم، كقولك لا والله لا افعل، ولا والله ما كلمت زيدا وقال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري \* لا يدعي القوم اني أفر (١)

بمعنى وابيك و (لا) زائدة و " مواقع النجوم " قال ابن عباس ومجاهد أي القرآن، لانه أنزل نجوما. وقال مجاهد - في رواية أخرى - وقتادة: يعني مساقط نجوم السماء ومطالعها. وقال الحسن: معناه إنكدارها وهو إنتشارها يوم القيامة، ومن قرأ " بموقع " فلانه يقع على الكثير والقليل. ومن قرأ على الجمع، فلا ختلاف أجناسه.

وقوله " وإنه لقسم لو تعلمون عظيم " اخبار من الله تعالى بأن هذا القسم الذي ذكره بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لا نتفعتم بعلمه. والقسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ على طريقة بالله إنه لكذا. وقال ابو علي الجبائي: القسم في كل ما ذكر في القرآن من المخلوقات إنما هو قسم بربه، وهذا ترك الظاهر من غير دليل، لانه قد يجوز ذلك على جهة التنبيه على ما في الاشياء من العبرة والمنفعة. وقد روي أنه لا ينبغي لاحد أن يقسم إلا بالله، والله ان يقسم بما يشاء من خلقه، فعلى هذا كل من اقسام بغير الله او بشي من صفاته من جميع المخلوقات او الطلاق او العتاق لا يكون ذلك يمينا منعقدة، بل يكون كلاما لغوا. والعظيم هو الذي يقصر عن مقداره غيره فيما يكون منه، وهو على ضربين: احدهما - عظيم الشخص، والآخر - عظيم الشأن.

وقوله " إنه لقرآن كريم " معناه إن الذي تلوناه عليكم لقرآن تفرقون به

---

(١) ديوانه (السندوبي) ٩٤ (\*)

=====

(٥١٠)

بين الحق والباطل " كريم " فالكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير، فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بالادلة التي تؤدي إلى الحق في الدين كان كريما على حقيقة معنى الكريم، لا على التشبيه بطريق المجاز، والكريم في صفات الله من الصفات النفسية التي يجوز فيها لم يزل كريما، لان حقيقته تقتضي ذلك من جهة ان الكريم الذي من شأنه ان يعطي



الخير الكثير، فلما كان القادر على التكرم هو الذي لا يمنعه مانع من شأنه ان يعطي الخير الكثير صح أن يقال إنه لم يزل كريما.  
وقوله " في كتاب مكنون " قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالى فيه القرآن والمكنون المصون.

وقوله " لا يمسه إلا المطهرون " قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: لا يمسه الكتاب الذي في السماء إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة - في قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وجابر وابن زيد وأبي نهد ومجاهد. وقيل " لا يمسه إلا المطهرون " في حكم الله. وقد استدلت بهذه الآية على أنه لا يجوز للجنب والحائض والمحدث أن يمسوا القرآن، وهو المكتوب في الكتاب الذي فيه القرآن أو اللوح.

وقال قوم: إنه لا يجوز لهم ان يمسوا الكتاب الذي فيه، ولا أطراف او راقه، وحملوا الضمير على انه راجع إلى الكتاب وهو كل كتاب فيه القرآن. وعندنا إن الضمير راجع إلى القرآن. وإن قلنا إن الكتاب هو اللوح المحفوظ، فذلك وصفه بأنه مصون، ويبين ما قلناه قوله " تنزّل من رب العالمين " يعني هذا القرآن تنزّل من رب العالمين أنزله الله الذي خلق الخلائق ودبرهم على ما أراد.

قوله تعالى:

(أفبهذا الحديث أنتم مدهنون (٨١) وتجعلون رزقكم

=====

(٥١١)

أنكم تكذبون (٨٢) فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥)

فلولا إن كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها إن كنتم صادقين (٨٧)

فأما إن كان من المقربين (٨٨) فروح وريحان وجنت نعيم (٨٩)

وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١).

إثنا عشرة آية شامي، واحدى عشرة فيما عداه، عد الشاميون " وروح وريحان " ولم يعده الباقون.

قرأ يعقوب " فروح وريحان " بضم الراء. الباقون بفتحها، وهما لغتان.

وقال الزجاج: الروح بفتح الراء معناه الراحة وبالضم معناه حياة دائمة لا موت معها.

يقول الله تعالى مخاطبا للمكلفين على وجه التقرّيع لهم والتوبيخ بصورة الاستفهام " أفبهذا الحديث " الذي حدثناكم به وأخبرناكم به من حوادث الامور " أنتم مدهنون " قال ابن عباس:

معنى مدهنون مكذبون. وقال مجاهد: معناه تريدون أن تمالؤهم فيه وتركنوا اليهم لانه جريان معهم في باطلهم. وقيل: معناه مناققون في التصديق بهذا الحديث وسماه الله تعالى حديثا كما قال " الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها " (١) ومعناه معنى الحدوث شيئا بعد شئ ونقيض (حديث)

قديم، والمدهن الذي يجري في الباطل على خلاف الظاهر، كالدهن في سهولة ذلك

(١) سورة الزمر آية ٢٣ (\*)

=====

(٥١٢)

عليه والاسراع فيه، أدهن يدهن إدهانا وداهنه مدهانة مثل ناقفه مناقفة، وكل مدهن بصواب الحديث مذموم.

وقوله " وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون " معناه وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم إنكم تكذبون ويجوز شكر رزقكم، وقال ابن عباس: معناه وتجعلون شكركم، وروي انه كان يقرأ كذلك. وقيل: حظكم من القرآن - الذي رزقكم الله - التكذيب به - في قول الحسن - وقيل: إنهم كانوا إذا أمطروا أو أخصبوا، قالوا مطرنا بنؤ كذا، فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم. وكذلك قرأ المفضل عن عاصم " تكذبون " بفتح التاء خفيفا.

وقوله " فلولا إذا بلغت الحلقوم " قال الحسن: معناه هلا إذا بلغت هذه النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها الحلقوم " وانتم حينئذ تنظرون " أي تنظرون ما ينزل بكم من امر الله قال الزجاج: قوله تعالى " وانتم حينئذ " خطاب لاهل الميت، وتقديره إذا بلغت الحلقوم وانتم معاشر اهله ترونه على تلك الصورة.

ويحتمل ان يكون المراد وأنتم حينئذ تبصرون على ضرب من المجاز. وقوله " ونحن اقرب اليه منكم " معناه إن الله تعالى يراه من غير مسافة بينه وبينه، فلا شئ اقرب اليه منه، واقرب من كل من يراه بمسافة بينه وبينه " ولكن لا تبصرون " معناه ولكن لا تعلمون ذلك لجهلكم بالله وبما يجوز عليه وما لا يجوز. ويحتمل أن يكون المراد ولكن لا تبصرون الله، لان الرؤية مستحيلة عليه. وقيل معناه: ولكن لا تبصرون الملائكة التي تتولى قبض روحه.

وقوله " فلولا ان كنتم غير مدينين " معناه هلا إن كنتم غير مجزيين بثواب الله او عقابه على ما تدعونه من إنكار البعث والنشور " ترجعونها " أي تردون هذه النفس إلى موضعها " إن كنتم صادقين " في قولكم وإدعائكم. وحكى الطبري

=====

### (٥١٣)

عن بعض النحويين ان الكلام خرج متوجها إلى قوم أنكروا البعث، وقالوا نحن نقدر على الامتناع من الموت، فقيل لهم: هلا رددتم النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين فيما تدعون. وقال الفراء: جواب (لولا) (ترجعونها) وهو جواب " فلولا إن كنتم غير مدينين " اجيبا بجواب واحد، قال ومثله " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " (١)

يعني إن الجواب والخبر في هذا على قياس واحد، وإنما جاز ان يجاب معنيان بجواب واحد، لان كل واحد منهما يوجب ذلك المعنى، والمعنى فلولا إذا بلغت الحلقوم على ادعائهم انه لا يصح ان يكون القادر على إخراجها قادرا على ردها يلزم ان يكون القادر على ردها غيره، وكذلك يلزم من قولهم إنه لا يصح ان يقدر على ردها للجزاء ان يكون القادر غيره منهم ومن أشبهاهم. والرجع جعل الشئ على الصفة التي كان عليها قبل، وهو إنقلابه إلى الحال الاولى، ولو انقلب إلى غيرها لم يكن راجعا. ووجه إلزامهم على إنكار الجزاء ورجوع النفس إلى الدنيا ان إنكار ان يكون القادر على النشأة الاولى قادرا على النشأة الثانية كادعاء ان القادر على الثانية انما هو من لم يقدر على الاولى، لان إنكار الاول يقتضي ايجاب الثاني كإنكار ان يكون زيد المتحرك حركت نفسه في اقتضاء ان غيره حركه. ومعنى " غير مدينين " غير مجزيين. وقيل: معناه غير مملوكين، والدين الجزاء. ومنه قولهم: كما تدين تدان أي تجزي تجزي والدين العمل الذي يستحق به الجزاء من قوله " ان الدين عندالله الاسلام " (٢) ومنه دين اليهود غير دين النصارى، وفلان يتدين أي يعمل ما يطلب به الجزاء من الله تعالى، والعبد مدين، لانه تحت جزاء

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٨٨ (٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٩ (ج ٩ م ٦٥ من التبيان)

(\*)

=====

### (٥١٤)

مولاه، وإنما يجوز الانقلاب من صفة إلى صفة على ان يكون على احدهما بجعل جاعل ومن استحق صفة النفس لا لمعنى ولا بالفاعل لا يجوز ان ينقلب عنها إلى غيرها. وقوله " فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم " اخبار من الله تعالى بما يستحقه المكلفون لمن كان منهم سابقا إلى الخيرات والى افعال الطاعات فله روح وريحان، وهو الهوى الذي يلذ النفس ويزيل عنها الهم. وقيل: الروح الراحة والريحان: الرزق - في قول

مجاهد وسعيد بن جبير - وقال الحسن وقتادة: هو الريحان المشموم، وكل نبات طيب الريح، فهو ريحان، وقيل الروح الفرح. وقيل:

الروح النسيم الذي تستريح اليه النفس. واصل ريحان روحان، لانه من الواو إلا انه خفف، وأهمل التنقيح للزيادة التي لحقته من الالف والنون - ذكره الزجاج - وقوله " وجنة نعيم " أي ولهذا المقرب مع الروح والريحان " جنة نعيم " أي بستان ينعم فيها ويلتذ بأنواع الثمار والفواكه فيها.

وقوله " واما ان كان من اصحاب اليمين " وقد فسرنا معناه " فسلام لك من اصحاب اليمين " دخلت كاف الخطاب كما يدخل في ناهيك به شرفا، وحسبك به كرما أي لا تطلب زيادة جلاله على جلاله، وكذلك سلام لك منهم أي لا تطلب زيادة على سلامهم جلاله وعظم منزلته. وقال قتادة: معناه فسلام لك ايها الانسان الذي من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله.

وقال الفراء: وسلام لك إنك من اصحاب اليمين فحذفت إنك. وقيل معناه سلمت مما تكره لانك من اصحاب اليمين. وقال الزجاج: معناه وسلام لك إنك ترى فيهم ما تحب من السلامة، وذكر اصحاب اليمين في اول السورة بأنهم " في سدر مخضود " وذكرهم في آخرها بأنهم يبشرون بالسلامة من كل ما يكرهون. وقيل:

إنما كان التبرك باليمين، لان العمل يتيسر بها، واما الشمال فيتعسر العمل بها من

## (٥١٥)

نحو الكتابة والتجارة والاعمال الدقيقة.

قوله تعالى:

(وأما إن كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من حميم (٩٣) وتصلية جحيم (٩٤) إن هذا  
او حق اليقين (٩٥)

فسبح باسم ربك العظيم) (٩٦) خمس آيات بلا خلاف.

لما اخبر الله تعالى ما للسابقين من انواع الثواب والنعيم، وبين ما لاصحاب اليمين من الخيرات والثواب الجزيل، اخبر بما للكفار المكذبين بيوم الدين المنكرين للبعث والنشور والجزاء بالثواب والعقاب، فقال " واما إن كان " هذا الانسان المكلف (من المكذبين) بتوحيد الله الجاحدين لنبوة نبيه الدافعين للبعث والنشور (الضالين)

عن طريق الهدى العادلين عنه (فنزل من حميم) أي نزلهم الذي أعد لهم من الطعام والشراب من ماء من حميم (وتصلية جحيم) أي احراق بنار جهنم، يقال صلاه الله تصلية إذا ألزمه الاحتراق بها، وتقديره فله نزل من حميم.

وقوله (إن هذا لهو حق اليقين) أي هذا الذي أخبرتك به هو الحق الذي لا شك فيه بل هو اليقين الذي لا شبهة فيه وحق اليقين إنما جاز اضافته إلى نفسه، لأنها إضافة لفظية جعلت بدلا من الصفة، لأن المعنى إن هذا لهو حق اليقين، كما قيل هذا نفس الحائط، بمعنى النفس الحائط، وجاز ذلك للإيجاز مع مناسبة الإضافة للصفة. واما قولهم (رجل سوء) فكقولك رجل سواء وفساد. وقيل معنى حق اليقين حق الأمر اليقين.

وقوله (فسبح باسم ربك العظيم) أمر من الله تعالى لنبيه ان ينزه الله تعالى

=====

(٥١٦)

عما لا يليق به ويذكره باسمه العظيم. وقيل: انه لما نزلت هذه الآية قال النبي (صلى الله عليه وآله) (ضعوها في ركوعكم) وقولوا (سبحان ربي العظيم) والعظيم في صفة الله معناه ان كل شئ سواه مقصر عن صفته بأنه قادر عالم غني إذ هو قادر لا يعجزه شئ ولا يساويه شئ في مقدوراته، وعالم لا يخفى عليه شي على كل وجوه التفصيل، وغني بنفسه عن كل شئ سواه لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه ولا على حال من الاحوال.

=====

(٥١٧)

٥٧ - سورة الحديد مدينة بلا خلاف، وهي تسع وعشرون آية في الكوفي والبصري وثمان وعشرون في المدينيين.

بسم الله الرحمن الرحيم.

(سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم (١))

له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير (٢) هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم (٣) هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منا وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الامور) (٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبرا ان جميع ما في السموات والارض يسبح له. وقد بينا في غير موضع معنى التسبيح وانه التنزيه له عن الصفات التي لا تليق به. فمن كان

=====

(٥١٨)

من العقلاء عارفا به فانه يسبحه لفظا ومعنى، وما ليس بعاقل من سائر الحيوان والجمادات فتسبيحها ما فيها من الآية الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه، وما فيها من الحجج على أنه لا يشبه خلقه وأن خلقه لا يشبهه، ذلك بالتسبيح. وإنما كرر ذكر التسبيح في غير موضع من القرآن لانعقاده لمعان مختلفة لا ينوب بعضها مناب بعض، فمن ذلك قوله " وإن من شئ إلا يسبح بحمده " (١)

فهذا تسبيح بحمد الله وأما " سبح لله ما في السموات والارض " فهو تسبيح بالله " العزيز الحكيم " فكل موضع ذكر فيه فلعهده بمعنى لا ينوب عنه غيره منابه، وإن كان مخرج الكلام على الاطلاق " والعزيز الحكيم " معناه المنيع بأنه قادر لا يعجزه شئ العليم بوجوه الصواب في التدبير، ولا تطلق صفة " العزيز الحكيم " إلا فيه تعالى، لانه على هذا المعنى.

وقوله " له ملك السموات والارض " اخبار بأن له التصرف في جميع ما في السموات والارض وليس لاحد منعه منه ولا أن احدا ملكه ذلك وذلك هو الملك الاعظم، لان كل ما عداه فما يملكه، فان الله هو الذي ملكه إياه، وله منعه منه.

وقوله " يحيي ويميت " معناه يحيي الموات، لانه يجعل النطفة وهي جماد حيوانا ويحييها بعد موتها يوم القيامة، ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم " وهو على كل شئ قدير " أي كل ما يصح ان يكون مقدورا له، فهو قادر عليه.

وقوله " هو الاول والآخر " قيل في معناه قولان:

احدهما - قال البلخي إنه كقول القائل: فلان اول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الامر وبه يتم.

الثاني - قال قوم: هو أول الموجودات لانه قديم سابق لجميع الموجودات وما

---

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٤٤ (\*)

=====

(٥١٩)

عداه محدث. والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات. والآخر بعد فناء كل شئ،  
لانه تعالى بفني الاجسام كلها وما فيها من الاعراض، ويبقى وحده ففي الآية دلالة على فناء  
الاجسام.

وقوله " الظاهر والباطن " قيل في معناه قولان:

احدهما - انه العالم بما ظهر وما بطن.

الثاني - انه القاهر لما ظهر وما بطن من قوله تعالى " فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم

فاصبحوا ظاهرين " (١) ومنه قوله " ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " (٢)

وقيل: المعنى إنه الظاهر بادلته الباطن من أحساس خلقه " وهو بكل شئ عليم " ما يصح ان  
يكون معلوما، لانه عالم لنفسه.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال " هو الذي خلق السموات والارض " أي اخترعهما وانشأهما "  
في ستة ايام " لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شئ بعد شئ من جهة ولما في الاخبار  
به من المصلحة للمكفين ولو لا ذلك لكان خلقها في لحظة واحدة، لانه قادر على ذلك من  
حيث هو قادر لنفسه.

وقوله " ثم استوى على العرش " أي استولى عليه بالتدبير قال البيهقي.

ثم استوى بشر على العراق \* من غير سيف ودم مهراق (٣)

وهو بشر بن مروان، لما ولاه اخوه عبدالملك بن مروان. وقيل: معناه ثم عمد وقصد إلى خلق  
العرش، وقد بينا ذلك فيما تقدم. ثم قال " يعلم ما يلج في الارض " أي ما يدخل في الارض  
ويستتر فيها، فالله عالم به لا يخفى عليه منه شئ " وما يخرج منها " أي ويعلم ما يخرج من  
الارض من سائر النبات والحيوان والجماد

---

(١) سورة ٦١ الصف آية ١٤ (٢) سورة ١٧ الاسرى آية ٨٨ (٣) مر في ١ / ١٢٥، و ٢ / ٣٩٦ و ٤ / ٥٢ و

٥ / ٣٨٦ (\*)

=====

(٥٢٠)

ولا يخفى عليه شئ " وما ينزل من السماء " أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير  
ذلك من انواع ما ينزل منها لا يخفى عليه شئ منها " وما يعرج فيها " أي ويعلم ما يعرج في  
السماء من الملائكة وما يرفع اليها من أعمال الخلق " وهو معكم " بعني بالعلم لا يخفى عليه  
حالكم وما تعملونه " والله بما تعملون بصير " من خير وشر أي عالم به.

ثم قال " له ملك السموات والارض " أي له التصرف فيهما على وجه ليس لاحد منعه منه " واليه ترجع الامور " يوم القيامة. والمعنى أن جميع من ملكه شيئاً في دار الدنيا يزول ملكه ولا يبقى ملك أحد، ويتفرد تعالى بالملك، فذلك معنى قوله (واليه ترجع الامور) كما كان كذلك قبل أن يخلق الخلق.  
قوله تعالى:

(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (٦) آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٧) وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين (٨) هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم (٩) وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم

=====

(٥٢١)

درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) (١٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده (وقد اخذ ميثاقكم) بضم الالف، على ما لم يسم فاعله. الباقيون - بالفتح - بمعنى واخذ الله ميثاقكم، وقرأ ابن عامر ووحده (وكل وعد الله الحسنى) بالرفع، وهي في مصاحفهم بلا الف جعله مبتداء وخبراً وعدى الفعل إلى ضميره، وتقديره: وكل وعد الله الحسنى، كما قال الراجز:

قد اصبحت أم الخيار تدعي \* علي ذنبا كله لم أصنع أي لم اصنعه، فحذف الهاء. الباقيون بالنصب على أنه مفعول (وعد الله)

وتقديره وعد الله كلا الحسنى، ويكون (الحسنى) في موضع نصب بأنه مفعول ثان وهو الاقوى.

معنى قوله (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي إن ما ينقص من الليل يزيد في النهار، وما ينقص من النهار يزيد في الليل حسب ما قدره على علم من صالح عباده. وقيل: إن معناه إن كل واحد منهما يتعقب صاحبه (وهو عليم بذات الصدور) ومعناه هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه في قلوبهم من الضمائر والاعتقادات لا يخفى عليه شئ منها.



ثم امر تعالى المكلفين فقال (أمنوا بالله) معاشر العقلاء وصدقوا نبيه وأقروا بوحدانيته واخلص العبادة له، وصدقوا رسوله، واعترفوا بنبوته (وانفقوا) في طاعة الله والوجه التي أمركم الله بالانفاق فيها (مما جعلكم مستخلفين (ج ٩ م ٦٦ من التبيان)

=====

(٥٢٢)

فيه) قال الحسن: معناه ما استخلفكم فيه بوراثتكم اياه عنم كان قبلكم. ثم بين ما يكافئهم به اذا فعلوا ذلك، فقال (فالذين آمنوا منكم) بما أمرتهم بالايمان به (وانفقوا) مما دعوتهم إلى الانفاق فيه (لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (واجر كبير) أي وثواب عظيم. ثم قال الله تعالى على وجه التوبيخ لهم (ومالكم) معاشر المكلفين (لا تؤمنون بالله) وتعترفون بوحدانيته واخلص العبادة له (والرسول يدعوكم) إلى ذلك (لتؤمنوا بربكم) أي لتعترفوا به وتقروا بوحدانيته (وقد أخذ ميثاقكم) معناه إنه لما ذكر تعالى دعاء الرسول إلى الايمان بين انه قد اخذ ميثاقكم ايضا به، ومعنى اخذ ميثاقكم انه نصب لكم الادلة الدالة إلى الايمان بالله ورسوله ورغبكم فيه وحثكم عليه وزهدكم في خلافه، ومعنى (إن كنتم مؤمنين) اي إن كنتم مؤمنين بحق فالايامن قد ظهرت أعلامه ووضحت براهينه: ثم قال (هو الذي ينزل على عبده) يعني ان الله تعالى هو الذي ينزل على محمد (صلى الله عليه وآله) (آيات بينات) أي حججا وادلة واضحة وبراهين نيرة (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) ومعناه فعل بكم ذلك ليخرجكم من الضلال إلى الهدى - في قول مجاهد وغيره - وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة: إن الله تعالى خلق كثيرا من خلقه ليكفروا به ويضلوا عن دينه. وإنما اخرجهم من الضلال إلى الهدى بما نصب لهم من الادلة التي إذا نظروا فيها افضى بهم إلى الهدى والحق، فكأنه اخرجهم من الضلال، وإن كان الخروج من الضلال إلى الهدى من فعلهم، وسمى الدلالة نورا، لانه يبصر بها الحق من الباطل، وكذلك العلم، لانه يدرك به الامور كما تدرك بالنور، فالقرآن بيان الاحكام على تفصيلها ومراتبها. وقوله (إن الله بكم لرؤف رحيم) اخبار منه تعالى أنه بخلقه رؤف رحيم.

=====

(٥٢٣)

والرأفة والرحمة من النظائر. وقوله " وما لكم أن لا تتفقوا في سبيل الله " استبطأهم في الانفاق في سبيل الله الذي رغبهم بالانفاق فيها.

وقوله " والله ميراث السموات والارض " قد بينا أن جميع ما يملكونه في الدنيا يرجع إلى الله،  
ويزول ملكهم عنه، فان أنفقوه كان ثواب ذلك باقيا لهم.

وقوله " لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل.. " بين الله تعالى أن الانفاق قبل الفتح  
في سبيل الله إذا انضم إليه الجهاد في سبيله أكثر ثوابا عند الله، والمراد بالفتح فتح مكة وفي  
الكلام حذف، لان تقديره لا يستوى هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح، والكلام يدل عليه. وإنما  
امتنع مساواة من انفق بعده لمن انفق قبله، لعظم العناية الذي لا يقوم غيره مقامه فيه، في  
الصالح في الدين وعظم الانتفاع به، كما لا يقوم دعاء غير النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الحق  
مقام دعائه ولا يبلغه أبدا، وليس في الآية دلالة على فضل انسان بعينه ممن يدعى له الفضل،  
لانه يحتاج أن يثبت ان له الانفاق قبل الفتح، وذلك غير ثابت. ويثبت أن له القتال بعده.  
ولما يثبت ذلك ايضا فكيف يستدل به على فضله.

فأما الفتح فقال الشعبي: أراد فتح الحديبية. وقال زيد بن اسلم، وقاتلة:

أراد به فتح مكة. ثم سوى تعالى بين الكل في الوعد بالخير والجنة والثواب فيها - وإن  
تفاضلوا في مقاديره - فقال " وكلا وعد الله الحسنى " يعني الجنة والثواب فيها " والله بما  
تعملون خبير " لا يخفى عليه شئ من ذلك من انفاقكم وقاتلكم وغير ذلك فيجازيكم بحسب  
ذلك.

قوله تعالى:

(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله

=====

(٥٢٤)

أجر كريم (١١) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشريكم  
اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (١٢) يوم يقول  
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا  
فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (١٣) ينادونهم ألم نكن  
معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله  
وغرکم بالله الغرور (١٤) فالیوم لا یؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأویکم النار هی  
مولیکم وبئس المصیر) (١٥).

خمس آیات کوفی وأربع فیما عداہ، عد الکوفیون " من قبله العذاب " ولم یعده الباقون قرأ ابن  
کثیر " فیضعفه " بالتشدید وضم الفاء، وبه قرأ ابن عامر إلا انه فتح الفاء. وقد مضى تفسیره  
فی البقرة، وقرأ حمزة وحده " للذین آمنوا انظرونا " بقطع الهمزة وكسر الظاء. الباقون

بوصلها وضم الظاء. وقرأ ابوجعفر وابن عامر ويعقوب وسهل " فاليوم لا تؤخذ " بالتاء لتأنيث الفدية. الباقون - بالياء - لان التأنيث ليس بحقيقي. وقد فصل بين الفعل والفاعل ب (منكم).

قال الحسن: معنى قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) هو التطوع في جميع الدين. وقال غيره: معناه من ذا الذي ينفق في سبيل الله إنفاقا كالقرض

(٥٢٥)

والقرض اخذ الشيء من المال باذن صاحبه بشرط ضمان رده، وأصله القطع، فهو قطعه عن مالكه باذنه لانفاقه على رد مثله. والعرب تقول: لي عندك قرض صدق وقرض سوء إذا فعل به خيرا او شرا قال الشاعر:

ونجزي سلامان بن مفرح قرضها \* بما قدمت أيديهم وازلت (١)  
وقوله (فيضاعفه له) فالمضاعفة الزيادة على المقدار مثله او أمثاله، وقد وعد الله بالحسنة عشر أمثالها، والانفاق في سبيل الله حسنة فهو داخل في هذا الوعد ومن شدد العين، فلان الله وعد بالحسنة عشر أمثالها. ومن ضم الفاء جعله عطفًا على من ذا الذي يقرض فيضاعفه او على تقدير فهو يضاعفه. ومن نصب فلانه جواب الاستفهام.  
وقوله (وله أجر كريم) معناه إن له مع مضاعفة ما أنفقه اجرا زائدا كريما، فالكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير العظيم، فلما كان الاجر يعطي النفع العظيم، كان الاجر كريما، لانه يوجد شرف النفع بما لا يلحقه ما ليس بأجر.

وقوله (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم)  
ف (يوم) يتعلق بقوله (لهم اجر كريم.. يوم ترى) قال قتادة: معناه إنه يسعى نورهم أي الضياء الذي يرونه (بين ايديهم وبأيمانهم) وقال الضحاك: نورهم هداهم.  
قال (وبأيمانهم) كتبهم. وقيل (وبأيمانهم) معناه وعن أيمانهم. وقيل: وفي أيمانهم. وقوله (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي تجري تحت اشجارها الأنهار، أي يقال لهم: الذي تبشرون به اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار (خالدين فيها) أي مؤبدين لا يفنون. ثم قال (ذلك هو الفوز العظيم) فعظم الفوز والفلاح يتضمن اجلال النعمة

---

(١) قائله الشنفرى، تفسير الطبرى ٢٧ / ١١٥ (\*)

=====  
(٥٢٦)

والاكرام مع الحمد بالاحسان على طريق الدوام، فكل ما فعل من أجل الثواب فالنعمه به أجل والاحسان به اعظم.

وقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات) يجوز أن يتعلق (يوم) بقوله (ذلك هو الفوز العظيم.. يوم) أي في يوم، ويجوز ان يكون على تقدير واذكر يوم يقول المنافقون والمنافقات (للذين آمنوا) ظاهرا وباطنا (انظرونا) فمن قطع الهمزة اراد آخرونا ولا تعجلوا علينا واستأخروا

نستضيئ بنوركم. ومن وصلها اراد ينظرون. وقيل: انظرنى ايضا بمعنى انتظرنى، قال عمرو ابن أم كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا \* وانظرنا نخبرك اليقينا (١)

ويقال: انظرنى بمعنى اخرنى. وقوله (نقتبس من نوركم) فالنور الضياء، وهو ضد الظلمة، وبالنور يستضاء في البصر وفي الامور، وفي البصر نور وكذلك في النار. ومعنى (نقتبس) نأخذ قبسا من نوركم، وهو جذوة منه فقالوا لهم (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) أى ارجعوا إلى خلفكم فاطلبوا النور فانه لا نور لكم عندنا، فاذا تأخروا ضرب الله بينهم بسور. ومن وصلها أراد انتظرونا.

ثم اخبر تعالى فقال (فضرب بينهم) يعني بين المؤمنين وبين المنافقين (بسور) والباء زائدة وهو المضروب بين الجنة والنار (له باب باطنه فيه الرحمة)

لان فيه الجنة (وظاهره من قبله العذاب) يعني من قبل المنافقين العذاب، لكون جهنم هناك. ثم حكى الله تعالى أنهم (ينادونهم) يعني المنافقون فيقولون لهم (ألم نكن معكم) في دار الدنيا ومخالطين لكم ومعاشرين، فيجيبهم المؤمنون فيقولون (بلى) كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أى تعرضتم للفتنة وتربصتم بالمؤمنين

---

(١) تفسير القرطبي ١٧ / ٢٤٥ والطبري ٢٧ / ١١٦ (\*)

=====

(٥٢٧)

الدوائر (وارتبتم وغرتكم الاماني) أى شككتكم فيما اخبركم به رسولنا وغركم ما كنتم تمنون حتى طمعتم في غير مطمع (حتى جاء امر بالله) في نصره نبيه والمؤمنين معه وغلبته إياكم (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان وسمي بذلك لكثرة ما يغر الناس. ومن غر غيره مرة واحدة فهو غار. وقرئ بالضم، وهو كل ما غرمن متاع الدنيا - نكره الزجاج - والغرور بضم الغين المصدر. ثم يقول لهم الملائكة او المؤمنون (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أى ما تفقدون به أنفسكم لا يقبل منكم (ولا يؤخذ (من الذين كفروا) الفداء (ومأواكم) أى مقركم وموضعكم الذى تأوون اليه " النار هي مولاكم " أى هي اولى بكم " وبئس المصير " أى بئس المأوى والموضع والمرجع اليه قال ليبيد:

قعدت كلا الفرجين تحسب انه \* مولى المخافة خلفها وأمامها (١)

أى تحسب أن كليهما اولى بالمخافة.

قوله تعالى:

ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) إعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧) إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٨) والذين آمنوا بالله

(١) مرفي ٥ / ١٤٢ (\*)

=====

(٥٢٨)

ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٩) إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ (وما نزل من الحق) بتخفيف الزاي نافع وحفص عن عاصم، لانه يقع على القليل والكثير، ويكون النزول مضافا إلى الحق. الباقر بالتشديد بمعنى أن الله هو الذي نزل الحق شيئا بعد شئ. وقرأ ابن كثير وابوبكر عن عاصم وابن زيد (المصدقين والمصدقات) بتخفيف الصاد يذهبون إلى التصديق الذي هو خلاف التكذيب، ومعناه إن المؤمنين والمؤمنات. الباقر - بتشديد الصاد - يذهبون أن الاصل المتصدقين، فادغمت التاء في الصاد لتقارب مخرجهما وشدد.

ومعنى قوله (الم يأن) ألم يحن (للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) أي تخضع لسماع ذكر الله ويخافون عقابه، وينبغي ان يكون هذا متوجها إلى طائفة مخصوصة لم يكن فيهم الخشوع التام حثوا على الرقة والرحمة. وأما من كان ممن وصفه الله بالخشوع والرحمة والرقة فطبقة فوق هؤلاء المؤمنين، ويقال أنى يأتي أنا إذا حان، ومنه قوله (غير ناظرين إناه) (٢) أي منتهاه. والخشوع لين القلب

(١) سورة ٣٣ الاحزاب آية ٥٣ (\*)

=====

(٥٢٩)

للحق بالإنقياد له، ومثله الخضوع وضده قسوة القلب. والحق ما دعا اليه العقل وهو الذى من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك، والحق مطلوب كل عاقل في نظره وإن اخطأ طريقه، والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق، قسا قلبه يقسو قسوة، فهو قاس.

(وما نزل من الحق) من خفف اضافة النزول إلى الحق ومن شدد اراد ما نزله الله من الحق (ولا يكونوا) أى وألا تكونوا (كالذين اوتوا الكتاب)

من اليهود والنصارى (من قبل) أى من قبلهم فيكون موضعه نصبا. ويحتمل ان يكون مجزوما على النهي (فطال عليهم الامد) يعني المدة والوقت، فان أهل الكتاب لما طال عليهم مدة الجزاء على الطاعات (فقسى قلوبهم) حتى عدلوا عن الواجب وعملوا بالباطل. وقيل: معناه طال عليهم الامد ما بين زمانهم وزمن موسى. وقيل: طال عليهم الامد ما بين نبينهم وزمن موسى. وقيل طال أمد الآخرة (فقسى قلوبهم وكثير منهم فاسقون) خارجون عن طاعة الله تعالى إلى معصيته فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم.

ثم قال (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها) بالجدب والقحط فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الايمان بعد موته بالضلال بأن يلطف له ما يؤمن عنده.

ثم قال (قد بينا لكم الآيات) يعني الحجج الواضحات والدلائل البيينات (لعلمكم تعقلون) أى لكي تعقلوا وترجعوا إلى طاعته وتعملوا بما يأمركم به.

وقوله (إن المصدقين والمصدقات) من شدد أراد المتصدقين إلا انه ادغم التاء في الصاد، ومن خفف اراد الذين صدقوا بالحق (واقرضوا الله قرضا حسنا)

أى انفقوا مالهم في طاعة الله وسبيل مرضاته. ثم بين ما أعد لهم من الجزاء فقال (ج ٩ م ٦٧ من التبيان)

=====

(٥٣٠)

(يضاعف لهم) أي يجازون بأمثال ذلك. ومن شدد العين اراد التكثر، لان الله تعالى يعطي بالواحد عشرا إلى سبعين إلى سبع مئة، ثم قال " ولهم أجر كريم " أي لهم جزاء وثواب مع إكرام الله إياهم وإجلاله لهم. ثم قال (والذين آمنوا بالله ورسله) يعني الذين صدقوا بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وأقروا بنبوة رسله (أولئك هم الصديقون) الذين صدقوا بالحق. ثم قال مستأنفا (والشهداء عند ربهم) قال ابن عباس ومسروق وابوالضحى والضحاك: هو منفصل مما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الانبياء (عليهم السلام) ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم وتقديره أولئك هم الصديقون وأولئك هم الشهداء، ويكون لهم أجرهم ونورهم للجماعة من الصديقين والشهداء، فكانه قال: كل مؤمن شهيد على ما رواه البراء بن عازب عن النبي (صلى

الله عليه وآله) وعن عبدالله بن مسعود ومجاهد، فيكون التقدير أولئك هم الصديقون عند ربهم والشهداء عند ربهم.

ثم قال (لهم أجرهم ونورهم) أي لهم ثواب طاعاتهم ونور إيمانهم الذي يهتدون به إلى طريق الجنة. ثم قال (والذين كفروا) بالله وجدوا توحيدهم وكذبوا رسله " وكذبوا بآياتنا " يعني حججه وبياناته " أولئك اصحاب الجحيم " يعني أنهم يلزمهم الله الجحيم فيبقون فيها دائمين. ثم زهد المؤمنين في الدنيا والسكون إلى لذاتها، فقال (اعلموا) معاشر العقلاء والمكلفين " إنما الحياة الدنيا " يعني في هذه الدنيا " لعب ولهو " لانه لا بقاء لذلك ولا دوام وإنه يزول عن وشيك كما يزول اللعب واللهو " وزينة " تتزينون بها في الدنيا " وتفاجر بينكم " يفتخر بعضكم على بعض " وتكاثر في الاموال والاولاد " أي كل واحد يقول مالي أكثر وأولادي أكثر. ثم شبه ذلك بأن قال مثله في ذلك " كمثل غيث " يعني مطرا " اعجب الكفار نباته " أي اعجب الزراع ما نبت بذلك الغيث فالكفار الزراع. وقال انزجاج: ويحتمل ان يكون المراد الكفار

=====

(٥٣١)

بالله لانهم اشد إعجابا بالدنيا من غيرهم " ثم يهيج " أي يبببس فيسمع له لما تدخله الريح صوت الهائج " فتراه مصفرا " وهو إذا قارب اليبس (ثم يكون حطاما) أي هشيمًا بأن يهلكه الله مثل افعال الكافر بذلك، فانها وإن كانت على ظاهر الحسن فان عاقبتها إلى هلاك ودمار مثل الزرع الذي ذكره. ثم قال وله مع ذلك " وفي الآخرة " (عذاب شديد) من عذاب النار للعصاة والكفار " ومغفرة من الله ورضوان " للمؤمنين المطيعين. ثم قال " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " معناه العمل للحياة الدنيا متاع الغرور وإنها كهذه الاشياء التي مثل بها في الزوال والفناء، والغرور - بضم الغين - ما يغر من متاع الدنيا وزينتها. قوله تعالى:

(سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١) ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٢٤) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع



=====

(٥٣٢)

للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) (٢٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ ابو عمرو " بما أتاكم " مقصور يعني بما جاءكم. الباقون بالمد يعني بما اعطاكم وقرأ اهل المدينة واهل الشام " فان الله الغني الحميد " بلا فصل لانهم وجدوا في مصاحفهم كذلك، والباقون بأثبات (هو) وكذلك هو في مصاحفهم فمن اسقط (هو) جعل (الغني) خبر (ان) و (الحميد) نعته ومن زاد (هو) احتمل شيئين:

احدهما - ان يجعل (هو) عمادا أو صلة زائدة.

والثاني - أن يجعله ابتداء، و (الغني) خبره، والجملة في موضع خبر (إن)

مثل قوله " ان شائئك هو الايتر " (١) يقول الله تعالى أمرا للعقلاء المكلفين وحثا لهم على الطاعات " سابقوا إلى مغفرة من ربكم " والمسابقة طلب العامل التقدم في عمله قبل عمل غيره بالاجتهاد فيه فعلى كل مكلف الاجتهاد في تقديم طاعة الله على كل عمل كما يجتهد المسابق لغيره والمسابقة إلى المغفرة بأن يتركوا المعاصي ويفعلوا الطاعات وقوله " وجنة " معناه سابقوا إلى جنة أي إلى استحقاق ثواب جنة " عرضها كعرض السماء والارض " في السعة. وقال الحسن: ان الله تعالى يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه في طولها وعرضها، فبذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والارض. وقال غيره إن الله تعالى قال " عرضها كعرض السماء " الدنيا " والارض " والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تتافي بين ذلك، وإذا كان العرض بهذه السعة فالطول اكثر منه او مثله.

قوله " اعدت " اشتقاقه من العدد والاعداد، وضع الشيء لما يكون في

---

(١) سورة ١٠٨ الكوثر آية ٣ (\*)

=====

(٥٣٣)

المستقبل على ما يقتضيه من عدد الامر الذي له، والمعنى أن هذه الجنة وضعت وادخرت للذين آمنوا بالله ورسوله، فيوحداوا الله ويصدقوا رسله. ثم قال " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " أي هذا الذي ذكره بأنه معد للمؤمن فضل من الله يؤتيه من يشاء اي يعطيه من يشاء " والله ذو الفضل العظيم " فالفضل والافضال والتفضل واحد وهو النفع الذي كان للقادر ان يفعله بغيره وله ان لا يفعله.

ثم قال تعالى " ما أصاب من مصيبة " اى ليس يصيب احدا مصيبة " في الارض " في ماله " ولا في انفسكم إلا " وهو مثبت مذكور " في كتاب " يعني اللوح المحفوظ " من قبل ان نبرأها "، فالضمير راجع إلى النفس كأنه قال: من قبل ان نبرء النفس ويحتمل أن يكون راجعا إلى المصائب من الامراض والفقر والجذب والغم بالثكل.

ثم قال " ان ذلك " يعني اثبات ذلك على ما ذكره " على الله يسير " أى سهل غير يسير. بين تعالى لم فعل ذلك فقال (لكيلا تأسوا) أى لا تحزنوا (على ما فاتكم) من لذات الدنيا وزينتها (ولا تفرحوا بما آتاكم) منها على وجه البطر والاشتر، فمن قصر أراد بما جاءكم، ومن مد ارد بما اعطاكم. ثم قال (والله لا يحب كل مختال) أى متجبر (فخورا) على غيره على وجه التكبر عليه، فان من هذه صفته لا يحبه الله. وفرح البطر مذموم. وفرح الاغتباط بنعم الله محمود. كما قال تعالى (فرحين بما آتاهم الله من فضله) والتأسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله. ثم بين صفة المختال الفخور، فقال (الذين يبخلون) بما اوجب الله عليهم من الحقوق في أموالهم (ويأمرون الناس بالبخل) ايضا. وقيل: نزلت في اليهود الذين بخلوا بذكر صفة النبي على ما وجدوه في كتبهم وأمروا غيرهم بذلك. والبخل والبخل لغتان، وقرئ بهما. وهو منع الواجب.

ثم قال (ومن يتول) يعني ومن يعرض عما ذكره الله وخالف (فان الله

=====

(٥٣٤)

هو الغني الحميد) ومعناه إنه تعالى الغني عن جميع خلقه محمود في جميع افعاله، فمنع هؤلاء حقوق الله لا يضره، وإنما ضرر ذلك عليهم.

ثم اقسام تعالى فقال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) يعني الدلائل والحجج الواضحة (وأنزلنا معهم الكتاب) أي مكتوبا فيه ما يحتاج الخلق اليه كالتوراة والانجيل والقرآن (والميزان) أي وانزلنا الميزان وهو ذو الكفتين. وقيل: المراد به العدل (ليقوم الناس بالقسط) يعني بالعدل في الامور (وانزلنا الحديد فيه بأس شديد)

إخبار من الله تعالى انه الذي انزل الحديد. وروي ان الله تعالى أنزل مع آدم العلاءة - يعني السندان والمطرقة والكيتين - من السماء، وهذا صحيح ولا بد منه، لان الواحد منا لا يمكنه أن يفعل آلات من حديد وغيرها إلا بالآلات قبلها، وينتهي إلى آلات يتولى الله صنعها تعالى الله علوا كبيرا.

وقوله (فيه بأس شديد) أي يمتنع به ويحارب به " ومنافع للناس " أي وفيه منافع للناس كأدواتهم وآلاتهم وجميع ما يتخذ من الحديد من آلات ينتفع بها كالسكين وغيرها (وليعلم الله

من ينصره ورسله) أي فعلت ذلك لما لهم فيه من النفع به، وليعلم الله من ينصره بنصرة موجودة، ومن يجاهد مع نبيه جهادا موجودا (بالغيب) أي ينصر الله ورسله ظاهرا وباطنا (إن الله قوي عزيز) أي قادر على ما يصح أن يكون مقدورا له لا يقدر احد على قهره ولا على منعه. وقيل: في جواب قوله (الذين يبخلون) قولان: أحدهما - إنه محذوف كما حذف في قوله (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) (١) وتقديره الذين يبخلون فهم يستحقون العذاب والعقوبة. وقيل: أيضا جوابه جواب قوله (ومن يتولى) فعطف بجزأين على جزاء

(١) سورة ١٣ الرعد آية ٣٣ (\*)

=====

(٥٣٥)

واحد، وجعل جزأيهما واحد، كما تقول: إن تقم وتحسن أنك إلا انه حذف الجواب قوله تعالى:

(ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (٢٦) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها فآتيناهم الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرين على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٢٩).

خمس آيات بصرى وأربع فيما عداه، عد البصريون " وآتيناه الانجيل " ولم يعده الباقون. يقول الله تعالى مقسما إنه ارسل نوحا نبيا إلى قومه، وإبراهيم أيضا أرسله إلى قومه وذكر انه تعالى جعل في ذريتهما - يعني في ذرية نوح وإبراهيم أيضا بعد ما أرسلهما إلى قومهما " النبوة والكتاب " لان الانبياء كلهم من نسلهما. وعليهم أنزل الكتاب.

=====

(٥٣٦)

ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال " فمنهم مهتد " إلى طريق الحق واتباعه " وكثير منهم فاسقون " أي خارجون عن طاعة الله إلى ذل معصيته. ثم أخبر تعالى إنه قفى على آثار من ذكرهم برسل آخر إلى قوم آخرين. والتفقيه جعل الشيء في أثر الشيء على الاستمرار فيه، ولهذا قيل

لمقاطع الشعر قوافي إذا كانت تتبع البيت على أثره مستمرة في غيره على منهاجه، فكأنه قال: وأنفذنا بعدهم بالرسول رسولا بعد رسولهم " وقفينا بعيسى بن مريم " بعدهم " وآتيناه " أي اعطينا عيسى ابن مريم " الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - إنه جعل في قلوبهم الرافة والرحمة بالامر به والترغيب فيه. ثم أخبر انه رزق الرافة والرحمة. قال ابوزيد: يقال رؤفت بالرجل ورأفت به رافة - بفتح الهمزة، وسكونها - . الثاني - إنه خلق في قلوبهم الرافة والرحمة. وإنما مدحهم على ذلك، لانهم تعرضوا لهما. وقوله " ورهبانية ابتدعوها " يعني ابتدعوا الرهبانية ابتدعوها وهي الخصلة عن العبادة يظهر فيها معنى الرهبة إما في لبسه أو إنفراده عن الجماعة أو غير ذلك من الامور التي يظهر فيها نسك صاحبها. ومعنى الآية ابتدعوا رهبانية لم تكتب عليهم. ثم قال " ما كتبناها عليهم " الرهبانية " إلا ابتغاء رضوان الله " فالثانية غير الاولى إلا انه لما اتفق الاسمان فيهما كنى عنهما بما تقدم، وقام إعادة لفظهما مقامهما كما قال حسان: أمن يهجو رسول الله منكم \* ويمدحه وينصره سواء (١) فالتقدير ومن يمدحه. والابتداع ابتداء أمر لم يجد فيه على مثال. والبدعة

(١) مرفي ١ / ٤١٠ و ٨ / ١٩٨ (\*)

=====

(٥٣٧)

إحداث أمر على خلاف السنة. وقال قتادة: الرهبانية التي أبتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع. وقال قتادة وابن زيد: تقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله " فمارعوها حق رعايتها " وقال قوم: الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال - في خبر مرفوع عن النبي (صلى الله عليه وآله) فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها، وذلك لتكذيبهم بمحمد (صلى الله عليه وآله)، وقيل: الرهبانية الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة. وقوله " ما كتبناها عليهم " معناه ما فرضناها عليهم أي تلك الرهبانية البتة. وقال الزجاج: معناه ما كتبناها عليهم البتة ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فيكون بدلا من (ها) التي يشتمل عليه المعنى - ذكره الزجاج - وقيل: كان عليهم تميمها كما على المبتدئ بصوم التطوع أن يتمه. وقال الحسن: فرضها الله عليهم بعد ما أبتدعوها، وقوله " فما رعوها حق رعايتها " معناه فما حفظوها حق حفظها.

ثم قال (فأتينا الذين آمنوا) معناه فأعطينا من آمن بالله ورسوله من جملة المذكورين (أجرهم) أي ثوابهم على إيمانهم. ثم قال (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته والكفر به. وقوله "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله" معناه يا أيها الذين اعترفوا بتوحيد الله وصدقوا بموسى وعيسى وأعترفوا بنبوتهما اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد (صلى الله عليه وآله) - ذكره ابن عباس - "يؤتكم كفلين من رحمته" قال ابن عباس: معناه يعطكم أجرين أجر لا يمانكم بمحمد (صلى الله عليه وآله) وأجر لا يمانكم بمن تقدم من الرسل. وأصل الكفل الحظ - في قول الفراء - ومنه الكفل الذي يكتفل به الراكب، وهو (ج ٩ م ٦٨ من التبيان)

=====

(٥٣٨)

كساء أو نحوه يحويها على الابل إذا أراد أن يرتد في فيه فيحفظه من السقوط، ففيه حظ من التحرز من الوقوع "ويجعل لكم نورا تمشون به" قال مجاهد: ويجعل لكم هدى تهتدون به. وقال ابن عباس: النور القرآن، وفيه الأدلة على كل حق وبيان لكل خير، وبه يستحق الضياء الذي يمشي به يوم القيامة "ويغفر لكم" أي يستر عليكم ذنوبكم "والله غفور الرحيم" أي ستار عليكم ذنوبكم رحيم بكم منعم عليكم وقوله "لئلا يعلم أهل الكتاب ان لا يقدرين على شيء من فضل الله" معناه ليعلم أهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين منهم "أن لا يقدرين" أي انهم لا يقدرين "على شيء من فضل الله" في قول ابن عباس. و (ان) هي المخففة من الثقيلة. وقيل: معناه ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا المؤمنين بما وعدوا أنهم لا يقدرين على شيء من فضل الله، فيصرفوا النبوة عن محمد (صلى الله عليه وآله) إلى من يحبونه و (لا) في (لئلا) صلة وتوكيد، وقيل: إنما تكون (لا) صلة في كل كلام دخل في أواخره جحد، وإن لم يكن مصرحا به نحو "ما منعك ان لا تسجد" (١)

"وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون" (٢) وقوله، وحرام على قرية أهلكتها انهم لا يرجعون" (٣).

وقوله "وإن الفضل بيد الله" معناه ليعلموا أن الفضل بيد الله "يؤتيه من يشاء" أي يعطيه من يحب "من عباده" ممن يعلم انه يصلح له.

ثم قال "والله ذو الفضل العظيم" معناه ذو تفضل على خلقه واحسان على عباده تعظيم لا يحصى كثرة ولا يعد.

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١١ (٢) سورة ٦ الانعام آية ١٠٩ (٣) سورة ٢١ الانبياء آية ٩٥ (\*)

(٥٣٩)

٥٨ - سورة المجادلة مدينة بلا خلاف، وهي اثنا وعشرون آية في الكوفي والبصري والمدني الاول وإحدى وعشرون في المدني الاخير.

بسم الله الرحمن الرحيم (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (١) الَّذِينَ يظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (٤) إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات

(٥٤٠)

بينات وللكافرين عذاب مهين (٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ المفضل عن عاصم " ما هن أمهاتهم " على الرفع على لغة بني تميم.  
الباقون بنصب " أمهاتهم " على لغة أهل الحجاز، وهي لغة القرآن، كقوله " ما هذا بشرا " (١) وقرأ عاصم " يظاهرون " بضم الياء بألف. وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمر " يظهرون " بغير الف مشددة الظاء والهاء. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي " يظاهرون " بتشديد الظاء والف، وفتح الياء. وقال ابو علي النحوي: ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما، فيصير تظاهر وتظهر، ويدخل حرف المضارعة، فيصير تتظاهر، ويتظهر. ثم يدغم التاء في الظاء لمقاربتهما، فيصير يظاهرون ويظهرون - بفتح الياء - التي هي للمضارعة، لأنها للمطاوعة، كما تفتحها في (يتدحرج) الذي هو مطاوع (دحرجته، فتدحرج)

واختار عاصم أن المظاهرة من المضارعة، لأن المفاعلة لا يكون إلا من نفسين.

والظهار يكون بين الرجل وامرأته. ومن قرأ (يظاهرون) فأصله يتظاهرون فأدغم التاء في الظاء.

والظهار قول الرجل لامرأته: انت علي كظهر أمي، وكان أهل الجاهلية إذا قال الرجل منهم هذا لامرأته بانته منه وطلقت. وفي الشرع لا تبين المرأة إلا انه لا يجوز له وطؤها إلا بعد ان يكفر. وعندنا ان شروط الظهار هي شروط الطلاق سواء من كان المرأة طاهرا طهرا لم يقربها فيه بجماع، ويحضره شاهدين ويقصد التحريم فان اختلف شئ من ذلك لم يقع به ظهار. ويقال فيه ظاهر فلان من امرأته ظاهرا ومظاهرة وإظهارا، فلان ظاهر وتظاهر تظاهرا إلا انه ادغم واطهر إظهارا.

---

(١) سورة ١٢ يوسف آية ٣١ (\*)

=====

(٥٤١)

وأصله تظهر تظهرا إلا انه دغمت التاء في الظاء.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت - في قول قتادة - وكان مجادلتها إياه مراجعتها في أمر زوجها. وقد كان ظاهر منها، وهي تقول: كبرت سني ودق عظمي، وان اوسا تزوجني وانا شابة، فلما علت سني يريد أن يطلقني. ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول بنت منه - على ما رواه ابو العالية - وفي رواية غيره انه قال لها: ليس عندي في هذا شئ، فنزلت الآية.

وقال ابن عباس: نزلت الآية في أوس بن الصامت. وكانت تحته بنت عم له، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، فهو اول من ظاهر في الاسلام. وقيل كان يقال للمرأة خولة بنت خويلد. وكان الرجل في الجاهلية إذا قال لامرأته: انت علي كظهر أمي حرمت عليه، فأنزل الله تعالى في قصة الظهار آيات. ولا خلاف أن الحكم عام في جميع من يظاهر، وإن نزلت الآية على سبب خاص.

فقال الله تعالى لنبيه " لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " فالجدال والمجادلة هي المخاصمة. وقد يقال: للمراجعة والمقابلة للمعنى بما يخالفه مجادلة. واصل الجدال الفتل. ومن قابل المعنى بخلافه طلبا للفائدة فليس بمجادل. فمجادلة المرأة لرسول الله كان مراجعتها إياه في أمر زوجها، وذكرها أن كبرت سني ودق عظمي، والنبي (صلى الله عليه وآله) يقول بنت منه - على ما رواه ابن العالية - لانه لم يكن نزل عليه في ذلك وحى ولا حكم.

وقوله " وتشتكى إلى الله " أي تظهر ما بها من المكروه، تقول: اللهم إنك تعلم حالي فارحمني، فالاشتكاء إظهار ما بالإنسان من المكروه. والشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه. وقوله " والله يسمع تحاور كما " أي مراجعة بعضكما لبعض. والتحاور التراجع

=====

(٥٤٢)

وهو المحاورة، تقول: تحاورا تحاورا وحاور محاورة أي راجعه في الكلام، قال عنتره: لو كان يدري ما المحاورة اشتكى \* وكان لو علم الكلام مكلمي و " إن الله سميع بصير " أي على صفة يصح معها ان يسمع المسموعات إذا وجدت، ويبصر المبصرات إذا وجدت.

ثم قال " الذين يظاهرون منكم من نسائهم " أي الذين يقولون لنسائهم: أنت علي كظهر أمي، ومعناه إن ظهرك علي حرام كظهر أمي، فقال الله تعالى " ما هن أمهاتهم " أي ليست أزواجهم أمهاتهم على الحقيقة " إن أمهاتهم " أي وليست أمهاتهم في الحقيقة " إلا اللاتي ولدنهم " من الام وجداته. ثم اخبر " إنهم ليقولون " أي ان القائل لهذا يقول قولاً " منكراً من القول " قبيحاً " وزوراً " أي كذبا، لانه اذا جعل ظهرها كظهر أمه وليست كذلك كان كاذبا في قوله.

ثم قال تعالى " وإن الله لعفو غفور " أي رحيم بهم منعم عليهم متجاوز عن ذنبهم. وفي ذلك دلالة على ان الله رحمها وغيرها من النساء لرغبتها في زوجها بالتوسعة من جهة الكفارة التي تحل بها.

ثم بين تعالى ما يلزمه من الحكم، فقال " والذين يظاهرون من نسائهم " يعني الذين يقولون هذا القول الذي حكيناه " ثم يعودون لما قالوا " واختلفوا في معنى العود، فقال قتادة العود هو العزم على وطنها. وقال قوم: العود الامساك عزم او لم يعزم وقال الشافعي: هو أن يمسكها بالعقد، ولا يتبع الظهار بطلاق.

وحكى الطبري عن قوم انهم قالوا: فيه تقديم وتأخير وتقديره: والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فمن لم يجد فصيام شهرين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم يعودون لما قالوا. وقال قوم: معناه ثم يعودون لنقض

=====

(٥٤٣)

ما قالوا وإرتفاع حكمه. وقال قوم: لا تجب عليه الكفارة حتى يعاود القول ثانية.



وهو خلاف اكثر اهل العلم.

والذي هو مذهبنا أن العود المراد به إرادة الوطئ أو نقض القول الذي قاله، فانه لا يجوز له الوطئ إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم القول الاوّل إلا بعد ان يكفر.

وقال الفراء: يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا، وفي نقض ما قالوا، أي يرجعون عما قالوا، ويجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل، تريد ان فعله مرة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل أي نقض ما فعل، كما تقول:

حلف ان يضربك بمعنى حلف ألا يضربك، وحلف ليضربنك.

وقوله " فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا " بيان لكيفية الكفارة، فان أول ما يلزمه من الكفارة عتق رقبة فالتحرير هو ان يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك انه حر. والرقبة ينبغي ان تكون مؤمنة سواء كانت ذكرا او انثى صغيرة او كبيرة إذا كانت صحيحة الاعضاء. فان الاجماع واقع على انه يقع الاجزاء بها، وقال الحسن وكثير من الفقهاء: إن كانت كافرة أجزأت. وفيه خلاف وتفصيل. ذكرناه في كتب الفقه. وتحرير الرقبة واجب قبل المجامعة لظاهر قوله " من قبل ان يتماسا " أي من قبل ان يجامعها فيتماسا. وهو قول ابن عباس، فكان الحسن لا يرى بأسا ان يغشى المظاهر دون الفرج. وفي رواية اخرى عنه أنه يكره للمظاهر أن يقبل. والذي يقتضيه الظاهر ألا يقربها بجماع على حال ولا بمماسة شهوة وقوله " ذلكم توعظون به " ان تظاهروا ثم قال " والله بما تعملون خبير " أي عالم بما تفعلونه من خير وشر، فيجازيكم بحسبه.

ثم قال " فمن لم يجد " يعني الرقبة وعجز عنها " فيصام شهرين متتابعين من

=====

(٥٤٤)

قبل ان يتماسا " والنتابع عند أكثر العلماء ان يوالي بين أيام الشهرين الهلاليين او يصوم ستين يوما. وعندنا انه إذا صام شهرا ومن الآخر ولو يوما، فقد تابع، فان فرق فيما بعد جاز. وعند قوم: ان يصوم شهرا ونصف شهر لا يفطر فيما بينهما فان افطر لا لعذر استأنف. وان افطر لعذر من مرض اختلفوا، فمنهم من قال يستأنف من عذر وغير عذر. وبه قال إبراهيم النخعي ورواه جابر عن ابي جعفر (عليه السلام) وقال قوم: يبني، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء والشعبي. واجمعوا على ان المرأة إذا افطرت للحيض في الشهرين المتتابعين في كفارة قتل الخطأ او فطر يوم انها تبني ففاسوا عليه الظهار. وروى اصحابنا انه اذا صام شهرا ومن الثاني بعضه ولو يوما ثم افطر لغير عذر، فقد اخطأ إلا انه يبني على ما قدمناه.

وإن افطر قبل ذلك استأنف. ومتى بدأ بالصوم وصام بعضه ثم وجد العتق لا يلزمه العتق وإن رجع كان افضل. وقال قوم: يلزمه الرجوع إلى العتق.  
ومتى جامع في ليالي الصوم وجب عليه الاستئناف وبطل حكم التتابع، لانه خلاف الظاهر. ومتى جامع قبل الكفارة لزمته كفارة ثانية عند اصحابنا، وكلما وطأ لزمته كفارة بعدد الوطئ. وقوله " فمن لم يستطع " يعني من لم يقدر على الصوم " فاطعام سنتين مسكينا " يعني - عندنا - لكل مسكين نصف صاع، فان لم يقدر أعطاه مدا. وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه اعطى المظاهر نصف وسق ثلاثين صاعا. وقال أطعم سنتين مسكينا وراجعها وذلك انه كان فقيرا عاجزا عن جميع الكفارات. وقال الحسن: اعانه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخمسة عشر صاعا. والعدد مراعى، فان لم يجد العدد كرر على الموجودين تمام السنتين.  
وإن جامعها قبل ان يتم الاطعام، فظاهر المذهب يقتضي انه يلزمه كفارة

=====

(٥٤٥)

اخرى، لانه وطأ قبل الكفارة. وقال قوم: لا يلزمه. وقال آخرون: يستأنف الكفارة وقوله " ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله " معناه إنا شرعنا لكم ما ذكرناه في حكم الظهر لما علمناه من مصلحتكم لتؤمنوا بالله ورسوله، فتصدقوهما وتقرؤا بتوحيد الله، وبنبوة نبيه.  
ثم قال " وتلك حدود الله " يعني ما ذكرناه من حكم الظهر.  
ثم قال " وللكافرين " أي للجاحدين لصحة ما قلناه " عذاب اليم " ومتى نوى بلفظ الظهر الطلاق لم يقع به طلاق. وفيه خلاف بين الفقهاء، والاطعام لا يجوز إلا للمسلمين دون اهل الذمة. وفيه خلاف. ومسائل الظهر وفروعها ذكرناها في كتب الفقه.  
ثم قال " إن الذين يحادون الله ورسوله " والمحاداة المخالفة في الحدود أي من خالف الله ورسوله فيما ذكرناه من الحدود " كتبوا " أي اخذوا - في قول قتادة - وقال غيره: اذلوا. وقال الفراء: معناه اغيظوا واحزنوا يوم الخندق " كما كبت الذين من قبلهم " يعني من قاتل الانبياء من قبلهم.

ثم قال تعالى " وقد انزلنا آيات بينات " اي حجج واضحات من القرآن وما فيه من الادلة. ثم قال " وللكافرين " أي للجاحدين لما انزلناه من القرآن والآيات " عذاب مهين " أي يهينهم ويخزيهم.  
قوله تعالى:

(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصيه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد (٦) ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما (ج ٩ م ٦٩ من التبيان)

=====

(٥٤٦)

في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شئ عليم (٧) ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاتم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاتم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩) إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده " ويتنجون " بغير الف. الباقون " يتناجون " بألف. وقرأ ابوجعفر (ما يكون) بالياء. الباقون بالتاء، لان تأنيث نجوى ليس بحقيقي لما قال الله تعالى ان الكافرين لحدود الله لهم عذاب مهين، بين متى يكون ذلك، فقال (يوم يبعثهم الله جميعاً) أي يحشرهم إلى ارض المحشر ويعيدهم احياء (فينبئهم أي يخبرهم ويعلمهم) بما عملوا في دار الدنيا من المعاصي وإرتكاب القبائح، ثم قال (احصاه الله ونسوه) أي احصاه الله عليهم واثبته في كتاب اعمالهم

=====

(٥٤٧)

ونسوه هم (والله على كل شئ شهيد) ومعناه انه يعلم الاشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شئ من ذلك وإن كان كثيراً من الاشياء لا يصح مشاهدتها ولا إدراكها، ومنه قوله (شهد الله انه لا إله إلا هو) (١) أي علم ذلك.

ثم بين فقال (ألم تر) ومعناه الم تعلم، والخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع المكلفين (ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض) من الموجودات لا يخفى عليه شئ منها، لانه عالم لنفسه يجب ان يكون عالماً بما يصح أن يكون معلوماً. وقيل التقدير ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض مما ترى من تدبيرهما من مسير الشمس والقمر ومجيئ الحر والبرد والزرع والثمار وسائر صنوف الاشجار على ما تقتضي الحكمة عالماً دبر ذلك وجعل كل شئ منه في وقته ولما يصلح له، وذلك يقتضي انه عالم بكل نجوى، لانه عالم لنفسه لا بحدوث علم. واذا ثبت انه عالم لنفسه وجب ان يكون عالماً بكل معلوم.

وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) والمعنى انه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع، لا يخفى عليه شئ منها، فكأنما هو معهم مشاهد لهم. وعلى هذا يقال: إن الله تعالى مع الانسان حيث ما كان، لانه عالم لا يخفى عليه شئ من أمره حتى انه ظاهر له اتم الظهور لمن شاهده ممن هو معه في المكان، وحسن هذا لما فيه من البيان، فأما ان يكون معهم على طريق المجاورة فمحال، لان ذلك من صفات الاجسام، والله تعالى ليس بجسم. ويقولون: فلان رابع أربعة إذا كان احد اربعة ورابع ثلاثة اذا جعل ثلاثة اربعة بكونه معهم. ويجوز على هذا ان يقال: رابع ثلاثة ولا يجوز رابع أربعة، لانه ليس فيه معنى

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٨ (\*)

(٥٤٨)

الفاعل. ويجوز في (ثلاثة) الجر باضافة النجوى اليها، ويجوز بأنها صفة النجوى. ويجوز النصب بأنها خبر (يكون). وقوله (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) معناه يعلمهم بما عملوه من المعاصي في الدنيا والاعمال، ويخبرهم بها، لان الله بكل شئ عليم، لا يخفى عليه خافية. ثم قال لنبيه (صلى الله عليه وآله) والمراد به جميع الامة (الم تر) بمعنى الم تعلم (إلى الذين نهوا عن النجوى) قال مجاهد: كان النبي (صلى الله عليه وآله) نهى اليهود عن النجوى بينهم لانهم كانوا لا يتتاجون إلا بما يسوء المؤمنين. وقال الفراء: نزلت في المنافقين واليهود، ونهوا أن يتتاجوا اذا اجتمعوا مع المسلمين في موضع واحد. والنجوى هي الاسرار، والنجوة الارتفاع من الارض، وهو الاصل، ومنه النجا الارتفاع في السير، والنجاة الارتفاع من البلاء. وقوله (ثم يعودون لما نهوا عنه) معناه يعودون فيتتاجون ويخالفون نهى النبي (صلى الله عليه وآله) (ويتتاجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) والتتاجي والمناجاة تكون بين اثنين فصاعدا، ويقال: انتجوا بمعنى تتاجوا، كما يقال اختصموا وتخاصموا وكذلك انتجوا وتتاجوا بمعنى.

وحجة حمزة قول النبي (صلى الله عليه وآله) في علي (عليه السلام) (ما انا انتجيتيه، ولكن الله انتجاه) وحجة الباقيين قوله (اذا تتاجيتم) وكلاهما حسان. قال قتادة: كان المنافقون يتتاجون بينهم فيغيظ ذلك المؤمنين. وقال ابن زيد: كانوا يوهمون انه قد حدثت بلية على المسلمين من حرب او نحوهن، فأخبر الله عنهم انهم كانوا يتتاجون بالاثم

يعني بالمعاصي. والعدوان التعدي إلى غير الواجب وبمعصيت الرسول أي ما يعصون به الرسول النبي (صلى الله عليه وآله).

وقوله (وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) قال قتادة ومجاهد - وهو

=====

(٥٤٩)

المروي عن عائشة - انه كانت تحبهم السام عليكم يا ابا القاسم. وقال ابن عباس: كان المنافقون يقولون ذلك. وقيل: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يرده على من قال ذلك، فيقول: وعليك، وقال ابن زيد: السام الموت. وقال الحسن: كانت اليهود تقول: السام عليكم أي انكم ستسأمون دينكم هذا أي تملونه فتدعوناه. ومن هذا سئمت الامر اسأمه سأما وسأما. ومن قال: السام الموت فهو سام الحياة بذهابها.

وقوله (ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) قال كانوا يقولون: إن كان نبيا صادقا هلا يعذبنا الله بما نقول من النجوى وغيره. فقال الله تعالى لهم (حسبهم جهنم) أي كافيهم جهنم (يصلونها) يوم القيامة ويحترقون فيها (وبئس المصير) أي بئس المرجع والمآل لما فيها من أنواع العقاب.

ثم امر المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم) انتم فيما بينكم أي تشاورتم (فلا تتناجوا بالاثم) يعني بالمعاصي ولا ب (العدوان) ولا ب (معصية الرسول)

ومخالفته (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بافعال الخير والخوف من عذاب الله. ثم قال (واتقوا الله) باجتتاب معاصيه (الذي اليه تحشرون) يعني يوم القيامة.

ثم قال (انما النجوى من الشيطان) يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغتهم (من الشيطان) أي بدعاء الشيطان واغوائه يفعل ذلك (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله) معناه إلا بعلم الله وتمكينه إياهم لان تكليفهم إيمانهم بذلك، وقيل معناه إلا بفعل الله الغم والحزن في قلوبهم لان الشيطان لا يقدر على فعل ذلك. ثم قال تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي يجب على المؤمنين ان يتوكلوا في جميع امورهم عليه تعالى دون غيره.

=====

(٥٥٠)

قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير (١١))

يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢)  
أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون (١٣) ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويلفون على الكذب وهم يعلمون (١٤) أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون (١٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم وحده " تفسحوا في المجالس " على الجمع لاختلافها، الباقر في " المجلس " على التوحيد، لأنهم ذهبوا مذهب الجنس، لأنه مصدر يدل على القليل والكثير. لأنهم أرادوا مجلس النبي (صلى الله عليه وآله) فعلى هذا الوجه الافراد. ومن جمع أراد كل جالس مجالس أي موضع جلوس، وقرأ " انشروا " بضم الشين نافع وابن عامر وعاصم إلا حمادا ويحيى عن ابي بكر. الباقر بكسر الشين وهما لغتان مثل

=====

(٥٥١)

(يعرشون ويعرشون، ويعكفون ويعكفون).

يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين وأمرأ لهم بأنه إذا قيل لهم تفسحوا في المجلس بمعنى اتسعوا فيها، يقال: تفسح تفسحا وله في هذا الامر فسحة أي متسع. والتفسح الاتساع في المكان، وفسح له في المجلس يفسح فسحا. ومكان فسيح وفسح. والتفسيح والتوسع واحد. قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي (صلى الله عليه وآله) فقيل لهم تفسحوا وقال ابن عباس: أراد به مجلس القتال " فافسحوا " أي وسعوا " يفسح الله لكم " أي يوسع عليكم منازلكم في الجنة " وإذا قيل انشروا فانشروا " أي إذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس فارتفعوا، والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه. ومنه نشوز المرأة عن زوجها، يقال: نشز ينشز نشوزا ونشزا. قال قتادة ومجاهد والضحاك:

معناه إذا قيل قوموا إلى صلاة او قتال عدو أو أمر بمعروف أي تفرقوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقوموا.

وقوله " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات " معناه متى ما فعلتم ما أمرتم به رفع الله الذين آمنوا منكم، ورفع الذين أتوا العلم درجات، لأنهم احق بالرفعة. وفي ذلك دلالة على ان فعل العالم اكثر ثوابا من فعل من ليس بعالم " والله بما تعملون " من التفسح والنشوز وغير ذلك (خبير) أي عالم.

ثم خاطبهم ايضا فقال (يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) أي شاورتموه (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) قال الزجاج: كان سبب نزول الآية ان الاغنياء كانوا يستخلون النبي (صلى الله عليه وآله) فيشاورونه بما يريدون، والفقراء لا يتمكنون من النبي تمكنهم، ففرض الله عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، وتعبدهم بأن لا يناجي احد رسول الله إلا بعد ان يتصدق بشئ ما قل او كثير، فلم يفعل احد ذلك على ما روي، فاستقرض أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دينارا وتصدق به، ثم ناجى

=====

(٥٥٢)

النبي (صلى الله عليه وآله)، فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بالآية التي بعدها. وقوله (ذلك خير لكم واطهر) أي ذلك التصديق بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) خير لكم واطهر ومعناه إن فعل ذلك ادعى إلى مجانية المعاصي من تركه. ثم قال قل لهم (فان لم تجدوا) يعني ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يستر عليكم ترك ذلك ويرحمكم وينعم عليكم.

ثم قال ناسخا لهذا الحكم (الاشتفتتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) وظاهر هذا الكلام توبيخ على ترك الصدقة، وانهم تركوا ذلك اشفاقا وخوفا على نقصان المال، فقال (فاذ لم تفعلوا) ذلك (وتاب الله عليكم) في تقصيركم في فعل الصدقة (فأقيموا الصلاة التي اوجبها الله عليكم) واديموا فعلها وادوا شروطها (وآتوا الزكاة) التي افترضها عليكم (واطيعوا الله ورسوله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (والله خير بما تعملون) أي عالم بما تعملونه من طاعة الله او معصية وحسن وقبيح، فيجازيكم بحسبه.

ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله) (ألم تر) يا محمد (إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) والمراد به قوم من المنافقين، كانوا يوالون اليهود ويغشون اليهم أسرارهم ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين - وهو قول قتادة وابن زيد - ثم قال (ما هم منكم) أي ليسوا مؤمنين (ولا منهم) أي ولا هم يهود، فيكونوا منهم بل هم قوم منافقون. ثم قال (ويحلفون) يعني هؤلاء المنافقون (على الكذب) يعني يقولون إنا معكم ونحن نتوب، وليسوا كذلك (وهم يعلمون) انه كذلك. ثم بين تعالى ما لهم من العقاب فقال (اعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) أي لانهم كانوا يعملون المعاصي والقبايح.

=====

قوله تعالى:

(اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلم عذاب مهين (١٦) لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١٧) يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئٍ ألا إنهم هم الكاذبون (١٨) استحوذ عليهم الشيطان فأنسيهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩) إن الذين يحدون الله ورسوله أولئك في الآذنين) (٢٠).

خمس آيات عراقية وشامية، والمدني الأول، وأربع آيات وبعض آية مكية والمدني الآخر، عد العراقي والشامي والمدني الأول " في الآذنين " ولم يعده الباقر.

لما ذكر الله تعالى المنافقين بأنهم تولوا قوماً من اليهود الذين غضب الله عليهم وذكر ما أعده لهم من العقاب، وذكر أنهم يحلفون على الكذب مع علمهم بأنهم كاذبون قال أنهم (اتخذوا أيمانهم) التي يحلفون بها (جنة) أي سترة وترسايد يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريبة. والاتخاذ جعل الشئ عدة، كما يقال: اتخذ سلاحاً، واتخذ كراعاً ورجالاً واتخذ داراً لنفسه إذا أعدهما لنفسه، فهؤلاء جعلوا الإيمان عدة ليدفعوا بها عن نفوسهم الظنة. والجنة السترة وأصله التستر ومنه الجنة لاستتارهم عن العيون، والجنة لاستتارها بالشجر، والمجن الترس لستره صاحبه عن أن يناله السلاح.

وقوله (فصدوا عن سبيل الله) أي صدوا نفوسهم وغيرهم عن سبيل الله التي هي الحق والهدى. وقيل: فصدوا عن سبيل الله من قبلهم بكفرهم. ثم بين تعالى ما لهم على ذلك فقال (فلم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم والاهانه الاحتقار يقال: اهانه يهينه إهانة، ومثله أذله يذله إذلالاً واخزاه يخزيه إخزاء، ونقيضه الأكرام، ثم قال (لن تغني عنهم أموالهم) التي جمعوها (ولا أولادهم) الذين خلفوهم (من الله شيئاً) يدفع عقابه عنهم، أغنى يغني عنى إذا دفع عنه دفعاً يستغنى عنه. ثم قال (أولئك) مع هذا كله (أصحاب النار) أي الملازمون لها (وهم فيها خالدون) مؤبدون لا يخرجون عنها (يوم يبعثهم الله جميعاً) و (يوم) يتعلق ب (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً.. يوم يبعثهم الله جميعاً) يعني يوم القيامة (فيحلفون له) أي يقسمون لله (كما يحلفون لكم) في الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق (ويحسبون أنهم على شئ) معناه يظنون أنهم على شئ في هذه الإيمان. فقال الله تعالى (ألا إنهم هم الكاذبون) فيما يذكرونه من الإيمان



والمعنى إنهم لم يكونوا مؤمنين على الحقيقة، وإنما كان اعتقادهم اعتقاد جهل. وقيل: معناه انهم (هم الكاذبون) في الدنيا. وقيل: معناه ألا إنهم هم الخائبون، يقال كذب ظنه اذا خاب أمه. وقال قوم (ويحسبون انهم على شئ) يعنى في دار الدنيا، ولا يحسبون ذلك في الآخرة لانهم يعلمون الحق اضطرارا، وهم ملجئون إلى الافعال الحسنة وترك القبيح. قال الرماني: وهذا غلط، لانه مخالف لظاهر القرآن بغير دليل، قال والصواب ما قال الحسن في أن الآخرة مواطن يمكنون في بعضها من فعل القبيح، ولا يمكنون في بعض، ويكون كذبهم ككذب الصبي الدهش الذى يلحقهم.

### (٥٥٥)

وقال قوم: ان قوله (ألا انهم هم الكاذبون) اخبار عن حالهم في الدنيا بأنهم كاذبون في الدنيا في قولهم: انا مؤمنون، وهم منافقون، لان الكذب لا يجوز ان يقع منهم في الآخرة على وجه. ثم قال تعالى " ان الذين يحدون الله ورسوله " أى يخالفونه في حدوده. وقال مجاهد: معناه يشاقون الله ورسوله بأن يحصلوا في حد آخر عادلين عن حدود الله. وقوله " اولئك في الاذلين " اخبار منه تعالى ان الذين يحدونه ويحدون رسوله اولئك في الاحقرين المهانين عند الله. وقال الزجاج: معناه في المغلوبين. وقوله " استحوذ عليهم الشيطان " معناه استولى عليهم، فالاستحواذ الاستيلاء على الشئ بالاقتطاع. واصله من حاذه حوذا مثل جازه يجوزه جوزا " فانسأهم ذكر الله " حتى لا يذكرون الله، ولا يخافونه ثم قال " اولئك " يعنى الذين " استحوذ عليهم الشيطان " جنود الشيطان وحزبه. ثم قال " ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون " لانهم يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار وذلك هو الخسران المبين قوله تعالى:

(كتب الله لاغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز (٢١)

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (٢٢).

### (٥٥٦)

آيتان وبعض آية في المكي والمدني الاخير، وآيتان فيما عداه، عد المكي والمدني الاخير إلى " قوي عزيز " تمام التي قبلها.

قرأ الاعشى (عشيراتهم) على الجمع، الباكون (عشيرتهم) على الافراد.  
قوله (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي) معناه إنه كتب في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من ان يكون. وقال الحسن: ما أمر الله نبيا قط بحرب الا غلب إما في الحال او فيما بعد. ويحتمل ان يكون المراد (كتب الله لا غلبن أنا ورسلي)

بالحجج والبراهين، وان جاز ان يغلب في الحرب في بعض الاوقات. والغلبة قهر المنازع حتى يصير في حكم الذليل للقاهر، وقد يقهر ما ليس بمنازع، كقولهم قهر العمل حتى فرغ منه. والله تعالى غالب بمعنى انه قاهر لمن نازع أولياءه. وقوله (ان الله قوي عزيز) اخبار منه تعالى انه قادر لا يمكن احدا من قهره ولا غلبته لان مقدراته لا نهاية لها ومن كان كذلك لا يمكن قهره. والعزيز المنيع بكثرة مقدراته.

وقوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) معناه ان المؤمن لا يكون مؤمنا كامل الايمان والثواب يواد من خالف حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله ومعنى يواده يواليه، وان كان ذلك الذي يواده أباه او ابنه او اخاه او عشيرته، فمن خالف ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقا، لا يكون كافرا، وكل كافر فهو محاد لله ولرسوله. والموادة الموالة بالنصرة والمحبة، فهذا لا يجوز إلا للمؤمن بالله دون الكافر، والفاسق المرتكب للكبائر، لانه يجب البراءة منهما، وهي منافية للموالة. والآية نزلت في حاطب بن ابي بلتقة حين كتب إلى اهل مكة يشعروهم بأن النبي (صلى الله عليه وآله) عزم على ان يأتي مكة بغتة يفتحها. وكان النبي (صلى الله عليه وآله) أخفى ذلك، فلما عوتب على ذلك، قال أهلي بمكة احببت ان يحوطوهم بيد تكون لي عندهم، فانزل الله تعالى فيه الآية.

=====

(٥٥٧)

ثم قال تعالى " اولئك " يعني الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر " كتب في قلوبهم الايمان " ومعناه انه جعله بحكمه، فكأنه مكتوب فيه. وقيل: معناه إنه جعل في قلوبهم سمة تدل من علمها أنهم من اهل الايمان. وقال الحسن: معناه انه ثبت الايمان في قلوبهم بما فعل بهم من اللطاف " وايدهم بروح منه " أي قواهم بنور البرهان والحجج حتى اهتدوا للحق وعملوا به، وقيل: أيدهم بجبرائيل من أمر الله في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم " ويدخلهم جنات " أي بساتين " تجري من تحتها الانهار " أي من تحت أشجارها الانهار. وقيل: ان أنهارها أخايد في الارض، فلذلك قال " من تحتها الانهار ". والانهار جمع نهر " خالدين فيها " أي

مؤبدين لا يفنون ولا يخرجون منها، وهو نصب على الحال " رضى الله عنهم " باخلاص الطاعة منهم " ورضوا عنه " بثواب الجنة. ثم قال " اولئك حزب الله " يعني جنده وأولياؤه، ثم قال " ألا " وهي كلمة تنبيه " إن حزب الله " يعني جنوده وأولياؤه " هم المفلحون " والمفلح هو المنجح بادراك ما طلب. وقال الزجاج:

حزب الله هم الذين اصطفاهم الله. وقرأ المفضل عن عاصم " كتب في قلوبهم الايمان " على ما لم يسم فاعله. الباقر بفتح الكاف بمعنى إن الله كتب ذلك عليهم.

=====

(٥٥٨)

٥٩ - سورة الحشر مدينة بلا خلاف. وهي أربع وعشرون آية بلا خلاف.

بسم الله الرحمن الرحيم (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم (١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتيم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار (٢) ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار (٣) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب (٤) ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) (٥) خمس آيات.

(٥٥٩)

قرأ أبو عمرو وحده " يخربون بيوتهم " بالتشديد قال الفراء: وهى قراءة ابي عبدالرحمن السلمي والحسن. الباقر بالتخفيف. قال قوم: معناهما واحد مثل اكرمته وكرمته. وقال بعضهم: معنى التخفيف انهم ينتقلون عنها فيعطلونها، وبالتشديد يهدمونها. قد مضى تفسير " سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم " فلا معنى لا عادته.

وقوله " هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم " معناه ان الذي وصفه بأنه عزيز حكيم هو الله الذي أخرج الكفار من اليهود من ديارهم " لاول الحشر " قال قتادة ومجاهد: هم بنو النضير، لما نزل النبي (صلى الله عليه وآله) بالمدينة عاقده بنو النضير على ان لا يكونوا عليه ولا له. ثم نقضوا العهد وأرادوا أن يطرحوه حجرا حين مضى النبي (صلى الله عليه وآله) اليهم يستعين بهم في تحمل بعض الدينين اللتين لزمنا صاحب النبي (صلى الله عليه وآله) حين انقلب من بئر معونة فقتل نفسين، كان النبي (صلى الله عليه وآله) أجرهما، ومالوا للمشركين على النبي (صلى الله عليه وآله) فأجلاهم الله عن ديارهم على ان لهم الذرية وما حملت إبلهم والباقي لرسول الله فأجلاهم النبي (صلى الله عليه وآله) على هذا عن ديارهم ومنازلهم، فمنهم من خرج إلى خيبر، ومنهم من خرج إلى الشام.

وقوله تعالى " لاول الحشر " قال قوم: أول الحشر هو حشر اليهود من بني النضير إلى ارض الشام، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى ارض الشام أيضا. وقال البلخي: يريد أول الجلاء، لان بني النضير أول من أجلي عن ارض العرب. والحشر جمع الناس من كل ناحية، ومنه الحاشر الذي يجمع الناس إلى ديوان الخراج، والجمع حشار " ما ظننتم أن يخرجوا " أي لم تظنوا خروجهم منها " وظنوا " هم " انهم مانعتهم حصونهم من الله " أي حسبوا ان الحصون التي هم

=====  
(٥٦٠)

فيها تمنعهم من عذاب الله وإنزاله بهم على يد نبيه، فجعل تعالى امتناعهم من رسوله امتناعا منه.

وقوله تعالى " فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا " أي اتاهم أمر الله من حيث لم يحتسبوا مجيئه منه " وقذف " أي ألقى " في قلوبهم الرعب " وهو الخوف " يخربون بيوتهم بأيديهم وأيادي المؤمنين " معناه إنهم كانوا يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا ويخرب المؤمنون من خارج - على ما ذكره الحسن - ثم قال تعالى " فاعتبروا يا أولي الابصار " معناه اتعظوا

وفكروا فلا تفعلوا كما فعل هؤلاء فيحل بكم ما حل بهم. والحصون جمع حصن، وهو البناء العالي المنيع، يقال:

تحصن فلان إذا امتنع بدخوله الحصن.

ومن استدل بهذه الآية على صحة القياس في الشريعة فقد أبعد. لان الاعتبار ليس من القياس في شيء، وإنما معناه الاتعاض على ما بيناه، ولا يليق بهذا الموضع قياس في الشرع، لانه لو قال بعد قوله " يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين " فقيسوا الارز على الحنطة، لما كان كلاما صحيحا ولا يليق بما تقدم. وإنما يليق بما

تقدم الاتعاض والانزجار عن مثل افعال القوم من الكفر بالله.

وقوله تعالى " ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء " معناه لولا ان الله كتب في اللوح المحفوظ بما سبق في علمه انهم يجلبون عن ديارهم يعني اليهود (لعذبهم في الدنيا) بعذاب الاستئصال. والجلاء الانتقال عن الديار والاطوان البلاء. وقيل:

هو الفرار عن الاوطان يقال: جلا القوم عن منازلهم جلاء، وأجليتهم إجلاء.

ثم قال (ولهم في الآخرة) مع الجلاء عن الاوطان في الدنيا (عذاب النار)

يعذبون بها. ثم بين لم فعل بهم ذلك فقال (ذلك) أي فعلنا بهم ذلك (بانهم شاقوا الله ورسوله) وخالفوهما وعصوهما. ثم توعد من يسلك مسلكهم في المشاققة لله

=====

(٥٦١)

ورسوله، فقال " ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب " يعاقبهم على مشاققتهم بالشدة العقاب.

وقوله " ما قطعتم من لينة " فاللينة كل نخلة لينة سوى العجوة - في قول ابن عباس وقتادة - وهي لغة أهل المدينة. وقال بعضهم: إلا البرني والعجوة، قال مجاهد وعمرو بن ميمون وابن زيد: كل نخلة لينة ولم يستثنوا. وقال سفيان:

الليننة كرام النخل. وأصل اللينة اللونة فقلبت الواو ياء للكسرة. ويجمع لينا، قال ذو الرمة:

طراق الخوافي مشرق فوق ربيعة \* ندى ليلة في ريشه يترقرق (١)

فكأنه قال لون من النخل أي ضرب منه. وقيل: يجوز أن تكون من اللين للين ثمرتها، وقوله " او تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله " أي قطعتموها او تركتموها بحالها كل ذلك سائغ لكم، وهو بعلم الله وإذنه في ذلك وأمره به.

وقوله " وليخزي الفاسقين " أي فعل ذلك ليذل به الكفار الفاسقين من اليهود ويهينهم به لا أنهم يفعلونه على وجه الفساد في الارض، لان فيما فعلوه إذلال اهل الشرك وعز أهل الاسلام.

قوله تعالى:

(وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير (٦) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول

(١) مر في ٨ / ٤٤ (ج ٩ م ٧١ من التبيان)

(\*)

=====

(٥٦٢)

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهىكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٧) للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (٨) والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (٩) والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم (١٠) خمس آيات.

قرأ أبو جعفر " كيلا تكون " بالتاء " دولة " بالرفع أضاف الفعل إلى (دولة).

الباقون بالياء " دولة " نصب أرادوا الفئ والمال.

قوله " وما أفاء الله على رسوله منهم " يعني من اليهود الذين أجلهم من بني النضير، وإن كان الحكم ساريا في جميع الكفار إذا كان حكمهم، فالفئ رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله إياهم ذلك، على ما شرط فيه، يقال: فاء بفئ فيئا إذا رجع وأفأته عليه إذا رددته عليه. وقال عمر بن الخطاب ومعمر: مال الفئ

=====

(٥٦٣)

هو مال الجزية والخراج. والفئ كل ما رجع من أموال الكافرين إلى المؤمنين، سواء كان غنيمة او غير غنيمة، فالغنيمة ما اخذ بالسيف، فأربعة أخماسه للمقاتلة وخمسه للذين ذكرهم الله في قوله " واعلموا أنما غنمتم.. " الآية (١).

وقال كثير من العلماء: ان الفئ المذكور في هذه الآية هو الغنيمة. وقال قوم: مال الفئ خلاف مال الصدقات، لان مال الفئ اوسع، فانه يجوز ان يصرف في مصالح المسلمين، ومال

الصدقات إنما هو في الاصناف الثمانية. وقال قوم: مال الفئ يأخذ منه الفقراء من قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) باجماع الصحابة في زمن عمر ابن الخطاب، ولم يخالفه فيه احد إلا الشافعي، فانه قال: يأخذ منه الفقراء والاغنياء، وإنما ذكروا في الآية لانهم منعوا الصدقة، فبين الله أن لهم في مال الفئ حقا.

وقال عمر بن الخطاب: مال بني النضير كان فيألرسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة " ولذي القربى " قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بني هاشم وبني عبدالمطلب. وقيل: جعل ابوبكر وعمر سهمين: سهم رسوله وسهم قرابته من الاغنياء في سبيل الله، وصدقة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذكره قتادة. والباقي في اهل الحاجة من اطفال المسلمين الذين لا أبالهم، وابن السبيل المنقطع به من المسافرين في غير معصية الله. وقال يزيد ابن رومان: الغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقتال عنوة. وقيل: كانت الغنائم في صدر الاسلام لهؤلاء الاصناف. ثم نسخ بما ذكره في سورة الانفال: بالخمس.

والباقي للمحاربين - ذكره قتادة - .

والذي نذهب اليه أن مال الفئ غير مال الغنيمة، فالغنيمة كل ما اخذ من دار الحرب بالسيف عنوة مما يمكن نقله إلى دار الاسلام، وما لا يمكن نقله إلى دار الاسلام، فهو لجميع المسلمين ينظر فيه الامام ويصرف انتفاعه إلى بيت المال لمصالح

(١) سورة ٨ الانفال آية ٤١ (\*)

=====

(٥٦٤)

المسلمين. والفئ كل ما اخذ من الكفار بغير قتال او انجلاء اهلها وكان ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله) خاصة يضعه في المذكورين في هذه الآية، وهو لمن قام مقامه من الائمة الراشدين. وقد بين الله تعالى ذلك. ومال بني النضير كان للنبي خاصة، وقد بينه الله بقوله " وما أفاء الله " يعني ما رجعه الله ورده " على رسوله منهم " يعني من بني النضير. ثم بين فقال " فما أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب " أي لم توجفوا على ذلك بخيل ولا ركاب. والايجاف الايقاع، وهو تسيير الخيل والركاب وهو من وجف يجف وجيفا، وهو تحرك باضطراب، فالايجاف الازعاج للسير، والركاب الابل " ولكن الله يسلط رسله على من يشاء " من عباده حتى يقهروهم ويأخذوا ما لهم (والله على كل شئ قدير).

ثم قال مبينا من استحق ذلك، فقال (ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى) يعني بني النضير (قله وللرسول ولذي القربى) يعني اهل بيت رسول الله " واليتامى والمساكين وابن السبيل "

من أهل بيت رسول الله لان تقديره ولذي قرباه ويتامى أهل بيته، وابن سبيلهم، لان الالف واللام تعاقب الضمير، وظاهره يقتضي أنه لهؤلاء سواء كانوا أغنياء او فقراء. ثم بين لم فعل ذلك فقال " كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم " فالدولة - بضم الدال - نقلة النعمة من قوم إلى قوم وبفتح الدال المرة من الاستيلاء والغلبة. ثم قال " وما أتاكم الرسول فخذوه " أي ما اعطاكم رسوله من الفئ فخذوه وارضوا به. وما أمركم به فافعلوه " وما نهاكم عنه فانتهوا " عنه فانه لا يأمر ولا ينهاى إلا عن أمر الله.

ثم قال " واتقوا الله " في ترك معاصيه وفعل طاعاته " إن الله شديد العقاب " لمن عصاه وترك أمره.

ثم قال " للفقراء " يعني الذين لا مال لهم " المهاجرين " الذين هاجروا من

=====

(٥٦٥)

مكة إلى المدينة او هاجروا من دار الحرب إلى دار الاسلام " الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم " الذي كان لهم بمكة فأخرجوا منها " يبتغون فضلا " أي طالبين بذلك فضلا " من الله ورضوانا " فالجملة في موضع الحال " وينصرون الله ورسوله " يعني ناصرين لدين الله ورسوله " اولئك هم الصادقون " عندالله في الحقيقة العظيموا المنزلة لديه. وقيل: تقدير الآية " كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم " بل للفقراء المهاجرين.

ثم وصف الانصار فقال " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم " أي جعلوا ديارهم موضع مقامهم وآمنوا بالله من قبلهم نزلت في الانصار، فانهم نزلوا المدينة قبل نزول المهاجرين. وقيل ان كان من نزل بالمدينة قبل هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) فهو من الانصار.

وقوله " والايمان من قبلهم " يعني إن الانصار آمنوا قبل هجرة المهاجرين وإن كان في المهاجرين من آمن قبل إيمان الانصار " يحبون من هاجر اليهم " من اهل مكة " ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا " قال الحسن يعني حسدا، قال الزجاج: معناه لا تجد الانصار في نفوسهم حاجة مما يعطون المهاجرين. وقال البلخي:

لا يجدون حاجة في نفوسهم مما يؤتون المهاجرين من الفضل في الدين، وقال الطبري: معناه لا يجدون في نفوسهم حاجة فيما أعطي المهاجرين من مال بني النضير، فان النبي خص به المهاجرين إلا رجلين من الانصار: أباد دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف أعطاهما لفقريهما. وإنما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك لان مال بني النضير كان له خاصة. والمهاجرين بهم حاجة خصهم بذلك. والانصار كانوا في غنى فرضوا بذلك، ومدحهم الله على ذلك - ذكره ابن زيد -.



وقوله " ويؤثرون على أنفسهم " أي يختارون على أنفسهم من يولونه من مالهم

=====

(٥٦٦)

من المهاجرين " ولو كان بهم خصاصة " يعني حاجة. والخصاصة الحاجة التي يختل بها الحال. والخصاص الفرغ التي يتخللها البصر، والواحد خصاص. قال الراجز:  
والناظرات من خصاص لمحا وأصله الاختصاص بالانفراد بالامر والخصاص الانفراد عما يحتاج اليه والخصوص الانفراد ببعض ما وضع له الاسم، والخص إنفراد كل قصبه من أختها في الاشراف، والخاصة إنفراد المعنى بما يقوله دون غيره.

وقوله " ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون " أي من منع شح نفسه.  
والشح والبخل واحد. وفي أسماء الدين هو منع الواجب " فاولئك هم المفلحون " يعني المنجحين الفائزين بثواب الله ونعيم جنته.

ثم قال " والذين جاؤا من بعدهم " يعني بعد المهاجرين والانصار، وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة - في قول الحسن - وهو كل من أسلم بعد العصر الاول. وقال الاصم: يعني من جاءك من المهاجرين أي بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الانصار " يقولون ربنا " الجملة في موضع الحال، وتقديره قائلين " ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا " أي حقدًا وغشا " للذين آمنوا " ويقولون " ربنا إنك رؤف رحيم " أي متعطف على عبادك منعم عليهم.

وقسمة الغنيمة عندنا للفارس سهمان وللراجل سهم. وقال قوم: للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم إلا ما كان من الارض والاشجار، فانه للامام أن يقسمها إن شاء، وله ان يجعلها أرض الخراج ويردها إلى من كانت في أيديهم قبل، على هذا الوصف بحسب ما يرى، كما فعل عمر بأرض السواد. وقيل: إن النبي (صلى الله عليه وآله) فتح مكة عنوة ولم يقسم أرضها بين المقاتلة. وقال قوم: فتحا سلما. وقسم كثيرا

=====

(٥٦٧)

من غنائم حنين في المؤلفه قلوبهم دون المقاتلة حتى وقع من نفر من الانصار في ذلك ما وقع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) اما ترضون ان يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله، فرضوا وسلموا الله ورسوله في قصة مشهورة، قوله تعالى:

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون (١١) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون (١٢) لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (١٣) لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) (١٥) خمس آيات قرأ ابن كثير وأبو عمرو " من وراء جدار " على التوحيد. الباقون " جدر " على الجمع.

لما وصف الله تعالى المهاجرين الذين هاجروا من مكة وما لهم من الفضل، وذكر الانصار ومالهم من جزيل الثواب، وذكر التابعين باحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان، ذكر المنافقين وما يستحقونه وما هم عليه من الاوصاف. فقال

=====

(٥٦٨)

" ألم تر " يا محمد " إلى الذين نافقوا " فأظهروا الايمان وأبطنوا الكفر " يقولون لإخوانهم " في الكفر وهم " الذين كفروا من أهل الكتاب " يعني يهود بني النضير (لئن أخرجتم) من بلادكم (لنخرجن معكم) مساعدين لكم (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعني في قتالكم ومخاصمتكم (ولئن قوتلتهم) معاشر بني النضير (لننصرنكم) ولندفعن عنكم. فقال الله تعالى (والله يشهد انهم لكاذبون) فيما يقولونه في مساعدتهم والخروج معهم والدفاع عنهم. وظاهره يدل على انهم لم يخبروا عن ظنهم، لانهم لو اخبروا عن ظنهم وعن نيتهم لما كانوا كاذبين. ويحتمل: ان يكونوا كاذبين في العزم ايضا بأن يقولوا إنهم عازمون ولا يكونوا كذلك. ثم قال تعالى (لئن أخرجوا) يعني بني النضير (لا يخرجون معكم) يعني المنافقون الذين قالوا لهم إنا نخرج معكم (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار) أي ينهزمون ويسلمونهم (ثم لا ينصرون) الجميع، وقال الزجاج:

فيه وجهان:

احدهما - إنهم لو تعاطوا نصرهم.

الثاني - ولئن نصرهم من بقي منهم لولوا الأدبار، فعلى هذا لا ينافي قوله (لا ينصرونهم) قوله (ولئن نصروهم).

ثم خاطب المؤمنين، فقال (لانهم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي أنتم أشد خوفا في قلوب هؤلاء المنافقين يخافونكم مالا يخافون الله (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أي لانهم قوم لا يفقهون

الحق ولا يعرفونه ولا يعرفون معاني صفات الله، فالفقه العلم بمفهوم الكلام في ظاهره ومتضمنه عند إدراكه، ويتفاضل أحوال الناس فيه. وقيل: إن المنافقين الذين نزلت فيهم هذه الآية عبدالله بن ابي سلول وجماعة معه بعثوا إلى بني النضير بهذه الرسالة - ذكره ابن عباس ومجاهد -

=====

(٥٦٩)

ثم عاد تعالى إلى ذكر الخبر عن أحوال بني النضير، فقال (لا يقاتلونكم) معاشر المؤمنين (إلا في قرى محصنة) يعني ممتنعة جعل عليها حصون (أو من وراء جدر) أى من وراء الحيطان، فالجدار الحائط. فمن قرأ على التوحيد فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير، ومن قرأ على الجمع، فلا ختلاف الجدران.

ثم قال (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) معناه عداوة بعض هؤلاء اليهود لبعض شديدة وقلوبهم شتى بمعادة بعضهم لبعض أى ظاهرهم على كلمة واحدة وهم متفرقون في الباطن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعنى ما فيه الرشد مما فيه الغي. وقال مجاهد (وقلوبهم شتى) يعني المنافقين وأهل الكتاب، وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لا ختلاف دواعيهم وأهوائهم، وداعي الحق واحد، وهو داعي العقل الذى يدعو إلى طاعة الله والاحسان في الفعل.

وقوله (كمثل الذين من قبلهم قريبا) معناه مثل هؤلاء كمثل الذين من قبلهم يعني بني فينقاع - في قول ابن عباس - وقال مجاهد: هم مشركوا قريش بيدر - (ذاقوا وبال أمرهم) من الشرك والكفر بالله فان عاقبة أمرهم كان القتل او الجلاء وفي الآية دلالة على النبوة من جهة علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله تعالى وقوله (ولئن نصرهم ليولن الادبار) جاء على تقدير المستقبل كما يجيئ في الماضي ب (لو) لتبين خورهم وضعف قلوبهم، واللام في قوله (لئن اخرجوا) و (لئن قوتلوا)

و (لئن نصرهم) كلها لام القسم. واللام في قوله (ليولن الادبار) جواب القسم. قوله تعالى:

(كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال (ج ٩ م ٧٢ من التبيان)

=====

(٥٧٠)

أنى برئ منك إني أخاف الله رب العالمين (١٦) فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدین فیها وذلك جزاء الظالمين (١٧) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسيهم أولئك هم الفاسقون (١٩) لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (٢٠) خمس آيات.

معنى قوله (كمثل الشيطان) أي مثل هؤلاء المنافقين فيما قالوا لليهود، مثل قيل الشيطان (إذ قال للانسان اكفر) واغواه به ودعاه اليه (فلما كفر)

يعني الانسان (قال) الشيطان (إني برئ منك اني اخاف الله رب العالمين) بمعنى أخاف عقابه. وإنما يقول الشيطان للانسان اكفر بأن يدعو اليه ويغويه به ويقول له: التوحيد ليس له حقيقة والشرك هو الحق ويأمره بجدد النبوة، ويقول لا أصل لها. وإنما هي مخرقة. والبراءة قطع العلقه إلى ما تقتضيه العداوة فهذه البراءة من الدين، وقد تكون البراءة قطع العلقه بما يدفع المطالبة كبراءة الدين، وبراءة الطلاق، وبراءة الذمي إذا أخذت منه الجزية. والاصل قطع العلقه التي يقع بها مطالبة في نقيض الحكمة، فالتقدير في الآية إن مثل المنافقين في وعدهم لبني النضير مثل الشيطان في وعده للانسان بالغرور، فلما احتاج اليه الانسان أسلمه للهلاك. وقيل: إن ذلك في إنسان بعينه كل من الرهبان فاغواه الشيطان بأن ينجيه من بلية وقع فيها عند السلطان، فقال له: اسجد لي سجدة واحدة، فلما احتاج اليه أسلمه حتى قتل - روي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود - وقال مجاهد:

=====

(٥٧١)

هو عام في جميع الكفار، فقال الله تعالى (فكان عاقبتهما) يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن أغواه والمنافقين واليهود (أنهما في النار) معذبان فيها، والعاقبة نهاية العمل في البادية، فعاقبة الطاعة الله تعالى الجنة، وعاقبة معصيته النار (خالدين فيها) أي مؤبدين فيها معذبين ثم قال (وذلك جزاء الظالمين) لانفسهم بارتكاب المعاصي.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) باجتتاب معاصيه وفعل طاعاته (ولتنتظر نفس ما قدمت لغد) أي تنظر وتفكر ما الذي تقدمه من الافعال ليوم القيامة من طاعة او معصية (واتقوا الله) باجتتاب معاصيه وفعل طاعاته (إن الله خبير بما تعملون) أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم بحسبها على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب. وقيل معناه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما تقدم نفس لغد (واتقوا الله) فيما يعلمه

منكم، وليس ذلك بتكرار ثم قال (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أي كالذين تركوا أداء حق الله فانهم نسوه فأنساهم أنفسهم بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب، وقال سفيان: نسوا حق الله فأنساهم حظ أنفسهم. وقيل: نسوا الله بترك ذكره والشكر والتعظيم فأنساهم انفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضا، كما قال تعالى (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم) (١) أي يسلم بعضهم على بعض ثم اخبر عنهم فقال (اولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا من طاعته إلى معصيته.

وقوله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) أي لا يتساويان، لان هؤلاء مستحقون للنار وأولئك مستحقون لثواب الجنة، ثم قال (أصحاب الجنة هم الفائزون) بثواب الله. ولا يدل على أن من معه إيمان وفسق لا يدخل الجنة،

(١) سورة ٢٤ النور آية ٦١ (\*)

=====

(٥٧٢)

لانه تعالى قسم أصحاب الجنة وأصحاب النار الذين يستحقون ثوابا بلا عقاب او عقابا بلا ثواب، لانهما لا يتقاربان، ولم يذكر من يستحق الامرين. وعندنا أن الفاسق المسلم يستحق الامرين فليس هو داخلا فيه.  
قوله تعالى:

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) (٢١)

هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) (٢٤)  
أربع آيات.

يقول الله تعالى معظما لشأن القرآن الذي انزله عليه مكبرا لحاله في جلاله موقعه بأنه لو أنزل القرآن على جبل لرئي الجبل خاشعا، والمراد به المثل، وتقديره لو كل الجبل مما ينزل عليه القرآن ولو شعر به - مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه - لخشع لمنزله تعظيما لشأنه ولتصدع من خشيته، فالانسان أحق بهذا لو عقل الاحكام التي فيه. والتصدع التفرق بعد

التلاؤم، ومثله التفطر يقال: صدعه يصدعه صدعا فهو صادع وذلك مصدوع ومنه الصداع في الرأس وهو معروف، وتصدع تصدعا

### (٥٧٣)

وانصدع إصداعا فبين انه على وجه المثل بقوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومعناه ليتفكروا، لان (لعل) بمعنى الشك، والشك لا يجوز على الله. وقوله (هو الله الذي لا إله إلا هو) معناه هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة إلا له (عالم الغيب والشهادة) معناه عالم بما يشاهده العباد، وعالم بما يغيب عنهم علمه. وقيل: معناه (عالم الغيب) مالا يقع عليه حس من المعدوم او الموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها (والشهادة) أي وعالم بما يصح عليه الادراك بالحواس. وقال الحسن: الغيب ما اخفاه العباد، والشهادة ما أعلنوه، ففي الوصف بها بين كونه عالما بجميع المعلومات، لانها لا تعدو هذين القسمين.

وقوله (هو الرحمن) يعني المنعم على جميع خلقه (الرحيم) بالمؤمنين، ولا يوصف بالرحمن سوى الله تعالى. وأما الرحيم، فانه يوصف به غيره تعالى. ثم اعاد قوله (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك) يعني السيد المالك لجميع الاشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لاحد منعه منه (القدوس) ومعناه المطهر فتظهر صفاته عن ان يدخل فيها صفة نقص (السلام) وهو الذي يسلم عباده من ظلمه (المؤمن) الذي آمن العباد من ظلمه لهم إذ قال (لا يظلم مثقال ذرة) (١)

(المهيمن) قال ابن عباس معناه الامين. وقال قوم: معناه المؤمن إلا انه أشد مبالغة في الصفة، لانه جاء على الاصل في المؤمن، فقلبت الهمزة هاء، وفخم اللفظ به لتفخيم المعنى. وقال قتادة: معناه الشهيد كأنه شهيد على إيمان من آمن به أو الشهيد على الامن في شهادته (العزيز) يعني القادر الذي لا يصح عليه القهر

(١) سورة ٤ النساء آية ٣٩ (\*)

### (٥٧٤)

(الجبار) العظيم الشأن في الملك والسلطان، ولا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق إلا الله تعالى، فان وصف بها العبد، فانما هو على وضع لفظة في غير موضعها، فهو ذم على هذا المعنى (المتكبر) يعني في كل شئ. وقيل: معناه المستحق لصفات التعظيم.

وقوله (سبحان الله عما يشركون) تنزيهه لله تعالى عن الشرك به كما يشرك به المشركون من الاصنام وغيرها.

ثم قال (هو الله الخالق) يعني للجسام والاعراض المخصوصة (البارئ) المحدث المنشئ لجميع ذلك (المصور) الذي صور الاجسام على اختلافها من الحيوان والجماد (له الاسماء الحسنی) نحو الله، الرحمن، الرحيم، القادر، العالم، الحي وما اشبه ذلك. ثم قال (يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) وقد مضى تفسيره.

### (٥٧٥)

٦٠ - سورة الممتحنة مدينة بلا خلاف وهي ثلاث عشرة آية بلا خلاف بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) (١) آية بلا خلاف.

هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين عزم النبي (صلى الله عليه وآله) على ان يدخل مكة بغتة، فسأل الله أن يعمي اخبارهم على قريش ومنع احدا أن يخرج من المدينة إلى مكة فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يعلمهم بذلك، فأوحى الله تعالى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك، فدعا عليا (عليه السلام) والزبير، وقال لهما: اخرجتا حتى تلحقا جارية سوداء متوجهة إلى مكة معها كتاب، فخذاه منها، فخرجا حتى لحقاها فسألها عن الكتاب، فأكرت ففتشها، فلم يجدا معها شيئا، فقال الزبير: ارجع بنا فليس

### (٥٧٦)

معها شيء، فقال علي (عليه السلام) يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): خذ الكتاب منها، وتقول: ليس معي شيء !! ثم اقبل عليها، وسل سيفه. وقال: والله لئن لم تخرجي الكتاب لا ضربن عنقك فقالت له أعرض بوجهك عني، فلما أعرض عنها أخرجت الكتاب من بين ضفيرتين لها، وسلمته اليه، فلما عادا سلماه إلى النبي فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بأن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمع الناس، فصعد النبي (صلى الله عليه وآله) المنبر وخطب. ثم قال:

(أما إني كنت سألت الله ان يعمي اخبارنا عن قريش حتى ندخل مكة بغتة، وإن رجلا منكم كتب اليهم ينذرهم خبرنا، وهذا كتابه فليقم صاحبه) فلم يقم أحد فأعاد ثانيا، فلم يقم احد، فأعاد ثلاثا، ثم قال: فليقم وإلا فضحه الوحي، فقام حاطب، وهو يردد، وقال يا رسول الله: والله ما نافقت منذ اسلمت، فقال ما حملك على ذلك، فقال إن لي بمكة أهلا وليس لي بها عشيرة، فأردت ان اتخذ بذلك عندهم يدا ان كانت الدائرة لهم، فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله مرني بأن أضرب عنقه، فانه نافق، فقال رسول الله: إنه من أهل بدر، ولعل الله تعالى أطلع إطلاعة فغفر لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يخاطب فيها المؤمنين وبينهاهم أن يتخذوا عدو الله من الكفار وعدو المؤمنين أولياء يوالونهم ويلقون اليهم بالمودة. والباء زائدة وتقديره ويلقون اليهم المودة، وهي المحبة، كما قال الشاعر:

ولما زجت بالشرب هز لها العصا \* شحيح له عند الازاء نهيم (١)

أي زجت الشرب، ويجوز أن يكون المراد يلقون اليهم ما يريدون بالمودة (وقد كفروا) يعنى الكفار الذين يلقون اليهم المودة (بما جاءكم) به النبي (صلى الله عليه وآله) (من الحق) يعنى من التوحيد والاخلاص لله في العبادة والقرآن وشريعة الاسلام (يخرجون الرسول وإياكم) يعنى إخراجهم لهم من مكة (أن تؤمنوا بالله ربكم)

(١) مر في ٧ / ٣٠٧ (\*)

=====

(٥٧٧)

ومعناه كراهة ان تؤمنوا بالله وقال قوم: اخرجوكم لا يمانكم بالله ربكم الذي خلقكم (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضائي) أي وطلبا لمرضاتي فلا تلقوا اليهم بالمودة ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيل الله وطلابين مرضاته. قال الزجاج: وهو شرط جوابه متقدم وتقديره إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. و (جهادا، وابتغاء) منصوبان على المفعول له.

وقوله (تسرون اليهم بالمودة) فنكتابونهم باخبار النبي (صلى الله عليه وآله) (وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي بسرکم وعلانيتكم وظاهرکم وباطنكم، لا يخفى علي من ذلك شئ، فكيف تسرون بمودتكم إياهم مني.

وقوله (ومن يفعله منكم) يعنى من ألقى اليهم المودة والقى اليهم اخبار النبي (صلى الله عليه وآله) منكم جماعة المؤمنين بعد هذا البيان (فقد ضل سواء السبيل) أي قد عدل من الحق وجار عن طريق الرشد. وفي الآية دليل على ان مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الايمان، لان حاطب بن



أبي بلتعة رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد فعل ذلك، ولا يقول أحد انه أخرج ذلك من الايمان.

قوله تعالى:

(إن يتفوقكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (٢) لن تتفعلكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله تعملون بصير) (٣)

آيتان بلا خلاف.

(ج ٩ من ١٣ من التبيان)

=====

(٥٧٨)

قرأ ابن كثير وابوعمر ونافع (يفصل) بضم الياء وفتح الصاد وسكون الفاء خفيفة. وقرأ ابن عامر - بضم الياء وفتح الياء وتشديد الصاد وفتحها - على ما لم يسم فاعله، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة.

وقرأ عاصم ويعقوب وسهل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد خفيفة: أربع قراءات، يقال: فصلت بين الشيء أفصله فصلا إذا ميزته، وفصلته تفصيلا، بمعنى واحد. فمن قرأ بفتح الياء أراد إن الله يفصل بينهم ويميز بعضهم عن بعض، ومن ضم الياء جعله لما لم يسم فاعله ومعلوم أن الله هو المفصل بينهم.

وقوله (ان يتفوقكم) معناه أن يصادفوك هؤلاء الكفار الذين تسرون اليهم بالموودة، يقال: ثقفته أثقفه ثقفا فأنا ثقاف، ومنه سمي ثقيف، ومنه المثاقفة، وهي طلب مصادفة العزة في المسابقة، وما يجري مجراها من المصادفة بالشطب ونحوه و (يكونوا لكم أعداء) أي يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون اليهم " ويبسطوا اليكم أيديهم " بما يقدرون عليه من الاذى والقتل، ويبسطوا (ألسنتهم) ايضا (بالسوء)

فيذكرونكم بكل ما تكرهونه وجميع ما يقدرون عليه من السوء ويحثون على قتالكم (وودوا) مع هذا كله (لو تكفرون) بالله كما كفروا وتجحدون كما جحدوا.

ثم قال (لن تتفعلكم أرحامكم ولا أولادكم) الذين جعلتموهم علة في القاء المودة اليهم والافشاء اليهم بسر النبي (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة (والله يفصل بينكم) ذلك اليوم ويميز بعضكم عن بعض إذا كانوا كفارا وكنتم مؤمنين (والله على كل شيء قدير) لا يتعذر عليه تمييز بعضكم عن بعض فيأمر بالمؤمنين إلى الجنة والكفار إلى النار قوله تعالى:

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ

=====

(٥٧٩)

قالوا لقومهم إنا برأؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير (٤)

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم (٥) آيتان بلا خلاف.

قرأ عاصم (أسوة) بضم الهمزة في جميع القرآن. الباقون - بكسرها - وهما لغتان.

يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين وحثا لهم على ترك موالاته الكفار ومبيناً لهم ان ذلك غير جائز بأن قال (قد كانت لكم) في ترك موالاته الكفار وترك الركون إلى جنائيتهم (أسوة حسنة) أي اقتداء حسن (في إبراهيم) خليل الرحمن (عليه السلام) (والذين معه) قال ابن زيد: يعني الانبياء. وقال غيره: يعنى الذين آمنوا معه (إذ قالوا) أي حين قالوا (لقومهم) من الكفار الذين كانوا يعبدون الاصنام (إنا برأؤ منكم) على وزن فعلاء، ومثله ظريف وظرفاء وكريم وكرماء وفقير وفقراء الهمزة الاولى لام الفعل والثانية المنقلبة من الف التانيث والالف التي قبله الهمزة زيادة مع علامة التانيث، وهو جمع برئ وبرأؤ منكم (ومما تعبدون من دون الله) أي وبريئون من الاصنام التي تعبدونها، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية ويكون المعنى وبريئون من عبادتكم للاصنام (كفرنا بكم) أي يقولون لهم: جحدنا ما تعبدون من دون الله وكفرنا به (وبدأ بيننا) أي ظهر بيننا (وبينكم العداوة

=====

(٥٨٠)

والبغضاء ابدا) لا يكون بيننا وبينكم موالاته في الدين (حتى تؤمنوا بالله وحده) أي حتى تصدقوا بوحدانيته وإخلاص العبادة له.

وقوله (إلا قول إبراهيم لأبيه لا أستغفرن لك) استثناء لقول إبراهيم لأبيه:

لا أستغفرن أي فلا تقننوا به فيه. فان إبراهيم (عليه السلام) إنما استغفر لأبيه على (موعدة وعدها إياه) لان اياه كان وعده بالايمن، فوعده إبراهيم بالاستغفار، فلما اظهر له الايمان استغفر له إبراهيم في الظاهر (فلما تبين له انه عدو لله) وعرف ذلك من جهته (تبرأ منه) (١) قال الحسن: إنما تبين ذلك عند موت أبيه، ولو لم يستثن ذلك لظن إنه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعدة بالايمن منهم. وقيل:

إن الاستثناء راجع إلى قوله (وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) لانه لما كان استغفار إبراهيم لأبيه مخالفا لما تضمنته هذه الجملة وجب استثناءه وإلا توهم بظاهر الكلام انه عامل

أباه من العداوة والبراءة بما عامل به غيره. وقال البلخي: هذا استثناء منقطع. ومعناه لكن قول إبراهيم لأبيه لاستغفرن لك كان لاجل موعدة أبيه بالإيمان. ثم قال إبراهيم لأبيه (وما أملك لك من الله من شيء) إذا أراد عقابك، فلا يمكن دفع ذلك عنك.

وقوله (ربنا) أي يقولون ربنا (عليك توكلنا) فالتوكل على الله تفويض الأمور إليه ثقة بحسن تدبيره في كل ما يدبره به (واليك أنبنا) أي رجعنا وتبنا اليك أي رجعنا إلى طاعتك (واليك المصير) معناه واليك مرجع كل شيء يوم القيامة، وقال أيضا وكانوا يقولون (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) ومعناه لا ترهم فينا ما يشمتون بجهلهم بنا. وقال مجاهد: معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا ببلاء من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا (واغفر لنا ذنوبنا

(١) سورة ٩ التوبة آية ١١٥ (\*)

=====

(٥٨١)

إنك أنت العزيز الحكيم) في جميع أفعالك. وفي ذلك تعليم انه ينبغي ان يدعو الانسان بهذه الدعاء. وقال الحسن: كان استغفار إبراهيم لأبيه صغيرة، وقال عمرو ابن عبيد، واصل دعاء إبراهيم لأبيه بشرط الايمان بأنه إن آمن يستغفر له قوله تعالى:

(لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٦) عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) (٧) آيتان بلا خلاف.

إنما أعيد ذكر الاسوة في الآيتين، لان الثاني منعقد بغير ما انعقد به الاول فان الثاني فيه بيان أنه كان أسوة في إبراهيم والذين معه، وهو لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب في اليوم والآخر، والاول فيه بيان ان الاسوة في المعادة للكفار بالله حسنة وإذا انعقد الثاني بغير ما انعقد به الاول صارت الفائدة في الثاني خلاف الفائدة في الاول.

ووجه الجواب في قوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) أي من يذهب عما يحتاج اليه دون الداعي له، لان الداعي له غني حميد، فجاء على الايجاز.

والحميد هو المستحق للحمد على إحسانه، والمحمود الذي قد حمد، فان الله تعالى حميد محمود.

وقوله (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة) بالاسلام وقال ابن زيد: وكان ذلك حين أسلم كثير منهم. وقيل معنى (عسى الله ان

=====

(٥٨٢)

يجعل) أي ليجعل بينكم مودة، وقيل معناه كونوا على رجاء من ذلك وطمع فيه وهو الوجه،  
لأنه الأصل في هذه اللفظة. ثم قال (والله قدير) أي قادر على كل ما يصح ان يكون مقدورا له  
(والله غفور) لذنوب عباده سائر لمعاصيهم " رحيم " بهم أي منعم عليهم. قوله تعالى:  
(لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا  
إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من  
دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (٩) آيتان بلا  
خلاف.

قال الحسن: إن المسلمين استأذنوا النبي (صلى الله عليه وآله) في أن يبروا قريباتهم من المشركين،  
وكان ذلك قبل أن يؤمروا بالقتال لجميع المشركين، فنزلت هذه الآية وقال قتادة: هي منسوخة  
بقوله (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (١) وبه قال ابن عباس: يقول الله تعالى مخاطبا  
للمؤمنين (لا ينهاكم الله) " عن " مخالطة " الذين لم يقاتلوكم في الدين " من الكفار " ولم  
يخرجوكم من دياركم أن تبروهم " وتحسنوا إليهم " وتقسطوا إليهم " معناه تعدلوا إليهم " إن الله  
يحب المقسطين " يعني الذين يعدلون في الخلق. وقيل معناه إن الله يحب الذين يقسطون قسطا  
من أموالهم على وجه البر.

وقوله " إن تبروهم " في موضع خفض، وتقديره: لا ينهاكم الله عن أن

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦ (\*)

=====

(٥٨٣)

تبروهم، وهو بدل من (الذين) بدل الاشتمال. وقال مجاهد: عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من  
أهل مكة ولم يهاجروا، وقال ابن الزبير: هو عام في كل من كل بهذه الصفة، والذي عليه  
الاجماع والمفسرون بأن بر الرجل من شاء من أهل دار الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس  
بمحرم، وإنما الخلاف في اعطائهم الزكاة والفطرة والكفارات، فعندنا لا يجوز. وفيه خلاف.  
وقال الفراء الآية نزلت في جماعة كانوا عاقدوا النبي (صلى الله عليه وآله) ألا يقاتلوه ولا  
يخرجوه، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ببرهم والوفاء لهم إلى مدة اجلهم. ثم بين تعالى  
على من يتوجه النهي ببره وإحسانه فقال " إنما ينهاكم الله عن " ميرة " الذين قاتلوكم في الدين  
" من اهل مكة وغيرهم " واخرجوكم من دياركم " يعنى منازلكم وأملاككم " وظاهروا على  
إخراجكم " أي تعاونوا على ذلك وتعاضدوا، والمظاهرة هي المعاونة ليظهر بها على العدو

بالغلبة. وقوله " أن تولوهم " اى ينهاكم عن ان تنصروهم وتوادوهم وتحبونهم ثم قال " ومن يتولهم " أي ومن ينصرهم ويواليهم " فاولئك هم الظالمون " لا نفسهم، لانهم يستحقون بذلك العقاب والكون في النار .

قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات

فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تتكوهن إذا آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوها ما أنفقوا

=====

(٥٨٤)

ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) (١٠) آية بلا خلاف قرأ ابو عمرو واهل البصرة " ولا تمسكوا " بالتشديد. الباقر " تمسكوا " خفيفة وهما لغتان.

يقولون امسكت به وتمسكت به. قيل كان سبب نزول هذه الآية إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان صالح قريشا يوم الحديبية على ان يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه، فلما هاجر النساء وقيل: هاجرت كلثم بنت أبي معيط فجاء أخوها فسألا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يردها، فنهى الله تعالى ان يرددن إلى المشركين، ونسخ ذلك الحكم، ذكره عروة بن الزبير.

فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا " بالله ورسوله " إذا جاءكم المؤمنات " بالله ورسوله " مهاجرات " من دار الحرب إلى دار الاسلام " فامتحنوهن " وقيل في كيفية الامتحان أربعة اقوال:

قال ابن عباس: كانت امتحان رسول الله إياهن أن يحلفن بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن ارض، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله - وفي رواية أخرى - عن ابن عباس قال: كان امتحانه لهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. وروي عن عائشة انه كان امتحانهن بما في الآية التي بعدها، يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبابعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن.. الآية، وقال ابن عباس وقتادة:

كان امتحانهن ما خرجن إلا للدين، ورغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله كقول ابن عباس الاول.

ثم قال " الله أعلم بايمانهن " لانه يعلم باطنهن وظاهرهن وانتم لا تعلمون باطنهن

=====

(٥٨٥)

ثم قال " فان علمتموهن مؤمنات " يعني في الظاهر " فلا ترجعوهن إلى الكفار " أي لا تردوهن إليهم " لانهن حل لهم ولا هم يحلون لهن " قال ابن زيد:  
وفرق بينهما النبي (صلى الله عليه وآله) وإن لم يطلق المشرك. وقيل: إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان شرط لهم رد الرجال دون النساء، فعلى هذا لا نسخ في الآية. ومن قال كان شرط رد النساء والرجال قال: نسخ الله حكم رد النساء.

وقوله " وآتوهم ما أنفقوا " قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: اعطوا رجالهم ما أنفقوا من الصداق. وقال الزهري: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صداقاً كما كان يفعل قبل. وقيل نسخ رد المهور على الأزواج من المشركين ثم قال " ولا جناح عليكم " معاشر المؤمنين " ان تتكوهن " يعني المهاجرات لانهن بالاسلام قد بن من أزواجهن " إذا آتيتوهن " أجورهن " يعني مهورهن التي يستحل بها فزوجهن.

وقوله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر، فالكوافر جمع كافرة، والعصمة سبب تمنع به من المكروه وجمعه عصم. وفي ذلك دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت ذمية او حربية او عابدة وثن، وعلى كل حال، لانه عام في جميع ذلك وليس لاحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهم، لان المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب، وقوله " واسألوا ما أنفقتم " يعني إذا صارت المرأة المسلمة إلى دار الحرب عن دار الاسلام فاسألوهم عن ان يردوا عليكم مهرهن، كما يستلونكم مهر نسائهم إذا هاجروا اليكم، وهو قوله " وليسألوا ما أنفقوا " ثم قال " ذلكم " يعني ما تقدم ذكره وشرحه " حكم الله يحكم بينكم والله عليم. بجميع الاشياء " حكى " فيما يفعله ويأمركم به.

وقال الحسن: كان في صدر الاسلام وتكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم (ج ٩ م ٧٤ من التبيان)

=====

(٥٨٦)

فنسخت هذه الآية ذلك. والمفسرون على ان حكم هذه الآية منسوخ، وعندنا أن الآية غير منسوخة، وفيها دلالة على المنع من تزوج المسلم اليهودية والنصرانية، لانهما كافرتان والآية على عمومها في المنع من التمسك بعصم الكوافر، ولا نخصها إلا بدليل.  
قوله تعالى:

(وإن فاتكم شئ من من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (١١) يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبأيعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (١٢) يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) (١٣) ثلاث آيات.

معنى قوله " وإن فاتكم شئ من أزواجكم إلى الكفار " أي إن أعجزكم ومضى شئ من أزواجكم إلى كفار أهل مكة ومعنى شئ أحد، فكأنه قال وإن فاتكم احد منكم " فعاقبتهم " بمصير أزواج الكفار اليكم إما من جهة سبي او مجيئهن مؤمنات " فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم " إلى الكفار " مثل ما انفقوا " من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما أنفقتن لمن ذهب من أزواجكم. قال

=====

(٥٨٧)

الزجاج: وقد قرئ " فعقبتم " بلا الف مشددا ومخففا، وجاء في التفسير فغتمت ومعناه في اللغة فكانت العقبي لكم أي كانت لكم الغلبة حتى غنمتن، قال " وعقبتم " مشددة أجودها في اللغة، ومخففة جيدة أيضا أي صارت لكم عقبي، والتشديد أبلغ ومعنى " فعاقبتهم " أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتن أي ان مضت امرأة منكم إلى من لا عهد بينكم وبينه " فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا " يعني في مهورهن، وكذلك إن مضت إلى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر، فالذي ذهب زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئاً من حقه بل يعطى حقه كاملا بعد إخراج مهور النساء. وقال الزهري: فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم من المؤمنين مثل ما أنفقوا من مال الفئ. وقال ابن عباس من مال الغنيمة - وفي رواية عن الزهري - عليهم أن يعطوهم من صدق من لحق بهم وقال قوم: يعطونهم من جميع هذه الاموال. وقال قتادة: معنى الآية " وإن فاتكم شئ من أزواجكم إلى الكفار " الذين ليس بينهم وبين اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد " فعاقبتهم " يعني الغنيمة يقول: فاذا غنمتن فاعطوا زوجها صداقها الذي كان قد ساقه اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم في براءة، فنبذ إلى كل ذي عهد عهده. ثم قال " واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون " أي اجتنبوا معاصي الله الذي أنتم مصدقون بثوابه وعقابه ومعتزفون بنبوته نبيه.

وقوله " يا أيها النبي " خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) يقول الله له " إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك " ووجه بيعة النساء مع أنهن لسن من أهل النصر في المحاربة هو أخذ العهد عليهن

بما يصلح شأنهن في الدين للانفس والازواج، فكان ذلك في صدر الاسلام لئلا يفتق بهن فتق لما صيغ من الاحكام، فبايعهن النبي (صلى الله عليه وآله) حسما لذلك وقيل: إنه كان يبايعهن من وراء الثوب. وروى أنه استدعى ماء فوضع يده فيه

=====

(٥٨٨)

ثم أمر النساء ان يضعن أيديهن فيه، فكان ذلك جاريا مجرى المصافحة بأخذ العهد " على أن لا يشركن بالله شيئا " من الاصنام والاوثنان " ولا يسرقن " لا من أزواجهن ولا من غيرهم " ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن " على وجه من الوجوه لا بالوآد، ولا بالاسقاط " ولا يأتين ببهتان " يعني بكذب " يفتريه بين أيديهن وأرجلهن " أي لا يأتين بكذب يكذبه في مولود يوجد بين أيديهن وأرجلهن. وقال ابن عباس: لا يلحقن بأزواجهن غير اولادهن. وقال الفراء: كانت المرأة تلتقط فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وقال قوم: البهتان الذي نهوا عنه في الآية قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الاولاد إلى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان، ولا يعصينك في معروف، فالمعروف نقيض المنكر، وهو ما دل العقل والسمع على وجوبه او ندمه، وسمي معروفا لان العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه. وقال زيد بن أسلم: فيما شرط ألا يعصينه فيه أن لا يلطمن ولا يشققن جييا ولا يدعون بالويل والثبور، كفعل أهل الجاهلية. وقال ابن عباس: فيما شرط ألا يعصينه فيه النوح.

وقوله " فبايعهن " والمعنى إذا شرطت عليهن هذا الشروط ودخلن تحتها فبايعهن على ذلك " واستغفر لهن الله " أي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويستتر عليهن " إن الله غفور رحيم " أي صفوح عنهن منعم عليهن. وقال الحسن: إذا جاءت المرأة اليوم من غير أهل العهد لم ترد إلى زوجها، ولم تمتحن وهذه الآية منسوخة. ثم قال " يا ايها الذين آمنوا " يخاطب المؤمنين بالله ورسوله " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم " أي لا تولوا اليهود، ولا من يجري مجراهم من الكفار الذين غضب الله عليهم بأن يريد عقابهم " ولعنهم الله " ثم وصف الكفار، فقال

=====

(٥٨٩)

" قد يؤسوا من الآخرة " جملة في موضع الحال أي ببايئهم من الآخرة، فان اليهود يبايئون من ثواب الجنة على ما يقوله المسلمون من الاكل والشرب وغير ذلك من أنواع اللذات كما يؤس



من لم يؤمن بالبعث والنشور أصلاً " كما يؤس الكفار من اصحاب القبور " قال الحسن الذين يؤسوا من الآخرة أي اليهود مع الإقامة على ما يغضب الله، كما يؤس كفار العرب أن يرجع أهل القبور أبداً، وقيل هم أعداء المؤمنين من قريش قد يؤسوا من خير الآخرة، كما يؤس سائر الكفار من العرب من النشأة الثانية. وقيل " كما يؤس الكفار من أصحاب القبور، من حظ الآخرة. وقيل: قد يؤسوا من ثواب الآخرة كما يؤس الكفار من النشأة الثانية ذكره ابن عباس، وقال مجاهد: قد يؤسوا من ثواب الآخرة كما يؤس منه أصحاب القبور، لانهم قد ايقنوا بعذاب الله.

=====

(٥٩٠)

٦١ - سورة الصف مدينة بلا خلاف، وهي أربع عشرة آية بلا خلاف.

بسم الله الرحمن الرحيم (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم (١) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٣) إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٤) وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) (٥) خمس آيات قد مضى تفسير " سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم " في أول الحشر، وقد مضى تفسيره في أول الحديد، وإنما أعيد - ههنا - لانه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيه، كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم، وإذا جل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به، لان المقصد به حسب دلالاته والفائدة في تعظيم ما ينبغي أن يستفتي به على جهة التعظيم لله، والتيمن بذكره.

=====

(٥٩١)

وقوله " يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون " قال الحسن: نزلت في المنافقين، يقول الله لهم " لم تقولون " بألسنتكم مالا تفعلونه، فسامهم بالايمان على الظاهر. وقيل: نزلت في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر، ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا، وقال قتادة: نزلت في قوم: قالوا: جاهدنا وأبلىنا ولم يفعلوا.

وقال ابن عباس ومجاهد: نزلت في قوم قالوا: لو علمنا احب الاعمال إلى الله لسارعنا إليها، فلما نزل فرض الجهاد تناقلوا عنه، فبين الله ذلك. وقال قوم: هو جار مجرى قوله " يا ايها

الذين آمنوا أوفوا بالعقود " (١) فان القول الذي يجب الوفاء به هو القول الذي يعتقد بفعل البر على طريق الوعد من غير طلب.

وقوله " كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " إنما اطلق ذلك مع انه ليس كل قول يجب الوفاء به. لانه معلوم انه لا عيب بترك الوفاء فيما ليس بواجب الوفاء به، وإن الذم إنما يستحق بترك ما هو واجب أو ما أوجبه الانسان على نفسه بالنذر والعهد. والمقت البغض وهو ضد الحب، وهو على ضربين: احدهما - يصرف عنه العقل. والآخر - يصرف عنه الطبع إلا انه جرى على صيغة واحدة للبيان أن صارف العقل في التأكيد كصارف الطبع، كما أنه في الحب على داعي العقل او داعي الطبع، وحذف الالف من " لم تقولون " لشدة الاتصال، ووضع حرف الاعتلال، لانه حرف تغيير في موضع تغيير.

وقوله " مقتا " نصب على التمييز، وتقديره: كبر هذا القول أي عظم مقتا عند الله، وهو أن تقولوا مالا تفعلون. ويحتمل أن يكون تقديره كبر ان تقولوا مالا تفعلون مقتا عندالله. قوله " إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا " معناه إنه تعالى يحب

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ١ (\*)

=====

(٥٩٢)

من يقاتل في سبيله ويجاهد أعداء دينه ويزيد ثوابهم ومنافعهم. وقوله " صفا " أي يقاتلونهم مصطفىين، وهو مصدر في موضع الحال. وقوله " كأنهم بنيان مرصوص " قيل في معناه قولان:

احدهما - كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه ولشدة اتصاله.

الثاني - كأنه حائط ممدود على رص البناء أي احكامه واتصاله واستقامته والمرصوص المتلائم الذي لا خلل فيه ومثل مرصوص شديد اللصوق في الاتصال والثبوت ثم قال للنبي (صلى الله عليه وآله) وأذكر " إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنني رسول الله اليكم، لانه مع العلم بنبوته لا يجوز إيذائه، وكانوا يؤذونه، فيقولون: هذا ساحر كذاب، ويرمونه بالبرص وغير ذلك. وقوله " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " فالزيغ الذهاب عن الشيء باسراع فيه والاطهر فيه الذهاب عن الحق، والمعنى إنهم لما ذهبوا عن طريق الحق، ومالوا إلى طريق الباطل " أزاغ الله قلوبهم " بمعنى انه حكم عليها بالزيغ والميل عن الحق، ولذلك قال " والله لا يهدى القوم الفاسقين " ومعناه لا يحكم لهم بالهداية. وقيل: معناه فلما زاغوا عن الايمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب، ولا يجوز ان يكون المراد أزاغ الله قلوبهم عن الايمان

لان الله لا يزيغ أحدا ولا يضلّه عن الايمان، وايضا فانه لا فائدة في الكلام على ما قالوه، لانهم إذا زاغوا عن الايمان فقد حصلوا كفارا، فلا معنى لقوله ازاع الله قوله تعالى: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦)

=====

(٥٩٣)

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩) أربع آيات. قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف " متم نوره " مضافا. وقرأ الباقون " متم نوره " منصوبا. والقراءتان متقاربتان إلا أن اسم الفاعل إذا كان لما مضى لا يعمل ولا يجوز إلا الاضافة، وإذا كان للحال والاستقبال جاز فيه التتوين والاضافة.

يقول الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) اذكر يا محمد " إذ قال عيسى بن مريم " لقومه الذين بعث اليهم " يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا " نصب على الحال (لما بين يدي من التوراة) إنما سماه لما بين يديه وهو قد تقدمه وهو خلفه بمضيها لأنها متقدمة. وهو متوجه اليها بالاخذ بها، فلها جهتان: جهة المضي جهة التقدم

(ومبشرا برسول) عطف على قوله (مصدقا) وهو ايضا نصب على الحال (يأتي من بعدي اسمه أحمد) يعنى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله).

وقوله (اسمه أحمد) فأحمد عبارة عن الشخص. والاسم قول، والقول لا يكون الشخص. وخبر المبتدأ ينبغي ان يكون هو المبتدأ إذا كان مفردا. والوجه فيه ان يقدر فيه (قول) فكأنه قال اسمه قول أحمد، كما تقول: الليلة الهلال، وانت (ج ٩ م ٧٥ من التبيان

=====

(٥٩٤)

تريد الليلة طلوع الهلال فتحذف المضاف وتقيم المضاف اليه مقامه.

وقوله (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قيل فيه قولان:

احدهما - إن محمدا لما جاء كفار قومه بالبينات أي المعجزات، قالوا هذا سحر واضح بين. وقال قوم: معناه فلما جاء عيسى قومه بالبينات والمعجزات قالوا له هذا القول. ومن نسب الحق إلى السحر فقد جرى في ذلك مجرى الجحد لنعم الله في أنه قد كفر، فان كان دون ذلك

كان جاهلا وفاسقا، لولم يكفر. والسحر حيلة توهم امرا ليس له حقيقة كايهام انقلاب الحبل حية.

وقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الاسلام) صورته صورة الاستفهام والمراد به التبكيت. ومعناه لا أحد أظلم لنفسه ممن افترى على الله الكذب وخرص عليه، وهو يدعى إلى الاسلام يعني الاستسلام لامره والانقياد لطاعته، وهو متوجه إلى كفار قريش وسائر في جميع الكفار.

ثم قال (والله لا يهدي القوم الظالمين) ومعناه لا يحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفار. وقيل: معناه لا يهدي الكفار إلى الثواب، لانهم كفار ظالمون لانفسهم بفعل الكفر والمعاصي التي يستحق بها العقاب، وكل كافر ظالم لانه أضر نفسه بفعل معصية استحق بها العقاب من الله تعالى، فكفره ضرر قبيح.

ثم وصف الكافرين الذين عناهم بالآية فقال (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) ومعناه إنهم يريدون إذهاب نور الاسلام والايمان بفساد الكلام الذي يجرى مجرى تراكم الظلام. وقيل: معناه هم كمن أراد اطفاء نور الشمس بفيه.

وقوله (والله متم نوره ولو كره الكافرون) معناه إن الله يتم نور الاسلام ويبلغ غايته وإن كره ذلك الكفار الجاحدون لنعم الله.

=====

(٥٩٥)

ثم قال (هو الذي) يعني الله الذي اخبر عنه بأنه يتم نوره (أرسل رسوله) يعني محمد (صلى الله عليه وآله) (بالحجج القاهرة والدلائل الباهرة) (ولو كره المشركون) ذلك. وفي الآية دلالة على صحة النبوة، لانه تعالى قد أظهر دينه على الاديان كلها بالاستعلاء والقهر، كما وعد في حال القلة والضعف. قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣) يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن

أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (١٤) خمس آيات.  
قرأ ابن عامر (تتجكم من عذاب اليم) مشددة الجيم. الباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابوجعفر (أنصارا الله) منونا. الباقون بالاضافة

=====

(٥٩٦)

لقولهم في الجواب (نحن أنصار الله) وقرأ نافع وحده (انصاري إلى الله) بفتح الياء. الباقون باسكانها وهما جميعا جيدان.

يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) بالله واعترفوا بتوحيده وإخلاص عبادته وصدقوا رسوله (هل أدلكم على تجارة) صورته صورة العرض والمراد به الامر. والتجارة طلب الربح في شراء المتاع. وقيل لطلب الثواب بعمل الطاعة تجارة تشبيها بذلك، لما بينهما من المقاربة (تتجكم) أي تخلصكم (من عذاب اليم) أي مؤلم، وهو عذاب النار. ثم فسر تلك التجارة فقال (تؤمنون بالله ورسوله) أي تعترفون بتوحيد الله وتخلصون العبادة له وتصدقون رسوله فيما يؤديه اليكم عن الله. وإنما قال (تؤمنون) مع أنه قال (يا أيها الذين آمنوا) لأن ذلك جار مجرى قوله (يا أيها الذين آمنوا) (١) وقد بيناه فيما مضى (٢)

(وتجاهدون في سبيل الله) يعني قتال اعدائه الكفار (بأموالكم) فتتفقونها في ذلك (وأنفسكم) فتحاربون بنفوسكم. ثم قال (ذلكم خير لكم) أي ما ذكرته لكم ووصفته أنفع لكم وخير عاقبة إن علمتم ذلك واعترفتم بصحته. وإنما قال (ذلكم خير لكم) مع أن تركه قبيح ومعصية الله، لأن المعنى ذلكم خير لكم من رفعه عنكم، لأن ما أدى إلى الثواب خير من رفعه إلى نعيم ليس بثواب من الله تعالى. والتكليف خير من رفعه إلى الابتداء بالنعيم لكل من عمل بموجبه، وقيل: إيمانكم بالله خير لكم من تضييعه بالمشتهى من أفعالكم (إن كنتم تعلمون) مضار الاشياء ومنافعها وإنما جاز (تؤمنون بالله) مع أنه محمول على التجارة وخبر عنها، ولا يصلح أن يقال التجارة تؤمنون. وإنما يقال التجارة أن تؤمنوا بالله، لأنه على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وانعقاده بالتجارة في المعنى

---

(١) سورة ٤ النساء آية ١٣٩ (٢) انظر ٣ / ٣٠٧، ٣٥٩ (\*)

=====

(٥٩٧)

لا في اللفظ. وفي ذلك توطئة لما بنى على المعنى من الايجاز. والعرب تقول: هل لك في خير تقدم إلى فلان، فتعوده وأن تقدم إليه.

وقوله (يغفر لكم ذنوبكم) أي متى فعلتم ذلك ستر عليكم ذنوبكم، وجزمه لأنه جواب (تؤمنون) لأنه في معنى آمنوا يغفر لكم. وقال الفراء: هو جواب (هل) وإنما جاز جزم (يغفر لكم) لأنه جواب الاستفهام. والمعنى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم يعلمكم بها، فإنكم إن عملتم بها يغفر لكم ذنوبكم وكان ابو عمرو يدغم الراء في اللام في قوله (يغفر لكم) ولا يجوز ذلك عند الخليل وسيبويه، لان في الراء تكرار، ولذلك غلبت المستعلي في طارد. (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على قوله (يغفر لكم) فلذلك جزمه (خالدين فيها) أي مؤبدين (ومساكن طيبة) أي ولهم في الجنة مساكن طيبة مستلذة (في جنات عدن) أي في بساتين إقامة مؤبدة. ثم قال (ذلك الفوز العظيم) يعني الذي وصفه من النعيم هو الفلاح العظيم الذي لا يوازيه نعمة. وقيل: الفوز النجاة من الهلاك إلى النعيم.

وقوله (واخرى تحبونها) معناه ولكم خصلة أخرى مع ثواب الآخرة (نصر من الله) في الدنيا عليهم (وفتح قريب) لبلادهم. ثم قال (وبشر المؤمنين)

بذلك أي بما ذكرته من النعيم والنصر في الدنيا والفتح القريب.

ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) ومعناه كونوا أنصار دين الله الذي هو الاسلام بأن تدفعوا اعداءه عنه وعن دينه الذي جاء به (كما قال عيسى بن مريم للحواريين) أي مثلكم مثل قول عيسى للحواريين، وهم خاصته، وسمي خاصة الانبياء حواريين، لانهم أخلصوا من كل عيب - في قول الزجاج - وقيل: سموا حواريين لبياض ثيابهم. وقال ابن عباس: كانوا صيادين

=====

(٥٩٨)

للسمك. وقال الضحاك: كانوا غسالين.

وقوله (من أنصاري إلى الله) يعني من أنصاري مع الله، و (إلى) تكون بمعنى (مع) ومثله (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) (١) يعني مع أموالكم. وقيل سمي النصراني نصاري لقولهم (نحن انصار الله) وقيل: لانهم كانوا من الناصرة وهي قرية في بلاد الروم، فأجابهم الحواريون بأن قالوا (نحن انصار الله) وإنما قيل لهم (كونوا أنصار الله) مع أن المراد به دين الله، تعظيماً للدين وتشريفاً له. كما يقال الكعبة بيت الله، وحمزة اسد الله، وما أشبه ذلك (فأمنت طائفة من بني إسرائيل) يعني صدقت بعيسى (عليه السلام) طائفة من بني إسرائيل (وكفرت) به (طائفة) اخرى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أي قويننا المؤمنين على عدوهم (فاصبحوا ظاهرين)

أى غالبين لهم وقال ابراهيم: معناه أيد الذين آمنوا بعبسى بمحمد؁ فاصبحوا ظاهرين عليهم. وقال مجاهد: بل أيدوا في زمانهم على من كفر بعبسى (عليه السلام) وقال بعضهم الم يكن من المسيح قتال. والتأويل أنهم أصبحوا ظاهرين على مخالفهم بالحجة. وقال قوم: كانت الحرب بعد المسيح لما اختلف أصحابه اقتتلوا فظفر أهل الحق؁ وهذا ضعيف؁ لأنه لم يكن من دينهم بعده القتال. وقال ابن عباس قاتلوا ليلا فاصبحوا ظاهرين.

---

(١) سورة ٤ النساء آية ٢ (\*)